



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة باتنة 1 - الحاج لخضر



نيابة العمادة لما بعد التدرج

كلية العلوم الإسلامية

والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

قسم اللغة والحضارة الإسلامية

# الأمّة الإسلامية في فكر أبي الحسن الندوي

-مظاهر الأزمة وعوامل النهضة-

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الطور الثالث في العلوم الإسلامية

تخصص: اللغة والحضارة الإسلامية

إشراف الأستاذ الدكتور

فؤاد بن عبيد

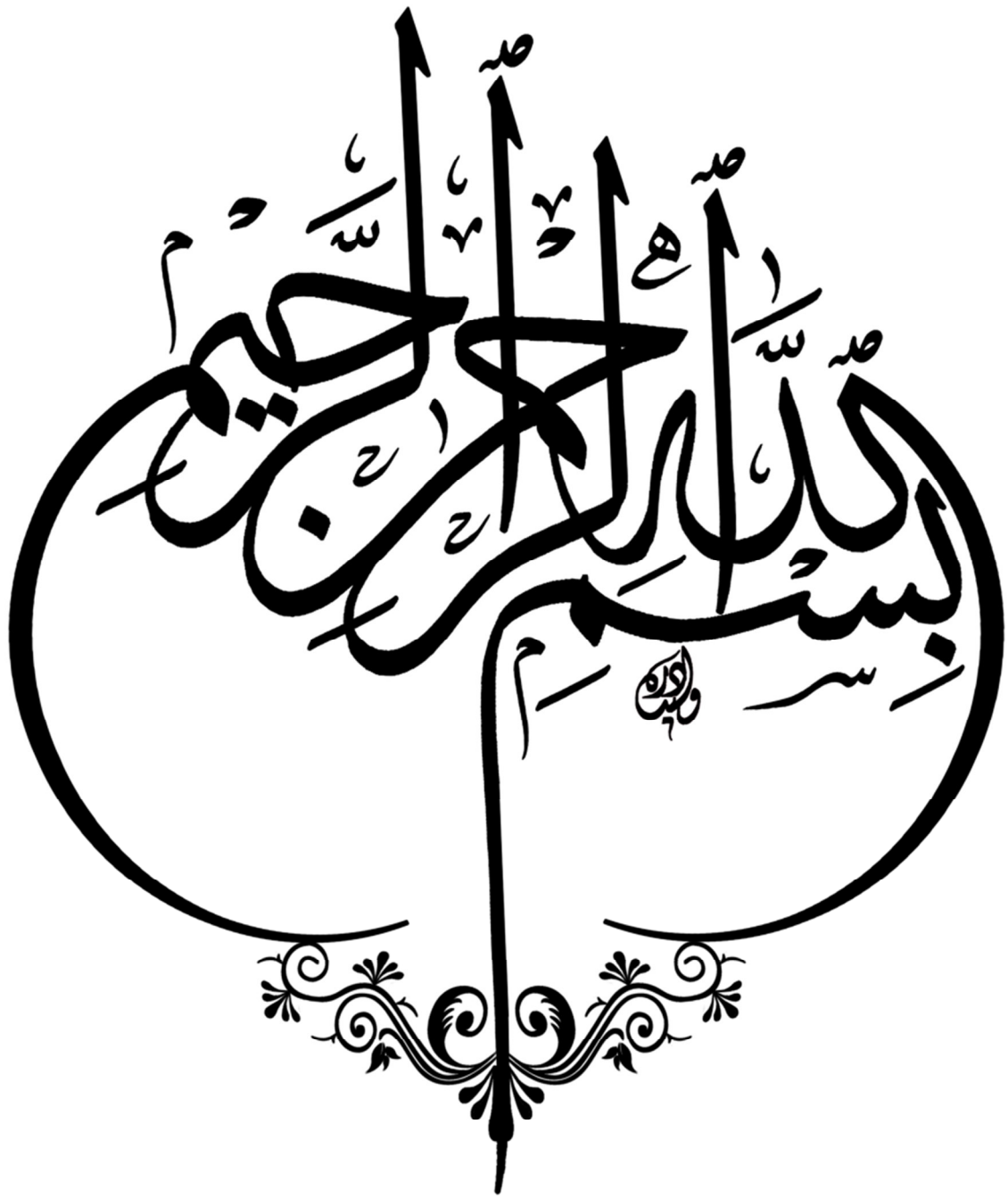
إعداد الباحث

نور الدين ضيافي

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
جمال بن دعاس	أستاذ	جامعة باتنة -1-	رئيسا
فؤاد بن عبيد	أستاذ	جامعة باتنة -1-	مقررا
عبد الرحمان رداد	أستاذ	جامعة باتنة -1-	عضوا
عبد الباسط دردور	أستاذ محاضر (أ)	جامعة باتنة -1-	عضوا
أحمد عبدلي	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	عضوا
السعيد رحماني	أستاذ	جامعة المسيلة	عضوا

السنة الجامعية: 1441 - 1442 هـ / 2020 - 2021م



إن العالم الإسلامي حائر اليوم بين دين لا يسهل عليه العمل به  
والقيام بمطالبه لعادات نشأ عليها وحكومات أفسدته وتعليم أذابه وشهوات لا  
تتفق مع عقيدته ورسالته، وبين جاهلية لا ينشرح لها صدره لإيمان لا يزال له بقية فيه.  
وقومية عجنت مع الإسلام وحضارة تخمرت مع الدين.....

إن العالم الإسلامي حائر بين شعوب مسلمة بسيطة في عقليتها ودينها وحكومات لم  
تنشرح صدور رجالها لهذا الدين ولم تطاوعهم نفوسهم على العمل به.....

إن العالم الإسلامي حائر بين فطرته التي تنزعه إلى الدين وتاريخه الذي يدفعه إلى  
الإيمان والجهاد، والكتاب الذي يقبل به على الآخرة ويبعث في نفسه الثورة على المجتمع  
الفاسد والحياة الزائفة، وبين التربية العصرية التي تزين له المادة وتطبعه على الجبن والضعف  
والزعامة التي تفرض عليه الاتكال على الغير والاعتماد على العدو والفرار من الزحف.

إن العالم الإسلامي حائر بين شباب ثائر ودم فائر وذهن متوقد وأزهار تريد أن تتفتح،  
وبين قيادة شائخة شائبة قد أفلست في العقلية والحياة، وحرمت الابتكار والإبداع والشجاعة  
والمغامرة.....

إن العالم الإسلامي حائر بين مواد خام من أقوى المواد وأفضلها في الإيمان والقوة  
والشجاعة، وبين موجهين وصناعيين لا يعرفون قيمة هذه المواد ولا يعرفون أين يضعونها ولا  
ماذا يصنعون بها.....

هذا هو العالم الإسلامي الذي يواجه العالم اليوم فلا يجد غناؤه ولا يجد فيه غوثا  
ومعقلا عن لصوص العالم المنظمين وذئاب الإنسانية التي تحكمت وعاشت فيها.

ثم هذا العالم العربي .. إنه اليوم مع كل أسف أضعف أعضاء جسم العالم الإسلامي،  
وقد كان واجبا أن يكون أقواها وأصحها وأن يكون في العالم الإسلامي

الندوي: الإسلام والحكم

# إِهْدَاء

إلى منبتي وموطن نشأتي عائلتي الكبيرة:

إلى والديّ الكريمين الذين اشتد بهما عضدي، وكنا منبع أمني

إلى كل إخوتي يزيد، طلال، نذير، بسام، وحيد

إلى أختي العزيزتين خديجة وهديل حفظهم الله جميعا

إلى أفراد أسرتي الصغيرة:

زوجتي الكريمة رفيقة الدرب في الحياة وبرعمي الصغير محمد نور الإسلام

صانه الله، وذخري طائر الجنان ساجد برهان الدين

إلى كل زملاء العلم الأوفياء وأصدقاء العمر فارس وبلال ويوسف وجمال

وإلى كل الأهل والأقارب أخص من بينهم خالي عبد السلام حفظه الله

أهدي هذا العمل المتواضع.

# شكركم

" لا يشكر الله من لا يشكر الناس "

فأولى الناس بشكري خاصة من كان لي نعم المعين وقام بواجب المشرف والمرشد النصيح، على كل ما قدّمه لي من توجيهات وملاحظات في إنجاز هذا البحث العلمي إلى آخر لحظة إلى أن بدا في حلته النهائية.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل نخضر بولطيف على نصائحه وتوجيهاته الثمينة والقيمة ودعمه المتواصل.

والشكر الخاص لكل أعضاء لجنة المناقشة لقبولهم مناقشة هذه الدراسة والشكر كذلك لأخي مسعود على فضله عليّ ومساعدته لي والشكر موصول لكل من مدّ يد العون بقليل أو كثير من قريب أو من بعيد، فجزاهم الله عني جميعاً كل خير.

مقالة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد حبيب الله النبي الأمي الأمين وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الحق المبين، وبعد:

فإن الأمة الإسلامية قد أسهمت في بناء حضارة متميزة، فتحت العالم بخصائصها ونتائجها، فقدمت نموذجاً مثالياً في الجمع بين متطلبات الروح والجسد، وسارت إلى الإنسانية حاملة أبعاداً رسالية تتسم بالشاملة والتكامل، والوسطية والاعتدال في الجمع بين متطلبات النفس الإنسانية والانسجام بين بعدها التكويني والتشريعي، قائمة على الأسس الحضارية الإسلامية وداعية إليها، ومثمّنة لها، أساس التفاضل فيها مرهون بمدى تحقيق القدرات والكفاءات، وإحراز سبق في الفضائل والقيم والمقامات الإنسانية والحضارية.

فأقبلت على هذا الوعاء الحضاري الفريد في تاريخ الإنسانية الأمم والشعوب على اختلاف أجناسها وهوياتها، وانصهرت في بوتقته، وما إن قامت على أسسه ومقوماته، ومبادئ الإسلام وجوهره، حتى نالت شرف القيادة في ميادين تفوقها خاصة في مجال العلوم والمعارف، وأصبح من لا يبحث عن جذور هذه القيادات وأصولها يظن أنها من جنس واحد وأصل واحد، وولدت من رحم واحد. وقد شهد المنصفون من المفكرين والكتّاب للعطاء الحضاري الذي أسعفت به الحضارة الإسلامية الإنسانية وأنقذتها من ظلمة تجاربها المخففة في تفاعلها مع الغيب والطبيعة.

### التعريف بالموضوع وأهميته

رغم ما قدمته الأمة الإسلامية من حضارة زاهرة أضاءت به تاريخ البشرية وبعثت من خلالها الأمل في الإنسانية؛ فإن المتأمل لهذا التاريخ الحضاري يجد أنه اعترضت مسيرته عثرات وكبوات، وأن منحى الأمة الإسلامية الحضاري قد خضع لسنة المدّ والجزر، والسقوط تارة والنهوض تارة أخرى، ولكل سنة قوانينها التي تحكمها، وأسبابها الفاعلة فيها.

وقد أصبحت قضية البحث في أسباب أزمت الأمة الإسلامية التي حالت بينها وبين صورتها الحضارية المشرقة وجذورها، والتطلع إلى سبل لنهضتها - "أزمات الأمة الإسلامية

ونهضتها"- المحور الرئيس لمدار الفكر الإسلامي، فالبحت عن أسباب الواقع الذي آلت إليه الأمة الإسلامية، وعن أزماتها التي تراكمت منذ أمد بعيد حتى شكلت عائقا مستعصيا في طريق السير الحضاري، والتطلعات إلى سبل النهضة، وعواملها لإعادة بناء منظومة فكرية ومعرفية ترسي شروط تقييم "الأمة الرسالية" من جديد، أصبح من الموضوعات الكبرى ذات الأهمية التي تشغل الحيز الأكبر في الفكر الإسلامي، ومن هنا فإن أهمية هذا الموضوع من أهمية الغايات التي يسعى لتحقيقها؛ انطلاقا من تجاوز الواقع المتأزم إلى بناء دورة حضارية تعاد فيها المقومات الإسلامية والإنسانية إلى نصابها المطلوب.

وعلى رغم مما قدمه الفكر الإسلامي من جهود حثيثة أفصح عليها التراث الفكري الذي حوته المكتبات الإسلامية قديما وحديثا، لا تزال وضعا نظريا في أكثره، في مقابل تزايد واقع الأمة تدهورا، حتى أصبح الانحطاط صفة ملازمة لحالها في عهدها الأخير.

ومن جملة المفكرين الذين ظهوروا على الساحة الفكرية تأليفا كَمَا وكيفا؛ أبو الحسن علي الحسيني الندوي (ت1999م)، الذي يعدّ مدرسة فكرية مستقلة أطرت للوعي الفكري، وقدمت مناحي كثيرة في سبيل تحليل أوضاع الأمة الإسلامية الراهنة والبحث في أعماق أزمتها وجذورها البعيدة، واستخلاص رؤية واضحة تصف المقومات الحقيقية للنهوض بالأمة الإسلامية، وإعادة بناء الهيكل الحضاري الذي يحمل في لبه روح الإسلام ورسالته السماوية.

### إشكالية الموضوع

من خلال جهود أبي الحسن الندوي الرامية إلى رسم خارطة تتضمن تشخيصا للأزمات وأسبابها، وعرضا للعوامل ومعالجتها، فإن إشكالية بحثنا تتمحور حول مدى توفيق الندوي في تشخيصه لأزمات الأمة الإسلامية، ومدى قيمة البدائل التي عرضها في سبيل نهضة حضارية مأمولة، وتتفرع عن هذه الإشكالية تساؤلات أهمها:

- ما أبرز المؤثرات البيئية والفكرية التي أسهمت في تكوين شخصية الندوي؟

وكيف كان تصوره للأمة الإسلامية؟ وما واقع أزمتها في فكره؟

وهل استطاع أن يشخص أسبابها ويقف على جذورها العميقة؟

وما العوامل الأساسية التي ارتكز عليها فكره وطرحها كبدايل حقيقية في سبيل نهضة الأمة الإسلامية؟



وهل قدم الندوي حقيقة لمسة تجديدية أثناء معالجته أزمات ونهضة الأمة الإسلامية؟  
هذه التساؤلات وغيرها مما يتعرض لها البحث في هذه الدراسة.

### أهداف البحث

سعى البحث لتحقيق جملة من الأهداف أهمها:

- 1- إبراز التراث المعرفي الذي أسهم به الندوي في الفكر الإسلامي الحديث.
- 2- الإسهام في تلاحق المشاريع الفكرية وتواصلها بين العالم العربي والهندي والإطلاع على العطاءات الفكرية التجديدية رغم معاناتها كأقلية مسلمة.
- 3- تشخيص جملة الأزمات التي أعاقحت حركة الأمة الإسلامية في ركاب المضمار الحضاري.
- 4- الإلمام بالمقومات التي تسهم في نهضة شاملة وتقييم "الأمة" التي يتضمن مفهومها البعد القرآني.
- 5- الاستفادة من تجربة الندوي الفكرية ومواطن التجديد فيها.

### أسباب اختيار الموضوع

#### 1- الأسباب الذاتية:

- رغبتني في الإلمام بشخصية الندوي الذي صادفني اسمه في الكثير من الأحيان، خاصة في الكتابات الفكرية والأدبية.
- ميولي إلى الشخصيات الوسطية المعتدلة التي بذلت جهودها في سبيل وحدة الأمة الإسلامية، وهي الصفات التي لمستها في شخصية الندوي.

#### 2- الأسباب الموضوعية:

- الاطلاع على الخصائص الفكرية والأساليب الحكيمة لمعالجة قضايا الأمة الإسلامية عند الندوي.
- الوقوف على أهم المؤهلات العلمية والفكرية والمؤثرات التي جعلت من الندوي شخصية عالمية تتسم بالمقبولية عند المسلمين وغيرهم.
- كون شخصية الندوي شخصية نموذجية للشخصيات الدعوية والفكرية، من خلال آرائه التي تعد نظريات تتسم بالمرونة والحكمة.

- محاولة إضافة علمية وفكرية إلى ميدان الفكر الإسلامي في سبيل نهضة حضارية، من خلال جهود الندوي.

### الدراسات السابقة

أداء للأمانة العلمية، واعترافاً بالجهود السابقة التي سبقتنا إلى تناول شخصية الندوي وتراثه العلمي والفكري دراسة وتحليلاً ونقداً، فإننا نذكر من أهمها بحسب إطلاعنا: **1-** "الإصلاح في فكر أبي الحسن الندوي": امحمدي بوزينة خيرة، رسالة الماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص عقيدة، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان، 2010م.

تناولت الباحثة في هذه الرسالة قضايا الإصلاح عند الندوي، بشكل عام، وقدمت دراسة تحليلية لكتابه: "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" كجانب تطبيقي.

في حين جاءت دراستنا لتتناول تصور الندوي للأمة الإسلامية، وجهوده في تشخيص أزماتها، وخصائص أسلوبه في تحليلها والوقوف على جذورها عبر مسارها التاريخي، والوقوف على أهم العوامل التي وظفها في سبيل نهضة حضارية لإعادة بناء "الأمة المسلمة" برؤية شاملة وقراءة مستوفية لكل مؤلفاته، مركزين فيها على منهجه في ذلك، مع وقوفنا على اللمسات التجديدية التي قدمها في كتاباته. كما لم تخلو دراستنا من بعض الآراء النقدية لبعض أفكار الندوي.

**2-** "أبو الحسن علي الحسني الندوي وبناء علم الكلام الجديد": جمال الأشراف، رسالة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم العقيدة ومقارنة الأديان 2019م.

في هذه الدراسة -التي تزامنت فترة انجازها مع بحثنا- ركز صاحبها على أسلوب الندوي في خطابه الفكرية، وطريقة تناوله للقضايا الفكرية ومعالجتها كالاستشراق والحضارة الغربية..، وغيرها، ليخلص إلى أن الندوي أسهم في بناء علم كلام جديد، ومدونة عقيدة تفي بحجم التحدي المعيش.

وقد تقاطع بحثنا مع هذه الرسالة في بعض القضايا التي عالجتها وخاصة فيما يتعلق بمشكلة الحضارة الغربية وأدواتها، من استشراق، وتغريب، إلا أن موضوع دراستنا عالج موضوعات أخرى تتمثل في ماهية "الأمة" في فكر الندوي، وطريقة تحليله للأزمات

ومعالجتها، والوقوف على أهمية العوامل التي طرحها، وأبعادها الحضارية مستلهمين من شخصيته الفكرية بعض السمات كمقومات في العمل الفكري، والسياسي، والدعوي.

3- "الإسلام والغرب عند أبي الحسن الندوي": لمحمود كيشالة، جاءت هذه الدراسة ضمن "سلسلة نحن والغرب" العدد 3، التي تصدر عن المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة، لبنان. 2019م.

تناولت هذه الدراسة الحضارة الغربية في فكر الندوي، ابتداء من الوقوف على أزماتها ومشاكلها التي كونها التطور التاريخي منذ أمد بعيد، وصولاً إلى الشاكلة التي آلت إليها في العهد الأخير، مركزة على الأسس التي اعتمدها الندوي في نقده لها، وبيان أخطارها وأدواتها في غزوها الفكري والثقافي، راسماً في ذلك السبيل الأمثل في التعامل معها.

وقد استفادت دراستنا من هذا الجانب، إلا أنها تعرضت إلى جوانب أخرى من التأزم الداخلي الذي تخلل حياة الأمة من بداية تاريخها الإسلامي، تكاملاً مع صورة أزمة الأمة الإسلامية الحالية، مضيئة الشق الآخر والأهم الذي يتمثل في عوامل النهضة.

### -منهج البحث

لقد اقتضى موضوع بحثنا هذا الاعتماد على المنهج الوصفي الذي وقفنا من خلاله على شخصية الندوي، وتوصيف بيئته، ورؤيته الفكرية لواقع الأمة الإسلامية وأزماتها وطرق معالجتها.

ولا شك أن هذا المنهج الوصفي قد تطلب الاستعانة بآليات المنهج التاريخي، وآليات المنهج التحليلي من خلال تتبع مسار شخصية الندوي؛ وكذا تتبع مسار الأزمة وعواملها، مع تحليل أفكاره ونقدها ما تطلب الأمر لذلك.

### -الطريقة المعتمدة في البحث

#### 1- في المتن:

-اعتمدنا في كتابة الآيات القرآنية على الرسم العثماني برواية حفص. مع ذكر اسم السورة ورقم الآية.

-عند اقتباس النص كما هو نشير في الهامش إلى المصدر أو المرجع، أما إن تصرفنا فيه، أو نقلنا معناه، نسبق المصدر أو المرجع بـ: "ينظر".

-لم نترجم للشخصيات المذكورة لكثرتها، فاقترضنا على ترجمة بعض الشخصيات المهمة التي كان لها أثر في رؤية الندوي النهضوية، أو كانت هي صاحبة الفكرة التي تبناها الندوي.

-عند توضيح لفكرة، أو نقد لها، أو تعضيد لرأي أدون ذلك في الهامش. إلا إذا كانت فكرة أساسية فإنني أوظفها في المتن مباشرة.

-قسمت الفروع إلى أولاً، ثانياً، ثم إلى الحروف الأبجدية، ثم إلى الأرقام.

-اختتمنا كل مطلب بخلاصة لمحتواه، ولكل مبحث بخلاصة أيضاً، ثم اختتمنا كل فصل بخلاصة.

## 2- في الهوامش

-تمّ اختصار اسم أبو الحسن الندوي إلى "الندوي"، وكذا عنوان مؤلفاته، مثلاً: "الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية" إلى "الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية" وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" إلى "ماذا خسر العالم".

-تخريج الأحاديث في مصادرها مع ذكر الكتاب ثم الباب، أو المسند (عند أحمد)، ورقم الحديث، ثم ذكر المعلومات البيبليوغرافية. مثلاً: رواه أحمد في مسنده، كتاب باقي مسند الأنصار، باب حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، رقم(23489)، ينظر: مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت ط1، 1421هـ، 2001م، الجزء والصفحة.

-عند تكرار المصدر أو المرجع، نكتفي بذكر المؤلف، والكتاب باختصار إن كان العنوان طويلاً، نشير أنه مصدر سابق، مثلاً: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق. أما إن ورد الحديث في الصحيحين فنكتفي بذكر الصحيح والكتاب والباب، ورقم الحديث مثل: رواه البخاري (أو مسلم) في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، رقم(4770).

## صعوبات البحث

اعترضتنا أثناء دراستنا بعض الصعوبات والتي تمثلت أساسا في:  
- كثرة مؤلفات الندوي التي توزعت بين المؤلفات الكبيرة الحجم، والصغيرة، حيث تجاوز تراثه العلمي والفكرية أكثر من مئة وسبعين عنوانا.  
- صعوبة وضوح الفكرة عند الندوي في الكثير من الأحيان ما جعلنا نحمل قصده على معنى يؤكد سياق حديثه.  
- تبنيه لأفكار الشخصيات الفكرية الإصلاحية والفكرية وتوسيعها لما تقتضيه الحاجة والواقع، ما سبب صعوبة في التمييز بين أفكاره الخالصة والمقتبسة، لولا وجود إشارات منه لبعض المصادر وتعزيد رؤيته بأراء غيره. وهذا ما رأيناه في هيمنة الكثير من رؤية محمد إقبال على رؤيته خاصة في مجال نقده للحضارة الغربية، والتعليم العصري.  
فكانت هذه جملة الصعوبات التي واجهتنا، لكننا استطعنا تجاوزها من خلال البحث والدراسة والتأمل.

## خطة البحث

تتكون خطة البحث من مقدمة ومبحث تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة؛ تضمن المبحث التمهيدي ترجمة الندوي، وحياته، وبيئته التي عاش فيها، وبعض الأحداث التي وقعت.  
وتضمن الفصل الأول إبراز صورة الأمة الإسلامية في فكر الندوي، وكان ذلك في ثلاثة مباحث؛ الأول في مفهوم "الأمة" في القرآن الكريم، والمبحث الثاني في أهمية عنصر القرآن والنبوة في بناء الأمة الإسلامية في فكر الندوي، أما المبحث الثالث تناول خصائص الأمة المسلمة عند الندوي انطلاقا من خصائص الفرد والمجتمع.  
كما قدم الفصل الثاني ليقدم تصور الندوي لمظاهر أزمة الأمة الإسلامية في ثلاثة مباحث؛ المبحث الأول في الأزمة السياسية عبر مسارها التاريخي، في حين تناول المبحث الثاني الأزمة الثقافية الإسلامية في فكر الندوي، بينما تناول المبحث الثالث الأزمة الروحية والاجتماعية في الأمة الإسلامية من خلال فكر الندوي.

وأخيرا الفصل الثالث الذي تضمن عوامل النهضة في فكر الندوي في ثلاثة مباحث؛ المبحث الأول تناول العامل الثقافي للنهضة، أما المبحث الثاني فتضمن الحديث عن العامل السياسي للنهضة في فكر الندوي، والمبحث الثالث العامل الديني والاجتماعي للنهضة في فكر الندوي.

ليختم البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها، مع عرض التوصيات. فكانت الخطة مفصلة كما يلي:

### مقدمة

#### مبحث تمهيدي: أبو الحسن الندوي حياته وفكره

المطلب الأول: عصر الندوي في الهند

الفرع الأول: الوضع السياسي

الفرع الثاني: الوضع الاجتماعي

الفرع الثالث: الوضع الديني

الفرع الرابع: الوضع التعليمي والثقافي

المطلب الثاني: ترجمة أبي الحسن الندوي

الفرع الأول: اسمه ونسبه ومولده

الفرع الثاني: أسرته

الفرع الثالث: وفاته

المطلب الثالث: حياته العلمية

الفرع الأول: طلبه العلم

الفرع الثاني: الوظائف العلمية

الفرع الثالث: آثاره العلمية

المطلب الرابع: حياته الفكرية

الفرع الأول: المؤثرات الفكرية

الفرع الثاني: رحلاته ومقابلاته

الفرع الثالث: شهادة العلماء والمفكرين والأدباء في الندوي

الفصل الأول: صورة الأمة الإسلامية في فكر الندوي

المبحث الأول: "الأمة" في القرآن الكريم

المطلب الأول: مفهوم "الأمة" في القرآن الكريم

الفرع الأول: "الأمة" في المعنى اللغوي والاصطلاحي

الفرع الثاني: مصطلحات ذات الصلة بالأمة

الفرع الثالث: نظرة القرآن للأمة الإسلامية

المطلب الثاني: معاني ودلالات "أمة" في القرآن الكريم وعلاقتها بالملة الإبراهيمية

والبيت الحرام

الفرع الأول: مجموع معاني ودلالات "أمة" في القرآن الكريم

الفرع الثاني: علاقة الأمة الإسلامية بالملة الإبراهيمية

الفرع الثالث: علاقة الأمة المسلمة بالبيت الحرام

المطلب

الثالث: خصائص الأمة المسلمة في القرآن الكريم

الفرع الأول: خاصية الوسطية

الفرع الثاني: خاصية الشهود

الفرع الثالث: خاصية الحركية

المبحث الثاني: أهمية القرآن والنبوة في بناء الأمة الإسلامية في تصوّر الندوي

المطلب الأول: أهمية القرآن في بناء الأمة الإسلامية في تصوّر الندوي

الفرع الأول: أهمية القرآن في بناء الأمة الإسلامية من خلال مضامينه وجوهره

الفرع الثاني: أهمية القرآن في بناء الأمة الإسلامية من خلال خصائصه

الفرع الثالث: أهمية القرآن في بناء الأمة الإسلامية من خلال سننه التاريخية

- المطلب الثاني:** أهمية النبوة في بناء الأمة الإسلامية في تصوّر الندوي
- الفرع الأول:** أهمية القرآن في بناء الأمة الإسلامية من خلال خصائص الأنبياء  
وسمات تعاليمهم
- الفرع الثاني:** أهمية نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في بناء الأمة الإسلامية
- الفرع الثالث:** مآثرة البعثة المحمدية في صناعة الفرد الأنموذج
- المطلب الثالث:** أهمية حفظ الموروث في بناء الأمة الإسلامية
- الفرع الأول:** القدوة الدائمة للإنسانية كلها
- الفرع الثاني:** دور الحديث في صيانة الأمة وثباتها على المنهج المطلوب
- الفرع الثالث:** أهمية الحديث في الإصلاح والتجديد
- المبحث الثالث: خصائص الأمة المسلمة عند الندوي انطلاقاً من خصائص الفرد**

### والمجتمع

- المطلب الأول:** خصائص الفرد المسلم عند الندوي
- الفرع الأول:** طبيعة الإنسان في تصوّر الندوي
- الفرع الثاني:** تأثر الندوي بنظرة جلال الدين الرومي للفرد المسلم
- الفرع الثالث:** تأثر الندوي بنظرة محمد إقبال للفرد المسلم
- المطلب الثاني:** خصائص المجتمع المسلم عند الندوي
- الفرع الأول:** مفهوم المجتمع المسلم
- الفرع الثاني:** خصائص المجتمع المسلم في عهد النبوة
- الفرع الثالث:** خصائص ضرورة للمجتمع المسلم المعاصر
- المطلب الثالث:** خصائص الأمة المسلمة عند الندوي
- الفرع الأول:** خاصية الرسالية
- الفرع الثاني:** خاصية الوحدة
- الفرع الثالث:** الخاصية العلمية والحضارية



الفصل الثاني: مظاهر الأزمة في الأمة الإسلامية من خلال فكر الندوي

المبحث الأول: الأزمة السياسية في الأمة الإسلامية من خلال فكر الندوي

المطلب الأول: بدايات الأزمة السياسية في تاريخ الأمة الإسلامية

الفرع الأول: الخلافة في منظور الندوي

الفرع الثاني: جذور الأزمة السياسية في الأمة الإسلامية

الفرع الثالث: من الخلافة الراشدة إلى الملك العضوض

المطلب الثاني: استمرار الأزمة السياسية في تاريخ الأمة الإسلامية

الفرع الأول: الهجمات الصليبية والغزو التناري

الفرع الثاني: الحكم العثماني وأسباب انحطاطه

الفرع الثالث: يقظة أوروبا

المطلب الثالث: الأزمة السياسية الإسلامية المعاصرة

الفرع الأول: سياسة التغريب في الحكومات الإسلامية

الفرع الثاني: الحكم الاستبدادي في العالم الإسلامي

الفرع الثالث: الفكرة القومية

المبحث الثاني: الأزمة الثقافية في الأمة الإسلامية من خلال فكر الندوي

المطلب الأول: أزمة الفكر الإسلامي من منظور الندوي

الفرع الأول: بداية أزمة الفكر عند المسلمين

الفرع الثاني: الأزمة الفكرية المعاصرة

المطلب الثاني: الأزمة العلمية عند المسلمين في فكر الندوي

الفرع الأول: الانحطاط العلمي في العالم الإسلامي

الفرع الثاني: الاستشراق وأثره على الحياة العلمية الإسلامية

الفرع الثالث: أزمة نظام التربية والتعليم في الأقطار الإسلامية

**المبحث الثالث: الأزمة الروحية والاجتماعية في الأمة الإسلامية من خلال فكر الندوي**

**المطلب الأول: الأزمة الروحية في الأمة الإسلامية من خلال فكر الندوي**

**الفرع الأول: آثار الملك العضوض على الحياة الدينية**

**الفرع الثاني: أسباب الأزمة الروحية في العالم الإسلامي وأثر طغيان الفكر**

المادي

**الفرع الثالث: ثغرات في الحركات الإسلامية**

**المطلب الثاني: الأزمة الاجتماعية في الأمة الإسلامية من خلال فكر الندوي**

**الفرع الأول: أثر فساد الأخلاق وانحراف القيم على الحياة الاجتماعية**

**الفرع الثاني: الواقع الاقتصادي في الأمة الإسلامية وأثره على الحياة الاجتماعية**

**الفرع الثالث: أوضاع الأقليات المسلمة في الهند والاتحاد السوفياتي**

**الفصل الثالث: عوامل النهضة في فكر الندوي**

**المبحث الأول: العامل الثقافي للنهضة في فكر الندوي**

**المطلب الأول: المجال العلمي**

**الفرع الأول: بناء المنظومة التربوية والتعليمية**

**الفرع الثاني: صياغة نظام التربية والتعليم صياغة إسلامية**

**الفرع الثالث: تحقيق الاجتهاد والاكتفاء الذاتي في البحث والتأليف**

**المطلب الثاني: المجال الفكري**

**الفرع الأول: أهمية تاريخ الإصلاح والتجديد في الحياة الإسلامية**

**الفرع الثاني: التصميم الحضاري في فكر الندوي**

**الفرع الثالث: مقومات التصميم الحضاري**

**المطلب الثالث: إسهامات الندوي في مجال البحث والتأليف**

**الفرع الأول: إسهامات الندوي في إعداد المناهج الدراسية**

**الفرع الثاني: إسهامات الندوي في مجال أدب السير والتراجم**

**الفرع الثالث: جهود الندوي في خدمة الأدب الإسلامي**

## المبحث الثاني: العامل السياسي للنهضة في فكر الندوي

المطلب الأول: الجهود الإصلاحية السياسية من القراءة التاريخية العابرة إلى التنظير القيمي

الفرع الأول: القيم الإسلامية في عمل الصحابة والتابعين

الفرع الثاني: الجهود العملية المباشرة وغير المباشرة في الإصلاح السياسي

الفرع الثالث: جهود العلماء المخلصين في إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر.

المطلب الثاني: منهج التغيير السياسي عند الندوي

الفرع الأول: إيجاد الوعي السياسي في الأمة الإسلامية

الفرع الثاني: فكرة التغيير السياسي عند الندوي

المطلب الثالث: جهود الندوي في النهضة السياسية

الفرع الأول: مراسلات الندوي الملوك والرؤساء وقادة البلاد الإسلامية

الفرع الثاني: مراسلات الندوي للحكومة الهندية

## المبحث الثالث: العامل الديني والاجتماعي للنهضة في فكر الندوي

المطلب الأول: عوامل النهضة بالحياة الدينية

الفرع الأول: العمل بالقرآن الكريم والهدي النبوي

الفرع الثاني: مواجهة الفكر المادي وأخطاره على الحياة الإسلامية

الفرع الثالث: ترشيد الصحوة الإسلامية في فكر الندوي

المطلب الثاني: الدعوة الإسلامية في فكر الندوي.

الفرع الأول: مصادر الدعوة الإسلامية في فكر الندوي

الفرع الثاني: سمات الدعوة الإسلامية في فكر الندوي

الفرع الثالث: الدعوة الإسلامية في البلاد غير الإسلامية

المطلب الثالث: عوامل النهضة الاجتماعية في فكر الندوي

الفرع الأول: إصلاح أخلاق المجتمع وتربيته

الفرع الثاني: الجانب الاقتصادي لنهضة المجتمع في فكر الندوي.

مجلدات تمهيدية:

أبو الحسن النخعي حياته وفكره

المطلب الأول: عصر الندوي في الهند

المطلب الثاني: ترجمة أبي الحسن الندوي

المطلب الثالث: حياته العلمية

المطلب الرابع: حياته الفكرية

## مبحث تمهيدي: أبو الحسن الندوي حياته وفكره

يتناول هذا المبحث الحديث عن بيئة الندوي، والتعريف به، وكذا الحديث عن حياته العلمية والفكرية، فتضمن هذا المبحث أربعة مطالب؛ الأول في أوضاع عصر الندوي، والثاني في التعريف به، والثالث في حياته العلمية، أما المطلب الرابع فاختص بحياته الفكرية.

## المطلب الأول: عصر الندوي في الهند

احتوى هذا المطلب أربعة فروع تناولت أوضاع عصر الندوي وحالة بلاد الهند، والنكبات التي تعرض لها المسلمون قبل تقسيم الهند وبعده، وما خلفته السياسة الاستعمارية الإنجليزية من مآسي اكتسحت شتى مجالات الحياة. وقد تناولت هذه الفروع الوضع الاجتماعي والديني والتعليمي الذي سائدا آنذاك في الهند.

## الفرع الأول: الوضع السياسي

تعرضت بلاد الهند كغيرها من البلدان العربية والإسلامية إلى النفوذ الاستعماري المخرب، إذ بدأ الاستعمار بسط نفوذه بعد أن أنشأ مراكز كبرى أقامها إثر معاملات شركة تجارية على مدى طويل. ما أدى إلى إحداث تحولات كبرى في المجال السياسي شكلت عقبات كبرى واجهت المد الإسلامي الذي حظي باستقرار على مدى يفوق ثمانية قرون في الهند.

## أولاً: الوجود الاستعماري في الهند

بدأت قصة الوجود الاستعماري وأطماعه منذ مدى طويل، حيث تعددت الحملات الاستعمارية وتوالت على بلاد الهند، كان المسلمون الهنود دائماً يمثلون الجدار المتماسك الذي يواجه هذه الحملات التخريبية الاستعمارية ويصدّ خطرها الكبير، فقام بكفاح كبير وتضحيات جسيمة عظمت حفاظاً على الهند، وعلى الوجود الإسلامي الذي عمّر طويلاً فيها، وقد «كان الانجليز والهولنديون والبرتغاليون من أكبر المتنافسين على بلاد الهند، فقد أسسوا شركات تجارية كبرى تتعامل مع الهند، وفي الأخير تغلب الانجليز على منافسهم البرتغاليين والهولنديين الذين كانوا يمنعونهم من الولوج إلى الداخل، فلما انتصروا

نزلوا في مدينة (مدراس) وتوغلوا إلى داخل الهند»<sup>(1)</sup>، أما الشركة الكبرى التي عن طريقها دخل الانجليز كمستعمر ناهب للخيرات فهي "الشركة الهندية الكبرى" التي تأسست في 1600م بلندن قام عملها في بادئ الأمر على شراء منتجات الهند وجزر الهند الشرقية بأثمان زهيدة وبيعها بأثمان مرتفعة بأوربا، وبعدها أعلنت هذه الشركة عام 1686م على إقامة مستعمرة انجليزية واسعة في الهند، وعليها أنشأت مراكز تجارية في "مدراس" و"كلكتا" و"مباي" وحصنتها، وعملت على تأمينها عن طريق الإتيان بجنود من خارج الهند، وبذلك خاضت معارك القتال ورشت وارتشت ومارست غير ذلك من مهام الحكومة<sup>(2)</sup>، كما أنها قامت -بسبب قوتها المالية التجارية التي اكتسبتها- بشراء قطع أراضي كبيرة في الهند ما ساعدتها على السيطرة وبسط النفوذ أكثر، وتحكيم مخططها الأيديولوجي السياسي بقوة، وبذلك أصبحت تملك حرية التصرف والسيادة في البلاد، فانقلبت الموازين بسبب استيلائها على كثير من المناطق وتمكنها من نصب سياسة جديدة رسمها الانجليز للسيطرة على مقاليد الأمور في الهند، وبهذا استطاعت هذه الشركة في أن تبسط نفوذها على الهند وتستولي عليها، في حين فقد المسلمون زمام الحكم والسلطة في شتى النواحي<sup>(3)</sup>.

ولما أحس المسلمون بهذا الخطر الداهم الذي يهدد الوجود الإسلامي في بلاد الهند هبّت ثورات كثيرة أشهرها ثورة 1857م، وقد شارك فيها المسلمون والهندوس جنباً لجنب، إلا أنها باءت بالفشل، و«انتهت الثورة عام 1274هـ-1858م، وأعلنت انجلترا انتهاء حكم شركة الهند الشرقية، وعدت بلاد الهند من أملاك التاج البريطاني يتصرف بها كيف يشاء، وعدّ الانجليز المسلمين سبب الثورة والمخططين لها، لذا فقد صبوا غضبهم عليهم، فصادروا أملاكهم وهدموا مساجدهم، أو جعلوها ثكنات للجيش وشرّدوا الناس»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup>: محمود شاکر، التاريخ الإسلامي، التاريخ المعاصر (القارة الهندية)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1418هـ، 1997م، 27/19.

<sup>2</sup>: ينظر: السيد حسين جلال، تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، دار الوفاء، مصر، 2001م، ص105.

<sup>3</sup>: محمد أكرم الندوي، أبو الحسن الندوي العالم المري والداعية الحكيم، دار القلم، دمشق، ط1، 1427هـ، 2006م، ص26.

<sup>4</sup>: محمود شاکر، التاريخ الإسلامي، مصدر سابق، 30/19.

## ثانيا: "القومية" ومؤامرة الانجليز مع الهندوس

بعد أن أدرك المستعمر الإنجليزي قوة المسلمين ومنبع الحمية الدينية والروح الجهادية لديهم وصعوبة مجابتهم، لجؤوا إلى سياسة "فرق تسد"، وكرسوها عن طريق نشر فكرة القومية، بغية تشتيت الوحدة بين الهندوس والمسلمين، وقد نجح المستعمر في ذلك، ووجدت هذه الفكرة المسمومة طريقها إلى نفوس الهندوس بعد أن أثر التعامل التجاري بينهم وبين الانجليز، فاحتضنوا الفكرة وزادوا اقتناعا بها حينما «شعروا أن ارتباطهم قد أصبح مع الانجليز الذين أثاروهم ضد حكامهم المسلمين، ووقف الانجليز ضد المسلمين وبجانب البراهميين بعد أن تمكنوا من السيطرة على البلاد وإخضاع الحكام من المسلمين»<sup>(1)</sup>، وبهذا واجه المسلمون قوتين هددتا كيانهم، كيد المستعمر الإنجليزي وعمالة الهندوس ضدهم.

أما الحكم السياسي في الهند بعد استقلالها وتقسيمها، فقد كان حكما علمانيا ادعى الحيادية وعدم التحيز الطائفي، إلا أن تأثير الأغلبية الهندوسية على الحكومة الهندية كان له الأثر في بروز بعض المحن وفقدان الحيادية التي ادعى التزامها في مواد الدستور المسطر، وتجلى تأثير الهندوس خاصة على الحكومة الهندية في مسألة "المسجد البابري" الذي لا يزال الصراع عليه قائما بين الهندوس والمسلمين إلى وقت متأخر من هذا القرن.

## الفرع الثاني: الوضع الاجتماعي

عاش المسلمون في الهند حقبة زمنية طويلة، تميّز وجودهم فيها بحرية واستقلالية كبيرة في ممارسة تعاليم الدين الإسلامي، كما حضي بالاحترام حتى من الطوائف الهندوسية المتشددة، إذ كانت ممارسة الدعوة الإسلامية في الهند ميسورة وخاصة في المناطق التي يشكل فيها المسلمون كثافة كبيرة، إلا أن دهاء الاستعمار الإنجليزي وما قام به من مخططات التفرقة ونشر القومية، ومحاربة المسلمين في جميع الميادين، ومناهضة الهندوس وتحريضهم على إعادة إحياء الديانة الهندوسية التي ضعفت روحها

<sup>1</sup> محمود شاکر، التاريخ الإسلامي، الأقليات الإسلامية - المكتب الإسلامي، بيروت - ط2 - 1416هـ. 1995م،

في نفوس الهندوس شكّل مخاطر كبرى، وأحدث تحولات جوهرية في الهند كانت نتيجتها - بعد أن أصبح المسلمون يواجهون مخاطر الاستعمار الانجليزي الحاقدي ذي الدوافع الصليبية العدائية، ويواجهون التيار الهندوسي الذي رضي بالمستعمر وليا له - المطالبة بإقامة دولة مستقلة بها يحفظ المسلمون وجودهم وحريرتهم الدينية المضطهدة، وقد مثل هذه الفكرة المفكر الفيلسوف "محمد إقبال"<sup>(1)</sup>، فأدى ذلك إلى تقسيم الهند ونشوء دولة "الباكستان".

### أولاً: تقسيم الهند

وجدت فكرة التقسيم ترحيباً كبيراً وقبولاً لدى المسلمين بعد أن ازدادت النكبات والمشاكل تتفاقم عليهم في الهند، وبهذا تحققت الفكرة التي نادى بها محمد إقبال التي أولاهها اهتماماً كبيراً في خطابه واجتماعاته - بعد ما عاناه المسلمون من اضطهاد كبير من الهندوس والمستعمر الإنجليزي ما أدى إلى يقينهم باستحالة اجتماعهم مع الهندوس في بلد واحد، وقامت الفكرة على يد "محمد علي جناح"<sup>(2)</sup>، وكان ذلك سنة 1947م، وصارت الهند دولتان «عرفت أولهما باسم "الهند"، وقد شملت المناطق التي أكثريتها من البراهميين، وعرفت الثانية باسم "باكستان"، وشملت المناطق التي أكثريتها من المسلمين، وكانت عبارة عن جزأين؛ أحدهما في الغرب وأطلق عليها اسم "باكستان الغربية" وشمل مناطق الحدود و"البنجاب الغربية"، و"السند"، و"بلوخستان"، والثاني في الشرق، وشمل

<sup>1</sup>: ولد محمد إقبال 1878م في سيكوف بالبنجاب، وتوفي 1938م في لاهور، كان هذا الشاعر الكبير، الفيلسوف واللغوي والقانوني والسياسي والمربي في آن معاً، مفكراً من الطراز الأول ومنظر الفكر الإسلامي الحديث؛ شغل عدداً من المناصب: عضو في الجمعية التشريعية البنجابية سنة 1927م. انتخب سنة 1930م لرئاسة الرابطة الإسلامية وأثناءها بدأ تجسيد فكرة إنشاء دولة مسلمة شمال غربي الهند الباكستان، ومن مؤلفاته: تجديد الفكر الديني في "الإسلام" و"ديوان إقبال" في مجلدين، ينظر: جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة بيروت، ط3، 1987م، ص80.

<sup>2</sup>: ولد محمد علي جناح في مدينة رامبور سنة 1878م، وتوفي سنة 1931م في لندن ودفن بالقدس، ومحمد علي أحد مديري جامعة عليكرة. وقد التحق بعدها بجامعة أكسفورد، وبعد نجاحه فيها عاد للهند وشغل بعض المناصب ثم استقال لينتقل للمساائل العامة وخدمة مسلمي الهند بوجه خاص، والمسلمين بوجه في جميع الأرجاء بوجه عام ... وقد اشتغل بالصحافة وساهم في محاربة الوجود الإنجليزي، ينظر: أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، 338، 339/8.



"البنغال الشرقية" وما حولها وهو الذي حمل اسم "بنغالديش" بعد تقسيم باكستان" هي الأخرى عام 1390م، وبين الجزأين 1500كم من أراضي دولة الهند»<sup>(1)</sup>. إلا أن هذا الأمر لم يتم كما ينبغي، حيث وقع جزء هذا الانقسام أزمات كبرى تمثلت في النكبات التي تعرض لها المسلمون، إضافة إلى انتهاك الأعراض والتشريد أثناء انتقالهم لأرض باكستان، وأشد ما تعرض له المسلمون المجزرة الطائفية «فبعد أن سبق إعلان استقلال الهند استقلال "سيلان" (سري لانكا) و"بورما" (ميامر)، وإنشاء "باكستان الغربية" (جزء من الهند) و"باكستان الشرقية" (التي ستصبح بانغلاش) مع احتفاظ الهند بأكبر المدن وبأكثر الثروات المنجمية والتجهيزات الصناعية وبثلاثة أرباع سكان شبه القارة الهندية، ومع قيام باكستان، جرت مذابح (هندوس - باكستان)، وأعدم آلاف، وانتشرت الأوبئة وعمّت المجاعة»<sup>(2)</sup>.

وبهذا كانت نتائج رهيبة خلفها التقسيم تمثلت في<sup>(3)</sup>:

- أ- وجود أقلية مسلمة في الهند تعادل 14% من السكان، وتعرض لنكبات باستمرار
- ب- مذابح رهيبة للمسلمين يوم التقسيم بسبب محاولتهم الانتقال من أراضي الهند إلى أراضي باكستان، وقد ذبح يومها أكثر من مليون مسلم.
- ج- هروب تسعة ملايين مسلم من أراضي الهند إلى أراضي باكستان.
- د- خلاف وحقد دائم بين الدولتين المتجاورتين، أدى إلى قيام قتال أكثر من مرة عام 1385هـ. وعام 1390هـ. وعام 1391هـ.
- هـ- نحو 500 ألف قتيل خلال أسابيع قليلة

وعلى إثر هذه الأوضاع الرهيبة أصبح المسلمون في الهند يعانون من فقدان الأمن وظلم الهنادك المستمر، إضافة إلى حرمانهم من كل الامتيازات، من تولي مناصب محترمة في الحكومة، ومن التمتع بالحرية التعليمية، وممارسة الشعائر الدينية تحت مضايقات شديدة، وقد كان الهندوس الذين يمثلون غالبية سكان الهند «يعدّون المسلمين المقيمين معهم في دولة واحدة أعداءهم الحقيقيين نتيجة النظرة الدينية..، ونتيجة الحقد الذي أورثهم إياه

<sup>1</sup>: محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، الأقليات الإسلامية، مرجع سابق، 35/22.

<sup>2</sup>: مسعود الخوند، الأقليات المسلمة في العالم، (universal.companny) بيروت، ط2، 2006م. ص93.

<sup>3</sup>: ينظر: محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، الأقليات المسلمة، مرجع سابق، ص37، 36.

الاستعمار الانجليزي، وسبب كثرتهم العددية لذا كانت مخططاتهم محاولة القضاء عليهم بأية صورة كانت، بالحرب، بالإبادة، بالارتداد عن دينهم، بإذابتهم في مجتمعهم»<sup>(1)</sup>. وبهذا كانت فكرة تقسيم الهند من أشد النكبات التي ورثت مشاكل كبرى على الأقلية المسلمة في الهند، وخدمت أهداف المستعمر الإنجليزي الامبريالية، لأن التقسيم كان من آخر مخططاته التي تمت على يد المسلمين.

### ثانيا: الأزمة الاقتصادية وأثرها على الحياة الاجتماعية

في المجال الاقتصادي نجد أن المسلمين محرومون حرمانا تاما من الاشتراك في التنمية الاقتصادية، وقد كان ذلك نتيجة دهاء الانجليز من تقريب الهندوس ونصب العداء للمسلمين، «فقد كان الإسلام يقلق مضاجعهم، ومما فعلوه اقتصاديا بالهند أنهم قبل التقسيم ركزوا الصناعات والمدارس والجامعات وعمليات إنشاء الطرق والسكك الحديدية في المناطق التي يقل بها المسلمون وأهملوا المناطق التي بها أكثرية مسلمة مثل "السند" و"البنجاب" و"بلوختان" و"البنغال الشرقية»<sup>(2)</sup>.

وعلى هذا فقد كان للأزمة الاقتصادية التأثير العميق في حال المسلمين في الهند فالفقر والحرمان الذي خلفته هذه الوقائع كان من شأنها أن تنزل وضع المسلمين من «مستوى الشعوب الراقية الذكية الطامحة إلى مستوى الشعوب المنحطة الخاملة وطبقة المنبوذين»<sup>(3)</sup>، وعن حال الحرمان من تقلد مناصب ووظائف في الحكومة فيصف لنا الندوي ذلك في قوله: «... ومن اطلع على أعداد المنتخبين للوظائف خصوصا في الجيش والشرطة والوظائف الرئيسية التي تطلع الصحف بين حين وآخر، وقارن بينها وبين أعداد الموظفين قبل التقسيم. اعتقد أن المسلمين قد غادروا هذه البلاد ولم يبق منهم إلا الأميون الذين لا يستحقون هذه الوظائف، واستطاع أن ينتبأ بأن المسلمين سيقصون عن الجهاز الإداري في مدة قليلة..»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup>: محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، الأقليات المسلمة، مرجع سابق، ص 37.

<sup>2</sup>: أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ج 8/355.

<sup>3</sup>: أبو الحسن الندوي، المسلمون في الهند، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1420هـ، 1999م. ص 224.

<sup>4</sup>: المصدر نفسه، ص 224.

ولا تزال الأقلية المسلمة في الهند تتعرض للظلم والاعتداء من طرف الهندوس وخاصة الزعماء المتطرفين الذين تدفعهم الشائعات الملققة والنشاطات المهيجة، وبذلك يحملون الحقد على المسلمين فينتهزون كل فرصة لنزاع أو أزمة اجتماعية للهجوم على المسلمين..، وتشترك في هذه التهم والشبهات والكرهية ضد المسلمين صحف الأغلبية وتعقد اجتماعات سرية يشترك فيها المتطرفون ويهيجون فيها الأعصاب ضد المسلمين، وتنظم عصابات مدربة على أعمال القتل والنهب للهجوم على المساجد والمنازل والمحلات التجارية، والمارة بصورة منظمة، ويزيد الأمر تأزما محايدة أجهزة الأمن ولا تتخذ أدنى إجراء لتوقيف هذه الأعمال الإجرامية التي تهدد حياة المسلمين في الهند<sup>(1)</sup>.

كل هذه النكبات التي تعرض لها المسلمون في الهند لا تزال يعانون من آثارها، وتزداد من حين لآخر، بسبب اعتناق الطبقة المنبوذة من الهندوس للإسلام، ويعود ذلك للتأثير الذي تركه عدل الإسلام في الحقوق والواجبات واحترام الإنسان وتكريمه، في حين تجد هذه الطبقة الذل والهوان والحرمان من أدنى الحريات والحقوق من قبل الهندوس.

### الفرع الثالث: الوضع الديني في الهند

#### أولاً: حالة الدين في الهند

تعد الهند من أكبر الدول احتضاناً للغات والديانات واختلاف الأعراق والتقاليد والأجناس، وأكبر الديانات التي تحويها إضافة إلى الإسلام: "الهندوسية"، "البوذية"، "السيخية" و"المسيحية" التي عزز انتشارها الوجود الاستعماري الإنجليزي عن طريق حركة التنصير، وتعد الهندوسية أكبرها توسعاً وتفرعاً وأشدّها عداً للإسلام.

يخضع المجتمع الهندي إلى النظام الطبقي الجائر، حيث «لم يعرف في تاريخ الأمم نظام طبقي أشد قسوة وأعظم فصلاً بين طبقة وطبقة، وأشد استهانة بشرف الإنسان من النظام الذي اعترفت به الهند دينياً ومدنياً، وخضعت له آلاف السنين ولا تزال»<sup>(2)</sup>، ويقوم هذا النظام الطبقي على «تقسيم الشعب إلى طبقات متباينة على شكل هرم فتصنف الكهنة في أعلاه، يليهم المحاربون فالزراعي فالخدم وهم المنبوذون الذين ترفضهم كل طبقة وتحترقهم كل جماعة، فلا يلتقون بهم، كما أن الطبقات الأخرى ينفصل بعضها عن

<sup>1</sup>: الندوي، المسلمون في الهند، مصدر سابق، ص222.

<sup>2</sup>: أبو الحسن الندوي، ماذا خسّر العالم بانحطاط المسلمين، مكتبة الإيمان، المنصورة، القاهرة، (د ط، د ت)، ص51.

بعض بفاصل كبير»<sup>(1)</sup>، وتمّ تقسيم المجتمع حسب الأعمار والوظائف والحرف في المجتمع «فقد اقتضت حياتهم أن يقوم بعض الناس بالطقوس الدينية بينما يقوم الآخرون بالحروب وكان من الطبيعي أن توجد جماعة تقوم بالعمل في الحقول ومطالب الحياة حتى يتفرغ المحاربون لعملهم وبالتدرج وجدت الطبقة الرابعة وهي طائفة "الشودرا" التي هي أخس الطبقات التي عرفت عند كتاب العربية بالطائفة المنبوذة»<sup>(2)</sup>.

كما أن ما يعتقد الهندوس من حلول روح الآلهة في البقر يشكل عائقا كبيرا في التعامل مع المسلمين الذين يرون أن البقر مخلوق مسخر لمنفعة الإنسان، وعلى هذا الفارق الكبير في المعتقد، وجد المستعمر الانجليزي سهولة في إحداث التفرقة بين المسلمين والهندوس، ما سهل نشاط حركة التنصير ونشر الخرافات في الأكثرية الهندوسية، وظهر بعض الفرق المنحرفة التي خدمت أطماع الاستعمار ووالته بما حملته من معتقدات ضالة ومغالطات هدامة وخاصة في مفهوم الجهاد وتمثلت هذه الفرق أساسا في الحركة القاديانية التي تفرعت عنها الأحمدية من بعد.

### ثانيا: الدعوة الإسلامية وتحدياتها

تواجه الدعوة الإسلامية في الهند تحديات كبرى من إثارة الشبهات حول الإسلام، إضافة إلى الضغوطات التي يتعرض لها المسلمون من طرف الهندوس، والاعتداءات التي تواجههم بين الفينة وأخرى، وكثرة الطوائف والفرق الدينية، وتعدد الديانات وتطورها، فأصبح كل ذي منفعة مقدس إلى حد نيل مكان الإله المعبود، و«قد أصبح في هذا القرن 333 مليون، وقد أصبح كل شيء رائع وكل شيء جذاب وكل مرفق من مرافق الحياة إله يعبد، وهكذا تجاوزت الأصنام والتماثيل والآلهة والإلهات الحصر، وأريت على العدّ، فمنها أشخاص تاريخية، وأبطال تمثل فيهم الله - زعموا - في عهود

<sup>1</sup>: أحمد ياغي ومحمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، دار المريخ، الرياض، (د ط)، 1415 هـ، 1995 م، ص 318.

<sup>2</sup>: عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1401 هـ، 1981 م، ص 49، 50.

وحوادث معروفة، ومنها جبال تجلّي عليها بعض آهتهم ومنها معادن كالذهب والفضة تجلّي فيها الإله»<sup>(1)</sup>.

والأبعد من ذلك والأخطر من ذلك، الحقد الذي خلفه الاستعمار الإنجليزي، الذي ازداد شدة أثناء انفصال باكستان عن الهند، حيث اعتبر الهندوس أن دولة باكستان الإسلامية دولة معادية لها منافسة ومحاربة، أما أمل المسلمون في الهند رغم معارضتهم لانفصال باكستان واستقلالها كبلد إسلامي، فلم يتحقق كما توقعوا لأن «باكستان لم تتمثل للأسف الإسلام كما ينبغي، فقد قامت بها دكتاتوريات بعيدة جدا عن نظام الحكم في الإسلام وقام صراع بين جزأي باكستان في الشرق والغرب انتهى باستقلال "بنجالاديش" وهذا يضعف عزيمة الداعية المسلم لأن الواقع كثيرا ما يكون مخالفا للنظرية مما يحدث ارتباكا في الأذهان»<sup>(2)</sup> يشكل دائما خطرا يهدد مستقبلهم في الهند لأنهم يدركون حقيقة القوة الدفينة التي يمتلكها المسلمون...، فكل هذه الأمور تركت عوائق كبرى على مستقبل الدعوة الإسلامية في الهند تمثلت في محاربة العلماء المسلمين والدعاة والمصلحين والتضييق عليهم ومحاولة اغتيالهم وقتلهم في كثير من الأحيان وخاصة عند إحساس الهندوس بقوة حركة الدعوة الإسلامية وانتشارها وظهور ملامح التأثير في حياتهم، ولا سيما بعد ما تركه المستعمر في نفسية الهندوس من ضرورة إحياء الديانة الهندوسية التي ضعفت قوتها أمام قوة الدعوة الإسلامية «وبهذا ظهرت الدعوة والتبشير بالديانة البرهمنية والآرية وتنظيم الهنادك على طراز حربي، وانتشر دعائها في الهند وظهرت إزاء ذلك حركة الدعوة إلى الإسلام وتنظيم المسلمين على أساس مستقل، وبدأت المناظرات الدينية والخطب العاطفية والحماسية، وانفجرت الاضطرابات الطائفية في شبه القارة الهندية..، ولم تزل الفجوة بين الطائفتين - المسلمين والهنادك - تتسع وتعمق، والفجوة بينهما تقوى وتكبر»<sup>(3)</sup>.

لم يكن هذا الوضع الخطير حائلا دون استمرارية الدعوة الإسلامية، لأنه قام - ضد هذا التحدي - دعاة حملوا عبء الدعوة الإسلامية وقاوموا كل العوائق وأقاموا

<sup>1</sup>: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص50.

<sup>2</sup>: أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، مرجع السابق، 359/8.

<sup>3</sup>: الندوي، المسلمون في الهند، مصدر سابق، ص197.

صرح الدعوة الإسلامية على طريقة حكيمة رشيدة تتماشى مع البيئة التي تحوي محن كبرى ضدها، وبذلك لا يزال الإسلام ضامنا وجوده ثابتا على أصوله، مواجهها كل ما يثار حوله من شبهات مغرضة إلى يومنا هذا.

#### الفرع الرابع: الوضع التعليمي والثقافي

##### أولا: المناهج التعليمية

تعرض الجانب التعليمي والثقافي هو الآخر للمخططات الغربية الاستعمارية التي كان لها الأثر السيئ على التعليم والتربية والثقافة، وبما أن النظام التعليمي القويم هو منبع قوة الأمة الإسلامية وسرّ ازدهارها، لما يعمل على ترسيخ القيم الحضارية المثلى التي جاء بها الدين الحنيف، والذي من شأنه أيضا أن يحدث الوعي بحقيقة الوجود فهو بهذا كله يعدّ الوسيلة الأقوم التي يجب الارتكاز عليها في بناء شخصية الأمة الإسلامية واستئناف عملها الرسالي الدعوي الذي فقدته منذ أمد طويل.

وقد أدرك الاستعمار الغربي هذه الأهمية الجوهرية التي يتميز بها نظام التعليم، وتتّبّه لها، فاتخذ التعليم هو المنطلق الأساسي لحركته الاستعمارية الجديدة، وغزوه الفكري والثقافي، فتيقن أنه الطريق الأمثل لتحقيق نجاحات عظمى تخدم مصالحه، وقد «سلك المستعمر في ذلك طرقا شتى في تطويق وتطويع التعليم لسياسته، وليتم له ما يريد من تحطيم عقيدة الأمة وقيمها وإذابة شخصية المتعلم وتكوينها من جديد»<sup>(1)</sup>، ومما يجدر بنا التنبية عليه أن اصطبغ النظام التعليمي والتربوي بالصبغة الغربية، لا يوائم روح الأمة الإسلامية، كما أنه قد ينافي في الكثير من تفاصيله شريعة الإسلام السمحة، ويفقد الشخصية السوية توازنها فتخضع لكل ما ينفذ إليها من الخارج وتقبله دون تمحيص أو نقد أو وعي.

واجه المسلمون تحديات كبيرة في مجال التعليم، سيّما ما يتعلق بالمناهج التعليمية ومواد التدريس، وقد «عنيت هذه المناهج في الهند بالعقيدة الهندوكية وأساطيرها ومقدساتها

<sup>1</sup> عبد الماجد الغوري، أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية المربي الأديب، دار ابن كثير، للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ط3، 1426هـ، 2005م، ص68.

وأبطالها، وكانت تقدم هذه الدراسات لكل التلاميذ مما يمثل خطورة على الأطفال المسلمين الذين يحرمون من الفكر الإسلامي ومن سيرة أبطال العرب والهنود، وفي هذا خسارة كبيرة على التلاميذ المسلمين بوجه خاص وعلى الهنود بوجه عام»<sup>(1)</sup>.

وقد حرص الهنادك على نصره عقيدتهم التي تمثل ديانة الأكثرية، وذلك عن طريق عرض شعائرها وتقديس آلهتها ومقدساتها وأساطيرها ما يعارض تعاليم الإسلام ويخالف ما يحمله القرآن من تنزيه صفات الله عن التمثيل والجلول والاتحاد<sup>(2)</sup>، وبدأ تجلي هذا التحول الخطير فظهر «بعد التقسيم فوراً دروس صريحة في الكتب الابتدائية المقررة عن الديانة الهندوكية، وفلسفتها وقصص شركية خرافية من الماثولوجية الهندية»<sup>(3)</sup>، فكل هذه التحولات التي طرأت على النظام التعليمي كان بسببها التأثير السلبي للتغريب الذي اعتنقه الكثير من الهندوس وبعض المسلمين الذين كانوا متأثرين بماديتها الجامحة، والتغريب بمفهومه الخطير الذي يركز على غرس مبادئ التربية الغربية في نفوس المسلمين حتى يشبوا مستغربين، منتهجين منهجهم في التفكير، مقدسين لأرائهم متلقفين لأفكارهم وإن كانت تحمل التباين والخلاف الكبير مع مبادئ الدين والشريعة الإسلامية، وبهذا تتعرض مقومات الشخصية المسلمة للانحلال في مقومات أخرى لا تمت إليها بأي صلة، فهي رهينة تأثير البيئة التي نشأت فيها والأسس التي قامت عليها والمنظومة التراكمية التي شكلتها الأحداث التاريخية والتطورات المرحلية، وهذا من شأنه أن يحدث الاضطراب والصراع بين القيم والأفكار والمبادئ، وعلى هذا يكون التغريب من أشد العوامل الهدامة للكيان الإسلامي.

وعليه فإن التربية الغربية تعد من أخطر التحديات التي تهدد شخصية المسلمين في الهند وقد أكد هذا الأثر غوستاف لويون: «وليس ما أصابت به التربية الأوربية الهندوسي

<sup>1</sup>: أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، مرجع السابق، 337/8.

<sup>2</sup>: الندوي، المسلمون في الهند، مصدر سابق، ص 224.

<sup>3</sup>: محمد واضح الندوي، الشيخ أبو الحسن الندوي قائداً حكيماً، دار الرشيد، لكهنؤ، الهند، ط2، 1433هـ، 2012م ص 60.

المتقف من انحطاط الخلق بأقل مما أصابته به من انحطاط الذكاء ..، يضاف إلى ذلك الارتباك الفكري الهائل لدى الهندي المتقف تجريد التربية الأوربية إياه من أي خلق»<sup>(1)</sup> وبعد أن يستطرد في الحديث عن هذا الأثر السيئ ومظاهره في الحياة الهندية يقول: «..أسهبت قليلا في بيان نتائج التربية الأوربية في الهند، وعلّة ذلك أنك لا تجد في التاريخ مثلا أوضح من مثال الهند في إثبات الخطر الذي ينجم عن منح أمة تربية غير ملائمة لمزاجها النفسي»<sup>(2)</sup>.

ولا يزال أثر هذه التربية الأوربية السيئ تبرز نتائجه من الحين لآخر وتشكل خطرا كبيرا على الناشئة المسلمة من الردة الفكرية والثقافية وتأثير الأساطير والخرافات على حياتهم الإسلامية وقد أكد الندوي هذا بقوله: «.. وقد بدأت طلائع هذه الردة في الأوساط التي أثر فيها هذا التعليم وانقطعت صلتها عن مصدر ثقافي أو عن الدعوة الإسلامية، وبدأ الصغار السذج من أبناء المسلمين يتظاهرون بالشعائر البرهمية ويدينون ببعض عقائدها»<sup>(3)</sup>.

### ثانيا: عناية المسلمين الهنود بقطاع التربية والتعليم

بعد أن تنبه المسلمون لهذا الخطر تمّ رفضهم للتعلم في مدارس الإرساليات التبشيرية البريطانية، والمؤسسات التعليمية التي تحظى برعاية الحكومة الهندية العلمانية فقاموا بإنشاء المدارس والجامعات العلمية التي تتواءم مع الدين الإسلامي حفاظا على عقيدتهم ومستقبلهم، وتكريسا لاستقلالية شخصيتهم الإسلامية، وتميزها عن الطوائف والفرق الأخرى.

وقد أنشئت هذه الجامعات والمعاهد الإسلامية من نفقات المسلمين وإسهاماتهم المادية رغم قلتها، وحرمانهم الدعم المادي من طرف الحكومة الهندية، فقد حقق ذلك نجاحات كبرى تركت الأثر البالغ في المستوى الداخلي والخارجي للهند، كون أن مناهجها قامت على أسس قويمّة أصيلة بنيت على التربية الإسلامية الحرة، دون أن يكون لرجال الحكومة

<sup>1</sup>: غوستاف لويون، حضارات الهند، ترجمة، عادل زعيتير، دار العالم العربي، القاهرة، 2009م، ص694.

<sup>2</sup>: المرجع نفسه، ص699.

<sup>3</sup>: الندوي، المسلمون في الهند، مصدر سابق، ص211،212.



الهندوس الأثر في ذلك. فاشتهرت بتخريج العلماء والمربين والمفكرين الذين ذاع صيتهم في شتى الأقطار العربية والإسلامية، ومن جملة هؤلاء: السيد "عبد الحي الحسني" (والد الندوي) والمفكر الشاعر الفيلسوف "محمد إقبال"، والداعية "محمد إلياس" وابنه "محمد يوسف"، والداعية المفكر "وحيد الدين خان" والأستاذ الكبير المفكر "أبو الأعلى المودودي"، والداعية المفكر "أبي الحسن الندوي" وغيرهم.

ومن أشهر هذه الجامعات نذكر:

أ- دار العلوم ديوبند الإسلامية

ب- مدرسة مظاهر العلوم

ج- دار العلوم ( لندوة العلماء )

د- الجامعة السلفية

أما الجامعات العصرية الحديثة فقد تمثلت في:

أ- جامعة عليكرة

ب- الجامعة المليّة الإسلامية

ج- الجامعة العثمانية

وفي مقابل هذه الجامعات أنشئت كذلك مجامع علمية قصد الحفاظ على الوجود الإسلامي ومصادره القويمة، فعنيت بتزويد المسلمين بالثقافة الإسلامية بعد أن «أعلنت الهند بعد الاستقلال: أنها دولة علمانية لا دينية، لم تعد تتحمل مسؤولية التعليم الديني للمسلمين، والدين كما نعرف هو أساس المجتمع المسلم. ولهذا كان على المسلمين -برغم قلة حيلتهم- مسؤولية الاضطلاع بالتعليم الديني»<sup>(1)</sup> ومن هذه المجامع العلمية:

أ- دار المصنفين (بأعظم كره)

ب- ندوة المصنفين (بدهلي)

ج- دائرة المعارف (بحيدر آباد)

د- المجمع الإسلامي الهندي.

<sup>1</sup>: عبد الماجد الغوري، أبو الحسن الندوي الإمام المفكر، مرجع سابق، ص 115.

## المطلب الثاني: ترجمة أبي الحسن الندوي

يتضمن هذا المطلب التعريف بأبي الحسن الندوي والحديث عن أسرته التي نشأ فيها، ثم التعرض إلى وفاته رحمه الله، فكان المطلب في ثلاثة فروع: الفرع الأول في اسمه ونسبه ومولده، أسرته، وفاته، والثاني في أسرته، والثالث في وفاته.

## الفرع الأول: اسمه ونسبه ومولده

هو أبو الحسن علي بن عبد الحي بن فخر الدين الحسني، ولد في 6 محرم الحرام عام 1333هـ الموافق عام 1914م بقريّة (تكية) بمدينة (راي بريلي) التي تبعد عن (لكهنؤ) ثمانين كيلومترا في بلاد الهند .

ينتهي نسب هذه الأسرة إلى محمد ذي النفس الزكية بن عبد الله الحض بن الحسن (المثني)، بن الإمام الحسن السبط الأكبر بن أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، لذلك اشتهرت الأسرة بالحسنية<sup>(1)</sup>.

و (الندوي) كنية لانتمائه إلى "ندوة العلماء" وكثيرا ما تطلق هذه الكنية على خريجي ندوة العلماء، لتمييز مكانتها وشهرتها في بلاد الهند.

## الفرع الثاني: أسرته

كان سبب وجود هذه الأسرة العريقة العربية الأصل في بلاد الهند، هو انتقال "قطب الدين محمد" -أحد أجداد هذه الأسرة- من بغداد في فئة المغول، فدخل (غزنه) وأقام بها زمانا، ثم قدم الهند وجاهد في سبيل الله وفتحت على يده قلعة (كره) و(مانكيوز) وغيرهما<sup>(2)</sup>.

توفرت الكتب والتراجم<sup>(3)</sup> التي تناولت الحديث عن هذه الأسرة و تدوين تاريخها العريق الحافل بالعلماء و المربيين والمجاهدين، وقد أكد على ذلك الندوي نفسه في ترجمته سيرته وحديثه عن أسرته يقول: «قد كفى مؤونة ذلك توفر المادة التاريخية في ما يتصل بالأسرة

<sup>1</sup>: ينظر: أبو الحسن الندوي، في مسيرة الحياة، دار القلم، دمشق، ط1، 1407هـ، 1987م، 1/28، 45. وينظر: يوسف

القرضاوي، أبو الحسن الندوي كما عرفته، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1422هـ، 2001م، ص3.

<sup>2</sup>: ينظر: عبد الحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والمناظر، دار ابن حزم، ط1، 1420هـ، 1999م، 1/23

<sup>3</sup>: منها: كتاب: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والمناظر (مقدمة الجزء الأول)، عبد الحي الحسني، وكتاب إذا هبت ريح الإيمان في أخبار السيد أحمد بن عرفان الشهيد للندوي، وكتاب: العلامة السيد عبد الحي الحسني، لقدرة الله الحسني.

الحسنية القطبية، التي ينتمي إليها، في كتب الأنساب والتاريخ والكتب التي ألقت في حياة أعيانها»<sup>(1)</sup>.

تحدث الندوي عن أسرته و بعض رجالها وأعلامها، وقد أكد على رغم صفات الأسرة التي تميزت بها، إلا أن سنة الصعود و الهبوط هو القانون الجاري في سائر البشر، فقد مرت أسرته هي الأخرى بأدوار الرقي والازدهار، والسقوط والانحطاط، ولم يزل هناك تفاوت واختلاف كبير في أجيالها السابقة وأعقابها اللاحقة، وبين أفراد الأسرة في عهد واحد ومكان واحد، ومن المقطوع به أن تكون في مختلف أدوارها قد عراها الضعف في الخلق والدين، وأن لا تكون مصونة - كلياً- من تأثيرات البيئة والزمن، وقد شاهد ذلك في العصر الذي بدأ يعي فيه ويعقل كثيرا من مواطن الضعف، ويرى انشغالا عن الدين وحبا للدين<sup>(2)</sup>.

إلا أنه يثبت صفات ما زالت تحظى بها الأسرة، وقد استسقى ذلك من كتب التراجم والأنساب، وكتب التاريخ المستفيضة لهذه الأسرة التي ما زالت خصيبتها المميزة تتصف بها في مختلف أدوارها وعمومها، وهي خصيصة الرجولة، والحمية الدينية، وعاطفة الجهاد التي يمكن أن تعبر عنها بالجملة كلمة الفتوة<sup>(3)</sup>، ومن أعلام هذه الأسرة:

#### أولاً: فخر الدين بن عبد العلي الحسني (ت1326هـ)

وهو جد أبي الحسن الندوي لأبيه، وكان فاضلاً عارفاً ذا مسكنة و تواضع وقناعة<sup>(4)</sup> مؤلف موسوعة (مهرجان ناب) الكبيرة بالفارسية و مؤلفات كثيرة و دواوين شعرية كبيرة<sup>(5)</sup>.

#### ثانياً: عبد الحي بن فخر الدين الحسني

والد أبي الحسن الندوي ولد سنة 1286هـ، له مصنفات كثيرة تزيد عن خمسة عشر مؤلفاً أشهرها كتاب "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والمناظر" طبع باسم: "الإعلام بمن في تاريخ الهند الأعلام" في ثمانية مجلدات، وكذا كتاب: "الثقافة الإسلامية في

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 24/1.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، 35/1.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، 35/1.

<sup>4</sup>: ينظر: عبد الحي الحسني، نزهة الخواطر، مرجع سابق، 23/1.

<sup>5</sup>: ينظر: الندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 30/1.

الهند"، وكتاب: "تلخيص الأخبار"، وقد طبع أيضا باسم: "تهذيب الأخلاق"، وكتاب "الهند في التاريخ الإسلامي"<sup>(1)</sup> وغيرها.

توفى يوم الخامس عشر من جمادى الآخرة عام 1341هـ، وكان يوم الجمعة الموافق ل: 2 فبراير عام 1923م، وكان أبو الحسن الندوي من أصغر أولاده ولم يتجاوز عمره تسع سنوات إلا شهورا<sup>(2)</sup>.

### ثالثا: والدته السيدة خير النساء

هي السيدة الفاضلة خير النساء بنت ضياء النبي الحسني<sup>(3)</sup> تولت أمه بعد ذلك تربيته ورعايته فكانت قارئة كاتبة شاعرة جمعت هذه المزايا في عصر كان أكثر المسلمات شرقا وغربا لا يلتفتن إلى تعليم.. كما كانت تكتب المقال وتنشئ القصيدة<sup>(4)</sup>. وكان لها الفضل الكبير في إعداد اللبنات الأولى في شخصية الندوي وفي ذلك يقول: «أفرغت والدتي ما في كنانتها من أدعية وابتهالات لتربيته وصلاحي وتحصيلي للعلم وقبولي عند الله وعند الناس ونجاحي في جميع الأمور وأصبحت هذه الأدعية الحارة الخالصة وردها الدائم وصدر من قلمها ولسانها منشورا ومنظوما في هذه الصدد ما يقل عن نظيره في أدعية الأمهات وابتهالاتهن في هذا العهد»<sup>(5)</sup>.

وقد كانت تحفظ القرآن ونشرت لها عدة كتب إسلامية ومجموعتان في الشعر، ومجموعة قصائد في الدعاء والمناجاة (إلى الله باسم باب الرحمة)، ومجموعة قصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم باسم (مفتاح باب الرحمة)، ولها كتب في تعليم النساء والأولاد في الأمور الاجتماعية منها "كتاب الذائقة" و"كتاب حسن المعاشرة" و"كتاب

<sup>1</sup>: ينظر ترجمته كاملة من كتاب نزهة الخواطر مقدمة الجزء الأول، ص28، 23.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 69/1.

<sup>3</sup>: ينظر: مجلة ثقافة الهند، (لمحات ووقفات مع سيرة سماحة أبي الحسن الندوي)، مجلد52، العدد4، 2001م، الهند، ص32.

<sup>4</sup>: رابطة الأدب الإسلامي، أبو الحسن الندوي، بحوث ودراسات، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1426هـ، 2005م، ص13.

<sup>5</sup>: الندوي: في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 74/1.

الدعاء" و"القدر" وفي سنة 1366هـ، قامت بزيارة بيت الله الحرام..، وتوفيت في 7 جمادى الآخرة 1388هـ رحمها الله<sup>(1)</sup>.

وينسب الندوي كل ما آتاه الله له من الخير والفضل والرفق وقبوله عند الناس إنما يعود لتلك الأدعية التي كانت تدعو بها والدته رحمها الله<sup>(2)</sup>.

#### رابعاً: الأخ الأكبر

هو السيد عبد العلي الحسني ابن مؤلف الهند الكبير العلامة عبد الحي الحسني ولد سنة 1311هـ، وتوفي عام 1380هـ الموافق لشهر ماي 1961م، نشأ في حضانة المؤلف العظيم جده الشيخ فخر الدين، ووالده الكبير السيد عبد الحي وجود الخط وتعلم اللغة الفارسية وقرأ الأدب العربي والفقاه وأصول الفقه في جدّ واجتهاد وفهم، وقرأ العلوم الدينية وآداب اللغة العربية على أساتذة دار العلوم التابعة لندوة العلماء البارعين وتعلم المنطق والفلسفة والهيئة والاقليدس والنحو والأدب العربي...، وبعدها رجع إلى "لكهنؤ" مقر والده وعكف على دراسة الطب العربي القديم<sup>(3)</sup>، كان له الفضل الكبير في تكوين شخصية أخيه الأصغر -أبي الحسن الندوي- من خلال تربيته والعناية بشؤونه، إلى أن برزت شخصيته وذاع صيته وبدأ الحياة التأليفية، فكان يمثل دائماً العضد له في مراحل حياته كلها<sup>(4)</sup>.

#### خامساً: أخته الكبرى

هي السيدة أمة العزيز، ولدت عام 1324هـ الموافق ليونيو عام 1906م والدة الأعزة الفضلاء النجباء: السيد محمود حسن، والسيد محمد الثاني\_ رحمهما الله تعالى\_ والسيد محمد الرابع والسيد محمد الواضح (واضح رشيد الندوي) حفظهما الله تعالى<sup>(5)</sup> وكانت سيدة سالحة كثيرة العبادة لها كتاب (السيرة النبوية) ورسائل أهمها (سيرة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها) و(سيرة أسماء بنت الصديق رضي الله عنهما)<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup>: القرضاوي، أبو الحسن الندوي كما عرفته، مرجع سابق، ص36.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 74/1.

<sup>3</sup>: الندوي، شخصيات وكتب، دار القلم دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1410هـ، 1990م، ص63.

<sup>4</sup>: المصدر نفسه، ص63، 71. والندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 99/1.

<sup>5</sup>: ينظر: الندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 44/1.

<sup>6</sup>: القرضاوي: الندوي كما عرفته، مرجع سابق، ص37.

## سادسا: الأخت الثانية

وهي السيدة أمة الله عائشة ولدت عام 1325هـ الموافق 1907م مؤلفة كتاب "زاد سفر"، وترجمة "رياض الصالحين" بالأردية، و(قصص الأنبياء للأطفال)، وكتاب السيرة للأطفال<sup>(1)</sup> وكتاب (موج تسنيم)، ولها قصائد في الدعاء والمناجاة إلى الله، وكانت رئيسة تحرير مجلة (رضوان)، وهي مجلة السيدات المسلمات بالأردية في الهند، توفيت سنة 1396هـ رحمها الله<sup>(2)</sup>.

## سابعا: زوجته

هي ابنة خالة السيد أحمد سعيد الحسني وحفيدة السيد ضياء النبي الحسني وابنة بنت السيد عبد الرزاق الكلامي مؤلف كتاب (صمصام الإسلام) وترجمة (فتوح الشام) للواقدي، سيدة صالحة شاركت زوجها حياته في السراء والضراء وخدمته بكل إخلاص ومحبة<sup>(3)</sup>.

## الفرع الثالث: وفاته

كانت وفاة الندوي في صباح يوم الجمعة 22 من شهر رمضان 1420هـ-23 من شهر رمضان في البلاد العربية- الموافق ل: 1999/12/31م، من نومه بعد صلاة الفجر بعد التاسعة، وأكمل الورد اليومي وتلا سورة يس ثلاث عشرة مرة أو أربع عشرة مرة على عادته، ودعا لجماعة سماهم، وبعد الحادية عشر اغتسل، وغير ملابسه، وتزّين لصلاة الجمعة وكان من عادته منذ الصغر قراءة سورة الكهف قبل صلاة الجمعة فطلب المصحف وبدأ يقرأ سورة يس عن ظهر قلبه انتظارا للمصحف، ولم يكملها وما إن وصل إلى تمام قوله تعالى من الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ مال إلى الوراء قائلا: الله، وما هي إلا ثوان وفاضت روحه إلى بارئها<sup>(4)</sup> مستكلا بذلك أجله المقدر له في السنة السادسة والثمانين من عمره.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، في مسيرة الحساء مصدر سابق، 45/1.

<sup>2</sup>: القرضاوي، الندوي كما عرفته، مرجع سابق، ص38.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه ص38.

<sup>4</sup>: أكرم الندوي، أبو الحسن الندوي، مرجع سابق، ص202، وينظر: مجلة الصحوة الإسلامية، العدد 1421، 36، 2000م، الجامعة الإسلامية، دار العلوم، حيدر آباد، الهند، ص22.

## المطلب الثالث: حياته العلمية

كانت للندوي حياة علمية طويلة، مليئة بالنجاحات، فأول بدايته كانت من أفراد أسرته وصولاً إلى الجامعات، وبعدها تقلد مناصب ووظائف علمية، فكانت ثمرة هذه الرحلة العلمية؛ آثاره العلمية التي تمثلت في مؤلفاته، وكثرة النخب التي تكونت على يده وتشربت من فكره ونهلت من علمه. وعلى هذا فقد تضمن هذا المطلب ثلاثة فروع؛ الأول في طلبه للعلم، والثاني في الوظائف العلمية التي تولاها، والفرع الثالث في آثاره العلمية.

## الفرع الأول: طلبه العلم

يعد الخيط الفكري الأول الذي أثر في اتجاه الندوي العلمي والدعوي هو أسرته، حيث كان جو المنزل الذي احتواه جوًا علمياً، حافظاً للتزود العلمي<sup>(1)</sup>، فكانت أسرته أول اللبنة التي أسهمت في تكوين شخصيته، فكانت المؤثر الفكري الأول الذي أثر في اتجاه الندوي العلمي والدعوي..، وقد كوّن جوًا علمياً محفزاً على طلب العلم، فكان أبوه كثير المطالعة والتأليف، واسع المعرفة، عميق المطالعة، طويل الباع في البحث والدراسة، منكباً على الكتابة والتأليف..، راسخ العزم غزير الإنتاج، كثير العطاء، ورث مكتبة زاخرة<sup>(2)</sup>.

وكانت والدته هي المسؤولة عن مراقبته بعد وفاة أبيه واشتغال أخيه الأكبر بالدراسة في مجال الطب، فقد حفظته بعض السور الكبيرة من القرآن الكريم في تلك الفترة، وكانت تصحّيه في الفجر لترسله للمسجد، ثم تأمره بتلاوة القرآن<sup>(3)</sup>، كما علمته أن يبتدئ في كل ما يكتبه بـ: "بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم آتني بفضلك أفضل ما تؤتي عبادك الصالحين"، وقد بقي ذلك عهده وديده طيلة حياته<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر: عبد الله بن صالح بن سليمان الوشمي، جهود أبي الحسن الندوي في تأصيل منهج الأدب الإسلامي، رسالة

ماجستير، إشراف: عبد الله بن صالح بن محمد، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،

1432هـ، ص7.

<sup>2</sup>: محمد اجتناب الندوي، أبو الحسن الندوي، الداعية الحكيم والمربي الجليل، دار القلم، دمشق، ط1، 1421هـ، 2001م ص28.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 72/1.

<sup>4</sup>: المصدر نفسه، 75/1.

أما أخوه عبد العلي الحسني -وهو أخوه لأبيه من الزوجة الثانية لأبيه- فقد كان له الأثر البالغ والإسهام الكبير في تنشئته نشأة صالحة، وأبرز ما تميز به أخوه أنه «جمع بين سلامة العقيدة وقوة الإيمان، والقلب المتفتح والعقل النير الواسع، والعلم والحديث الأحدث وحب الواقعية والجدّ، لا يرى تناقضا بين العلم والدين والقديم والحديث، وقد اقتبس من الثقافتين القديمة والحديثة والغربية والشرقية أفضل عناصرهما... عميق الفهم للإسلام، ووثيق الصلة بمنابعه الأصيلة»<sup>(1)</sup>، وقد كان حريصا على الندوي، موجها لبدايته العلمية فكان ينهيه عن تناول كتاب أو رواية أو مسرحية من أحد ويقرأها، وكان يختار له الجيد والنافع من الكتب من مكتبتهم الشخصية ويأمره بمطالعتها، وكان أول كتاب ناوله من هذه الكتب ما يتواعم مع سنة كتاب "سيرة خير البشر" ثم كتاب "رحمة للعالمين" وكلاهما في السيرة النبوية<sup>(2)</sup>.

وبهذا الجو الزاخر المهياً لتكوين الشخصيات العلمية والفكرية كانت الصفة الغالبة على أسرة الندوي، حيث امتازت كغيرها من بعض الأسر بالتأليف والإنتاج العلمي عبر أجيالها.

ومن هنا تبرز أن اللبنة الأولى التي أسهمت في بناء شخصية الندوي هي أسرته، حيث كانت تكوّن جوّاً من العلم والتربية الإيمانية، ما ساعده على حب العلم ونبوغه في وقت مبكر.

كان أول ما ابتدأ به الندوي دراسة الفارسية بلكهنؤ، واستمرت عند عمه السيد محمد إسماعيل الذي كان حاذقاً في اللغة الفارسية، وتعلم الحساب والخط الأردني عند أستاذ آخر من قرية مجاورة، وقد توقفت دراسته للفارسية في مرحلة المتوسطة، وقد حصل له من معرفة الفارسية وآدابها ما يستطيع به أن يطالع كتب طبقات الرجال والحقائق والمعارف الفارسية، ورسائل الإمام أحمد بن عبد الأحد السرهندي، وإزالة الخفاء للإمام الدهلوي، وقد بدأ بأمره وإشرافه بتعلم اللغة الإنجليزية في تلك الفترة<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>: محمد الحسني، الإسلام الممتحن، المختار للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ط1، 1397هـ، 1977م، ص11

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 76/1.

<sup>3</sup>: ينظر: المصدر نفسه، 77/1.



وبدأ دراسته اللغة العربية عند أحد أصدقاء أخيه عبد العلي وهو الشيخ خليل بن محمد بن حسين بن محسن الأنصاري اليماني البوفالي<sup>(1)</sup>.

فكان أول ما تلقوا عليه في مقرره الدراسي الذي اختاره بجهده الخاص "الطريقة المبتكرة"، و"مدارج القراءة" وكتاب "كليلة ودمنة"، و"مجموعة من النظم والنثر للحفظ والتسميع، وقد ألقى عليهم دروس الابتدائية في النحو من كتاب "الضريري" وبعدها جاء دور الكتب القديمة المهمة ك: "تهج البلاغة" و"مقامات الحريري" و"دلائل الإعجاز" للجرجاني و"القوائد العشرة".

وقرأ اللغة الأردية وانتفع ببعض الكتب فيها وتأثر في الكتابة الأردية أولاً بأسلوب والده التاريخي الأدبي الذي هو نموذج جميل لكتابة متينة رصينة، يحمل مع جدية التاريخ ودقته اللغة وروادها، وقد تجلى الأثر لتقليد هذا الأسلوب في المقال الأول في أوردو كان عنوانه "الأندلس"<sup>(2)</sup>.

درس عدة سور من الجزء الأخير على يد الأستاذ خواجه عبد الحي الفاروقي في بيته وكان ذلك طلباً من أخيه.

استفاد من الشيخ السيد محمد طلحة الحسني في الصرف والنحو، وفي فهم القواعد النحوية والصرفية الضرورية وفوائد أخرى كثيرة غير اللغة العربية وقواعدها، كما استفاد منه في نضج تفكيره وتربيته العقلية والذوق التاريخي والثقافة المتنوعة التي كان يمتاز هو فيها بين أقرانه"<sup>(3)</sup>.

التحق الندوي بقسم "الأدب العربي" بجامعة لكهنؤ، وكان حينها أصغر طلابها ولم يتجاوز سنه الرابعة عشر من عمره، رسب في الامتحان السنوي في أبريل 1928م، واستدرك ذلك في العام الثاني 1929م، والتحق بفصل "الفضيلة في الحديث"، واستلم شهادة في اللغة العربية وآدابها عام 1929م<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup>: الندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 77/1

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، 81/1.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، 85/1.

<sup>4</sup>: ينظر: المصدر نفسه، 88/1.

سافر إلى لاهور، وكانت له جائزة من عمته زوجة السيد طلحة مكافأة على نجاحه، وفي رحلته هذه التقى بالشيخ أحمد اللاهوري، واستفاد منه يقول الندوي في ذلك: «... ثم نلت ما نلت من عطفه وتربيته التي تركت على حياتي أثرا عميقا بعيد المدى وسافرت إليه على هذا الأساس العام القادم لأحضر دروسه الخاصة في التفسير، ولم تنزل هذه الصلة التربوية والدينية في نمو وازدياد»<sup>(1)</sup>.

انخرط بعد عودته من لاهور في سلك الطلاب الندويين لدروس الحديث الشريف، وكان أستاذه في ذلك الشيخ حيدر حسن الطونكي، وكان ذلك ابتداء من عام 1929م، وقرأ عليه الصحيحين (البخاري ومسلم) وسنن أبي داود، وسنن الترمذي حرفا حرفا، وقرأ عليه شيئا من تفسير البيضاوي، وألقى عليهم برغبته عدة دروس في المنطق، وأقام عنده الندوي عامين كاملين في غرفته التي كانت دار الحديث أيضا. وكان منهج تحديثه على طريقة المحدثين المحققين، يحمل خصائص محدثي اليمن، وكان يستخدم الطلاب في دروسه في المراجعة والتحقيق والفحص والتفتيش، ولم يكن يدعوهم يسمعون فحسب، بل كان يشركهم معه في الإحالة إلى المصادر والمراجع والافتباس، والبحث عن المواد العلمية المطلوبة في كتب الرجال، وكتب الجرح والتعديل، وتحرير المسائل، الذي يوسع آفاق الطلاب ويكسبهم تجارب عملية في البحث والنظر والتحقيق.

وكان قد كتب له إجازة بخطه، وكان ذلك دليلا على منزلته الخاصة وعطفه الأبوي وقد استفاد في الحديث من الشيخ حيدر حسن خان، ونال الإجازة منه، ومن الشيخ عبد الرحمن المباركفوري، صاحب (تحفة الأحوزي) وحضر دروس العالم الكبير الشيخ حسين أحمد المدني في الحديث بدار العلوم في ديوبند، فجمع جهابذة الأدب والحديث والتفسير. فحضر دروس البخاري، وسنن الترمذي، واستفاد منه في التفسير وعلوم القرآن<sup>(2)</sup>.

استفاد أيضا من الشيخ تقي الدين الهلالي المراكشي حين قدم إلى دار العلوم، عن طريق صحبته ومجالسه، قرأ عليه ديوان النابغة بنظام وقيد فوائده ونكته، وكان يعطف عليه

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق،، 92/1

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، شخصيات وكتب، مصدر سابق، ص28.

بصفة خاصة لأجل العلاقة بأخيه الأكبر والشيخ خليل، ويمنح الفرصة الكاملة للاستفادة منه (1).

### الفرع الثاني: الوظائف العلمية

شغل الندوي الكثير من الوظائف العلمية، وترأس مؤسسات ومراكز علمية كبرى سواء داخل الهند أو خارجها.

#### أولاً: مزاولته التدريس

بدأ الندوي التدريس بعد أن استكمل عام 1934م العشرين من عمره وانقضت فترة التعلّم والدراسة المنتظمة، وبدأ فترة المطالعة الذاتية والجهد الشخصي، ويؤكد الندوي على أن الدراسة المنظمة والكتب المقررة ليست إلا عاملاً لفتح آفاق الدراسة والمطالعة وسبباً لتهيء التدبير والتأمل والإفادة من جهود المتقدمين، واقتطاف ثمرات العلم من حديقته الغناء وإن التخرج من المدارس والجامعات وسيلة لا غاية وهو عبارة عن بدء السير والشروع في الرحلة الطويلة في مسار العلم الشاسع البعيد (2).

وفي هذه المرحلة الجديدة عيّن الندوي مدرساً للأدب والتفسير بدار العلوم ندوة العلماء وعلى أثر هذا التعيين كان زواجه من بنت خاله السيد أحمد السعيد 1934م.

بدأ تدريس اللغة العربية بعد أن أسند إليه عدد من الطلاب في الصف الأول فكان يحرص دائماً على أن يتشربوا هذا العلم، ويتلقوا هذه العاطفة الجياشة للتطوع بالتعليم وصبغ الطلاب بصبغة العلم التي كان ورثها من أستاذه الشيخ خليل التي كانت تجيش في الصدر فلا قيود ولا التزام بالضوابط المدرسية والأوقات التعليمية المحددة بالمواعيد المقررة، والمكان المحدد، إنما هو شغف بتمرين الطلاب وتعليمهم العربية، وكان الندوي يختار لتدريس اللغة العربية الطرق الحديثة، ويستفيد من التجارب الجديدة، ويخترع لها ما يسعف عقلية الطلاب ويمدهم بمعلومات، وقد كانوا يستعين كثيراً في هذا المجال بالأستاذ محمد العربي شقيق الشيخ تقي الدين الصغير (3).

<sup>1</sup>: الندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 97، 98/1.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، 111/1.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، 119/1.

ومن العلوم التي درسها كذلك علم الحديث، الذي كان له الباع الكبير فيه، حيث تلقاه عن شيوخ كبار في صغره، وألقى دروسا في المنطق وتاريخ الأدب العربي من كتاب تاريخ الأدب العربي للأستاذ أحمد حسن الزيات، ودرس كتاب حجة الله البالغة للشيخ أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ: "ولي الله الدهلوي"<sup>(1)</sup>.

وفي هذه المرحلة بدأت بواكير الكتابة والتأليف لدى أبي الحسن الندوي، وكان هذا عند سفره إلى "طونك" فأول ما بدأ به في ميدان التأليف أن قدم مقال بـ: "ترجمة السيد الإمام بن عرفان الشهيد"، وقد نشرها آنذاك العلامة رشيد رضا بالقاهرة في مجلة المنار عام 1931م.

وبعدها ألف كتاب "سيرة السيد أحمد الشهيد"، ومقال كتبه في عدد من مجلة "الضياء" بعنوان: "الأدب النبوي" فكان هذا في مجال الأدب العربي وبعدها تنمة كذلك كتب مقالا بعنوان: "المكتبة العربية في حاجة إلى بحث وغرلة جديدة" وكان هذا حينما اختاره المجمع العلمي بدمشق عضوا فيه عام 1957م، وقام بتأليف مقالات في ذلك وجمعها في كتاب بعنوان: "مختارات من الأدب العربي". وقد درس كمقرر في أقسام اللغة العربية في بعض الدول العربية.

### ثانيا: مناصب تولاهها الندوي

لم تنحصر جهود الندوي في الإنتاج العلمي والتأليف فقط، وإنما تجاوزت إلى أعمال أخرى فقد تولى "مناصب هامة في الهند وفي العالم العربي والإسلامي، وفوضت إليه مسؤوليات إدارية خطيرة، كما أكرم بجوائز مرموقة، ورجب الأمراء والملوك وقادة البلاد والساسة الكبار في مقابلته، واستشارته وأخذ توجيهاته"<sup>(2)</sup>، ومن هذه المناصب نذكر:

- أ- أمين ندوة العلماء العام ورئيس دار العلوم التابعة لها
- ب- عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة
- ج- عضو المجلس الأعلى للمساجد بمكة المكرمة
- د- عضو المجلس الأعلى العالمي للدعوة والإغاثة بالقاهرة

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 120/1.

<sup>2</sup>: أكرم الندوي: أبو الحسن الندوي العالم المرابي والداعية الحكيم. مرجع سابق، ص184.

- هـ-رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية  
 و-رئيس المجمع الإسلامي العلمي في كهنؤ  
 ز-رئيس مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية  
 ح-عضو المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة  
 ط-عضو مجمع اللغة العربية بدمشق  
 ي-عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة  
 ك-عضو مجمع اللغة العربية بالأردن  
 ل-عضو المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية(مؤسسة آل البيت) بالأردن.

### الفرع الثالث: آثاره العلمية

ترك الندوي تراثا زاخرا تنوع بين المؤلفات العلمية والفكرية، وتلامذته، والجوائز العلمية والمناصب التي شغلها.

### أولا: مؤلفاته

- ترك الندوي كما زاخرا من المؤلفات العلمية والفكرية منها التي كانت محاضرات متفرقة فجمعت في كتب ومنها ما كانت في ذاتها كتاب، وقد بلغ عدد العناوين باللغة العربية ما بين كتاب ورسالة مئة وسبع وسبعين عنوانا<sup>(1)</sup>، منها:
- أ-في مسيرة الحياة ثلاث أجزاء  
 ب-مقدمات أبي الحسن الندوي ثلاث أجزاء  
 ج-رجال الفكر والدعوة أربعة أجزاء  
 د-ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين  
 هـ-الأركان الأربعة في ضوء الكتاب والسنة  
 و-الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية  
 ز-النبوة والأنبياء في ضوء القرآن  
 ح-التربية الإسلامية الحرة

<sup>1</sup>: ينظر: محمد طارق الزبيدي، مؤلفات سماحة الإمام الداعية الشيخ أبي الحسن الندوي، مكتبة حراء، كهنؤ، الهند، ط1، 1419هـ، 1997م، ص8.

- ط-العقيدة والعبادة والسلوك  
 ي-المد والجزر في تاريخ الإسلام  
 ك-إلى الإسلام من جديد  
 ل-صورتان متضادتان بين أهل السنة والشيعة الإمامية  
 م-شخصيات وكتب  
 ن-مذكرات سائح في الشرق العربي  
 س-المسلمون وقضية فلسطين  
 ع-كارثة التعصب اللغوي والثقافي  
 ف-ربانية لا رهبانية  
 ص-المسلمون وقضية فلسطين  
 ق-المرتضى -سيرة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه-  
 وقد جمعت معظم هذه المؤلفات في ثلاث مجلدات ضخمة بعنوان: محاضرات إسلامية  
 في الفكر والدعوة.  
 ثانيًا: تلامذته

تتلمذ على يد الندوي مجموعة كبيرة من الطلبة الندويين في جامعة ندوة العلماء  
 التي كان الندوي من أعظم ثمارها في العصر الحديث، وإن إحصاء عدد التلامذة عمل  
 عسير لكثرتهم، إلا أنه يمكن تحديد مجموعة منهم اشتهرت وبرزت في حقل الكتابة  
 والتأليف ومن خلال أعمالهم العلمية والدينية والأدبية<sup>(1)</sup> منهم:  
 أ- محمد رابع الحسن الندي: وهو ابن أخت أبي الحسن الندوي  
 ب- الأستاذ محمد الحسن: وهو ابن أخ الندوي الأكبر  
 ج- عبد الله عباس الندي  
 د- محمد واضح رشيد الحسن الندي  
 هـ- سعيد الأعظمي الندي  
 و- إسحاق جليس الندي

<sup>1</sup>: ينظر ترجمتهم وأعمالهم من كتاب أبو الحسن الندوي، الإمام المفكر، مرجع سابق، ص 901-916.

- ز-سيد رضوان علي الندوي  
 ح- محمد اجتباء الندوي  
 ط- محمد شهاب الدين الندوي  
 ي- نذر الحفيظ الندوي  
 ك-تقي الدين الندوي  
 ل-سلمان الحسني الندوي  
 م-نور عالم خليل الندوي  
 ن-عبد الله محمد الحسني الندوي  
 س-علي أحمد الندوي  
 ع- سعيد مرتضى الندوي  
 ف- محمد أكرم الندوي  
 ص-مصطفى سليمان الندوي(من مصر)  
 ق-عبد الوهاب زاهد الحلبي الندوي(من سورية)  
 ر-أحمد فهمي زمزم الندوي(من ماليزيا)

### ثالثا: الجوائز العلمية

- نال الندوي العديد من الجوائز العلمية منها:
- أ-جائزة الملك فيصل العالمية في خدمة الإسلام في عام 1980م  
 ب-شهادة الدكتوراه الفخرية في الآداب من جامعة كشمير 1981م  
 ج-جائزة الشخصية الإسلامية لعام 1998م من دبي  
 د-جائزة السلطان حسن البلقية العالمية في موضوع(سير أعلام الفكر الإسلامي) من مركز -أكسفورد الإسلامية 1998م  
 هـ-جائزة الإمام ولي الله الدهلوي من معهد الدراسات الموضوعية بالهند  
 و-وسام الإيسكو من الدرجة الأولى من المنظمة العربية الإسلامية  
 وقد تبرع - بفضل زهده - بهذه الجوائز وبذلك أخبر الشيخ يوسف القرضاوي: «ومن المعروف أن الشيخ حين أعطي جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام، وكان

مقدارها ثلاث مئة ألف ريال سعودي في ذلك الوقت - على ما أذكر - تبرع بها الشيخ كلها، بعضها لفقراء الحرمين، وبعضها لفقراء الهند ومدارسها الدينية»<sup>(1)</sup>.

«وكذلك فعل بكل مبالغ الجوائز التي حصل عليها، مثل جائزة سلطان بروناي في التاريخ الإسلامي، وجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، حين اختير ليكون (الشخصية الإسلامية) لعام 1419هـ وقيمة الجائزة مليون درهم، ولم يدخل جيبه شيء من قيمة هذه الجوائز، بل أنفقها كلها في سبيل الله»<sup>(2)</sup>.

مما سبق تبين الندوي قد انبرى للكتابة والتأليف في موضوعات كثيرة مختلفة، واقتحم مجال التدريس في سن جدّ مبكرة، وأحرز جوائز كثيرة تنبئ عن منزلته العلمية والفكرية، إضافة إلى الكثير من الوظائف العلمية التي تقلدها.

<sup>1</sup>: القرضاوي، الندوي كما عرفته، مرجع سابق، ص 62

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، ص 63



## المطلب الرابع: حياته الفكرية

يتناول هذا المطلب الحديث عن حياة الندوي الفكرية، بداية من المؤثرات الفكرية التي ساهمت في انتقاله من العلم إلى الفكر فكان هذا في الفرع الأول، أما الفرع الثاني فقد اختص بالحديث عن رحلاته ومقالاته، فكان المطلب في ثلاثة فروع؛ الأول المؤثرات الفكرية، والثاني رحلاته ومقالاته، الفرع الثالث شهادة العلماء والمفكرين والأدباء فيه

## الفرع الأول: المؤثرات الفكرية

كانت هناك جملة من المؤثرات الفكرية التي تركت أثرها في حياة الندوي، ومن أهمها:

## أولاً: تأثير البيئة

بلاد الهند من أوسع البلدان العالمية التي تحتوي على اختلاف العقائد والأفكار والديانات واللهجات، وجوها عامر بمختلف التيارات والطوائف من الحركات السياسية فكان لهذه البيئة الأثر البالغ في تدهور حياة المسلمين وعلى فئة الشباب، خاصة وأنهم يمثلون الأقلية المسلمة في الهند - وازداد ضعف المسلمين بعد أن نقص عددهم في الهند بعد انفصال باكستان عنها واستقلالها كبلد إسلامي - فكان هذا الحال أول منبه للانتقال إلى الحياة الفكرية، وهذا ما استرعى انتباه الندوي وذلك ما أكده بقوله: «ولكنني كنت أشعر في نفس الوقت ولا سيما في الأيام الأخيرة، بأن كل ما أبذله من جهد وكد، وتحرق وتآلم في محاولة تعليم الطلاب وإصلاحهم خلقياً ودينياً وفي سبيل رقيهم واستعدادهم، ورغم آخر قطرة من الجهد... لا أرى بقدر ذلك من التأثير فيهم اللهم إلا بعضهم، ولا ينتفعون به، بل كان يخيل إلي - أحيانا - أن درس اليوم أثر في الجدران الجامدة الميتة وترك عليها نقوشا غائرة، فإذا بي أرى الطلاب الشباب لم يتأثروا، وكأن قلوبهم وعقولهم لم ينقش فيها شيء»<sup>(1)</sup>.

إن فقد أدرك الندوي أن معوقات وظيفة التعليم تكمن في فساد البيئة الخارجية والتأثيرات الهدامة التي تسود الجو العام، وتحدث الفوضى والاضطراب في الآراء والأفكار، وتأتي

<sup>1</sup>: الندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 154/1، 155.

عن طريق كتب المطالعة الفاسدة، والرسائل والصحف والأدب "التقدمي" المزعوم، وتنفيذ عن طريق المراثيات والمسموعات إلى عقول الطلاب وقلوبهم، وتترك أثراً لا يقاومه الزاد الديني الذي يتلقاه الطلاب، والتغذية سالحة، لأن الندوي يرى أن السم الذي ينفذ إليهم أضعاف الترياق الذي يقدم لهم، وأكبر مما يبذل من الجهود الإصلاحية<sup>(1)</sup>، فكان هذا الأمر من أهم الدوافع لدخوله مجال الفكر والإصلاح.

وهذا الأمر الذي تنبه إليه الندوي من فساد البيئة الخارجية لا يزال العائق الأكبر الذي يهدد الجهود التربوية والتعليمية وخاصة لدى فئة الشباب التي تتعرض للإعلام التغريبي والغزو الفكري والثقافي.

### ثانياً: الكتب الفكرية والإصلاحية

وفي هذا الجو المتأزم الذي أحسّ به الندوي، وشغل اهتمامه وحول وجهته من الاقتصار على دراسة التفسير والحديث والأدب والتاريخ إلى دراسة أوسع وأشمل، فتجاوز حدود ميدان هذه الكتب إلى كتب فكرية كـ: "فجر الإسلام" و"ضحى الإسلام" و"ظهر الإسلام"، و"زعماء الإصلاح في العصر الحديث" للأستاذ أحمد أمين، وهو من الكتب التي تأثر بها الندوي، وقد كتب في لغة سلسلة جميلة، وأسلوب جاد متفتح رصين في البحث والتحليل، وكذلك وسّعت آفاقه ومعلوماته تعليقات الأمير شكيب أرسلان الفاضلة المليئة بالمعلومات المفيدة، العامرة بالروح الإسلامية على "حاضر العالم الإسلامي" للكاتب الأمريكي ستودارد، وكتاب "أم القرى" المثير للسيد عبد الرحمن الكواكبي، ومقالات "الفتح" القوية الدافقة بالحيوية والحماس<sup>(2)</sup>.

وطالع بعدها كتب في المواضيع السياسية لبلاد الهند، وكتب أخرى ساعدته على فهم الخلفيات والعناصر التكوينية للحضارة الغربية وأنظمتها للحياة والإنسان منها كتاب دريبير (Conflict Between religion And Science) "الصراع بين الدين والعلم" وكتاب: (History of the European Morals) للمؤلف ليكي (Leky)، وكتاب: (The Decline and Fall of Roma Eurpire) (انحطاط وسقوط روما)

<sup>1</sup>: الندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 1/155.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، 1/156.

للشهير جيبون (Gibbon)، و"تاريخ الفلسفة الجديدة" لهوفدنگ (Hofding)، وكتاب "الصراع بين الشرق والغرب في تركيا" لخالدة أديب خانم، كما قرأ كتاب (Islam At The Crossroads "الإسلام على مفترق الطرق" لمحمد أسد، أما سبب تأثر الندوي بهذا الرجل وكتاباتة هو «أسلوبه الواثق القوي، الهجومى، وتشريحه للحضارة الغربية وبيانه للتعارض بينها وبين الحضارة الإسلامية، ودفاعه القوي المجيد عن السنة المشرفة»<sup>(1)</sup>. وطالع بعدها كتاب "البحث عن الحق" لغاندي، وكتاب "قصتي" لجواهر لال نهرو، وكتاب "مستقبل المسلمين" للأستاذ طفيل أحمد.

إضافة إلى تأثير هذه الكتب الفكرية التي وسعت من آفاق فكر الندوي، كانت لكتابات أبي الأعلى المودودي هي الأخرى الأثر في فكره ونفسيته، منها مقالاته المنشورة في ترجمان القرآن وكتبه ورسائله ككتاب "المسلمون والصراع السياسي الراهن" و"كيف تقوم الحكومة الإسلامية" وقد برز هذا التأثير من كلام الندوي حينما قال: «وقد كانت مجلة ترجمان القرآن للأستاذ أبي الأعلى المودودي تصدر في تلك الفترة من لاهور، وقرأت فيها مقال الأستاذ المودودي بعنوان: "ثورة قادمة" وتأثرت به، ورأيت أن الأخطار التي نبه إليها قريبة ممكنة في ضوء الأحداث والوقائع، وقد حركت هذه الأشياء كلها سطح ذهني الهادئ، وأحدث اضطراباً في تفكيري وعقليتي وساعدتني في إيقاظ بعض المواهب النائمة»<sup>(2)</sup>.

### ثالثاً: الشخصيات التي تأثر بها الندوي

إن معرفة الشخصيات التي أثرت في الندوي من أهم المفاتيح التي ترسم لنا شخصية الندوي المعرفية والفكرية. إن كثرة الشخصيات التي تأثر بها الندوي شكّلت صعوبة في الوقوف على الشخصيات المحورية الأكثر تأثيراً، إلا أننا نجد هناك شخصيات بارزة كان لها الدور الكبير في الحياة الفكرية للندوي ما أدى به إلى الانشغال بحال العالم الإسلامي والاهتمام بمشكلاته وقضاياها، ومن أبرز هؤلاء:

<sup>1</sup>: الندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 157/1.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، 158/1.

## أ- محمد إلياس الكاندهلوي

وهو مؤسس جماعة الدعوة والتبليغ تأثر به الندوي حينما سافر إلى دلهي إلى مركز نظام الدين، وكان سبب زيارته اقتناعه بضرورة وجود قيادة دينية للمسلمين والبحث عن عمل إسلامي وقيادة دينية واعية يستطيع التعاون معها في إيقاظ الروح الدينية في المسلمين، ومواجهة الأخطار المحدقة بالكيان الإسلامي، ووصف الندوي شخصية محمد إلياس بأنه: «رجل نحيف تشف عيناه عن نكاء مفرط وهمة عالية، على وجهه مخايل الهَمّ والتفكير، والجهد الشديد، ليس بمفوّه ولا خطيب، بل يتلعثم في بعض الأحيان..، رافقته في السفر والحضر، فرأيت نواحي من الحياة لم تتكشف لي من قبل، فمن أغرب ما رأيت يقينه الذي استطعت به أن أفهم يقين الصحابة، فكان يؤمن بما جاءت به الرسل إيماناً يختلف عن إيماننا اختلافاً واضحاً كاختلاف الصورة والحقيقة، إيماناً بحقائق الإسلام أشد وأرسخ من إيماننا بالماديات وبتجارب حياتنا، فكان كل شيء صحّ في الشرائع وثبت في الكتاب والسنة حقيقة لا يشك فيها، وكأنه يرى الجنة والنار رأي العين»<sup>(1)</sup>.

## ب- عبد القادر الرائيبوري

استفاد منه الندوي إثر رحلته الاستطلاعية إلى المراكز الدينية والتربوية في الهند، وكان له تأثير كبير في نفسيته خاصة في التربية الروحية -أو الريانية كما يسميها- إضافة إلى الاستفادة العلمية والفكرية وتجربته التي قضاها مع الحركات الإسلامية. وقد ساعدته هذه الشخصية في الوقوف على خطر الحركة القاديانية التي كان لها اتصال بمنشئها أحمد ميرزا غلام، فكان ذلك من الدوافع التي دفعت بالندوي فيما بعد إلى تأليفه كتابه القادياني والقاديانية والرد عليها.

ويشهد الندوي لهذه الشخصية بأنها كانت «من كبار المربين والعلماء الريانيين، المطلعين البصيرين من أصحاب الفراسة والذكاء والانفتاح الذهني الذين يجمعون بين العلم والعمل

<sup>1</sup>: الندوي: شخصيات وكتب، مصدر سابق، ص15.

والتربية والتزكية، وهو من أولئك القائدين والعلماء الصالحين الذين يحتاج إليهم المسلمون بل قادتهم في كل زمان للقيادة والتوجيه، والاستفادة من تجاربهم وطيب أنفاسهم..»<sup>(1)</sup>.

### ج- سليمان الندوي

تجلى تأثر الندوي به من كثرة الأوصاف التي أصبغها عليه، حيث وصفه بـ: «سعة النظر واتزان الفكر، وكان في ذلك نصيب للبيئة التي تلقى فيها تربيته العلمية والفكرية، وفضل لتوجيه الأساتذة والمربين الذين استفاد منهم فلم يكن فيه تزمّت فكري، أو عصبية مذهبية، أو جمود علمي شأن كثير من العلماء في عصره وقبل عصره»، ويصفه أكثر من ذلك فقد كان: «راسخا في العلوم العربية وآدابها عالي الكعب دقيق النظر في علوم القرآن وعلم التوحيد والكلام واسع الاطلاع غزير المادة في التاريخ، وعلم الاجتماع والمدنية، منشئا صاحب أسلوب أدبي في اللغة الأردية، كاتباً مترسلاً في اللغة العربية شاعراً مقلاً في اللغتين مع إحسان وإجادة، حليماً، صابراً، يقهر النفس، ويتسامح مع الأعداء والمعارضين»<sup>(2)</sup>.

### د- عبد العلي الحسني

وهو أخ الندوي ومربيه، الذي كان له الفضل الكبير في تربيته وتنشئته التنشئة الصالحة التي تجمع بين العلم والتربية الإيمانية، وتعد هذه الشخصية من أكثر الشخصيات تأثيراً لأنها جمعت بين الرابطة الأسرية الأخوية والرابطة العلمية، وأبرز ما تميز به اشتغال ملكته على القديم الأحسن والجديد النافع وكان من أبرز مزاياه وسماته حميته الإسلامية والاهتمام بأمور المسلمين وشدة التعلق بالعالم الإسلامي كأنه كان عاملاً بالحديث النبوي المعروف: من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم، وكان شديد العطف على قضايا العالم الإسلامي مقدراً للجهاد أينما كان، حريصاً على المساهمة فيه، شارك في جهاد فلسطين بتبرعات أسرته، وكذلك في جهاد الجزائر، فقد جمع التبرعات من أعضاء أسرته وأرسلها إلى ممثل حكومتها المؤقتة في الهند<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي: شخصيات وكتب، مصدر سابق، ص 31.

<sup>2</sup>: الندوي، شخصيات وكتب، مصدر سابق، ص 61، 62.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، ص 68.

## هـ-حسن البنا

هو مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، وقد اشتهرت هذه الجماعة وذاع صيتها في العالم وأصبحت من أكبر الجماعات الإسلامية شأنها شأن جماعة التبليغ، وعرفت بنشاطها الدعوي والاهتمام بالجانب السياسي، ولم يحظ الندوي أن يلتقي مؤسس هذه الجماعة، وإنما تجسدت له شخصيته وتمثلت من خلال تلامذته وأصدقائه وآثاره العلمية، وقد كانت لهذه الشخصية الفذة بصمة في حياة الندوي الدعوية والفكرية، حيث نجد الندوي يكبر بهذه الشخصية ويعظم بمنفعتها، وأثرها الكبير في وقت كان جدّ حساس، ووضع متأزم مزري للأوضاع الدينية من انحراف في العقائد والأفكار وانحلال في الأخلاق، «زد إلى ذلك كله؛ نشاط دعاة الفساد والهدم، والخلاعة والمجون، والإلحاد والزندقة، وتزعم الصحف والمجلات الواسعة الانتشار القوية التأثير للدعوات المفسدة، والحركات الهدامة والاستخفاف بالدين وقيمه، والأخلاق وأسسها، وما آل إليه الأمر، ووصلت الأقطار العربية بصفة عامة والقطر المصري بصفة خاصة»<sup>(1)</sup>.

ويضفي الندوي على شخصية "البنا" صفات عدّة تجلت في «العقل الهائل النير والفهم المشرق الواسع، والعاطفة القوية الجياشة، والقلب المبارك الفياض والروح المشبوبة النضرة، واللسان الذرب البليغ، والزهد والقناعة -دون عنت- في الحياة الفردية، والحرص وبعد الهمة -دونما كلل- في سبيل نشر الدعوة والمبدأ، والنفس الولوعة الطموح، والهمة السامقة الوثابة، والنظر النافذ البعيد، والإبائة، والغيرة على الدعوة..»<sup>(2)</sup>.

أما الميزتين<sup>(3)</sup> اللتين تميزت بهما شخصية البنا هما: شغفه بدعوته، وإيمانه واقتناعه بها، وتقانيه فيها، وانقطاعه إليها بجميع مواهبه..، والناحية الثانية؛ تأثيره العميق في نفوس أصحابه وتلاميذه ونجاحه المدهش في التربية والإنتاج، فقد كان منشئ جيل، ومربي شعب وصاحب مدرسة فكرية وخلقية.

<sup>1</sup>: الندوي، من أعلام المسلمين ومشاهيرهم، إعداد: عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1424هـ. 2002م، ص297.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، ص 298.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، ص 298.

## و-محمد إقبال

إضافة إلى هؤلاء الذين عاصروهم الندوي، وكتب انطباعاته وشهادته فيهم، فقد كان لشخصية علمية وفكرية أخرى التأثير الأشد والأعمق التي نهل منها الندوي الكثير وبرز هذا التأثير في كثرة استشهاده بشعره، والاستدلال بكلامه، وقد كان له الإسهام الكبير في نظرة الندوي الفاحصة والدقيقة بحقيقة الحضارة الغربية وعناصر تكوينها، ما أكسبه القدرة على وقوفه على نقاط ضعفها وأزماتها، أما الفكرة الأخرى التي تركت البصمة في كتابات الندوي هي فكرة التجديد الديني لدى إقبال. لذا «يعد محمد إقبال من أشهر الفلاسفة والمفكرين المسلمين في الهند في القرن الرابع عشر الهجري، وتلمح في أدب الشيخ الندوي وذوقه الرفيع خلاصة تلك الدراسة التي كتبها الشيخ الندوي بعنوان "روائع إقبال"»<sup>(1)</sup>.

## ز-أبو الأعلى المودودي

وهو أحد أعلام الفكر والدعوة الإسلامية، مؤسس الجماعة الإسلامية بباكستان، وقد كان له هو الآخر الشهرة والانتشار لأفكاره، وقد كان الندوي عضو من أعضائها وممثلاً لها في الهند، إلا أنه انفصل عنها فيما بعد، وقد برز تأثير هذه الشخصية القوية وكتاباتها في الندوي وفي غيره من الطبقة المثقفة، وفي ذلك يقول الندوي: «لقد كانت هذه هي الفترة التي جذبت فيها مقالات الأستاذ المودودي في "ترجمان القرآن" وكتبه ورسائله مثل "المسلمون والصراع السياسي الراهن" و"كيف تقوم الحكومة الإسلامية" و"الحجاب" و"الربا" وأمثالها من المقالات والرسائل التي كانت تجمع بين التعبير عن الطبقة المثقفة الواعية، وتلبية حاجة العصر وضرورته، وانتباه تلك الطبقة وإعجابها الشديد التي كانت تحد في هذا الأسلوب للكتابة والمنهج للتفكير تعبيراً قوياً عن مشاعرها وأحاسيسها»<sup>(2)</sup>.

إن المتتبع لكتابات الندوي وخاصة في معالجة قضايا الأمة الإسلامية وحديثه عن الحركات الإصلاحية عبر التاريخ الإسلامي يجد أن هناك مجموعة من الشخصيات قد

<sup>1</sup>: القرضاوي، الندوي كما عرفته، مرجع سابق، ص 43.

<sup>2</sup>: الندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 1/159.

أثرت في رؤيته الإصلاحية، وقد استقى من نبعها الكثير فكان كثيرا ما يستحضر أعمالها وجهودها العلمية والفكرية والإصلاحية وما قدمته دفاعا عن الأمة الإسلامية وحفاظا على كيانها، ومن أبرزها "أبو حامد الغزالي"، و"جلال الدين الرومي" و"صلاح الدين الأيوبي"، وابن تيمية و"الإمام السرهندي" و"الإمام الدهلوي" و"السيد أحمد الشهيد".

من خلال الاطلاع على هذه الشخصيات تبين أن شخصية الندوي تعددت مشاربها العلمية والفكرية، فقد استفاد من جهود متنوعة وتوجهات مختلفة ومن مدارس عدة، ما أسهم في تكوين رؤية متكاملة واضحة لأوضاع العالم الإسلامي وما يعانيه من نكبات وأزمات عبر مساره التاريخي.

### الفرع الثاني: رحلاته ومقابلاته

كان للندوي العديد من الرحلات والمقابلات للمفكرين والدعاة.

#### أولا: الرحلات

عرف الندوي في العالم العربي والإسلامي مفكرا وموجها، وداعيا مرشدا ونصيحا، وكان ذلك عن طريق رحلاته الكثيرة والمتنوعة سواء على المستوى العربي والإسلامي أو العالم الغربي، والتي ألقى من خلالها محاضراته وانطباعاته ومشاهداته، واصفا لحال الأمة الإسلامية والعربية، مشخصا لجذور الأزمات عارضا لما يجب أن تكون الأمة عليه، وقد تم تدوين لقاءاته حيث طبعت بعنوان: "رحلات العلامة أبي الحسن علي الحسيني الندوي - مشاهداته - محاضراته - لقاءاته - انطباعاته"، وكانت له كذلك رحلات أخرى سجلها في حينها ودونها بنفسه وطبعت بعنوان: "مذكرات سائح في الشرق العربي"، وقد ساعدته ملكته العلمية والفكرية التي اكتسبها من المدارس الدعوية والفكرية إضافة إلى هذه الرحلات المتنوعة المتميزة أن يكتسب صفة العالمية، فقد كانت أفكاره ورؤاه شاملة لكل أوضاع العالم العربي الإسلامي وما يعانيه من أحوال وتقلبات، وظهر ذلك جليا من خلال ما قدمه من حلول لمعالجة مشاكل العالم العربي والإسلامي وأزماته، فكان بهذه الرحلات حلقة وصل بين العالم العربي والإسلامي عموما وبين العالم الإسلامي والهند خصوصا.



كانت أولى رحلاته إلى الحج عام 1947م. والثانية عام 1951م. وقد ألقى الندوي سلسلة أحاديث من إذاعة جدة، فألقاها بعنوان: "بين العالم وجزرة العرب"<sup>(1)</sup>. وبعدها إلى "مصر" رحلته التي زارها للمرة الأولى عام 1951م، وكان كتابه "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" قد سبقه إلى الأوساط العلمية والدينية، والدعوية، والأدبية، فكان خير دليل قد عرف بوزن شخصيته..، وألقى سلسلة من الأحاديث والمحاضرات في مختلف في مختلف النوادي والجمعيات منها: "المسلمون على مفترق الطرق" و"الدعوة الإسلامية وتطوراتها في الهند"، ومحاضرة حول شعر إقبال ورسائله في دار العلوم وأخرى بعنوان: "الإنسان الكامل في نظر الدكتور محمد إقبال" وفي هذه الرحلة نشرت رسالته المشهورة: "اسمعي يا مصر"<sup>(2)</sup>.

وبعدها سافر إلى "السودان" سنة 1951م، والتقى برجالها من المفكرين والعلماء أشهرهم علي "ميرغني باشا"، والأستاذ "إسماعيل بك الأزهري" وغيرهم، وقد حدثهم الندوي عن تجربة الدعوة الإسلامية بالهند، وقد صرح بأن السودان وإفريقية -بصفة عامة- تستطيع أن تلعب دورا خطيرا في تاريخ العالم..، فإذا ما تبنت الدعوة الإسلامية في إخلاص وحماس، احتضنت رسالة العصر التي يحتاج إليها العالم المعاصر<sup>(3)</sup>.

ورحل إلى "الشام" وأقام بها ثمانية وأربعين يوما، وألقى محاضرة في قاعة دمشق بعنوان "شهادة العلم والتاريخ في قضية فلسطين" طبعت باسم "العوامل الأساسية لكارثة فلسطين"<sup>(4)</sup> وقد أعاد زيارة الشام مرة ثانية سنة 1956م وأقام بها ثلاثة أشهر، ألقى محاضراته الأساسية في الجامعة حول التجديد والمجددين في تاريخ الفكر الإسلامي، وأحاديث في إذاعة سورية، كان أولها بعنوان: "اسمعي يا سورية"، ومحاضرة في مركز

<sup>1</sup>: ينظر: القرضاوي: الندوي كما عرفته، مرجع سابق، ص50.

<sup>2</sup>: القرضاوي: الندوي كما عرفته، مرجع سابق، ص51.

<sup>3</sup>: ينظر: رحلات العلامة أبي الحسن الندوي، مشاهداته، محاضراته، لقاءاته، انطباعاته، جمع وترتيب وتعليق: عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1422هـ، 1، 2001م، ص66.

<sup>4</sup>: ينظر: الندوي، المسلمون وقضية فلسطين، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1429هـ، 2008م، ص21.

الإخوان بطلب بعنوان "حاجتنا إلى إيمان جديد"، وكلمة في المؤتمر الإسلامي بدمشق بعنوان: "ارتباط قضية فلسطين بالوعي الإسلامي"، وخطاباً أما مدرسي الدين بالجامعة، وسافر إلى الشام مرة ثالثة عام 1964م، والمرة الرابعة لنصف ليلة عام 1973م.

وفي "فلسطين" زار بيت المقدس وتشرف بزيارة المسجد الأقصى، وقضى الأيام الأخيرة من رمضان وصلى العيد بها، وزار مدينة الخليل وبيت لحم وفي العودة منها قابل بالأردن الملك عبد الله ملك الأردن، وقد طبعت مذكراته لهذه الرحلة الطويلة بعنوان: مذكرات سائح في الشرق العربي<sup>(1)</sup>.

سافر إلى "لبنان" عام 1956م وزار فيها "بيروت" و"قلمون" و"طرابلس"، وفيها التقى مع المفكر "محمد أسد" (ليوبولد قايس) صاحب كتاب "الطريق إلى مكة". وألقى في كلية الملك سعود ببيروت محاضرة بعنوان: الشعوب لا تعيش على أساس المدنيات، بل تعيش بالرسالة وتعزدها روحها وخصائصها".

سافر إلى "تركيا" ومكث فيها أسبوعين طبعت هذه الرحلة بعنوان: "أسبوعان في تركيا الحبيبة" وتكرر السفر إليها عدة مرات لحضور مؤتمرات رابطة الأدب الإسلامي العالمية. سافر إلى الكويت عام 1962م وألقى بها محاضراته: "اسمعي يا زهرة الصحراء"<sup>(2)</sup>، وبعدها إلى الإمارات العربية المتحدة عام 1954م بدعوة من حاكم الشارقة سلطان بن محمد القاسمي

سافر إلى "قطر" عدة مرات وألقى محاضرة في جامعة قطر بعنوان "دور الجامعة في تكوين الأجيال"، ومحاضرة أخرى في رحلته الرابعة بعنوان: "قيمة الأمة الإسلامية ورسالتها"، وقد طبعت أهم محاضراته التي ألقاها في الخليج العربي في مجموعة بعنوان: "أحاديث صريحة مع إخواننا العرب المسلمين".

سافر بعدها إلى "أفغانستان" و"إيران" و"لبنان" و"العراق" وطبعت هي الأخرى بعنوان: "من نهر كابل إلى نهر اليرموك".

<sup>1</sup>: القرضاوي، الندوي كما عرفته، مرجع سابق، ص 53.

<sup>2</sup>: ينظر المحاضرة من كتاب: اسمعيات للندوي، إعداد: عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1423هـ، 2002م، ص 43.

سافر بدعوة من مؤسسة آل البيت إلى "الأردن" وألقى محاضرات بها وفي نفس العام زار "اليمن" وألقى فيها محاضرات كذلك وطبعت محاضراته في كلتا الرحلتين بعنوان: "نفحات الإيمان بين صنعاء وعمّان"

سافر بدعوة من رابطة الجامعات الإسلامية إلى "المغرب الأقصى" عام 1976م وطبعت مذكرات هذه الرحلة بعنوان: "أسبوعان في المغرب الأقصى".

سافر إلى "بورما" عام 1960م وإلى "باكستان" عام 1964م، ثم إلى "سريلانكا" عام 1982م، وإلى "بنغلاديش" عام 1984م .

كما كانت له عدة رحلات إلى "أوربا"

كانت رحلته الأولى إلى أوربا عام 1963م زار فيها: "جنيف" و"لوزان"، و"برن"، و"باريس"، و"لندن"، و"كمبردج" و"أكسفورد" و"وكلاسكو"، و"أدنبره" وقابل فيها عددا من فضلاء الغرب المستشرقين، وزار في الرحلة نفسها م"دريد"، و"طليطلة" و"أشبيلية"، و"قرطبة"، و"غرناطة"، ومن مدن "اسبانيا".

الرحلة الثانية إلى أوربا عام 1964م زار فيها: "لندن"، و"برلين"، و"آخن"، و"ميونخ"، و"بون".

الرحلة الثالثة كانت عام 1969م زار فيها: "جنيف"، و"لندن"، و"برمنغهام"، و"مانشستر"، و"بليك"، و"برن" و"شيفلد"، و"ديوزبري"، و"ليدس"، و"كلاسكو"، ألقى فيها محاضرات جمعت بعنوان: "حديث مع الغرب"، أما الرحلة الرابعة فكانت إلى "لندن" عام 1938م بمناسبة تأسيس مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية وعلى إثرها ألقى محاضرة ب: "الإسلام والغرب"

سافر إلى "بلجيكا" عام 1984م وكانت له رحلات أيضا إلى "أمريكا" و"كندا" عام 1977م وفيها زار: نيويورك وإنديانابوليس، وبلومنغهاتن، وشيكاغو ونيوجرسي، وفلادلفية و"بالتور"، و"بوسطن" و"ديترويت"، و"سالت ليك" و"سان فرانسيسكو"، وغيرها من المدن وفي هذه الرحلة ألقى الندوي محاضرة بعنوان: "أحاديث صريحة في أمريكا"، كما سافر أيضا إلى "ماليزيا" عام 1987م وإلى "طاشقند" و"سمرقند" و"خرتتك" و"بخارى" عام 1993م بمناسبة حضور تأسيس مركز علمي تذكارا للإمام البخاري.

أما رحلته إلى "الجزائر" كان دافعها المشاركة الملتقى الإسلامي العالمي وقد كان بعنوان: "الإسلام والعلوم الإنسانية" ألقى فيه محاضرة بعنوان: "دور الإسلام الثوري البناء في مجال العلوم الإنسانية"<sup>(1)</sup> وكان ذلك بمدينة "سطيف" يقول الندوي: «ومن سعادة حظ هذه المدينة، أنها كانت مركز حركة التحرير الجزائرية وموطن قائدها وزعيمها الشيخ بشير الإبراهيمي، كما أنها عاصمة الولاية أيضا، وكنا حضرنا الملتقى في عام 1982م في تلمسان»<sup>(2)</sup>.

### ثانيا: مقابلاته للشخصيات السياسية والزعماء

قابل الندوي الملك عبد الله بن الشريف حسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية ثلاث مقابلات عام 1951م لفت فيها نظره إلى رعاية المسجد الأقصى، والعناية به وباللاجئين الفلسطينيين، والتقى بالملك حسين بن طلال عاهل المملكة الأردنية عام 1973م مع وفد من رابطة العالم الإسلامي<sup>(3)</sup>. وجّه إلى الأمير سعود بن عبد العزيز آل سعود رسالة عام 1947م، طبعت بعنوان (بين الجباية والهداية)، والتقى به ملكا للمملكة العربية السعودية في جلسة تأسيس رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة عام 1962م. كان أول لقاءه مع الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود عام 1963م، والتقى به ملكا عدة لقاءات، كما قابل الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود والملك فهد بن عبد العزيز آل سعود في زيارات مختلفة، ووجه إليهم رسائل دعوية، وأبدى فيها آراءه وملاحظاته ونبههم إلى أن الحجاز شخصية خاصة ورسالة ومكانة لا بد من المحافظة عليها في كل عصر. قابل الملك الحسن الثاني عاهل المملكة المغربية عام 1976م، وحدثه عن انتظار المسلمين واحتياجهم إلى قائد عصامي، مؤمن ألمعي، يمتاز بإخلاصه ويقينه، وعزمه الراسخ وقلبه الوثاق.

<sup>1</sup>: ينظر المحاضرة كاملة للندوي، محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، جمع وتحقيق وتعليق: عبد الماجد الغوري،

دار ابن كثير دمشق، بيروت، ط1، 1422هـ. 2001م، 320/3.

<sup>2</sup>: ينظر: رحلات أبي الحسن الندوي، مصدر سابق، ص560.

<sup>3</sup>: القرضاوي، الندوي كما عرفته، مرجع سابق، ص57.

التقى بالشيخ سلطان بن محمد القاسمي حاكم الشارقة عدة لقاءات وسافر بدعوة منه إلى الإمارات العربية المتحدة عام 1974م، وقد زاره الشيخ سلطان في مقره عام 1980م. قابل الرئيس علي عبد الله صالح رئيس الجمهوري اليمنية في صنعاء عام 1984م. زار الجنرال محمد ضياء الحق رئيس الجمهورية الإسلامية في باكستان في كراتشي عام 1984م، فقدم إلى فخامته تمثال قبة الصخرة الرخامي، الذي أهدي إلى سماحته كهدية تذكارية من كلية العلوم بالأردن تلميحاً منه بأن استخلاص المسجد الأقصى المبارك مسؤولية من مسؤوليات رئيس مؤمن لبلد مسلم كباكستان، وكان آخر لقاءه مع الرئيس عام 1986م<sup>(1)</sup>.

وقد كانت للندوي كذلك عدة مراسلات<sup>(2)</sup> مع بعض الملوك والوزراء كما وجّه لهم خطابات<sup>(3)</sup>. وبهذه المكانة التي ارتقاها الندوي تبرز قيمة شخصيته الدعوية في تحقيق التواصل بين مختلف الطبقات من قادة الحركات، وزعماء الجماعات، وحكام، وملوك دول عربية وإسلامية ووزراء، ومن مفكرين ومصلحين، ما أكسبه القدرة على التجاوب مع كافة الطبقات والاستفادة والإفادة، وتعد هذه الخاصية جد مهمة في شخصية الداعية لتمثيل رسالة الإسلام تمثيلاً شاملاً أكمل.

### الفرع الثالث: شهادة العلماء و المفكرين و الأدباء في الندوي

كسب شخصية الندوي في أواسط البلاد العربية والإسلامية مكانة محترمة موقرة وذلك يعود لما امتاز به من صفات وأخلاق أهلته أن يكون أخاً وأباً وصديقاً حميماً ومربياً وداعياً مميّزاً محبوباً، فقد كان يحمل همّ هذا العالم الإسلامي بأجمعه لا يترك مسألة ولا قضية تتعلق به، أو تهدد كيانه، أو تكون خطراً عليه؛ إلا وتناولها في خطابه

<sup>1</sup>: المرجع نفسه، ص58

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، رسائل الأعلام، إخراج وتقديم: محمد الرابع الحسني الندوي، مطبعة ندوة العلماء، لكهنؤ، الهند 1405هـ، 1984م ص175، 159.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي، خطابات صريحة إلى الأمراء والرؤساء، إعداد: عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1423هـ، 2002م.

وقلمه -مدافعا وناقدا- بما أوتي من بصيرة ودقة نظر، وعمق تفكير، فكان هذا دينه وخلقه إلى أن فقد العالم الإسلامي حينما انقضى الأجل وفارق الأمة الإسلامية. لقد كان للعالم الإسلامي شهادات كثيرة في شخصية الندوي ترجمت على السنة مجموعة من العلماء والأدباء والمفكرين والزعماء، نذكر منها:

### أولا: وهبة الزحيلي

قال عن الندوي "عرفت العلامة الكبير الشيخ أبا الحسن الندوي في شبابه وكهولته وشيخوخته وذلك إبان حادثة سني وكهولتي، فأكبرت فيه هيئته ولغته غيرته ولم تختلف نظرتي إليه في شبابه، حيث قوة البيان وسلامة اللغة ونصاعة الفكر، عما آل إليه في شيخوخته من نضج وفصاحة وتخطيط بارع لحال العالم الإسلامي وتأوهات وآلامه على وضع المسلمين في العصر الحاضر...، وتراه نير الفكر كفيلسوف الإسلام الدكتور محمد إقبال، واسع الأفق كالعلامة المودودي في القضايا العامة والأفكار السياسية"<sup>(1)</sup>.

### ثانيا: يوسف القرضاوي

أما القرضاوي فقد لازم الندوي في كثير من اللقاءات العلمية والرحلات وقد عرف شخص الندوي عن قرب وفي ذلك يقول: "ولا غرو أن تؤدي هذه الفضائل والمكارم التي اتصف بها الشيخ و التي لم نتحدث إلا عن نبذة منها إلا أن يكن كل من عرف الشيخ من المسلمين في العالم الإسلامي وخارجه حبا كبيرا الشيخ يتقربون به إلى الله تعالى، لأنه حب لله وحده، لا دنيا زائفة، ولا لعرض زائل ولا لقربة في نسب أو وطن، إنما أحبه لدينه وتقواه وغيرته على الإسلام وحسن فهمه له ودعوته إليه وبذله في سبيله، وحده على أمته وتحرقه على قضاياها وذوده عن حماه عيشه من أجله ونذره جهاده وجهوده لخدمته، ونفسه ونفيسه لنصرته واعتقادهم في إخلاصه وتجرده وزهده وصدقته..<sup>(2)</sup>".

<sup>1</sup>: عبد الماجد الغوري، أبو الحسن الندوي الإمام المفكر، مرجع سابق، ص 38.

<sup>2</sup>: القرضاوي: الندوي كما عرفته، مرجع سابق، ص 64.

## ثالثا: سيد قطب

قال عن إنجاز الندوي: "أبو الحسن بنى الإسلام في نفوس تلاميذه حصونا أقوى وأمتن من حصون الحجر، بنى أمة صغيرة من العلماء الصالحين والدعاة المخلصين... وجدت أن الله أكرمه فاستكمل مزايا الداعية الإسلامي"<sup>(1)</sup>

السيد أبو الحسن الندوي عرفته في شخصه وفي قلمه، فعرفته في القلب المسلم والعقل المسلم وعرفت فيه الرجل الذي يعيش بالإسلام وللإسلام على فقه جيد للإسلام هذه شهادة الله أوديعها"<sup>(2)</sup>.

## رابعا: أنورالجندي

"قد عمل الأستاذ الندوي منذ سنوات طويلة على كل ما يتصل بقضايا الفكر الإسلامي ومعضلاته، وكل ما يتصل بالشبهات المثارة عارضا ذلك باللغة العربية الفصحى متحدثا بها من فوق منابر القاهرة ودمشق ومكة ولبنان وبغداد في خلال رحلات دعوته إلى الله وكتبه منشورة بين شباب العرب والمسلمين."<sup>(3)</sup>

## خامسا: محمد الغزالي

قال عن الندوي ملمحا للسير على دربه: "...فرأيناه فطنا للتيارات المتضاربة مقدرا لجهود الدعاة المخلصين ومقدرا كذلك ما يزحم طريقهم من صعاب، وهو مع تمسكه الشديد بالإسلام شكلا ومضمونا \_ حتى ليظنه السطحيون متزمتا \_ تراه منادحا النظر، مرنا في مواجهة ما يرضي وما، مرونة الخلق العالي لا التحلل وقلة الاكتراث. وكم يحتاج رؤساء الهيئات الإسلامية عندنا إلى هذا التمسك الراشد . ونحن إذ نشكر الله سبحانه على ما أتاح لنا من خير عندما ساق لنا الأستاذ أبا الحسن، فإننا نعهده على أن نظل ماحيينا أبناء بررة للقرآن الكريم وجنودا مهرة في تنفيذ أوامره بلوغ أهدافه."<sup>(4)</sup>

<sup>1</sup>: أكرم الندوي، الندوي العالم المربي والداعية الحكيم، مرجع سابق، ص5، 6

<sup>2</sup>: الندوي، قصص النبيين للأطفال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1422هـ. 2001م، ص3

<sup>3</sup>: عبد الماجد الغوري، أبو الحسن الندوي الإمام المفكر، مرجع سابق، ص9. (نقلا عن أعلام القرن الرابع عشر الهجري لأنور الجندي)، ص 415.

<sup>4</sup>: أبو الحسن الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 6/5/1.

## سادسا: عبد الفتاح أبو غدة

"... الحمد لله الذي أتاكم وأولاكم وأقامكم فينا وقواكم، وأرانا فيكم صفحات مشرقة من تاريخنا العلمي المجيد، وعلمائنا السالفين الأمجاد، فكنتم وما زلتم بحمد الله النموذج الرفيع للتذكير بأولئك الأسلاف الذين آتاهم الله حبه في قلوبهم وحب الناس لهم بما أحبوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولا غرابة فيكم أن كذلك، فالدوحة الشريفة ما تزال ناضرة الأغصان، زاهية الألوان، معطارة في كل زمان ومكان، والحمد لله"<sup>(1)</sup>.

والشهادات في شخصية الندوي كثيرة، وخاصة التي ذكرت إثر وفاته في المجالات العلمية<sup>(2)</sup>، وقد جمعت بعضها ودونت ضمن الكتب التي تناولت حياته وأعماله<sup>(3)</sup>.

نخلص على ما سبق أن الندوي، ترعرع في أسرة عريقة اتصفت بالأدب والعلم والزهد، وأحاطت به بيئة وافرة بالعلماء والمربين، مما أتاح له فرصة التكوّن على أيديهم تربية وعلمًا وسلوكًا. لشهد له أقرانه ومعاصريه من العلماء والمفكرين بشهادات كانت مقاسًا مفصلاً على شخصيته مما عكس وزنها في مجال العلم والفكر داخل الهند - في أوضاع ملؤها معاناة كبيرة، خاصة إثر تقسيم الهند وانفصال باكستان عنها - وخارجها.

<sup>1</sup>: الندوي، رسائل الأعلام، مصدر سابق، ص 75.

<sup>2</sup>: كمجلة ثقافة الهند (المجلد 52. العدد 4) 2001م، مجلة الصحة الإسلامية العدد 1421، 36، 2000م، الهند، مجلة الرائد (1، 2) عدد خاص بالندوي، مجلة البعث الإسلامي (المجلد 45، العدد 4، 5، 6، 1420هـ، 2000م.

<sup>3</sup>: وقد جمعت هذه الشهادات في كتاب: يحدثونك عن أبي الحسن الندوي، إعداد وتقديم: محسن العثماني الندوي، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط 1، 1421هـ، 2000م.



# الفصل الأول:

## صورة الأمة الإسلامية في فكر

### الندوي

المبحث الأول: "الأمة" في القرآن الكريم

المبحث الثاني: أهمية القرآن والنبوة في بناء الأمة الإسلامية في تصور الندوي

المبحث الثالث: خصائص الأمة المسلمة عند الندوي انطلاقاً من خصائص

الفرد والمجتمع

### الفصل الأول: صورة الأمة الإسلامية في فكر الندوي

تضمن هذا الفصل صورة الأمة الإسلامية في فكر الندوي انطلاقاً من الأمة في القرآن الكريم، ثم الحديث عن أهمية القرآن الكريم والنبوة في بناء الأمة الإسلامية في تصور الندوي، وبعدها الحديث عن خصائص الأمة المسلمة انطلاقاً من خصائص الفرد والمجتمع، فأتى هذا في ثلاثة مباحث.

#### المبحث الأول: الأمة في القرآن الكريم

يتناول هذا المبحث مصطلح الأمة من المنظور القرآني من ناحية الإطار المفاهيمي، وكذا الإطار الدلالي على اختلاف مواضع ورود المصطلح، كما يتناول جملة خصائص وصفات الأمة، فكان المبحث في ثلاثة مطالب؛ الأول في مفهوم "الأمة"، والثاني معاني ودلالات "الأمة"، أما المطلب الثالث ففي جملة خصائص "الأمة".

#### المطلب الأول: مفهوم "الأمة" في القرآن الكريم

اختص هذا المطلب بدراسة لفظ الأمة من الناحية اللغوية والاصطلاحية، والوقوف على الفارق بين "الأمة" وبعض المصطلحات ذات الصلة، فتضمن المطلب ثلاثة فروع؛ الأول في المعنى اللغوي والإصلاحي، والثاني في المصطلحات ذات الصلة بالأمة، والفرع الثالث في نظرة القرآن الكريم للأمة.

#### الفرع الأول: "الأمة" في المعنى اللغوي والاصطلاح

للفظ "الأمة" في المجال اللغوي معاني كثيرة وإطلاقات عديدة، والشأن كذلك بالنسبة للمجال الاصطلاح.

#### أولاً: الأمة في المعنى اللغوي

جاء في لسان العرب «أمم: الأم، بالفتح: القصد. أمه يؤمّه أمّا إذا قصده؛ وأممه وأتمّه تأممه ويممه وتيمّمه،.. وتيمّمته: قصدته»<sup>(1)</sup>.

وقد ورد لفظ "الأمة" على معان عدة منها:

أ- الطريقة والدين

ب- القرن من الناس، وأمة كل نبي: من أرسل إليهم من كافر ومؤمن، وكل جيل من الناس هم أمة على حدة، وكل جنس من الحيوان غير بني آدم أمة على حدة

<sup>1</sup>: ابن منظور، لسان العرب، مادة: (أمم)، دار صادر، بيروت، (دط، دت)، 22/12.

ج- الجيل الجنس من كل حي، وكل جنس من الحيوان أمة..، والأمة: الجماعة.  
 د- الرجل المتفرد بدين، وقيل الأمة الرجل الجامع للخير وكذا تطلق الرجل الذي لا نظير له، و من كان على دين الحق مخالفا لسائر الأديان، فهو أمة وحده، ومعنى الأمة في الرجل المنفرد الذي لا نظير له أن قصده منفرد من قصد سائر الناس..، والأمة المعلم، والعالم.

هـ- الأمة في الدين تعني: أن مقصدهم مقصد واحد.

و- وكذا تعني الأمة : الحين

ز- ومن معانيها كذلك: الوجه والقامة

ح- الأمّ والأمة: الوالدة..، وكل شيء انضمت إليه أشياء فهو أمّ لها

ويؤكد صاحب اللسان إلى أنّ جميع الاشتقاقات والمعاني لكلمة "أمة" ترجع في ذلك إلى معنى "القصد" يقول: « وأصل هذا الباب كلّ من القصد..، وليس يخرج شيء من هذا الباب عن معنى أمت قصدت»<sup>(1)</sup>، ورغم ما ذهب إليه من هذا الرأي، إلا أننا لا نجد قد ربط جميع هذه الاشتقاقات بمعنى القصد.

ولعل معنى "الجمع" يكون أشمل من معنى "القصد" وألمّ بجملة تلك المعاني، وهذا ما ذهب إليه أبو هلال العسكري في قوله: الأمة: راجعة إلى القصد..، ويجوز أن يكون أصل الكلمة الجمع»<sup>(2)</sup> ومما ذهب إليه في حمل الأمة على معنى الجمع ما يلي<sup>(3)</sup>:

قيل للرجل: أمة؛ لأنه يسد مسد الجماعة. والإمام: إمام؛ لاجتماع القوم عليه. والأم؛ لجمعها أمر الولد.

والأمة: الدهر؛ لأنها جماعة شهور وأعوام، وأمّه: إذا قصد الاجتماع معه، وفلان حسن الأمة، أي: القامة؛ وذلك لاجتماع خلقه على الاستواء.

<sup>1</sup>: ابن منظور، لسان العرب، مادة (أمم)، مرجع سابق، 27/12.

<sup>2</sup>: أبو هلال العسكري، تصحيح الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1428هـ، 2007م، ص31.

<sup>3</sup>: ينظر: المرجع نفسه، ص31.

والأمي: قيل من الأمة الجماعة، أي: على أصل ما عليه الأمة، وقيل هو من الأم. ومما سبق إيراده في المعنى اللغوي للأمة نستخلص أن الأمة تقوم على معنى "الجمع" و"القصد"، وقد جمعا هذان المعنيان في أن الأمة يقصد بها: « كل جماعة يجمعها أمر أو دين أو زمان أو مكان واحد، سواء كان الجامع تسخييرا أم اختيارا فهي أمة»<sup>(1)</sup>.

### ثانيا: الأمة في الاصطلاح

عند البحث عن المعنى الاصطلاحي للأمة نواجه نظرتين؛ نظرة غربية تنطلق من حيزها البيئي الذي تشكلت فيه، ومن منظومتها المفاهيمية التي خضعت لتطورات كثيرة ومرّت بمراحل تاريخية أحدثت تأثيرا كبيرا في التصورات، فالأمة من المنظور الغربي تعني: « مجموعة من الناس تتشكل تاريخيا، وتتميز الأمة أول كل شيء بالظروف المادية المشتركة للحياة والأرض، والحياة الاقتصادية وجماعية اللغة والتكوين النفسي وسمات معينة أيضا للشخصية القومية، تظهر في الخصائص النوعية القومية لثقافتها، والأمة أوضح شكل للجماعة الإنسانية، خرج إلى الوجود في أوربا بظهور الرأسمالية»<sup>(2)</sup>. أو هي: «مجموعة بشرية تكون تآلفها وتجانسها القومي عبر مراحل تاريخية تحققت خلالها لغة مشتركة وتاريخ وتراث ثقافي ومعنوي، وتكوين نفسي مشترك، والعيش على أرض واحدة، ومصالح اقتصادية مشتركة مما يؤدي إلى إحساس بشخصية قومية، وتطلعات ومصالح قومية موحدة مستقلة»<sup>(3)</sup>.

والملاحظ على هذا التعريف للأمة أنه ألغى عامل الدين (البعد الغيبي والروحي) في تكوين الأمة، وقد خضع هذا التصور للعامل المادي الذي يعدّ من أهم العوامل في تشكل الأمة في الفكر الغربي.

أما النظرة الثانية؛ الإسلامية فتنتطلق في مفهومها للأمة من المنطلق الديني؛ فهي تحاول بذلك إعطاء لمفهوم الأمة التأسيس الإسلامي، وتضفي عليه الصبغة الدينية، ومن ثمّ فهي لا تعطي مفهوم الأمة بمعزل عن الإسلام-البعد الروحي والقيمي-، بل تجعل

<sup>1</sup>: الكفوي، أبو البقاء، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1419هـ، 1998م، ص176.

<sup>2</sup>: الموسوعة الفلسفية، مجموعة من العلماء الأكاديميين، إشراف، روزنتال ويودين، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1974م، ص50.

<sup>3</sup>: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1993م، 306/1، 305.

الإسلام الرابطة الوثيقة للأمة التي حفظت به وجودها ومنه كانت انطلاقتها الحضارية، وعليه فإن الأمة ترد في النظرة الإسلامية بأنها «ذلك الكيان الجماعي الذي يرتكز تماسكه على عقيدة إيمانية شاملة، مصدرها رباني، ومجالها كافة أوجه الحياة الدنيا في منظور أخروي»<sup>(1)</sup>.

أو يمكن اعتبار الأمة في منظورها «مجتمع من بني الإنسان متحدين فكرا وعقيدة، ومذهبا وطريقا، لا على مستوى الفكر فحسب، بل على مستوى العمل أيضا»<sup>(2)</sup>. وعلى هذا تصبح الأمة: «جامعة إنسانية يشترك جميع أفرادها في هدف مشترك، وقد التف بعضهم حول بعض، لكي يتحركوا باتجاه هدفهم المرجو على أساس قيادة مشتركة»<sup>(3)</sup>.

نلاحظ من هذه التعريفات ذات الرؤية الإسلامية، اشتراكها في مفهومها للأمة مع النظرة الغربية في معنى الاجتماع والقصد، وتنفرد عنه في ماهيتهما، كونها ترتكز على المقوم العقيدي كقيمة عليا -وهو مضمون رسالتها- تتميز به الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم، وبه تسعى للكمال الإنساني، فأفراد «الأمة الواحدة من أي لون ودم وأرض وعرق كانوا؛ يفكرون بطريقة واحدة ولهم إيمان مشترك، في نفس الوقت الذي يلتزمون فيه بالتحرك صوب الكمال، ودفع المجتمع إلى الكمال»<sup>(4)</sup>.

إن جملة التعريفات التي تنطلق من منظور إسلامي للأمة لا ترضى بأن تستوي في انطلاقتها لمفهوم الأمة الإسلامية مع غيرها من المفاهيم الغربية التي تتضمن عنصر العرق، والتاريخ المشترك، واللغة والأرض، والمصالح المادية، كعناصر لتكوينها، بل ترقى وتتسامى بمفهومها للأمة عن طريق المقوم الروحي العقيدي والإيماني المهيمن على باقي العناصر والذي يضمن صحة تصور الرابطة بينه وبين باقي العناصر الأخرى للأمة. ونجد أن هذه الرؤية الإسلامية للأمة قد تتبها لها جملة من المستشرقين؛ حيث اعتبروا أن

<sup>1</sup>: منى أبو الفضل، الأمة القطب، نحو تأصيل منهجي لمفهوم الأمة في الإسلام، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 1426هـ، 2005م، ص56.

<sup>2</sup>: علي شريعتي، الأمة والإمامة، دار الأمير، بيروت، ط2، 1428هـ، 2007م، ص84.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، ص49.

<sup>4</sup>: المرجع نفسه، ص84، 85.

الأمة الإسلامية أمة متميزة عن غيرها، وقد برز ذلك عند دراستهم لتراث الإسلام ومن قولهم: «.. نجد في ظل هذا النظام الجديد أن قيمة الفرد بدأت تتضح وكينونته البشرية أخذت تبرز إلى عالم الوجود، فصار يستمد حقوقه وواجباته من إيمانه ويستقيها من معين دينه لا من روابطه الاجتماعية والعرفية، فمن جماعة المؤمنين هؤلاء تكوّن المجتمع الإسلامي»<sup>(1)</sup>.

ويروا كذلك « أن أولئك الذين آمنوا بالله الأحد ورسالة نبيه(محمد) وقبلوا التعاليم البسيطة التي دعاهم إليها؛ هم بلا جدال شعب أو جماعة أو أمة (محمد) التي حلت محل الأمم القديمة والعشيرة التي قامت على أساس رابطة الدم والقربى، هذه الجماعة تفضل غيرها بوصفها الجماعة الممتازة أو الشعب المقدس الذي عهد إليه بيت الصلاح والخير وإزهاق الشر والباطل، إنه مهبط العدل وينبوع الإيمان الأوحى في هذا العالم، وهو رسول الله إلى الشعوب الأخرى كما كان (محمد) رسول الله إلى العرب»<sup>(2)</sup>.

وانطلاقاً من هذا فإن الأمة الإسلامية وليدة البعثة المحمدية، ووعاء رسالة الإسلام التي نفخ فيها روحاً انفردت بها عن باقي الأمم، ومن ذلك كانت طبيعتها من طبيعة الإسلام وخصائصها من خصائصه، وعلى قدر صلتها بالإسلام وقيامها على رسالته يكون استمرارها وامتدادها الرسالي العالمي، ومن دونه تنزل إلى درجة التساوي مع سائر الأمم في الماهية.

ومما سبق نخلص إلى أن مفهوم الأمة الإسلامية عبارة عن كيان اجتماعي بشري تربط بينه مصالح مشتركة في إطار بعد ديني أخروي، يتسم بحركية ومنهج متميز يضبطه الخطاب الإلهي، يهدف في سيره لتحقيق غايات دينية سامية ووصولاً للكمال الإنساني.

<sup>1</sup>: تراث الإسلام، جمهرة من المستشرقين، إشراف: سير توماس أرنولد، تعريب: جرجيس فتح الله، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1972م، ص406.

<sup>2</sup>: تراث الإسلام، مرجع سابق، ص406.

### الفرع الثاني: مصطلحات ذات الصلة بالأمة

ترد جملة من المصطلحات تشترك مع الأمة في بعض الدلالات؛ إلا أنه يوجد فروق جوهرية بينها، ومن أهم هذه المصطلحات: "القبيلة"، "الشعب"، "القوم"، "المجتمع" "الجماعة"، "الفرقة"، "الطائفة"، "العرق"، "الوطن".

#### أولاً: القبيلة

يمكن اعتبار القبيلة «جماعة من الناس ينتمون أو يزعمون أنهم ينتمون إلى جدّ واحد ومنه ينحدرون، ويسكنون في العادة في منطقة واحدة، وإذا قرروا الانتقال أو أُجبروا عليه إلى مكان آخر ساروا مجموعة واحدة»<sup>(1)</sup>، وأقوى الروابط تجمع بين أفراد هذا التجمع اشتراك الأفراد في القبلة «المقصد»، يعني في الهدف والمقصد في الميعاد الذي هو عادة المرتع، إذ كل قبيلة لها مرتعها ومستقرها الصيفي والشتوي، وحينما تسرح البصر في الصحراء ترى كل جمع قبيلة متجها صوب قبلة ما<sup>(2)</sup>.

#### ثانياً: الشعب

يعتبر الشعب هو الآخر تجمعا بشريا أكبر من القبيلة حجما، وهو «مجمع القبائل التي ترجع إلى جدّ واحد من أمة مخصوصة وقد يسمى "جذما"، فالأمة العربية تنقسم إلى شعوب كثيرة فمضر شعب، وربيعة شعب، وأنمار شعب، وإياد شعب، وتجمعها الأمة المستعربة، وهي عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام، وحمير وسبأ، والأزد شعوب من قحطان، وكنانة وقيس وتميم قبائل من شعب مضر. ومذحج، وكندة قبيلتان من شعب سبأ، والأوس والخزرج قبيلتان من شعب الأزد»<sup>(3)</sup>.

وقد قرن ذكر الشعب والقبيلة-لما يشتملان من صلة وترابط- في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ

<sup>1</sup>: عبدون عون الروضان، موسوعة تاريخ العرب، دار الأهلية، المملكة الأردنية الهاشمية، ط2، 2007م، 1/295.

<sup>2</sup>: ينظر: علي شريعتي، الأمة والإمامة، مرجع سابق، ص42.

<sup>3</sup>: محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، 26/259.

أَتَقَنِّكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَيْرٌ ﴿[سورة الحجرات:13]، وبين سبحانه الغرض من هذا التكتل على هذه الشاكلة، وهو التعارف الذي « يحصل طبقة بعد طبقة متدرجا إلى الأعلى، فالعائلة الواحدة متعارفون، والعشيرة متعارفون من عائلات إذ لا يخلون عن انتساب ومصاهرة، وهكذا تتعارف العشائر مع البطون والبطون مع العمائر، والعمائر مع القبائل، والقبائل مع الشعوب لأن كل درجة تأتلف من مجموع الدرجات التي دونها»<sup>(1)</sup>، وكذا « ليعرف بعضكم بعضا في النسب، يقول تعالى جلّ ذكره: إنما جعلنا هذه الشعوب والقبائل لكم أيها الناس؛ ليعرف بعضكم بعضا في قرب القرابة منه وبعده، لا لفضيلة لكم في ذلك، وقربة تقربكم إلى الله، بل أكرمكم عند الله أتقاكم»<sup>(2)</sup>.

### ثالثا: القوم

يأتي القوم بمعنى الجماعة من الناس تجمعهم جامعة يقومون لها، و« تبنى الحياة في هذا المجتمع على أساس قيام الأفراد بالاشتراك متحدين في أداء العمل، يعني أن أفراد القوم الواحد هم مجموعة من أبناء الإنسان يقطنون زاوية من الأرض وينهضون معا في القيام بعمل مشترك»<sup>(3)</sup>، وقد ورد ذكر القوم في القرآن الكريم بكثرة، إلا أن أكثر المواضع التي ورد فيها كانت في سياق الحديث عن دعوة الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم، كما أن ورود القوم كان على الأكثر إشارة إلى صفة غلبت عليهم نحو: "لا يفقهون" "قوم مسرفون" "كافرين" "قوم يفرقون" "لا يؤمنون" "قوم مجرمين" "قوم منكرون" "قوم سوء فاسقين" "تجهلون"، ونجد أن انتساب كل قوم إلى نبي ورسول الغرض منه تمييز الأقسام بعضهم عن بعض وليس دلالة عن الإتيان والاستجابة لدعوتهم.

<sup>1</sup>: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، 259/26.

<sup>2</sup>: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، 1422هـ، 2001م، 386/21.

<sup>3</sup>: علي شريعتي، الأمة والإمامة، مرجع سابق، ص42.



#### رابعاً: الطبقة

الطبقة مجموعة من أبناء الإنسان تتشكل على أساس طريقة الحياة، أو نموذج المهنة، أو الأنشطة الاجتماعية، أو السلالة، أو الأسرة، أو عوامل أخرى تعتبر ذات أهمية خاصة في المجتمع<sup>(1)</sup>.

يتمثل الفارق الأساسي بين الأمة والمصطلحات المتقدمة في الأمر الجامع، فمجملة المصطلحات يقوم اجتماعها على أمر مادي، ونمط معيشي فرضته طبيعة التركيبة النفسية، وخصوصية الزمان والمكان للأفراد والجماعات، وبذلك فهو لا يرتقي لاحتضان البشرية جمعاء؛ بل يقتصر على مجموعة بشرية معينة بذاتها ولا يتواءم مع غيرها، وكثيراً ما يخضع تفسير الحياة عندها انطلاقاً من هذه العوامل المكونة لهذا التجمع، ولا تخضع هذه الأمور الجامعة للكيان البشري للثبوت بل خاضعة للتحول، قابلة للتطور.

#### خامساً: المجتمع

يتحقق بناء المجتمع بعوامل تتفاعل فيما بينها، تتمثل أساساً في وجود الأفراد، وترتبط هذه الأفراد صلات وروابط يشتركون فيها، كما أن لمجموع هؤلاء الأفراد نظام يحكمهم ويسير حياتهم ومنهج ينتهجونه، ويختلف هذا النظام حسب المجتمعات الإنسانية وطبيعتها.

وأهم سمات المجتمع نظام "الحركة"، و لهذه الحركة نقطة بداية وانطلاق، كما أن هذه الحركة طبيعتها هي العامل الأساسي في التفرقة بين (المجتمع)، وبين سائر الجماعات الإنسانية<sup>(2)</sup>.

فالمجتمع هو صفة الجماعة الإنسانية «عندما تشرع في الحركة، أي عندما تبدأ في تغيير نفسها من أجل الوصول إلى غايتها»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر: محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006م، ص57.

<sup>2</sup>: مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر الجزائر- دار الفكر دمشق، ط3، 1406هـ، 1986م، ص17، 18.

<sup>3</sup>: مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص18.

وما يميّز بين حركة المجتمعات الإنسانية الغايات التي تتحرك من أجل تحقيقها. وقد ارتبطت المجتمعات بالأوطان وشكلت بذلك تمايز في الهويات تتحكم فيها معايير اللغة والعادات والتقاليد والتاريخ المشترك بين أفرادها. أما الأمة فإنها تتميز عن المجتمعات باعتبارها الهوية الأم التي تنصهر فيها جميع المجتمعات الإسلامية على تباين هوياتها.

### سادسا: الجماعة

تأخذ الجماعة نفس المعنى اللغوي "جمع" الذي يعني ضمّ الشيء بتقريب بعضه من بعض<sup>(1)</sup>، و« جمعت الشيء إذا جنّنت به من ههنا وههنا»<sup>(2)</sup>. والجماعة تتضمن تجمّع الناس على أمر ما، وهذا الأمر هو الذي يميز الجماعات بعضها عن بعض، وينطبق هذا على الجماعات الإسلامية أيضا، لأن كل جماعة يجمعها تصوّر معين للدين، وفهم خاص ومنهج متباين بينها. ولا شك أن الجماعة هي اللبنة الأولى ونواة الأمة؛ إذا ابتدئ أمر الأمة من تجمع الأفراد حول أمر ما، ويكون هذا الأمر عامل استقطاب عن طريق دعوة أفراد الجماعة الناس إليه، فيكبر عدد الجماعة ليصبح مجتمعا ليرتقي إلى أن يصبح أمة، إلا أن الأمر الذي ينبّه عليه أن الجماعة التي تملك فاعلية الاستقطاب لتكون الأمة هي "الجماعة الأم" التي تحمل جوهر القرآن وروح النبوة في احتضانه للإنسانية، وهذا الحال نجده تماما في إطار بداية الدعوة المحمدية، فكان الأمر الجامع هو الرسالة والعقيدة والقرآن الكريم.

وعند تأملنا في مصطلح الأمة والجماعة نجد أن الأمة هي المصطلح الأوسع والأقدر استيعابا واحتضانا للناس من الجماعات، فالجماعات البشرية هي التي تستمد خصوصياتها من الأمة وليست الأمة التي تستمد سماتها وخصوصياتها من الجماعات. لأن الأمة في أساسها فكرة قائمة على عقيدة ربانية ودعوة شمولية عالمية من خصائصها تجاوز الجماعات البشرية إلى أن تكون الوعاء البشري العالمي. كما نجد أن شعور الفرد

<sup>1</sup>: ينظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1/ 1423هـ، 2002م، ص102.

<sup>2</sup>: ابن منظور، لسان العرب، مادة (جمع)، مصدر سابق، 53/8.

وفكره وجهده داخل جماعته ينحصر ويختزل من فكر الأمة العالمية إلى فكر الجماعة، وبذلك يعجز أن يخاطب الإنسانية بلسان العالمية.

### سابعاً: الطائفة

الطائفة من الفعل طوف، وطاف بالقوم وعليهم طوفاً وطوفانا ومطافاً وأطاف، استدار وجاء من نواحيه. و أطاف فلان بالأمر إذا أحاط به، وقيل طاف: حام حوله، طاف بالبيت و أطاف عليه: دار حوله، والطواف بالبيت الدوران حوله، وسميت الطائف طائفاً للحائط الذي بنوه حولها في الجاهلية المحقق بها الذي حصنوها به. والطائف النور الذي يدور حوله البقر<sup>(1)</sup>. ومن خلال المعنى اللغوي يتبين أن الطائفة مجموعة من الناس تقل أو تكثر تحوم حول أمر معين أو فكرة تدور حولها، أو حال معين، معرفةً بمعتقداتها سواء داخل الإسلام أو خارجه.

والاستعمال القرآني للطائفة يبرز لنا أن الطائفة مجموعة من الناس تدور حول حال أو فكرة أو أمر معين. والطائفة تكون أقل من الفرقة ومن الأمة لقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ [سورة التوبة: 122]، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة»<sup>(2)</sup>.

ومن أبرز المصطلحات التي نشأت عن مصطلح الطائفة "الطائفية" التي تعني «نظام سياسي اجتماعي يركز على معاملة الفرد كجزء من فئة دينية تتوب عنه في مواقفه السياسية، والطائفية تتحكم بحياة الفرد الشخصية وتحكمه وفق قوانينها وشرائعها الدينية كما يقوم النظام الطائفي على التمييز بين المواطنين ومنح الامتيازات لفئة منهم دون أخرى حسب ترتيب الأولوية الطائفية»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر: ابن منظور، مرجع سابق، مادة (طوف)، 227/9.

<sup>2</sup>: رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، رقم(1920).

<sup>3</sup>: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1993م، 3/ص745.

### ثامنا: الفرقة

الفرقة من "الفرق" الذي خلاف "الجمع"، والفرقة مصدر الافتراق، وفي الحديث تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة<sup>(1)</sup>، وبناء على هذا فإن الفرقة مجموعة الناس التي تنفرد عن الأمة.

ومن ذلك أخذ مصطلح الفرقة الصبغة الدينية، فتواتر هذا الاسم على الألسن ب"الفرق الإسلامية" وكذلك غلبت عليه مصطلحات مختلفة تصب في معناه مثل: "الملل" و"النحل" و"الأهواء"، والأمة هو المصطلح الأنموذج الأمثل الذي يعرضه القرآن للمسلمين في خاصية الخيرية والوسطية والشهادة على الناس، في حين لا ترتقي الفرق الإسلامية لتكون الوعاء الشمولي الذي يتسم باحتواء جميع المسلمين أيًا كان انتمائهم أو توجههم الفكري والعقائدي، كما أن الركون لتجزؤ الأمة إلى فرق والانتماء إلى هذا العارض الأخير والاستسلام له إنما هو تكريس لفرقة الأمة ومن أكبر العوائق في طريق بناء الأمة على المنهجية المعرفية للقرآن.

### تاسعا: العرق

العرق عبارة عن جماعة من أفراد الإنسان تتشابه وتتشترك في خصوصيات بدنية كالشكل واللون والدم<sup>(2)</sup>، وهو مفهوم يتم من خلاله تصنيف المجموعات البشرية إلى أعراق متباينة التركيب، وجملة هته الأعراق البشرية على اختلافها هي العنصر المكوّن للأمة إذ هي المحور الأساس في الكون الذي يتركز عليه مضمون الوحي والقرآن في مجمل غاياته يتضمن الإحاطة بالنفس الإنسانية وما يصلحها ويؤهلها لأن تكون الأنموذج الأصلح لخلافة الله في الأرض، إلا أنه قد يتخذ الإنسان هذه الاختلافات العرقية بسبب غياب التصور الصحيح للحياة وغايات وجوده عائقا كبيرا في بناء الأمة فحين « يحمل مفهوم الأمة بتلك الخصائص العرقية والإقليمية بحيث تغطي على خصائص العالمية

<sup>1</sup>: رواه الحاكم في المستدرک، کتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، ذكر مناقب عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه، رقم(6325)، ينظر: المستدرک على الصحيحين للحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ، 1990م، 631/3.

<sup>2</sup>: ينظر: شريعتي، الأمة والإمامة، مرجع سابق، ص43، 44.

والشمول فيها، أو تختزل فيها تلك الخصائص، أو تغير في المفهوم الشامل أي تغيير جزئي أو كلي، فإن هذا يشكل أعرافا لا تقبلها طبيعة هذه الأمة، وقد تخرج بها عن صفتها الأساسية أمة مسلمة»<sup>(1)</sup>.

### عاشرا: الوطن

يأتي الوطن في اللغة بمعنى هو المنزل الذي تقيم به، وهو موطن الإنسان ومحله و أوطنت الأرض ووطنتها توطينا واستوطنتها أي اتخذتها وطنا<sup>(2)</sup>، وفي الاصطلاح الوطن: «مولد الرجل والبلد الذي هو فيه»<sup>(3)</sup>، وهو الحيز الجغرافي من الأرض الذي يعيش عليه الشخص، وهو أحد العناصر المكونة لهويته.

وتتداخل الوطنية في مفهومها مع الوطن بشكل كبير وهي: «تعبير قومي يعني حب الشخص وإخلاصه لوطنه، ويشمل ذلك الانتماء إلى الأرض والناس، والعادات والتقاليد، والفخر بالتاريخ والتفاني في خدمة الوطن»<sup>(4)</sup>.

يتخذ الوطن في الأمة موقع جدّ هام إذ هو الأرضية التي يتفاعل فيها الإنسان مع الفكرة الدينية وتشع فيه العقيدة وتثمر، إلا أن الأمة تتجاوز بحركتها الأماكن والرقع الجغرافية، عبر الأزمان لتتفي بذلك قضية التفاضل بين الأماكن والأجناس والأقوام والأعراق، مثبتة بذلك أن الخطاب الرياني خطاب عالمي للإنسانية جمعاء وإن ابتدأ الأمر بمكة وبالعرب فإن ذلك كان لحكمة مقصودة. وعلى هذا نجد في مجريات السجل التاريخي أن شتى الأماكن والأجناس أسهمت في الإشعاع الحضاري للأمة الإسلامية.

وإن ارتباط الأمة ببعض الأماكن إنما يكون على سبيل الارتباط العقيدي لا ارتباطا وطنيا تاريخيا فحسب، وبناء على هذا تصبح هذه الأماكن -مكة والمدينة وبيت المقدس-

<sup>1</sup>: طارق البشري، مشكلتان في القراءة، تقديم: طه جابر العلواني، دار القارئ العربي، القاهرة، ط1، 1413هـ، 1992م، ص66.

<sup>2</sup>: ابن منظور، لسان العرب، مادة (وطن)، مرجع سابق، 451/13.

<sup>3</sup>: الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ط، د.ت)، ص212.

<sup>4</sup>: الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1419هـ، 1999م، 113/27.

موروثا عقيديا للأمة أجمعها لا يختص بأهلها ولا بمن ولد فيها وأقام بها، كما تعمل هذه الأماكن على إخراج شعور الأفراد والجماعات من الانتماء إلى الدائرة الضيقة للوطن إلى الانتماء إلى الأمة ليصبح العالم الإسلامي بأقطاره وأوطانه موئل كل المسلمين.

بعد أن قدمنا لكل مصطلح مفهومه الذي ينطوي عليه، والكشف عن الفارق الأساسي بينه هته وبين لفظ "الأمة"<sup>(1)</sup> الذي آثره القرآن الكريم ليكون السمة الوحيدة المرافقة للكيان البشري المسلم الذي يقدمه القرآن كنموذج مثالي للبشرية في الوسطية والخيرية والشهود، نخلص إلى أن الأمر الجامع في مفهومها يتجلى في الأمر العقيدي والغيبى المهيم على كيان المسلم حيث يتميز بالثبات لكونه متعلق بالخطاب الإلهي، والذي يتمحور في مجمله على عنصر "الإنسان" باعتباره العنصر الأساسي في الأمة والذي يتميز بالاستعدادات الفطرية المودعة فيه التي تتجاوب مع الأمر الإلهي تلقيا وتسليما له وعملا به -الأمانة كما يصفها القرآن- ليرتقي لمنزلة الكمال الإنساني.

وعليه فالأمة جامعها يحتضن كامل البشرية باعتباره أمر علوي وخطاب إلهي يتسم بالشمول والثبات والصلاحية لكل المستويات البشرية، وهذا ما يفضي على الأمة خاصية الاستقطاب مما يجعل "مركز جاذبية"، أو مركز ثقل بشري حيوي يشد إليه وحداته الداخلية -فرادى وجماعات- دون أن تفقد هوياتها، كما أنه يجذب نحوه مفردات جماعية من خارج إطاره<sup>(2)</sup>. ومن ذلك يصبح "أمة" الوعاء الحاضن لرسالة الإسلام التي تخاطب كافة الإنسانية وبها ترتقي للعالمية. ولا يفهم أن الأمة تهمل العناصر التي تكونت منها المصطلحات الأخرى بل تحويها وتتجاوزها إلى ما هو غاية اشرف من الانحصار فيها وجعلها هي الهدف ذاته، كما لا تعتمدها كأساس للوصول إلى الكمال الإنساني، بل تجعل الخطاب الإلهي هو الذي يرتقي بالإنسان إلى مقامات مثلى تؤهله لحياة أخروية تليق به كخليفة في الأرض، في حين لا تخوّل العناصر الأخرى الإنسان لإحراز هذا المعلى من المقام.

<sup>1</sup>: والأمة هنا يراد بها الأمة الإسلامية كمركب إضافي يتميز بخصائص، وليس أمة كمصطلح مجرد، لأن ذلك يقدم لنا فوارق يمكن أن نعتمدها في المقارنة.

<sup>2</sup>: ينظر: منى أبو الفضل، الأمة القطب، مرجع سابق، ص 63.

## الفرع الثالث: نظرة القرآن للأمة الإسلامية

في إطار ما يبرزه القرآن من أهمية وجود النفس الإنسانية وموقعها في الكون، نجد حديثه عن الفئة المؤمنة التي هيمنت على حركتها فاعلية الوحي والتي أعطاها بعدها الحقيقي وقيمتها وجودها بين الإنسانية، وقد تجلت هذه القيمة في ما عرضه القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [سورة الأنفال: 73].

وقد سبقت هذه الآية قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [سورة الأنفال: 72].

ذلك أن سبحانه أمر المجموعة العربية القرشية، المؤمنة المسلمة التي انفتحت حول رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووضعت يدها في يده، اضطرت إلى أن تغادر وطنها وتأوي إلى هذه المدينة الطيبة..، فأمر الله سبحانه وتعالى بالتآخي بين هؤلاء المؤمنين الغرباء الطرداء، المساكين البؤساء، الذين جاؤوا من مكة. وبين من آمن من أهل المدينة الكرماء وهم قلة كذلك<sup>(1)</sup>، وقد خاطب سبحانه هذه الفئة القليلة المستضعفة بقوله: ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [سورة الأنفال: 73]، أي: إذا قصرتم في هذا التآخي، إذا قصرتم في تكوين المجتمع الإسلامي، والحياة الإسلامية الصحيحة. وفي تعميق جذور الإيمان في قلوبكم ونفوسكم، وإذا قصرتم في أداء الواجب الإنساني الذي يرتبط به مصير الإنسانية، وهذا ما ذهب إليه الندوي في تأمله لهذه الآية الكريم<sup>(2)</sup>.

فلم يكن هذا الخطاب للرومان الذين سيطروا على نصف الأرض، والذين كانوا يتمتعون بأكبر إمبراطورية، ولا للفرس الإيرانيين الذين كانوا توزعوا في بسط نفوذهم بالاستيلاء على الأرض المعمورة، وقد كان هؤلاء الفرس والروم هم المؤثرين في مسيرة الإنسانية،

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، بين نظرتين: النظرة القرآنية والنبوية إلى الأمة الإسلامية ونظرة المسلمين أنفسهم إلى أنفسهم،

المطبعة الندوية، الهند، ط2، 1410هـ، 1989م، ص10.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص12.

وهم الذين كانوا يسيرون سفينة الحياة وسفينة الحضارة، وهم الذين كانوا يتصرفون في وسائل الأمم وفي أوضاع العالم<sup>(1)</sup>.

فهذه هي «قيمة الأمة المسلمة حين كانت في عدد المئات، في عدد ألف وألفين، هذا هو التصوير، وإعطاء هذه المجموعة هذا الوزن الكبير، وهذه القيمة الكبيرة، وهذه المكانة الرئيسة في خريطة العالم ومجموع الأمم»<sup>(2)</sup>.

وهذا هو الحجم الكبير الذي تعطي هذه الآية لهذه الأمة، بل لنواة هذه الأمة، إنها كانت صغيرة في القامة كبيرة في القيمة، لأن الجمرة لا ينظر إلى حجمها، وإلى عرضها وطولها، إنما ينظر إلى القوة الكامنة والطبيعة المودعة فيها، والرسالة المنوطة بها، فجمرة واحدة تستطيع أن تحرق مدينة بأسرها..، كذلك الشحنة الإيمانية التي أودعت في هؤلاء المسلمين كانت كفيلة بإنارة العالم كله<sup>(3)</sup>.

فالقرآن الكريم هنا نجده قد ربط مصدر الفساد في فقدان الرابطة الإيمانية وغياب أنموذج الأمة الشاهدة على مستوى الواقع الإنساني.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، تأملات في القرآن الكريم، مصدر سابق، ص 44.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، ص 45.

<sup>3</sup>: الندوي، بين نظريتين، مصدر سابق، ص 14.



## المطلب الثاني: معاني ودلالات "أمة" في القرآن الكريم وعلاقتها بالملة الإبراهيمية والبيت الحرام

تضمن هذا المطلب الإحاطة بجملة المعاني والدلالات لمصطلح "أمة" في القرآن الكريم، كما تضمن إبراز العلاقة بين الأمة المسلمة والملة الإبراهيمية والبيت الحرام لأهمية هذين الأخيرين في إعطاء الأمة المسلمة مفهوم خاص، فكان المطلب في ثلاثة فروع، الأول في مجموع المعاني والدلالات، والثاني في علاقة الأمة المسلمة بالملة الإبراهيمية والثالث في علاقة الأمة المسلمة بالبيت الحرام.

### الفرع الأول: مجموع معاني ودلالات "أمة" في القرآن الكريم

ترد كلمة "أمة" في أربع وستين موضعاً من آي القرآن الكريم، وقد شملت دلالات كثيرة<sup>(1)</sup> وتشمل عدة أوجه منها: "العصبة والجماعة"، "الملة والطريقة"، "السنين أو الأجل"، "قوم"، "إمام"، "الأمم الخالية"، "أمة محمد"، "الخلق من الأجناس الأخرى"، "الكفار خاصة".

### أولاً: الملة والدين

قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [سورة الزخرف: 23]، وقد صارت "الأمة" هنا بمعنى الملة والدين لأنهما سبب لاجتماع الناس عليهما، فهي جامعة لهم، فالملة: الأمر المجتمع عليه دنياً<sup>(2)</sup>، وكذا الدين لأنه سبب لاجتماع الناس عليه، والأصل أنه يقال للقوم يجتمعون على دين واحد: أمة، فنقام الأمة مقام الدين، ولهذا قيل للمسلمين: أمة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنهم على أمر واحد قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [سورة الأنبياء: 92]، مجتمعة على دين وشريعة.

<sup>1</sup>: ينظر: الداغاني، إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت ط 4، 1983م، ص 42-44، وينظر: مقاتل بن سليمان البلخي، الوجوه والنظائر في القرآن العظيم، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مركز جمعة ماجد للثقافة والتراث، دبي، ط 1، 1427هـ، 2006م، ص 4، وينظر: الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط 3، 1416هـ، 1996م، 80، 79/3.

<sup>2</sup>: ينظر: الترمذي، تحصيل نظائر القرآن، تحقيق: حسن نصر زيدان، دار السعادة، القاهرة، ط 1، 1389هـ، 1969م، ص 82.

### ثانيا: الأجل والحين

تأتي الأمة بمعنى الأجل والدين، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ آخِرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ [سورة هود:8]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [سورة يوسف:45] أما دلالة الأمة على السنين والحقبة من الزمن فلاجتماع الأيام والشهور في سنين كثيرة<sup>(1)</sup>.

### ثالثا: الإمام والرجل الذي يقتدى به

ورد هذا المعنى في شخصية سيدنا إبراهيم عليه السلام، كقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة النحل:120]، وأريد به سيدنا إبراهيم عليه السلام لاجتماع خصال الخيرات فيه ومن ذلك: "الوفاء" و"الشكر" و"الصبر"، و"الإيمان"، و"الإسلام" و"الحنيفية"، و"القنوت"، و"الهدى"، و"الاجتباء"، و"الأواهيبة"، و"الإنابة" و"البركة"، و"الاصطفاء"، و"الحلم"، و"اليد"، و"البصر"، و"الحكم"، و"النبوة"، و"الرسالة"، و"الخلعة"، و"سلامة القلب" و"الصديقية"، و"ثناء الرب عليه"، و"الحجة"، و"الصلاح والرشد" و"الإحسان" و"الإخلاص" وكل ذلك مذكور في التنزيل<sup>(2)</sup>، و هو «الإمام الذي يقتدى به الناس، لأنه ومن اتبعه أمة، فسمي أمة لأنه سبب الاجتماع، وقد يجوز أن يكون سمي أمة: لأنه اجتمع عنده من خلال الخير ما يكون مثله في أمة-أي بقدر ما يكون في الأمة من خيره يكون مختزلا فيه- ومن هذا يقال: فلان أمة وحده، أي: هو يقوم مقام أمة»<sup>(3)</sup>، ومن هذا قد يجتمع معنى الأمة في الفرد لخصوصية الشخصية وانفرادها بجملته من المقومات قد تتسع لأمة بأجمعها، ولذلك نجد أن القرآن الكريم قد تجاوز معيار الكم في إطار الحديث عن شخصية إبراهيم عليه السلام تأكيدا للبعد الروحي العقيدي والقيمي الذي يرقى بالفرد إلى مقام الأمة لما يمثله من الصفات الأنموذجية المثالية التي ترفع الأمة إلى مقام الاصطفاء والخيرية، ولا شك أن هذا الأمر ينطوي على شخص الأنبياء

<sup>1</sup>: الترمذي، تحصيل نظائر القرآن، مرجع سابق، ص83.

<sup>2</sup>: ينظر: المرجع نفسه، ص83.

<sup>3</sup>: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة ط2، 1393هـ، 1973م ص445.

والمرسلين عليهم السلام ولمن انتهجوا نهجهم في القيام على الرسالة الخالدة، والإمامة صفة تتسم بها الأمة الإسلامية، فهي إمام الإنسانية كنموذج للاقتداء بها - إن حققت شروط الخيرية- ولذا وصفها ربنا في قوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران:110].

#### رابعاً: الأمم السابقة

قال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [سورة يونس:47]، وقد ورد ذكر الأمم السابقة في إطار الحديث عن الأنبياء ودعوتهم، فكل نبي ورسول مع قومه "أمة" على حدة، وتتعدد الأمم بتعدد الرسل والرسالات والمناسك، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ﴾ [سورة النحل:36]، وقوله: ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾ [سورة الحج:67].

والقرآن في جملة ذلك يشملهم بالذكر سواء على صلاحهم أو فسادهم قال تعالى: ﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ أَصْلِحُوا وَبَلَّغُوا لِكُلِّ أُمَّةٍ رِّسَالَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [سورة الأعراف:168]. ﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ [سورة الأعراف:160]، والتقطيع في الآية ليس من قبيل الذم أو العذاب، لأن التقطيع منة من الله، وهو من محاسن سياسة شريعة سيدنا موسى عليه السلام<sup>(1)</sup>، والأمم التي تمّ ذكرها في القرآن لا تخرج عن أحوال ثلاث: الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق للخيرات، ولعلّ أهم ما يمكن أن نستخلصه من أحوال الأمم الغابرة التي تمّ ذكرها في القرآن هو مجموع السنن التي حكمتها وذلك ما شملته نص الآية: ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [سورة فاطر:43].

#### خامساً: المخلوقات الأخرى غير الإنسان

قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ [سورة الأنعام:38]، ومعنى أمثالكم أي أن «لها خصائص لكل جنس ونوع منها، كما لأمم البشر خصائصها، أي جعل الله لكل نوع ما به قوامه وألهمه إتباع نظامه وأن لها حياة

<sup>1</sup>: ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، 142/9.

مؤجلة لا محالة»<sup>(1)</sup>. ولعلّ الغرض من ذكره سبحانه جملة المخلوقات الأولى في هذا السياق « دلالة على عظم قدرته، ولطف علمه، وسعة سلطانه، وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الأجناس، المتكاثرة الأصناف، وهو حافظ لما لها وما عليها، مهيمن على أحوالها، ولا يشغله شأن عن شأن، وأن المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان»<sup>(2)</sup>، ولا يقصد بالمماثلة التشابه التام لأن المخلوقات الأخرى تخضع حياتها لمقتضى التكوين الغريزي، والإنسان قائم على المقتضى التكليفي، وعليه تصبح المماثلة في قوله "أمثالكم" التشابه في فصول الحقائق والخاصات التي تميز كل نوع من غيره، وهي النظم الفطرية التي فطر الله عليها أنواع المخلوقات، فالدواب والطيور تماثل الأناسي في أنها خلقت على طبيعة تشترك فيها أفراد أنواعها وأنها مخلوقة لله معطاة حياة مقدرة مع تقدير أرزاقها وولادتها وشبابها وهرمها، ولها نظم لا تستطيع تبديلها<sup>(3)</sup>، وإطلاق أمة على كل جنس حيّ دون الإنسان يكون على وجه المجاز، أي مثل الأمم لأن كل نوع منها تجتمع أفراده في صفات متحدة بينها أما واحدة، وهو ما يجمعها<sup>(4)</sup>.

#### سادسا: القوم

تأتي الأمة بمعنى القوم في قوله تعالى: ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ [سورة النحل: 92]، يعني: قوما يكونون أربى من قوم؛ أي: أكثر عدداً، ومنه الربا؛ لأنه زيادة في أصل المال<sup>(5)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة يونس: 48]، ومعنى ذلك أن يبعث إليهم لينبهم على التوحيد ويدعوهم إلى دين الحق، أو لكل أمة من الأمم يوم القيامة رسول تنسب إليه وتدعى به<sup>(6)</sup>.

وقد يطلق على كل قوم أمة كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْبِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل: 36]، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [سورة الرعد: 7]، فالآيتين دللتا على أن كل قوم بعث

<sup>1</sup>: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، 213/1.

<sup>2</sup>: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1418هـ، 1998م، 343/2.

<sup>3</sup>: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، 217/7.

<sup>4</sup>: ينظر: المرجع نفسه، 216/7.

<sup>5</sup>: العسكري، تصحيح الوجوه والنظائر، مرجع سابق، ص34.

<sup>6</sup>: ينظر: الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، 147/3.

إليهم نبي أمة على حدة، كما يطلق لفظ "أمة" كذلك على "الطائفة" من القوم كقوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [سورة الأعراف: 109]، ولعل اتصاف هذه الفئة بـ: "أمة" لتمييزها عن باقي القوم بسمتين أوضحتها الآية: ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ فلم يراعى إطلاق الأمة هنا معيار الكم، وإنما معيار الحق والقيام عليه وهو فضيلة وقيمة عليا.

سابعا: أمة محمد صلى الله عليه وسلم

ورد لفظ "أمة" بمعنى امة محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: 110]، ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [سورة البقرة: 143].

الملاحظ على مجموع المعاني لمصطلح "أمة" في القرآن الكريم أنها لم تخرج في مضمونها عن أربع استعمالات:

الأول: البرهة من الزمن.

الثاني: الشريعة والطريقة.

الثالث: الإمام والرجل المقتدى به.

الرابع: الجماعة من الناس، وهو الاستعمال الغالب.

نخلص -مما سبق- إلى أن معاني الأمة في القرآن تنحصر في أمور أربعة تعد العناصر الضرورية المكونة للأمة المسلمة في القرآن الكريم وهي: "الجماعة من البشر"، و"عنصر الزمن"، "الشريعة والطريقة" وهي ملة الإسلام. و"القيادة" المتمثلة في الإمام والرجل المقتدى به، إذ يمكن توضيحها بالمعادلة التالية:

الأمة = اجتماع بشري + الزمن + الملة + القيادة

وكذا أن مواطن ورود الأمة في القرآن الكريم تتضمن في مجموعها معنى "القصد" و"الاجتماع"، وهذا المعنى لا يحمل في ذاته جانبا من المدح أو الذم أو خصيصة معينة؛

إلا إذا قرن بصفة أو إضافة تضيف عليه معنى مميزا خاصا وذلك ما نجده في إطار الحديث عن الأمة الإسلامية ك: "أمة مسلمة" "كنتم خير أمة" ولتكن منكم أمة".

### الفرع الثاني: علاقة الأمة الإسلامية بالملة الإبراهيمية

تعتبر بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم أول خطوة في نشوء الأمة الإسلامية وكان ذلك تحقيقا واستجابة لدعاء أبينا إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ [سورة البقرة: 128].

كما أن سيدنا إبراهيم عليه السلام لا يمثل شخصية عابرة، والقرآن الكريم لا يقدم مركزية شخصية سيدنا إبراهيم في الأمة المسلمة من جانب الدعاء فحسب، بل يصطفيه ليكون الأنموذج المثالي في المقومات التي ترتكز عليها الأمة المسلمة في انطلاقها الحضارية، وهذا ما جعل منه أمة.

يتجلى في شخصية سيدنا إبراهيم أمران اثنان هما " القيادة والقدوة " وذلك ما عبّر عنه القرآن ب: "الإمام" و"الأسوة" في قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ [سورة الممتحنة: 4]، وقوله: ﴿ وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [سورة البقرة: 124]. ولما كان أمر القيادة والقدوة لا بد منه في مسيرة الأمة المسلمة أضاف عليه السلام رمزية القدوة والقيادة وما يستند إليه من عمل في الأمة وهذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ [سورة البقرة: 129].

### أولا: مفهوم الملة

جاء في لسان العرب الملة: الشريعة والدين؛ والملة: الدين؛ كملة الإسلام والنصرانية واليهودية، وقيل هي معظم الدين، وجملة ما يجيء به الرسل<sup>(1)</sup>. والملة في القرآن الكريم ترد في «خمسة عشر موضعا، أربعة عشر منها ورد فيها معرفة بالإضافة، نحو: "ملة إبراهيم"، "ملة قوم"، "ملتنا"، "ملتكم"، "ملتهم"، ووردت معرفة بـ "ال"

<sup>1</sup>: ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، مادة (ملل)، 631/11.

ومقيدة بصفة " الملة الآخرة"، وقد جاءت "الملة" في مجموع الآيات لهذه المواضع بمعنى الدين، وما يحدد نوع الدين في كل موضع، هو ما أضيف إليه اللفظ، أو وصف به»<sup>(1)</sup>، ومن هنا تأتي الملة بمعنى الدين الحق والتوحيد الخالص وذلك كقوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة يوسف: 38]، كما تأتي بمعنى الكفر والضلال كقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبْعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [سورة البقرة: 120].

ويأتي الحديث عن الملة الإبراهيمية في سياق عرض إبطال دعاوى اليهود والنصارى في الهدى ودخول الجنة، فكان قولهم: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ [سورة البقرة: 111]، وقولهم: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرَى تَهْتَدُوا﴾ [سورة البقرة: 135]، ويقرر القرآن بعد ذلك الحقيقة جاعلا من الملة الإبراهيمية السبيل الوحيد للهداية ودخول الجنة ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة البقرة: 135]، وقام هذا التقرير بعد إبطال دعوى اليهود والنصارى في كون إبراهيم عليه السلام يهوديا أو نصرانيا ﴿أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصْرَى قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة البقرة: 140]، ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة آل عمران: 65]، ويأتي النفي المطلق بعد هذا الحجاج ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة آل عمران: 67].

يتضمن الحنف معنى الميل، فحنف عن الشيء وتحنّف: مال، والحنيف: المسلم الذي يتحنّف عن الأديان أي يميل إلى الحق، وقيل: هو الذي يستقبل قبلة البيت الحرام على

<sup>1</sup>: حميدي عبد الكبير، مفهوم الأمة في القرآن والحديث، دار السلام، المغرب، ط1، 1431هـ، 2010م، ص203.

ملة إبراهيم<sup>(1)</sup>، والميل عن الباطل استقامة، وكان الميل مدحا للملة لأن الناس يوم ظهور إبراهيم كانوا في ضلالة عمياء ف جاء دين إبراهيم مائلا عنهم فلقب بالحنيف<sup>(2)</sup>.  
والقرآن بعد أن تولى إبطال دعاوى اليهود والنصارى وأثبت أحقية الملة الإبراهيمية في الإتيان؛ طالب الأمة المحمدية بإتباعها والقيام عليها في ظل الصراع القائم بين الملة اليهودية والملة النصرانية قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِبَعَتِ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [سورة البقرة: 120].

### ثانيا: خصائص الملة الإبراهيمية

للملة الإبراهيمية مجموعة خصائص ذات أهمية بالغة في حياة الأمة المسلمة، وللوقوف عليها وجب النظر والتأمل في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام على اختلاف ورودها في القرآن الكريم وتكرارها.  
أ- **التوحيد الخالص**: وهو أول ما تتميز به الملة الإبراهيمية، وقد نفى القرآن الكريم عنه الشرك ﴿حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة البقرة: 135]، وقصة إبراهيم عليه السلام تبرز لنا المنهج المثالي في الاستدلال وإقامة الحجج والبراهين عن طريق إعمال العقل في الحسيات والمرئيات لإثبات الحق والحقيقة على وجود الصانع وصفاته التي لا تقبل الأفول وإبطال جملة الاعتقادات الفاسدة، ومن مزايا هذا المنهج النبوي تحرير العقل من قيود الخرافة والانقياد السلبي في جملة تصوراته للأشياء.

وقد «كان العالم في عصر إبراهيم عليه السلام خاضعا للأسباب، واعتمد الناس عليها اعتمادا زائدا، حتى أصبحوا يعتقدون أنها مؤثرة مستقلة قائمة بذاتها..، وكانت حياة إبراهيم ثورة على الوثنيين، ودعوة إلى التوحيد النقي الخالص، وتحقيقا لقدرة الله الواسعة المحيطة بكل شيء وأنه يخلق من عدم، وأنه يخلق الأسباب ويملكها، ويفصل الأسباب

<sup>1</sup>: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حنف)، مرجع سابق، 57/9.

<sup>2</sup>: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، 737/1.



عن المسببات، وينتزع عن الأشياء خواصها، وطبيعتها، ويستخرج منها أضرارها، ويسخرها لما يشاء ومتى يشاء»<sup>(1)</sup>.

ومن جملة ذلك من الآي الكريم قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَأَزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَخَافُكَ وَأَخَافُ أَخِي وَوَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۗ ﴾ (٧٤) وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ۗ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَأَحِبُّ الأَفْلَاقَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُرِيدُ أَنِ يَكْفُرَ بِئِيَّ ءِمَّا تَشُرِّكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة الأنعام: 74-79].

ويرسم «السياق القرآني في هذه الآيات.. مشهد الفطرة وهي -للوهلة الأولى- تتكرر تصورات الجاهلية في الأصنام وتستنكرها، وهي تنطلق بعد إذ رفضت عنها هذه الخرافة في شوق عميق دافق تبحث عن إلهها الحق، الذي تجده في ضميرها، ولكنها لا تتبينه في وعيها وإدراكها، وهي تتعلق في لهفتها المكنونة بكل ما يلوح أنه يمكن أن يكون هو هذا الإله! حتى إذا اختبرته وجدته زائفاً، ولم تجد فيه المطابقة لما هو مكنون فيها..»<sup>(2)</sup>، وكان من سبيل دعوته عليه السلام إرشاد قومه إلى منهج التأمل والنظر والاستدلال تدرجا إلى إدراك الحقيقة المطلقة وهي وجود الخالق الذي يتصف بصفات الكمال، الذي لا يعتره الأفول والتغير ولا يطرأ عليه الحدوث والتطور، ويستمر هذا التأييد الإلهي لإبراهيم عليه السلام في مواضع أخرى ولا يختلف منهج استدلاله على وجود الخالق وتفرد بصفات الكمال والقدرة المطلقة والتصرف في شأن المخلوقات ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ المَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ المَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة البقرة: 258].

<sup>1</sup>: الندوي، الأركان الأربعة (الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج) في ضوء الكتاب والسنة مقارنة مع الأديان الأخرى، دار الكلمة، مصر، ص 240.

<sup>2</sup>: سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط32، 1423هـ، 2003م، 2/1138.

ب- ملة الإيمان والاطمئنان: وهذا ما نلاحظه من طلب الزيادة في الإيمان واستقرار القلب وثباته في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِمُتَّوَمِّنٌ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۗ﴾ [سورة البقرة: 260]. وطلب إبراهيم عليه السلام لا يفيد أن شكاً وقع في قلبه لأن ذلك منفي عن مقام النبوة، وأمر الإحياء والإماتة ثابت راسخ في نفس إبراهيم، والسؤال عن الكيفية لا يفيد وقوع الشك، وذلك مما أكدّه عليه السلام بعد نفي السؤال من قبله ﴿قَالَ بَلَىٰ ۗ﴾ ويتم تبرير الطلب بعد ذلك أيضاً ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۗ﴾ أي: ليزيد سكونا وطمأنينة..، وتظاهر الأدلة أسكن للقلوب، وأزيد للبصيرة واليقين<sup>(1)</sup>.

ج- كمال الحب والانقياد لله: وتبرز هذه الصفة التي خصّ بها إبراهيم عليه السلام في إيثاره الأمر الإلهي على عاطفة البنوة، وذلك ما يوحيه المقطع القرآني: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۗ قَالَ يَا بَنِيَّ أَفْعَلْ مَا تُؤْمِرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۗ﴾ [سورة الصافات: 102]، والتعبير القرآني يقدم أدق الصور في ذلك وهذا ما نلمسه في مفردة "السعي" إذ تعد هذه المرحلة أشد فترات تعلق العاطفة الأبوية بالبنوة، وهنا يتلقى عليه السلام الأمر بذبح الولد، وتتمام القصة تقدم صورة في غاية الانقياد والتسليم من الوالد والولد سواء، وتمّ الاختبار «ووقع ما أَرَادَهُ اللهُ، فلم يكن المقصود ذبح إسماعيل، إنما المقصود ذبح الحب الذي يناع الحب الإلهي و يقاسمه»<sup>(2)</sup>.

والملة الإبراهيمية هي الملة التي تصارع الباطل بكل قوة واندفاع فلا تترك له، ولا تعرف في ذلك يأساً، وذلك ما أشارت به كلمة "فتى" التي تحمل في رمزيتها القوة والنشاط في قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُٗ إِبْرَاهِيمُ ۗ﴾ [سورة الأنبياء: 59، 60].

والملة الإبراهيمية هي سبيل طهارة القلوب وسلامتها من الأمراض الباطنية، فسلامة القلوب مطلب قرآني، وإبراهيم نموذج قرآني في ذلك، وهو وجه الارتباط بين الآيتين: ﴿يَوْمَ

<sup>1</sup>: سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، 493/1.

<sup>2</sup>: الندوي، الأركان الأربعة، مصدر سابق، ص238.

لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿[سورة الشعراء: 88، 89]﴾، إِذْ جَاءَ رَبَّهُ،  
بِقَلْبٍ ﴿[سورة الصافات: 84].

تعدّ حصيلة ما قدمه سيدنا إبراهيم عليه السلام من منهج تأملي في الكون وطرق استدلالية على وجود صانعه؛ تأسيساً للعلاقة بين الله والكون من خلال الإنسان، و تفعيلاً لوظيفة العقل في إنتاج معرفة كونية شهودية.

لم يقدم القرآن الكريم شخصية سيدنا إبراهيم كأنموذج للدعاة على المستوى الفردي فحسب؛ بل يتعدى ذلك ليقدمه أنموذجاً للأسرة، وهذا ينبهنا على ضرورة جهد المرأة في التضحية وإعداد شخص الداعية، و قد خلد القرآن الكريم سعي أمنا هاجر نموذج المرأة المؤمنة الصابرة المخلصة وتذكيراً منه لأهمية المرأة في بناء الأسرة المسلمة المثمرة للدعاة الرساليين.

إذن فالملة الإبراهيمية تعد مقوماً ذا أهمية بالغة في إعطاء مفهوم الأمة البعد الديني، فلا يمكن تغييره في التأسيس المفاهيمي للأمة، وإن كان هذا الأمر بالأساس مطلب من المطالب القرآنية موجه للمسلمين: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَبِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: 68].

### الفرع الثالث: علاقة الأمة المسلمة بالبيت الحرام

يقترن ذكر البيت الحرام بسيدنا إبراهيم عليه السلام وأعماله؛ من إقامة البيت، وتطهيره، وإسكان ذريته به، ليكون قبلة الأمة المسلمة بعد ذلك.

ونجد كذلك أن البيت يقترن بشعيرة الحج لما له من بعده القيمي الروحي للأمة المسلمة، و«الحج ومناسكه وما يحيط به من ذكريات، وحوادث، وما يلتبس به الحاج من تجرد عن المظاهر، وما يأتي به من عمل ونسك -من إحرام ووقوف، وإفاضة، ورجم وسعي وطواف- تخليد لما اختص به إبراهيم عليه السلام من التوحيد ونفي الأسباب، والتوكل على الله والتفاني في سبيله، وإيثار لطاعته ومرضاته، وتمرد على العادات والأعراف، والمعايير الزائفة والمثل المصطنعة، وتجديد لذلك الإيمان القوي، والحب العميق، والتضحية الفائقة، والإيثار الرفيع»<sup>(1)</sup>، فهو بذلك تذكير للأمة الإسلامية بالملة الإبراهيمية وسبيل لإحياء خصائصها.

<sup>1</sup>: الندوي، الأركان الأربعة، مصدر سابق، ص 241، 252.

إن أبرز قيمة يمثلها البيت الحرام -إذ هو مأوى كل مؤمن ملتجئ لمولاه- هي الرابطة الإيمانية والوحدة الإسلامية التي تتجلى في اجتماع الأمة على «قبلة واحدة تجمع هذه الأمة وتوحد بينها على اختلاف مواطنها، واختلاف مواقعها من هذه القبلة، واختلاف أجناسها وألسنتها وألوانها..، قبلة واحدة تتجه إليها الأمة الواحدة في مشارق الأرض ومغاربها، فتحس أنها جسم واحد، وكيان واحد، وتتجه إلى قبلة واحدة، وهكذا وحدّ الله هذه الأمة، وحدّها في إلهها ورسولها ودينها وقبلتها، وحدّها على اختلاف المواطن والأجناس والألوان واللغات، ولم يجعل وحدتها تقوم على قاعدة من هذه القواعد كلها»<sup>(1)</sup>، وعليه يكون هذا «انتصارا للقومية الإسلامية على القوميات الوطنية والعنصرية واللسانية التي قد تصبح بعض الشعوب فريستها..، فتتجرد جميع الشعوب الإسلامية عن جميع ملابسها وأزيائها الإقليمية التي تتميز بعضها عن بعض»<sup>(2)</sup>.

ويمثل البيت الحرام كذلك الإطار المكاني الذي تتجسد فيه سنة التعارف والإخاء في إطاره الإيماني، لذا فالبيت وما يتضمنه من رمزية ودلالة قيّمية يعدّ الكفيل الوحيد لإعطاء الأمة الصورة الحقيقية التي ينبغي أن تكون عليها من وحدة وتلاحم، وقد كان بناؤه على يد سيدنا إبراهيم وابنه عليهما السلام ليكون مهد الرسالة المحمدية الخالدة، ومنطلق الإشعاع الروحي، ومصدر إشراق الدعوة المحمدية، ومنبع الهداية<sup>(3)</sup>، وقد كان يغتنم عليه الصلاة والسلام مواسم الحج واجتماع الناس لدعوة الوفود من شتى القبائل ك: "بني عبس" و"كندة"،

<sup>1</sup>: سيد قطب ، في ظلال القرآن، مرجع سابق، 1/134.

<sup>2</sup>: الندوي، الأركان الأربعة، مصدر سابق، ص 247.

<sup>3</sup>: وتبقى هذه الميزة للبيت مرهونة ببقاء شيء من البساطة والطبيعة وعلى شيء من التقشف، ويتذكر فيه الوافدون من أنحاء العالم الجوّ الذي كان المسلمون الأولون يقضون فيه مناسكهم، ويشعرون بشعورهم.. أما إذا تغير الوضع وتغيرت المعالم الدينية التي تبعث الإحياء في الأمة وتذكرها بخصائص الملة الإبراهيمية وأعمال النبوة المحمدية وأصبح كما يقول الندوي: «قطعة من أوروبا أو أمريكا، وحلت المدنية الغربية بخيراتها وشرورها، وبأصولها وفضولها، وأصبح الحاج الذي وصفه لسان الشرع "بالشعث الثقل" يتقلب في أعطاف المدنية والنعموة، وينتقل من راحة إلى راحة، ومن تنعم إلى تنعم، ومن حديث إلى حديث، فإنه لا يشعر بشيء جديد قوي يحدث في مشاعره انقلابا، ويشحنه شحنا روحيا» ومن هنا يصبح اجتماع الأمة اجتماعا عقيما لا ينتج غايات منشودة. ينظر: المرجع نفسه، ص 251، 252.

و"بني كعب" و"بني كلب"، و"بني حنيفة" و"بكر"، و"بني شيبان"<sup>(1)</sup>. ويعرض عليهم أمر الإسلام، فكانت بعثته بهذا الأمر إظهار للملة الحنيفية وإكمالاً لخصائصها. ولمكانية البيت الجغرافية حكمة عظيمة وبعد دلالي عميق؛ إذ يتوسط الكرة الأرضية ومركزها وهذا ينسجم مع وظيفة الأمة الإسلامية الرسالية، وما يكسبها فاعلية الاستقطاب<sup>(2)</sup>، وعلى هذا يكون للبيت الحرام جانب من الأهمية في إعطاء مفهوم الأمة المسلمة البعد الديني، لما يلعبه من دور إحيائي لمقوماتها الحضارية عن طريق تجديد للوحدة الإيمانية والرسالية.

<sup>1</sup> ينظر: محمد يوسف الكاندهلوي، حياة الصحابة، (عرضه صلى الله عليه وسلم الدعوة في مواسم الحج وعلى قبائل العرب)، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط1، 1999م، 1420م، 107/1-116.

<sup>2</sup> وقد تناولت الأستاذة منى أبو الفضل هذه السمة، كما جعلتها المعنى الرديف للوسط، ينظر: منى أبو الفضل الأمة القطب، مرجع سابق، ص83.

### المطلب الثالث: خصائص الأمة المسلمة في القرآن الكريم

حوى هذا المطلب جملة خصائص الأمة المسلمة في القرآن الكريم في ثلاثة فروع، الأول في خاصية الوسطية والثاني في الشهود، و الثالث في حركية الأمة المسلمة في القرآن.

#### الفرع الأول: خاصية الوسطية

تعدّ خاصيتنا الوسطية والشهود من أبرز خصائص الأمة الإسلامية التي وصفت بهما في القرآن الكريم، كما نجدهما قد اقترنت إحداها بالأخرى لتكون الأولى وسيلة لتحقيق الثانية، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِئَكُونَ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [سورة البقرة: 143].

والوسط يعطي جملة من المعاني لا تتحقق الشهادة إلا بها، ومن ذلك:

«أن الشاهد على الشيء لا بد أن يكون عارفاً به، ومن كان متوسطاً بين شيئين فإنه يرى أحدهما من جانب وثنائهما من الجانب الآخر، وأما من كان في أحد الطرفين فلا يعرف حقيقة الطرف الآخر ولا حال الوسط أيضاً»<sup>(1)</sup>، ويبرز هذا المعنى أهمية الوسطية لبلوغ منزلة الشهادة على الناس، ويفقدانها لا تفي الأمة حق هذه الشهادة التي كلفت بها.

والوسط أيضاً اسم للمكان الواقع بين أمكنة تحيط به، أو للشيء الواقع بين أشياء محيطة به ليس هو إلى بعضها أقرب منه إلى بعض عرفاء، ولما كان الوصول إليه لا يقع إلا بعد اختراق ما يحيط به أخذ فيه معنى الصيانة والعزة<sup>(2)</sup>، وعليه فإن الوسطية من أهم عواصم الأمة من الانحراف والضياع، والتطرف والمغالاة التي تجعلها تتحرف عن الحنيفية وتسقط في ظلمة الملل الضالّة.

والوسطية مظاهر تجسدها الأمة المسلمة في أرض الميدان، ومن جملة ذلك<sup>(3)</sup>:

<sup>1</sup>: ينظر: رشيد رضا، تفسير المنار، دار المنار، القاهرة، ط2، 1366هـ، 1947م، 4/2.

<sup>2</sup>: ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، 17/2.

<sup>3</sup>: ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، 131/1.

### أولاً: وسطية التصور والاعتقاد

فلا تغلو في التجرد الروحي ولا في الارتكاس المادي، وتعطي لهذا الكيان المزدوج -متطلبات الروح والجسد- حقه المتكامل، كل ذلك بقدر متوازن وتناسق واعتدال.

### ثانياً: وسطية التفكير والشعور

فهي لا تجمد على ما عملت وتغلق منافذ التجربة والمعرفة.. ولا تتبع كل ناعق، إنما تستمسك بما لديها من تصورات ومناهج وأصول، ثم تتظر في كل نتاج الفكر والتجريب قائمة على شعار: الحقيقة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها، في تثبت ويقين.

### ثالثاً: وسطية التنظيم والتنسيق

فلا تدع الحياة كلها للمشاعر، والضمان، ولا تدعها كذلك لتشريع وتأديب، إنما ترفع ضمانات البشر بالتوجيه والتهديب، وتكفل نظام المجتمع بالتشريع والتأديب..، فلا تكلّ الناس إلى سوط السلطان ولا تكلمهم كذلك إلى وحي الوجدان.

### رابعاً: وسطية العلاقات والارتباطات

موفقة في ذلك بين وظيفة الفرد تجاه الجماعة والأمة، والأمة والجماعة تجاه الفرد، ضامنة لحقوقه، محققة لوجوده في حركة ونماء وفعالية مستمرة، ذلك أنه منها وأنها منه، واضعة من الكوابح ما يقف دون الغلو وإحداث الفوضى والفساد، ومن المنشطات ما يثير رغبة الفرد في خدمة الجماعة، متناسقا معها في رغبة واندفاع وإقبال.

### خامساً: وسطية المكان

يتوسط منطلق رسالتها ونشأتها الأولى من سرّة الأرض، فاحتلت بذلك سمة القطبية فتوسطت أقطار الأرض بين شرق وغرب، وجنوب وشمال، وما تزال بموقعها هذا تشهد الناس جميعاً، وتشهد على الناس جميعاً، فينهل أهل الأرض قاطبة من معينها الروحي والفكري، وهذا ما ينبغي أن يكون.

### سادساً: وسطية الزمان

أما توسطها الزماني فهي التي تنهي عهد طفولة البشرية من قبلها، وتحرس عهد الرشد العقلي من بعدها، وتقف في الوسط تنفض عن البشرية ما علق بها من أوهام

وخرافات من عهد طفولتها وتصدها عن الفتنة والعبث الفكري، وتثيرها بروح الرسالة الإنسانية العالمية التي يحققها الوحي ويحرسها العقل السوي.

### الفرع الثاني: خاصية الشهود

تعدّ الشهادة هي الأخرى خاصة من خصائص الأمة الإسلامية، وبلوغ منزلة الشهادة على الناس يستلزم بلوغ الأمة منزلة النموذج الأعلى على المستوى الإنساني، فلا يمكن أن تقام الشهادة من دون الارتقاء لمنزلة هذا النموذج، والشهادة منزلة تكتسبها الأمة عملياً.

والشهود في أبسط تعريفاته «هو تلك الحالة من الاقتدار والتمكن والفعالية التي تسمح بتجسيد نموذج الأمة الوسط في الواقع الإنساني وعلى المستوى الحضاري الشامل، والشهود الحضاري واقع نفسي ومعرفي وعقلي وذهني وسلوكي وأخلاقي واجتماعي واقتصادي وثقافي وتربوي وسياسي يجعل الأمة الإسلامية في مجموعها قادرة على استيعاب حقائق الأمة الوسط وتجسيدها في الواقع الإنساني الحضاري»<sup>(1)</sup>.

فالأمة الشاهدة هي التي تكون القدوة والأسوة للأمم، ولم تكن الأمة الإسلامية أمة شاهدة إلا بعد أن ارتقت إلى الخيرية والمثل الأعلى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران 110]، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم شهيداً بعد أن كان قدوة، ومن هنا يكون الشاهد هو القدوة والمثال الذي يحتذى به.

واقتران الوسطية بالشهادة تدلي بمعاني عظيمة الشأن، إذ تعد مقوماً من مقومات نهضة الأمة ورفقيها، فالشهيد يحمل جملة معاني منها: «فارس الميدان» "وسط الأمر" "نموذج" "قدوة" "مثال يحتذى به الآخرون" ويقومون أنفسهم على أساسه، يعني أن تجعلوا النبي وسط ميادين الثقافة، الإيمان، العلم الفكر، المجتمع واتخذوه قدوة في بناء شخصياتكم، مجتمعكم، ثقافتكم، ظاهرهم وباطنكم»<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر: عبد العزيز برغوث، الشهود الحضاري للأمة الوسط في عصر العولمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط1، 2007، 1428م، ص36.

<sup>2</sup>: علي شريعتي، الحسين وارث آدم، ترجمة: إبراهيم الدسوقي شتا، بيروت، دار الأمير ط1، 1425هـ، 2004م، ص304.



وبذلك تكون أمة تتوسط الميدان، ميدان الأرض والزمان، تكون قطب القضية، تتوسط الساحة، ولا تكون أمة بعيدة غافلة عما يدور حولها، غافلة عن معارك الأفكار والقضايا المصيرية التي تبني حاضر البشرية، وغد التاريخ، وتشكل صورة الحياة في كل مجال.. كما ينبغي أن تكون وسط الساحة ومحور الميدان، لا تكون أمة غائبة معزلة، بل يجب أن تكون مجتمعاً أممياً في وسط الشرق والغرب، اليمين واليسار، مركز الأقطاب، وسط المعتزك تحمل رسالتها العالمية<sup>(1)</sup>.

فاقترب الوسطية بالشهود على الناس في الآية هو بيان أن هاتين الخاصيتين مسؤولية عملية تؤدي قبل أن تكون سمة تفتخر بها الأمة، فمكان الأمة الشاهدة من الأمم مكان الرسول منها، فشابه بذلك عملها عمل النبي صلى الله عليه وسلم، فلا يمكن إقامة الشهادة على الناس قبل إقامة الدعوة فيهم على الوجه الأكمل والمقام الأمثل.

### الفرع الثالث: خاصية الحركية

إن المتتبع لخصائص الأمة الإسلامية في القرآن الكريم يجد أنها تستند لخاصية "الحركية"، والحركية في مضمونها تتضمن معنى "الانتقال" سواء كان على مستوى الحال أو المكان، معنوياً أو حسياً، ولا شك أن الانتقال الحسي إنما هو ترجمة لدوافع نفسية معنوية - طرأت على النفس - ومظهر من مظاهرها.

والملفت للانتباه أن القرآن لا يستعمل مصطلح "أمة" في حديثه عن الأمة المسلمة إلا في القليل، وإنما يؤثر الحديث عن الأمة ومجتمعها المسلم بالصفة الإيمانية، فكان الخطاب المتكرر "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا" بديلاً عن "أمة"، وفي ذلك إبراز لأهم مقوم من مقومات الأمة المسلمة، حيث لا وجود لأمة مسلمة من دون إيمان الذي جوهر رسالتها والركيزة الأساسية في دعوتها للإنسانية، وهو المحور الفعّال والدافع الروحي في حركية الأمة المسلمة ومسيرتها التاريخية.

### أولاً: الحركية النفسية (انتقال النفس من حال إلى حال)

تجلى هذا الحال في الجيل الأول، بداية من ملامسة دعوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم شغاف القلوب وما أحدثته من تغييرات في التصورات والأفكار والمعتقدات، فأحدثت

<sup>1</sup>: ينظر: علي شريعتي، الحسين وارث آدم، مرجع سابق، ص 305.

بذلك نقلة فريدة في تاريخ البشرية، «فكان رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يريد صنع جيل خالص القلب، خالص العقل، خالص التصور، خالص الشعور، خالص التكوين من أي مؤثر آخر غير المنهج الإلهي، الذي يتضمنه القرآن الكريم»<sup>(1)</sup>، وقد استقى هذا الجيل من النبوة منهجا في التعامل مع الخطاب الإلهي-القرآن الكريم- والذي تمثل في شعور "التلقي للتنفيذ" «فكان يتلقى القرآن ليتلقى أمر الله في خاصة شأنه وشأن الجماعة التي يعيش فيها، وشأن الحياة التي يحيها هو وجماعته، يتلقى ذلك الأمر ليعمل به فور سماعه..»<sup>(2)</sup>، و كان هذا المنهج يفتح لهم من القرآن آفاقا من المتاع وآفاقا من المعرفة..، وكان يبسر لهم العمل، ويخفف عنهم ثقل التكاليف ويمزج القرآن بذواتهم، ويحوله في نفوسهم وفي حياتهم إلى منهج واقعي، وإلى ثقافة متحركة لا تبقى داخل الأذهان ولا في بطون الصحائف، إنما تتحول آثارا وأحداثا تحول خط سير الحياة<sup>(3)</sup>. وثمره هذا المنهج أن أحدث ثورة وتغييرا في النفوس العاملة به المتلقية له المسلمة به، ومن مظاهر هذه الثمرة أن وجدت هجرة للجاهلية التي يعتز بها العربي وابتصر لها ويتفانى فيها وانخلاع تام من مجتمع جاهلي إلى مجتمع إسلامي قائم على نظام تحكمه الإرادة الإلهية وتسييره الحكمة الإلهية.

ولاشك أن أهم القضايا التي اتخذها القرآن في صيانة هذه الدفعة الروحية القوية التي غيرت مجرى الحياة هي "الوعد والوعيد"، فالوعد ضامن لحركة الأمة لبلوغ القيم المثلى والأخلاق السامية، أما الوعيد فهو واق لحركيتها ومحصن لها من الزيغ والانحراف، «وبين هذين الحدين تقف القوة الروحية متناسبة مع الجهد الفعال الذي يبذله مجتمع يعمل طبقا لأوامر الرسالة»<sup>(4)</sup>.

إذن فحركية المجتمع المسلم التي تقع بين حدّي الوعد والوعيد، والتي تخضع في ذاتها إلى بعد غيبي هي في الحقيقة حركية تنزع نحو السموّ إلى أعلى وتحلّق فوق ما هو أدنى بفضل استناد العمل المثمر على القوّة الروحيّة.

<sup>1</sup>: سيد قطب، معالم في الطريق، دار الشروق، القاهرة، ط6، 1399هـ، 1979م، ص13، 14.

<sup>2</sup>: المرجع نفسه، ص14، 15.

<sup>3</sup>: ينظر: المرجع نفسه، ص14.

<sup>4</sup>: مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الوعي، الجزائر، ط1، 2013م، ص24.

ثانياً: الحركة الحسية

نشأت الحركة الحسية استجابة للحركة المعنوية وقد تجلت أساساً في عاملي الهجرة والنصرة، ويعدّ هذان العاملان من أجلّ العوامل التي مهّدت لميلاد مجتمع جديد له خصائصه، ونظامه ومنهجه، وحركته، وغايته، وكان أول اللبّات التي أسست أمة رسالية.

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [سورة الأنفال: 74].

إن حركة المهاجرين والأنصار (هجرة + نصرة) من أهم القضايا التي أوجدت شبكة علاقات اجتماعية أسهمت في تكوين جوّ إيماني يزود الفرد بالقدرة على إبداع القيم. وفي ذلك سعى النبي صلى الله عليه وسلم في تحصين هذه الوشائج والعلاقات والروابط الإيمانية التي أنشأها الحب والإخلاص والتضحية والرغبة في الموعودات الغيبية، وحفظها من جملة الأمراض القلبية وبقايا الجاهلية التي القرآن الكشّاف الفاضح لها. والقرآن الكريم يطالب الأمة في حركيتها بالحسن والأحسن ذلك أنها تنتمي للإسلام، والإسلام هو صبغة الله وهو الدين القيم الذي يمكّن للأمة استخلافها، ويضمن تماسكها، ويحفظ وحدتها ويحقق انتصارها على التحديات طيلة مسيرتها الحضارية، وذلك ما نجده في جملة الآيات: ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ [سورة البقرة: 138].

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [سورة النساء: 125].  
﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [سورة النحل: 125].

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ [سورة المؤمنون: 96].  
﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [سورة فصلت: 34].  
﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ [سورة لقمان: 22].

إن للأمة حركية دائمة تتسم بالانفتاح على الأمم برسالتها الحضارية، حاملة خاصية الاستقطاب، متجهة بالإنسانية صوب تحقيق الميثاق المأخوذ عليها، والمكنون في الفطرة ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [سورة الأعراف:172]. ذلك أن ما تحمله للإنسانية إنما هو الأمر الجامع الشامل الذي يختص بشؤون الخلق جميعهم، فرسالة الإسلام لم تأت لتتصر في زمان أو مكان وإن كان ذلك في بدايتها، بل لتشمل الناس في كل زمان ومكان ويحظى بها كل فاتح صدره لها.

نخلص على كل ما سبق نخلص إلى أن مفهوم الأمة في القرآن يتضمن جملة من المعاني والخصائص يتباين مع مفهوم الأمة في الأنظمة الغربية، ذلك أن القرآن يجعل من البعد الغيبي الروحي العامل المهيمن على حركية الأمة وعناصر تكوينها، كما أن عامل النبوة الذي يمثل القيادة المثلى الكاملة له النصيب الأوفر في مسيرتها التاريخية.

**المبحث الثاني: أهمية القرآن والنبوة في بناء الأمة الإسلامية في تصوّر الندوي**

يتناول هذا المبحث الحديث عن أهمية القرآن الكريم والنبوة في بناء الأمة الإسلامية في تصوّر الندوي، فاقضى تقسيمه إلى ثلاث مطالب، الأول في الحديث عن أهمية القرآن في بناء الأمة الإسلامية، والثاني في أهمية دور النبوة، أما المطلب الثالث فقد تناول عن أهمية حفظ الموروث في بناء الأمة الإسلامية.

**المطلب الأول: أهمية القرآن في بناء الأمة الإسلامية في تصوّر الندوي**

يحصّر الندوي العناصر التي تكوّن منها المجتمع الإسلامي، ونشأت منها الأمة الإسلامية في أمور ثلاثة<sup>(1)</sup>:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، وحياته، وسيرته، وأخلاقه.

ثالثاً: تعليمات النبي عليه الصلاة والسلام وإرشاداته، وتوجيهاته، وأعماله التي تسمى مجموعها بالسنة.

لذلك اقتصر هذا المطلب على الحديث عن القرآن الكريم من حيث مضامينه وجوهره، ومن حيث خصائصه، وكذا الحديث عن السنن التاريخية التي حواها، إضافة إلى تدبر الندوي في بعض السنن التاريخية في ضوء القرآن الكريم، فكان ذلك في ثلاث فروع، الأول في: أهمية القرآن في بناء الأمة الإسلامية من خلال مضامينه وجوهره، والثاني في: أهمية القرآن في بناء الأمة الإسلامية من خلال خصائصه، والثالث في: أهمية القرآن في بناء الأمة الإسلامية من خلال سننه التاريخية.

**الفرع الأول: أهمية القرآن في بناء الأمة الإسلامية من خلال مضامينه وجوهره**

يعدّ القرآن الكريم حبل الله المتين الذي تضمن أسرار السعادة والنجاة وهو «العلم الذي يعرف به الإنسان خالقه، وفاطر هذا الكون، ومدبر هذا العالم، وصفاته العالية، والصلة بينه وبين عبده، وموقف الإنسان في هذا العالم وموقفه من ربه، ومبدؤه ومصيره، وما يرضيه تبارك وتعالى، وما يسخطه، وما يشقي الإنسان في الدار الآخرة وما يسعده، وخواصّ عقائده، وأعماله، وأخلاقه، وجزاءها، وما يترتب على ما يصدر منه من قول،

<sup>1</sup>: ينظر الندوي، محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، جمع وتحقيق: عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، بيروت، ط2، 1422هـ، 2001م، 3/563.

واعتماد، وعمل من الثواب والعقاب، والنتائج البعيدة الطويلة المدى، وهذا هو العلم الذي يستحق أن يسمى "علم النجاة"<sup>(1)</sup>.

والقرآن هو الكتاب المعجز الذي بنى النواة العقيدية للأمة، وغرس فيها الإيمان بالغيب، ومنحها التصور الصحيح عن الله تعالى عن طريق ذكر «صفات الله الكريمة وأسمائه الحسنى، وأفعاله وتصرفاته العجيبة، وقوته وقدرته، وصنعه وإبداعه، ولطفه ورحمته، وحبه ورأفته، وجوده وكرمه، وعفوه وصفحه، وإعطائه ومنعه، وضرره ونفعه، وعلمه ومعرفته، وقربه ودنوه، وإحاطته ومعيته، وقبوله واستجابته، ما يجعله المثل الأعلى في الجمال والجلال والكمال والنوال: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة الروم: 27]، ويجعله متفردا في صفات الحسن والإحسان: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: 11]»<sup>(2)</sup>.

والقرآن الكريم هو أصل الدين وأساسه وجوهره، وهو الذي منح الإسلام سمة الخلود والعالمية، وقد كان المصدر الأصيل لدعوته وتعاليمه، وأكبر وسيلة لربط الخلق مع الخالق، وتوثيق علاقته به، وسببا قويا لإثارة الريانية الصادقة في أتباعه، محددًا للعقائد، مبينا لها -خاصة عقيدة التوحيد- إلى يوم الدين، ومحافظا لها، ومهيما عليها، وأن تكون تلك الصحيفة كتاب هداية للإنسانية جمعاء<sup>(3)</sup>، وهو «يعطي تلك الكليات والتصورات الأساسية التي يمكن أن يقوم عليها أي مجتمع أفضل في أي دور من أدوار التاريخ، وينظم الحياة الإنسانية في كل بقعة من بقاع الأرض من جديد»<sup>(4)</sup>، وبهذا يكون الدين الإسلامي بهذه الصحيفة المعجزة المحفوظة «زاخر بالحياة والقوة والجدة، متكفل بجميع السعادات الدنيوية والأخروية، يبلغ الإنسان بالعمل به -في جدّ وعزم وإخلاص- إلى درجات القرب والسموّ والكمال التي ليس فوقها إلاّ النبوة»<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup>: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 3/18.

<sup>2</sup>: الندوي، الأركان الأربعة، مصدر سابق، ص 14، 15.

<sup>3</sup>: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 2/11.

<sup>4</sup>: الندوي، المدخل إلى الدراسات القرآنية، دار ابن كثير، بيروت، ط 2، 1431هـ، 2010م، ص 42.

<sup>5</sup>: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 3/143.

وأصدق ما وصف به القرآن على لسان النبوة «إن هذا القرآن مآدبة الله فاقبلوا من مآدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله، والنور المبين، والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يزيغ فيستعتب، ولا يعوج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد، اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات، أما إنني لا أقول الم حرف، ولكن ألف ولام وميم»<sup>(1)</sup>.

ويرى الندوي أن من مضامين القرآن الإعجاز، والإعجاز لا يكمن عنده في ألفاظه وتراكيبه، وفصاحته اللغوية وبلاغته المعنوية فحسب، بل يتعداها إلى أن يكون معجزا في غيبياته وحقايقه الأبدية، معجزا في تعليماته الدينية والخلقية والاجتماعية والمدنية، معجزا في تأثيره وإثارته، ومعجز في نبوءاته وأخباره، وسرّ إعجازه المكنون يرجع إلى أنه: ﴿أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ فهو مظهر من مظاهر علم الله، وعكس من عكوسه<sup>(2)</sup>.

لذا فلا « يمكن أن يتصور الإنسان صحيفة هدى ونور أكثر من هذه الصحيفة ربطا للمخلوقين بالخالق، وأعظم تركية للنفوس، وصقلا للقلوب، وأرفع بالناس عن تخفض الضلالات والانحرافات التي وقعت فيها الشعوب، ومنيت بها الأمم»<sup>(3)</sup>.

### الفرع الثاني: أهمية القرآن الكريم في بناء الأمة من خلال خصائصه

يقدم الندوي جملة الأوصاف والخصائص التي يتضمنها القرآن الكريم، والتي منها:

#### أولا: مصدره الرباني

وذلك ما يضمن عصمته من كل نقص واختلال، أو شك والتباس، أو ظن وتخمين، أو تدرج وتطور، أو تعارض واختلاف، وكل ما فيه قطعي يقيني، مرئي منظور، ملتمم جازم حاسم، فليس في علم الله تدرج ولا تطور.

وخلال جملة الأوصاف التي تحدثت بها القرآن عن نفسه تتبين الأهمية البالغة التي يعطيها للأمة، فكانت من أوصافه: "النور" و"البصائر" و"الهدى" و"البيئة" و"الموعظة" و"الشفاء" و"الذكر المبارك"، وهو علم الله وصفة علمه كصفاته الأخرى كلها أزلية أبدية:

<sup>1</sup>: رواه الحاكم في المستدرک، کتاب فضائل القرآن، أخبار في فضائل القرآن جملة، رقم(2040)، مرجع سابق، 741/1.

<sup>2</sup>: ينظر، الندوي، المدخل إلى الدراسات القرآنية، مصدر سابق، ص31.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، ص31،32.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة الحديد:7].

-شامل محيط واسع: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [سورة طه:98].

-منزه عن كل النقص فلا يعتريه الخطأ ولا يعترضه النسيان: ﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ

لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [سورة طه:52]، و﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ

وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سورة سبأ:3].

### ثانياً: محكم مفصل

فهو واضح كل الوضوح، محكم كل الأحكام، مبين كل البيان، في أصول الدين وكتلياته وأسس ومبادئه، وفي جميع الأمور التي تمس إليها حاجة الإنسان في فلاح دنياه وسعادته فيها، وفي نجاته وسعادته في الآخرة، لا يحتمل القرآن في ذلك إبهاماً ولا غموضاً، ولم يدع فيه تفصيلاً ولا تفسيراً إلا أودعه فيه<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً: الفرقان

أي فارق بين الحق والباطل، والخير والشر، والنور والظلام، وهي سمته المميزة التي أصبحت علامة عليه، بل علما يطلق عليه ويعرف به ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [سورة الفرقان:1]، وهو الفارق بين الهداية والضلالة، والإيمان والكفر، والإسلام والجاهلية، ورضا الله وغضبه، وبين الظن واليقين، والحلال والحرام.

### رابعاً: مصدر الكتب الإلهية السابقة ومهيمن عليها

ومضمون ذلك أمور ثلاثة:

أ- أن أصول الدين وكتلياته الأساسية قدر مشترك بين جميع الكتب السماوية والديانات السماوية.

<sup>1</sup>: الندوي، المدخل إلى الدراسات القرآنية، مصدر سابق، ص16، 17.



ب- أن الصحف السماوية السابقة على القرآن المهيم، كانت مؤقتة بزمن محدود، وبقيت إلى زمن محدود، فلم تكن فيها صحيفة دائمة البقاء، ولا مستمرة الحفظ والصيانة.

ج- أن القرآن الكريم كتاب الله الأخير، وهو الصحيفة الأبدية، الشاملة لأصول الدين كلها، ولن تزال محفوظة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾ [سورة المائدة:48].

**خامسا: القرآن يهدي إلى سبل السلام ويخرج الناس من الظلمات إلى النور**

إن القرآن يفتح للحياة الإنسانية -بجميع شعبها وميادينها- تلك السبل المستقيمة المستوية الواضحة، التي تخلو من كل المطبات والنتوءات والمزالق والأخطار، ولا تعبير عن هذه السبل أفضل وأجمع من "سبل السلام"، والتعبير القرآني المحكم البليغ يذكر "النور" دائما مفردا واحدا، ويذكر "الظلمات" جمعا وتكثيرا، لأنه متى فقد الإنسان نور الوحي-الذي لا يتعدد أصله- تعددت عليه الظلمات وتتنوعت وتداعت من كل صوب وحذب حتى لا يحصى لها عددا ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة المائدة:16].

**الفرع الثالث: أهمية القرآن الكريم في بناء الأمة من خلال سننه التاريخية**

نبه الندوي على أهمية السنن في القرآن الكريم، كما أبرز رؤيته في التعامل معها، مقدما بعضا من تأملاته في ذلك.

**أولا: منهج التعامل مع السنن التاريخية في القرآن الكريم**

يوقفنا الندوي على أهمية جدّ بالغة فيما يقدمه القرآن للأمة، التي تتجلى في السنن والقوانين الثابتة المتعلقة بالإنسان وأعماله، وبجملة الأدوية والأمراض البشرية التي تعدّ السبب الوجيه في انحطاط الأمم والمجتمعات، في حين لا نجد أن كتب التاريخ تركّز عليها، وقد تتخذها هامشا في متونها، ذلك « أن سبيل كتب التاريخ غير سبيل القرآن، تعنى بالحوادث السياسية، وتعنى بما يختص بالبلاد، وبالمملوك، وبالوزراء، والحروب، والغزوات، أما ما كان في صالح الإنسانية، وما كان فيه درس للدارسين والمعتبرين؛ فلا، ولكن القرآن بالعكس من ذلك لا يعنى بهذه الحكايات، حكايات تقلبات الأمم، وتبدل

الحكومات والفتوح، والغزوات، وهذا موضوع التاريخ، ولا بأس به، ولكن القرآن يعنى بأمراض البشرية، ويعنى بمواضع الضعف في الطبيعة الإنسانية، عني بما فيه عبرة وما فيه درس للإنسان في كل مكان وفي كل زمان»<sup>(1)</sup>.

والقرآن يعرض أشكال وصور الأمم والمجتمعات، فلذا يؤكد الندوي على أن «ما قاله القرآن هو الحق ويمكن أن يرى في مرآة الشعوب المعاصرة، وبعض المجتمعات الموجودة، فلذا وجب أن نستعرض حياتنا في ضوء القرآن، الذي يقول: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنبياء: 10]. يعني فيه الحديث عنكم، فيه تصويركم»<sup>(2)</sup>.

ويضرب الندوي مثالا من فهم السلف لهذا المعنى<sup>(3)</sup>، حيث الأحنف بن قيس رحمه الله مرة جالسا؛ فإذا به يسمع ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنبياء: 10]، فانتبه الأحنف، فقال عليّ بالصحف لألتمس ذكري اليوم حتى أعلم من أنا ومن أشبه، فنشر المصحف فمرّ بقوم: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [سورة الذاريات: 17-19]، ومرّ بقوم: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [سورة السجدة: 16]، ومرّ بقوم: ﴿يَسْتَوُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [سورة الفرقان: 64]، ومرّ بقوم: ﴿يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: 134]، ومرّ بقوم: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر: 9]، ومرّ بقوم: ﴿يَحْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [سورة الشورى: 37، 38]. فوقف ثم قال: اللهم إني لست أعرف نفسي هاهنا، ثم أخذ السبيل

<sup>1</sup>: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 225/1.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، ص 225.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي، المدخل إلى الدراسات القرآنية، مصدر سابق، ص 24-26.

الآخر، فمرّ بقوم: ﴿ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ [سورة الصافات: 35، 36]، ومرّ بقوم: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [سورة الزمر: 45]، ومرّ بقوم: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْفَاحِشِينَ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [سورة المدثر: 42، 43].

قال اللهم أبرأ إليك من هؤلاء. فما زال يقلب الورق ويلتمس حتى وقع على هذه الآية: ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾ [سورة التوبة: 102]. فقال: اللهم هؤلاء.

وبهذا المنهج يرى الندوي أن نقرأ القرآن، ونستعرضه، ونستتفره، ونستوضحه، ونستوحي منه واقع الحياة، ونبحث عن مكاننا في هذه المجموعة من صور المجتمعات البشرية والنماذج الإنسانية، والقرآن مرآة وضيئة نرى فيها وجهنا فنمسح ما فيه من غبار ومن تراب ومن وصمات ونعرف مواضع هذه الوصمات فنغسلها<sup>(1)</sup>.

وقد تناول القرآن الكريم «تلك الأمم والشعوب ويختارها للعرض والقصص التي لا تنقطع أوضاعها وأعمالها، ولا تنتهي صورها وأخلاقها، بل تتكرر على مدار التاريخ، كما أنه ما تعرض لتلك الجرائم والذنوب التي لا تكون إلا نادرة، شاذة، يخرعها الإنسان فترة من الفترات بذكائه وحنكته الإجرامية، إنه تعرض لجرائم تتكرر في الشعوب والأفراد، وذنوب تشيع بين الناس»<sup>(2)</sup>، فصور الناس قد اشتمل عليها القرآن إما تصريحاً أو إيماء، أو تلويحاً بقصص الماضين وسيرهم الغابرة، أو مباشرة وقصداً لأعيانهم<sup>(3)</sup>.

حصيلة ما يراه الندوي في القرآن من أهمية وقيمة في بناء الأمة يتجلى في كون القرآن «كتاب حيّ غضّ دائم النضارة والبقاء، لا تبلى جدته، ولا يؤثر عليه الماضي والحال، والقديم والجديد، إنه فوق التطوّرات وفوق الأحداث، وإنه ليخاطب كلّ فترة من فترات التاريخ، وكلّ مدينة من مدنيات الأرض، وإن دعوته حية طرية ورسالته غضة

<sup>1</sup>: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 226/1.

<sup>2</sup>: الندوي، المدخل إلى الدراسات القرآنية، مصدر سابق، ص 26.

<sup>3</sup>: ينظر: المصدر نفسه، مصدر سابق، ص 24.

نضرة، إنه صورة البشر الناطقة، ومرآة الفطرة الإنسانية الوضيئة الصافية، ولقد قال عنه منزله بحق»<sup>(1)</sup>. ويعدّه «دستورا مدنيا وخلقيا يضمن أفضل النتائج الخلقية والاجتماعية، وقد حققها فعلا ومارسها ممارسة تطبيقية، كما أنها تحل بطريقته المعجزة ولمحاته المنيرة، وإشارات اللطيفة جميع قضايا الاجتماع وعقده ومشاكله التي تعرضت لها الإنسانية، أو يمكن أن تتعرض لها في المستقبل إلى أن تقوم الساعة»<sup>(2)</sup>.

﴿ وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة الزمر: 27].

﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

[سورة النور 34].

﴿ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة يوسف: 111].

يقدم القرآن الكريم كذلك قصص الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، إبرازا منه سنة الاستخلاف والتأييد، والهلاك والدمار، فهي مرهونة بمدى إتباع دعوة الأنبياء وتعاليمهم، وتكذيبهم ومخالفتهم، ومن ذلك تصبح القصص ثروة سننية تستقى منها أسباب النصر والتأييد والاستخلاف، وكذا أصبح القصص القرآني دعوة إلى التوكل على الله تعالى ونصره، وإن اختلف الزمان والمكان، والاعتماد على الدعوة وحسن السيرة والعمل الصالح، وإن اكفهر الجو، وقسا الزمان، وإن معجزات النصر، وعجائب القدرة الإلهية تتكرر»<sup>(3)</sup>. «ولم تكن هذه القصص مصدر القوة والعبرة للأجيال بعد الأجيال إلا بهذا الأسلوب الإيماني القوي، وإلا كانت دليلا على أن دعوة الأنبياء هي التي يكتب لها الانتصار والازدهار، وأن الصفات والسيرة والأخلاق التي يرضاها الله هي التي يقدر لها الفوز والفلاح، مهما عارضتها الأسباب، وتألقت ضدها القوى، وتداعى عليها الأعداء ومهما ضعف أصحاب هذه الدعوة النبوية والسيرة المرضية»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، المدخل إلى الدراسات القرآنية، ص 27.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، ص 32.

<sup>3</sup>: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 67/3.

<sup>4</sup>: المصدر نفسه، 76/3.

والقرآن الكريم بدوره يشخص الأدواء التي تصاب بها الأمم والأفراد والجماعات نتيجة أعمالها؛ بسبب الإعراض عما يزكي النفس ويطهرها، والاشتغال بما يغير طبيعتها ويفسد فطرتها؛ فتنتقل بذلك من الطبيعة الإنسانية السوية إلى الطبيعة البهيمية وإلى معيشة أضل، كما نجده يصف الدواء لإنقاذ الإنسان من شر نفسه وسوء عواقبها والعودة به إلى الفطرة السليمة والتكريم الإلهي من جديد.

فمهمة هذه السنن التاريخية المحيطة بجوهر الإنسان وأعماله، أن تترك أثرها في إحياء الأمم.

ثانياً: نماذج من تأملات الندوي في السنن التاريخية في ضوء القرآن الكريم

في ظل تذوق الندوي في القرآن الكريم وجهوده في الدراسات القرآنية نقف على بعض تأملاته في مجال السنن التاريخية.

أ- كفران النعمة وحب العسير الشاق طبيعة معوجة مريضة

﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَهْرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [سورة سبأ: 18، 19]، فهذه قصة سبأ التي أنعم الله عليها بكل الخيرات وعبّد طرقها وملأها أمناً وراحة، فكفروا بهذه النعمة ولم يقدروها حق قدرها ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ فكان أن سلب الله تعالى منهم نعمهم وخيراتهم وجعلهم أحاديث ومزّقهم كل ممزق ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [سورة سبأ: 19] (1).

ب- الإنسان بين السمو والانتكاس

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ [سورة التين: 4، 5].

قال الراغب: «تقويم شيء تنقيفه، وقوله: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ إشارة إلى ما خصّ به الإنسان من بين الحيوان من العقل والفهم وانتصاب القامة الدالة على استيلائه على

<sup>1</sup> ينظر: الندوي، تأملات في القرآن الكريم، دار القلم، دمشق، ط1، 1411هـ، 1991م، ص76.

كل ما في هذا العالم»<sup>(1)</sup>، وإلى هذا ينظر قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ [سورة التين: 5]، أي: صيرناه أسفل من كل سافل...، فهذا الجنس الذي كان منه محمد وموسى وعيسى والنبِيُّون والصدِّيقون والشهداء والصالحون انحط بعض أفراده بأعمالهم حتى صاروا أرذل من الحيوانات والعجماوات والحشرات والجمادات، فكان منهم من ادعى الألوهية كفرعون، ومنهم من قلب الفطرة، ومنهم من مسخ الإنسانية، ومنهم من اخترع من الجرائم وابتدع من المآثم ما لا يخطر على بهيمة وسبع، ولا يزال منهم من يبتكر أنواعا وبدعا من أساليب القتل والفتك بالإنسان وآلات الدمار والهلاك والغازات السامة، والسموم القاتلة، وأنواعا من الخلاعة والعري والتهتك ما تخجل منه البهائم<sup>(2)</sup>.

فالإنسان إذا انحرف عن فطرته وانحط من مقامه فمعاذ الله من شره، فلا تكون الحية والعقرب أشد إيذاء وأخطر منه، ولا الذئب في الغنم بأخوف وأفسد منه، ولا القردة ولا الخنازير أشد خلاعة وفجورا منه، وهذه الأنواع ضربناها مثلا لا تحط عن مقامها، ولا تخرج عن فطرتها، وإنما هي تفعل كل ما تفعله بسائق الفطرة التي فطرت عليها، ولا عدل ولا عتاب على الفطرة، ولكن الإنسان يمسخ فطرته ويقلب طبيعته<sup>(3)</sup>.

### ج- كنود الإنسان وسببه

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ [سورة العاديات: 6]، «فهذه السورة قد اشتملت على بيان المرض وهو قوله: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ وعلى علته وهو قوله: ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ وتذاكر الموت يكشف الغطاء عن العين، ويفيق من سكرة الدنيا»<sup>(4)</sup>.

والندوي يستحضر السنن في مجريات التاريخ، وتفسير النكبات والأحداث، ونعرض من ذلك:

<sup>1</sup>: الأصفهاني، المفردات، مرجع سابق، ص 541.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، تأملات في القرآن الكريم، مصدر سابق، ص 105، 106.

<sup>3</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص 106.

<sup>4</sup>: ينظر: الندوي، تأملات في القرآن الكريم، ص 111.

### د- هجوم التتار على العالم الإسلامي

كان سبب هذه الحادثة قتل السلطان علاء الدين محمد خوارزم لتجار التتار وسفير جنكيز خان الذين دخلوا بلاده لممارسة التجارة، والندوي في ظل تأمله لسنن التاريخية في القرآن لا يربط هذه الفتنة الكبرى بفعلة هذا السلطان وإنما الأمر يتعلق بتراكمات من الأعمال، يقول الندوي: «.. ولكن إذا تدبرنا في ضوء ذلك القانون العام الخالد لنتائج الأعمال والأخلاق، وازدهار الأمم وانحطاطها الذي أشار إليه القرآن، ولا سيما ما ذكره في بدء سورة الإسراء من تدهور بني إسرائيل وإفسادهم في الأرض، وعلوهم وتمردهم وما جرّ ذلك إلى زحف الملوك الظالمين، وتسلطهم على بني إسرائيل وخراب المسجد الأقصى، يبدو لنا أن السبب الحقيقي في هذه الفتنة الكبرى، والمحنة التي أصيب بها العالم الإسلامي، ليس أن يقترب ملك أو حاكم من خطأ في التدبير والسياسة، فيتدفق سيل عرم من المحن والبلاء»<sup>(1)</sup>، ويؤكد الندوي على استعراض أوضاع المسلمين الخلقية والدينية والمدنية والسياسية في ذلك العصر في ضوء نبراس القرآن، وعلى هذا القبيل تتضح الأسباب الأكثر عمقا وأصالة مما ظنه الناس وذكره.

أما الأوضاع التي كانت في تلك العصر فقد اشتملت على<sup>(2)</sup>:

- 1- النزاع والخلاف والصراعات: وذلك بعد أن توزعت المملكة الأيوبية بعد وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة 589هـ بين أولاده وأفراد أسرته، نشأ الصراع وظل قائما بينهم إلى مدة طويلة، حتى أن بعضهم لم يتكؤوا في الاستعانة بالصلبيين بتدبير المؤامرة ضد إخوانهم وأصحابهم، وقد أنتج هذا الوضع اضطرابا سياسيا، وانحلالا خلقيا، وفوضى في سائر الولايات التابعة لهذه المملكة، وكان الناس يعيشون في جوّ من القلق، والخوف.
- 2- تفشي الأمراض والأوبئة، والمجاعات نتيجة لهذا الانحطاط الخلقى، والانحراف الإداري.

- 3- اشتداد الغلاء بأرض مصر وهلاك خلق كثير من الفقراء والأغنياء.

<sup>1</sup>: الندوي: غارة التتار على العالم الإسلامي وظهور معجزة الإسلام، المختار الإسلامي، القاهرة، ط2، 1393هـ، 1973م، ص6.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، مقالات إسلامية في الفكر والدعوة، إعداد: عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1424هـ، 2004م، 1/228-235.

4-تفانم الشرّ في مركز الخلافة(دار السلام بغداد)، وسيطرت عليه مظاهر الأبهة والملوكية، مع انتشار التبذير والإسراف، وقد كانت المواكب التي تخرج في مناسبات العيد والتتويج تشغل الناس، حتى إنهم كانوا يتناسون أنفسهم ويتشاغلون عن أداء الصلوات، وقد استمر الاحتفال سنة 640هـ إلى الليل، وصلى الناس صلاة العيد قبل نصف الليل قضاء..، وقد تميّز هذا العصر بكثرة المصادرات، وتفشي الرشوة، وعزل كبار الموظفين، وإلقاء القبض عليهم، وبيع ممتلكاتهم، وتفانم أمر الباطنية، والشطّار، والعيّارين، واشتداد النزاع الطائفي، والتفكك الخلقي، والانصراف إلى الملاهي، والقيان، والتكاثر في الأموال. وظلّت بغداد دار الخلافة الإسلامية مركزا للاضطراب والفساد.

نجد الندوي ينبهنا إلى قضية جدّ مهمة تكمن في الكتب والمدونات التاريخية؛ من حيث خلّوها من الوقوف على مجموع الأمراض النفسية والأدواء الخلقية، وانحصار أخبارها في حاشية البلاط، يقول: «.. ومن الصعب العسير أن يوجد حديث عن الأدواء الخلقية، التي كانت تعانيها الحضارة والمجتمع في كتب التاريخ التي تدور حول البلاط الملكي، والسراري، ورجال الحكومة، وإن مظنة هذا الحديث هي كتب المشائخ الصوفية، والمصلحين الاجتماعيين، وكتب المواعظ، التي اكتسح معظمها السيل التتاري»<sup>(1)</sup>.

#### هـ - النكبة الفلسطينية

وهي النموذج الثاني من هذه السنن القرآنية التي يقول عنها الندوي: «ليست النكبات، والكوارث العظيمة التي تصاب بها الأمم والبلاد مفاجآت، أو مجرد مصادفات في نظر المطلّع على سنن الله في خلقه، ونواميس الفطرة التي خلقها الله، والمتدبر للقرآن-الكتاب المعجز الخالد- والمتدبر لتاريخ الأمم؛ بل هي الحلقة الأخيرة الواضحة، والنهاية الطبيعية الحتمية لسلسلة طويلة من الحوادث التي لم ينتبه لها في أوانها إلا القليل النادر؛ الذين رزقهم الله الفطنة الدقيقة، والفراسة الصادقة»<sup>(2)</sup>، وهم الذين قال عنهم:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [سورة الحجر: 75].

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، مقالات إسلامية، مصدر سابق، 1/235.

<sup>2</sup>: الندوي، المسلمون وقضية فلسطين، دار ابن كثير، بيروت، ط1429، 1هـ، 2008م، ص5.



ويحصر الندوي مجموع النكبات والكوارث في عوامل كثيرة؛ أكثرها داخلية نفسية، كانت تعمل عملها الطبيعي في حياة الأمة، والمجتمع منذ زمن طويل..، وقد كانت هاتان الحادثتان - زحف التتار ونكبة فلسطين - الحلقة الأخيرة؛ التي انتهت إليها سلسلة طويلة من الأمراض الخلقية، والانحرافات الطائشة، والتصرفات الأثيمة، والمغالطات المتصلة، والأوضاع غير الصالحة للبقاء في كل مكان، وزمان، وفوق كل ذلك حياة لا يرضاها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولا يوافق عليها الدين الصحيح، والعقل السليم<sup>(1)</sup>.

وقد كان للندوي سبق في الحديث عن هذا الواقع قبل وقوع المأساة في شكلها النهائي بعدة سنين، وجرت على قلمه وعلى لسانه بعض الحقائق التي تحققت فيما بعد، لأن القضية لم تكن غامضة ولا ملتوية، وإنما كانت تحتاج إلى شيء من التذوق للقرآن، وشيء من معرفة طبائع الأشياء، والاطلاع على ما يجري في هذه المنطقة التي تقع عليها مسؤولية الدفاع عن هذه القضية<sup>(2)</sup>.

فشغلت هذه النكبة موضوع تفكيره، وبحثه، وكتابات، ومحاضراته، ومقالاته، وقد التزم أن يكون كل ذلك في ضوء القرآن، والنواميس الإلهية، والسنن الأزلية؛ التي بيّنها القرآن، وشهد بها تاريخ الأمم، وأن يكون كل ذلك تصويراً للواقع الذي تعيش فيه هذه الأمة من غير مبالغة وصناعة، ومن غير تفاؤل وتشاؤم، ويضع أصابع الفكر، والرأي على الأمراض الحقيقية، ومواضع الضعف والعلّة الأصيلة في الشعوب، والمجتمعات العربية والإسلامية، وعلى علاجها الحاسم<sup>(3)</sup>.

ويرى الندوي أن حال المسلمين الذي مهّد للنكبة لم يزد إلا ضعفاً، ولم «تزد أخلاقهم على مرّ الأيام إلا انحطاطاً، وتدهوراً، ولا أحوالهم، وشؤونهم إلا فساداً، حتى أصبحوا في فجر القرن الرابع عشر الهجري أمة جوفاء، لا روح فيها، ولا دم، وكانوا كصرح عظيم من خشب منخور قائم، ولا يزال يؤوي الناس، ويهول من بعيد، أو كدوحة قد تآكلت جذورها

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، المسلمون وقضية فلسطين، مصدر سابق، ص 6.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، ص 10.

<sup>3</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص 11.

ونخر جذعها العظيم، ولم تتقلع بهد، وأصبحت بلادهم مالا سائبا، ولا مانع له، وأصبحت دولهم فريسة لكل مفترس، وطعمة لكل آكل»<sup>(1)</sup>.

فجملة هته الأوضاع الظالمة الفاسدة والأمراض النفسية، كانت كفيلة بحلول الخوف مكان الأمن، والذلة مكان العزة، والخذلان مكان النصر والتوفيق.

إذن فالقرآن أول العناصر المكوّنة للأمة الإسلامية في فكر الندوي، وهو المقوم الأساسي الذي يقيم الأمة، ذلك لما يتضمنه من أسباب النصر والنجاح التي تحفظ الأمة من السقوط في جملة الأمراض التي تحدث ما أحدثته في الأمم من قبل، وقد شرع المولى سبحانه باب التوبة استدراكا للأخطاء التي ترتكبها الأمة، وإصلاحا لما تخلفه هذه المعاصي والذنوب.

ولما كان القرآن ذا الأهمية البالغة في صلاح الفرد والجماعة والأمة فقد جعله المولى سبحانه حاضرا في حياة الأمة اليومية يتلى آناء الليل وأطراف النهار مقترنا بأعظم شعيرة وهي الصلاة، وقد تلازمتا هاتين الركيزتين - القرآن والصلاة - وامتزجتا فكان من شأنهما أن يحدثا تجديدا وإحياء في الأمة، «ولا يزالان يفيضان بالنمو والحياة، والجدة والنشاط، والروحانية الصافية الدافقة في نفوس هذه الأمة وأجيالها، تستغني بهما هذه الأمة عن نبوة جديدة، وبعثة جديدة، وتعيش متصلة بالله مرتبطة به في كل دور من أدوار حياتها، وفي كل عهد من عهود التاريخ، تستمد لنفسها من القرآن والصلاة رابطة قلبية، وقوة روحية، وتمدّ إلى العالم المعاصر يد الدلالة والهداية»<sup>(2)</sup>.

وعليه فالقرآن يسهم في بناء الأمة المسلمة من جانبيين: الجانب المفاهيمي؛ إذ قدم الأنموذج المفاهيمي الأمثل للأمة المسلمة، والجانب الثاني: فهو الركيزة الأساسية التي لا غنى عنها في تحقيق وجود "الأمة المسلمة" كحقيقة واقعية في المسار التاريخي.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، المسلمون وقضية فلسطين، مصدر سابق، ص 13.

<sup>2</sup>: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، ص 143.

## المطلب الثاني: أهمية النبوة في بناء الأمة الإسلامية في تصوّر الندوي

يتناول هذا المطلب ثلاثة فروع؛ الأول في خصائص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والثاني في أهمية نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، والثالث في مآثرتها.

**الفرع الأول: أهمية النبوة في بناء الأمة من خلال خصائص الأنبياء وسمات تعاليمهم**

**أولاً: خصائص الأنبياء**

نجد أن مسألة النبوة<sup>(1)</sup> حاضرة بقوة وتركيز في فكر الندوي إذ هي السبيل الوحيد لحفظ نظام حياة الخلق وسعادتهم، وقد اختص الأنبياء بأخلاق وصفات أهدتهم لحمل الرسالة وتبليغها على أكمل وجه، وقد أورد الندوي هته السمات التي تجلت فيهم وانكشفت لنا عن سيرتهم، وعرفناها بدراسة حياتهم، وبشهادات جيرانهم، ومعاصريهم، وبالأخبار المتواترة المستفيضة في التاريخ، وإذا تأملنا في أسلوب القرآن الكريم وجدناه يذكرهم تارة بالاصطفاء، والاجتباء، وطورا بالحب والرضا، وتارة بأسمى الصفات والمواهب العقلية والخلقية والعملية، كلّ ذلك يدل على أنهم صفة الخلق، والمثل الكامل للإنسانية<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup>: يرى الندوي أن فهم حقيقة عمل النبوة وأهميته يجب أن يدرس من القرآن دراسة عميقة، مجردة عن التأثيرات الخارجية، والثقافات الأجنبية، مجردة كذلك عما تهواه قلوبنا، وتطمح إليه نفوسنا، ولا يجوز أن يخضع القرآن لفلسفة فكرية، أو سياسية، ذلك أن علوم الإنسان ونظرياته كثيب مهيل من رمل يتناثر، وينبسط، وينضوي، ويمتد، ولا يصلح عليه البناء، ولا يجوز أن ينزل القرآن من منزلته العالية السماوية إلى مستواه، ومن أساسه الحكم الأبدي. والسبب الذي دفع بالندوي إلى هذا الرأي هو جنائية الأساليب الصناعية والمصطلحات السياسية على فهم النبوة والأنبياء، وتأثيرها على نفسية أصحابها، فأصبحوا يفسرون دعوة الأنبياء والرسول وأعمالهم بمصطلحات سياسية، واجتماعية حديثة، مما يحول بين أهل العصر وبين فهم منصب النبوة على حقيقته، أو طبيعة الأنبياء ورسالتهم التي يكلفونها، ومناهج عملهم، ويمنع من الاقتداء بهم والتشبع بروحهم، ويتجه بالفكر على درب أقل ما يقال فيه أنه غير درب النبوة، وشاكلتها، ويشير الندوي إلى أن هته المصطلحات عبارة عن تعبيرات محدودة قاصرة لا تفي بالغرض، ولا تعبر عن دعوة الأنبياء في أمانة وبلاغة، ك: "الانقلاب"، و"الثورة" و"الديمقراطية" و"الاشتراكية" و"النظام"، فكل مفهوم قد نشأ وكمل في ظروف خاصة، وتحت عوامل خاصة، وكان التعبير الذي نطق به القرآن وجري على لسان الشرع والدين أولى بالإيثار، وأبعد عن سوء الفهم، وطبع الدين بطابع خاص.

وعليه وجب النظر إلى النبوة والأنبياء من خلال القرآن، وبمنظار القرآن، واستعراض كتاب الله الحكيم لنعرف مداها، وأفاقها الواسعة، وأعماقها الغائرة وجذورها العميقة في النفوس، والأخلاق والميول، وتأثيرها في تكوين السير، وتشكيل المجتمعات، وقيادتها للمدنيات، بل تأسيسها لحضارة خاصة متميزة في كل شيء، موازية للجاهلية، مقابلة لها على طول الخط. ينظر الندوي، محاضرات في الفكر والدعوة، مصدر سابق، 3/38، 28، 8.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، دار القلم، دمشق، ط7، 1420هـ، 2000م، ص14.

أما جملة ما اختصّ به الأنبياء من سمات فتمثلت في (1):

أ-كمال العقل، وسلامة الفطرة، وإصابة الرأي في جميع الأمور، والاعتدال، والاتزان في كل ما يأتون ويذرون، لا يؤثر عنهم بشك في راحة عقولهم، ونباهتهم، وصحة قواهم الفكرية.

ب-سموّ الأخلاق ونزاهة السيرة، فلا مغمز في حياتهم، ولا مأخذ من المآخذ التي تكثر في حياة غيرهم، لم يسجل عليهم التاريخ كذب، أو تزوير في أتفه الأمور، فضلا عما له شأن وخطر، ولم يروى عنهم أنهم خدعوا أحدا.

ج-حضور الوسطية في حياتهم العادية الهادئة، اتسمت بالاعتدال والاستقامة، ولم يدعوا التفوق أو التميّز، بل أقروا بشريرتهم ومساومتهم لبني جنسهم وذلك ثابت صريح على أسنتهم في القرآن: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ﴾ [سورة الكهف: 110].

د-جاءوا بأخبار وعلوم التي يعرف الإنسان أن مصدرها غير مصدر العلوم الأخرى المستفادة من العلماء والمعلمين، فعلومهم مختلفة عن العلوم البشرية المكتسبة، بل وقد تقرر عندهم أن هذا العلم الغيبي مستحيل المنال ولا يؤتى إلا من اصطفاهم المولى سبحانه وخصّهم لذلك.

هـ-في عزلة عن المصطلحات العلمية المعقدة التي يخضع لها ويستخدمها أهل الصناعة العلمية بل يستخدمون الطرق الفطرية الموهوبة، ويرسلونها على سجيبتها، ويخاطبون الفطرة البشرية بلغتها التي تفهمها والأسلوب الذي ألفتة في جميع البيئات ومراحل الحياة، فلا تحتاج إلى شارح أو ترجمان، وإلى ذلك يشير خاتم الأنبياء عليه السلام: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [سورة ص: 86].

و- لا يأتون بدعوى باطلة، ولا ينتظر الناس منهم ذلك، ولا يستشرفون إلى منصب يمنحونه أو كرامة يكرمون بها ولم تكن حياتهم سعيا لتحقيق ذلك بل إنهم ينفقوا ما رزقوا في سبيل تحقيق الرسالة.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 314/2، 315.

ز- يمتازون بالاستقامة الخلقية، معصومين من كل رذيلة، أو جاهلية، امتازوا بين أتربهم وأعضاء أسرهم بسلامة الفطرة، وصفاء القلب، ويقظة الروح، وحب الاعتدال، والإنابة إلى الله، وكراهة الظلم، والبعد عن الفحشاء، والعطف على الضعفاء، والفقراء.

ح- العلم الذي يؤتون لا يتسم بالتدرج والانتقال من مرحلة من النضج، والحصافة، والرقي، كما جرت عليه العادة من علوم البشر وإنما ينكشف عليهم الحق فجأة كاملاً لا يطرأ عليه التغير بتقدم العمر أو بزيادة في العلم والتجارب، أو الحنكة والممارسة.

ط- تميزهم بالثقة في الحقائق الغيبية والعلوم التي أكرمهم الله بها وتصبح عندهم حسية بديهية، ووجدانية ذوقية، لا يتطرق إليها شك، ولا ترتقي إليها شبهة، ولا تقبل مرأى، ولا جدال.

ي- أمور الغيب التي يدعون إلى الإيمان بها لا مجال للعقل نقدها لأن فاقد للأداة وللوسيلة في ذلك.

ك- لا يدعون علم الغيب استقلالا وبصفة دائمة، ولا يملكون أجوبة كل الأسئلة من عند أنفسهم وفي كل وقت.

ل- على صلة وثيقة استثنائية بالله تعالى، يساندهم تأييد الله، ونصرته، وقوى الكون كله تبدو مسخرة لهم، وقد تظهر في توثيقهم، وتصديق نبوتهم...

م- علم الأنبياء وتعاليمهم لا تتبع من ذكائهم أو حميتهم أو تألمهم بالوضع المزري الذي يعيشون فيه، أو من شعورهم الدقيق الحساس، وقلوبهم الرقيق الفياض، أو تجاربهم الواسعة الحكيمة، إنما مصدر ذلك الوحي والرسالة التي يصطفون لها ويكرمونها بها، لذا فهم لا يخضعون لعوامل نفسية داخلية أو حوادث وقتية خارجية، ولا يدير رسالته حيث دارت الأحوال والأوضاع وشاء المجتمع<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: سمات وتعاليم رسالة الأنبياء

إلى جنب ما اتسمت به شخصية الأنبياء من أخلاق ومؤهلات، يضيف الندوي شهادة أخرى تمثلت في أهمية تعاليمهم وصحيفتهم التي هي معجزة حية خالدة، حيث تضمنت هي الأخرى المئات من المعجزات البيانية البلاغية، والمعنوية، والتربوية.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، النبوة والأنبياء، مصدر سابق، ص 32، 33 .

وقد شمل القرآن مضامين الرسائل السماوية، وقد تجلّت في:

أ- صفات الله وأفعاله

ب- خلق العالم ونظامه

ج- ملكوت الله و حاكميته

د- خلق الكون كان بحق ولم يكن ذلك باطلا ولا عبثا

هـ- حياة الإنسان ليست بلا غاية ولم يترك سدا

و- غاية الموت والحياة ابتلاء للإنسان وامتحانه

ز- زينة الدنيا لاختبار الإنسان

ح- الإنسان أشرف خلق الله

ط- الإنسان خليفة الله في الأرض

ي- جميع ما في الأرض للإنسان

ك- غاية خلق الإنسان عبادة الله

ل- الناس من آدم، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.

م- إرشاد الخلق إلى الحياة الأخرى الباقية الخالدة و إثبات فناء الدنيا وزوالها.

ن- العاقبة في الدار الآخرة للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا.

وعليه فإن رسالة الأنبياء جاءت لترتكز على جوهر "الإنسان" دون غيره لأنه يتبوأ مركز

السيادة في هذا الكون لطبيعة تكوينه وتميزه بالعقل والإدراك، وتفرد به بخصائص تؤهله عن

غيره للقيام بالحكم التكليفي قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة الإسراء:

70]، لذا كانت تقويمه إذا زاغ وتهذيبه إذا فسد، وتكثيره إذا عزّ وندر، وإعادته إذا ضاع وفقد،

موضوع كل نبوة، ومهمة كل نبي في عصره<sup>(1)</sup>.

إضافة إلى ذلك فإن الأنبياء ورسالتهم احتوت على إرساء سنن يقوم عليها ثبات العبد

وحفظه من الضلال والانحراف عن غاية وجوده وقد تمثلت في:

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، النبوة والأنبياء، مصدر سابق، ص 97.

أ- كراهة الشر والخير، والتمرد على الشر ونوازهه والاندفاع إلى الخير والجهاد في سبيله<sup>(1)</sup>.

ب- ربط العلم بالعمل، والقول بالتطبيق<sup>(2)</sup>.

وتعد سيرتهم وخصالهم منظومة مثالية في كمال النفس تستقي الأمة الإسلامية من معينها وتتهل منها أقوم المناهج في تحقيق الركيزة الأساسية - معرفة الخالق والدعوة إليه - التي بها تحفظ صرحها من التضعع والإسفال، ويعد كل ما أورده القرآن من قصصهم وحالهم مع أقوامهم ثروة عظيمة يستمد منها الدعاة العاملون سبل النجاح في مشاريعهم الدعوية.

**الفرع الثاني: أهمية نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في بناء الأمة الإسلامية**

قبل الشروع في الحديث عن أهمية نبوة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، ومآثرتها وجب أن نستعرض حال العرب قبل البعثة لنقف على أهم حقيقة الإنجاز الذي صنغته البعثة المحمدية في قلب ماهية الإنسان.

**أولاً: أوضاع العرب قبل البعثة**

كان العرب من الناحية الدينية قد «أغرقوا في الوثنية، وأولعوا بالأصنام، فكان في جوف الكعبة وفنائها ثلاث مئة وستون صنماً، وكان في كل دار من مكة صنم يعبد... إلى أن وصلوا - رغم ما طبعوا عليه من الفتوة والمروءة وكثير من الأخلاق العربية الكريمة - إلى درجة سخيفة راعنة من الوثنية وعبادة الأصنام والتمسك بالخرافات والأوهام، وجهل المفاهيم الدينية الصحيحة، والبعد عن الإبراهيمية الحنيفية السمحة، درجة لم يصل إليها إلا النادر من الشعوب والأمم»<sup>(3)</sup>.

أما من الناحية الخلقية فقد كانت ضعيفة - غير الأعراف والآداب والقيم الجاهلية التي كانوا يؤمنون بها ويعضون عليها بالتواجد - فقد فشا فيهم القمار، والميسر، وافتخروا به، وفشت فيهم الخمر وانتشرت القيان، ومجالس اللهو، وحفلات العزف التي يقدم فيها

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، النبوة والأنبياء، مصدر سابق، ص 28.

<sup>2</sup>: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 3/340.

<sup>3</sup>: الندوي، السيرة النبوية، دار الشروق، جدة، ط 8، 1409 هـ، 1989 م، ص 97.

الشراب، وفشا فيهم بعض الفواحش، وقد وجد الظلم والقسوة، وغمط الناس، وبطر الحق، وأكل أموال الناس بالباطل<sup>(1)</sup>.

وأصدق شهادة في ذلك شهادة من عايش الوضع في حينه؛ فقد صورّه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه أمام ملك الحبشة حالهم بقوله: «أيها الملك: كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف..»<sup>(2)</sup>.

فإن كان هذا واقع العرب، فإن الإنسانية كانت تعيش أخرج الأوقات من الحيرة والشقاوة، واليأس والتشاؤم، لأنها فقدت المرشد المعصوم والناصح الأمين والداعي المخلص الرحيم، «وليست حاجة أهل الأرض إلى الرسول كحاجتهم إلى الشمس والقمر، والرياح والمطر، ولا كحاجة الإنسان إلى حياته، ولا كحاجة العين إلى ضوئها، والجسم إلى الطعام والشراب، بل أعظم من ذلك، وأشد حاجة من كل ما يقدر ويخطر على البال، فالرسل وسائط بين الله وبين خلقه في أمره ونهيه، وهم السفراء بينه وبين عباده»<sup>(3)</sup>، وأصبح كل ما تستند إليه من الديانات هو سبب شقائها بعينه لأنها قد وقعت تعاليمها في يد العابثين أصحاب الأهواء الفاسدة، «فأصبحت اليهودية مجموعة طقوس وتقاليد لا روح فيها ولا حياة، وهي -بصرف النظر عن ذلك- ديانة سلالية، لا تحمل للعالم رسالة، ولا للأمم دعوة، ولا للإنسانية رحمة»<sup>(4)</sup>، أما المسيحية فقد امتحنت بتحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، ووثنية الرومان المنتصرين، منذ عصرها الأول، وأصبح كل ذلك ركاما، دفنت تحته تعاليم المسيح البسيطة، واختفى نور التوحيد وإخلاص العبادة لله وراء هذه السحب الكثيفة»<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، السيرة النبوية، مصدر سابق، ص96.

<sup>2</sup>: رواه أحمد في المسند -مسند أهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين- حديث جعفر رضي الله عنه وهو حديث الهجرة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1417هـ، 1997م، 3/266.

<sup>3</sup>: ابن تيمية: مجموع فتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، (د ط)، 1425هـ، 2004م، 101/19.

<sup>4</sup>: الندوي: السيرة النبوية، مصدر سابق، ص23.

<sup>5</sup>: المصدر نفسه، ص24.



وقد كانت مقابل العرب حضارتان؛ الحضارة الرومية والفارسية اللتان كانتا تملكان كل شيء وقد توفرت عندهما الوسائل، وخضعت لهما خضوعاً تاماً، ولكن كان هنالك فراغ عقائدي، فراغ إيمان، فراغ هدوء، فراغ سكينه، فراغ ثقة بالنفس، وثقة بالإنسان، وثقة بمستقبله، وباستحقاقه، وجدارته للبقاء وللمسيرة، وقد سدّت الأبواب أمامها، ووقفنا مضطربتين على نقطة التقدّم، ونقطة الرفاهية، ونقطة التمتع باللذات، ونقطة التلهي والتشهي، ونقطة التقنّن في الحضارة<sup>(1)</sup>، وعليه فقد كان العالم كله في ظلام مطبق يتسكع في الجهالات والسفالات، يعيش أفراده في طبقة بين السيادة والعبودية، تعيش الأولى ما تمليه الأهواء والشهوات وتتملكها القوة، وتكابد الثانية حياة مسلوّبة الحقوق والحرية، فلا صلة تشد بعضها إلى بعض، يعيش الإنسان من غير غاية رشيدة، فلا تصور صحيح للحياة، ولا منهج يضمن له الثبات والسلامة والاستمرارية، ولا حضور للأخرة ولا وجود لها في عالم الأفكار والسلوكات.

### ثانياً: نكبة العصر الجاهلي

يحيلنا الندوي إلى أن نكبة العصر الجاهلي انحصرت في فقدان ثلاث مقومات أساسية: العلم الصحيح، والإرادة الخيرة، وفقدان الجماعة التي تنتصر للحق وتحارب الباطل، وتصارع الشرّ، وتبني عالماً جديداً. وعليه يكون منجز بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إيجاد هذه العناصر الثلاثة الرئيسية في الحياة الإسلامية.

### ثالثاً: أهمية البعثة المحمدية

تتضمن الرسالة المحمدية الكثير من المبادئ الرئيسية، وهي أوسع من أن تحصر وأكثر من أن تعدّ، إلّا أننا نذكر منها ما اعتبره الندوي من المآثر والمنح الكبرى<sup>(2)</sup>:

أ- إعلان عقيدة التوحيد النقية الواضحة.

ب- مبدأ الوحدة الإنسانية والمساواة البشرية.

ج- إعلان كرامة الإنسان وسموّه.

<sup>1</sup> ينظر: الندوي: محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 507/2.

<sup>2</sup> ينظر: الندوي، الإسلام أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية، دار الصحوة، ط1، 1406هـ، 1986م، ص77.

د- محاربة اليأس والتشاؤم وبعث الأمل والرجاء والثقة والاعتزاز في نفس الإنسان.  
هـ- إنشاء الرباط المقدس بين الدين والعلم، حيث "ربط مصير أحدهما بالآخر، وفخّم شأن العلم وحثّ عليه.

و- ردّ الاعتبار للمرأة ومنحها حقوقها وحظوظها.

ز- الجمع بين الدين والدنيا وتوحيد الصفوف المتنافرة والمعسكرات المتحاربة.

ح- تعيين الأهداف و الغايات وميادين العمل والكفاح.

رابعاً: أهم الأسس التي أقامت البعثة المحمدية

أقامت البعثة النبوية مجموعة من الأسس الضرورية التي تقوم عليها الحياة

الدينية، من أهمها:

أ- الإيمان بالغيب

إن أبرز الأسس التي طالب به القرآن الكريم<sup>(1)</sup> وجاءت لتحقيقها البعثة المحمدية، هي الإيمان بالغيب ووجود عالم لا تدركه الحواس، وهو لبّ دعوته عليه السلام، وأبرز غاياتها، وهو الشرط الأساسي للهداية، ذلك أن مما ذكره القرآن الكريم من صفات الله تعالى وأفعاله ما لا يقبل ولا يصدق إلا بالإيمان بالغيب، ومن الوقائع والحوادث وآلاء الله وأيامه، وأخبار الرسل وما يجري على أيديهم من المعجزات، وما أظهر لهم من الآيات، ما لا يطيقه العقل، ولا يسيغه إلا الإيمان بالغيب<sup>(2)</sup>، ويعدّ هذا الأساس «الوسيلة الوحيدة لمعرفة الله تعالى المعرفة الصحيحة؛ التي لا يشوبها جهل ولا ضلال ولا سوء فهم، ولا سوء تعبير، ولا سبيل إلى معرفة الله الصحيحة إلا ما كان عن طريقهم، لا يستقل بها العقل، ولا يغني فيها الذكاء، ولا تكفي سلامة الفطرة، وحدّة الذهن، والإغراق في القياس، والغنى في التجارب»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>: ويعد الإيمان بالغيب من أهم العوامل الذي تستفيد به الأمة الإسلامية من أسرار القرآن الكريم ومن توجيهاته الربانية وقد جعله القرآن الأساس في الانتفاع به، وقد جاء ذلك في مفتتح سورة البقرة ﴿ذَلِكَ آيَاتُ لِرَبِّ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْتُونَ بِالنَّيِّبِ وَيُؤْمِنُونَ بِالصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُعْفُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة البقرة: 2-5] ، فكان سبيل الانتفاع بالهدي القرآني هو الإيمان بالغيب واليقين بالآخرة .

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 44/3.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، 16/3.

وقد خصّ الله صفوة الخلق من الأنبياء بميزتين تكمن في الإطلاع على جانبين: الجانب الحسي بحكم النبوة التي يكرمهم الله بها، والاتصال بعالم الغيب تحت الإرادة الإلهية<sup>(1)</sup> ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [سورة الكهف: 11]، وبذلك تكون النبوة الوسيلة الوحيدة التي تربط بين عالم الحس والغيب.

فالمشكلة الرئيسية التي كانت قائمة في العرب - كما يرى الندوي - بصفة عامة، وأهل مكة بصفة خاصة، أنهم كانوا بعيدي العهد بالنبوات، وبتصورهم لعالم الغيب، فقد غابت هذه القنطرة التي كانت تصل بين عالم الغيب، وبين عالم الحس، فلما فقدت هذه القنطرة أصبحوا يجهلون عالم الغيب جهلا كلياً<sup>(2)</sup>.

إلا أن ما حكم عليه الندوي من جهل العرب بعالم الغيب جهلا كلياً لم يكن على الإطلاق، لأن واقع العرب آنذاك يثبت أن نصيباً من الغيب كان مدركاً عندهم، ومن ذلك إقرارهم بوجود الله وقد تجلّى مشكل العرب في أحدية الله سبحانه وتعالى، وآمنوا بتعددده لذا قالوا: ﴿أَجْعَلِ الْأَلْهَةَ إِلَهًا وَحِدًا﴾ [سورة ص: 5]، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [سورة الزمر: 3]، وقد كانت "كنانة" و"قريش" إذا أهلوا قالوا: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك»<sup>(3)</sup>، إضافة إلى وجود بقية من الناس التي كانت سائرة على أثر الملة الحنيفية، مؤمنة ببعض الغيبيات من البعث والنشور، والجزاء والعقاب، معتزلة في ذلك ما آلت إليه العرب من عبادة الأوثان، وانحراف فطرتها وفساد أخلاقها، فكان من هؤلاء "قس بن ساعدة الإيادي"، و"زيد بن عمرو بن نفيل"، و"عامر بن الظرب العدواني"، و"عبد لطابخة بن ثعلب" وغيرهم<sup>(4)</sup>.

إن أول القضايا التي دعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم وجود عالم الغيب، وقد تجلّى ذلك كأول نموذج من دعوته على جبل صفا: "يا صباحاه"، وفي ذلك اتخذ عليه الصلاة والسلام أنجع الطرق لتهيئة نفوس المخاطبين لذلك، وهي إقرارهم بمكانته الخلقية فيهم،

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 14/3.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، 478/1.

<sup>3</sup>: ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1375هـ، 1955م، 78/1.

<sup>4</sup>: ينظر: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي، دمشق، (د ط)، (د ت)، 89/3.

فقال: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟ قالوا نعم! قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»<sup>(1)</sup>، فقد «أنذرهم بالخطر الحقيقي الدائم الذي يهددهم، والذي هو طبيعة هذه الحياة التي يحيونها، والعقائد التي يدينون بها، والأصنام التي يعكفون عليها، والعادات الظالمة، والأخلاق الجاهلية التي يتمسكون بها»<sup>(2)</sup>.

## 2- تزكية النفوس

وهو الأساس الثاني الذي يشغله عمل النبوة ويركز عليه، وقد بين القرآن الكريم ذلك في كثير من الآي كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة البقرة: 129]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [سورة الجمعة: 2]. وكانت البعثة المحمدية من عظيم نعم الله على الأمة الإسلامية وكبير منته ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [سورة آل عمران: 164].

فبينت الآيات الغاية من بعثته عليه السلام، «فكانت التلاوة، وكان تعليم الكتاب، وتعليم الحكمة، وتزكية النفوس من المقاصد الأولى التي كانت لها البعثة وهي أركان هذه الدعوة الأربعة، والمظاهر الكبرى التي تجلت فيها معجزة هذه النبوة الإصلاحية والتربوية، وكل ما عداها من تقنين وتشريع، وأحكام وفروع، وحكم وجهاد، فهو من توابع هذه المقاصد وذيولها، ولوازمها، وامتدادها»<sup>(3)</sup>.

وينبه الندوي من خلال دراسته للقرآن الكريم على أن الأخلاق الفاضلة، والآداب الإسلامية هي من أهم تجليات الحكمة ومظهر من مظاهرها، وقد أطلق القرآن الكريم لفظ الحكمة على هذه الأخلاق والآداب في عدة مواضع، وقد ذكر في سورة الإسراء التعاليم الخلقية الأساسية في موضع واحد ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سورة الإسراء: 23] إلى قوله: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [سورة الإسراء: 38].

<sup>1</sup>: رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، رقم (4770).

<sup>2</sup>: الندوي، مقالات إسلامية، مصدر سابق، 45/2.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، 51/2.

فلما انتهى من ذكر هذه التعاليم الخلقية، التي تلتقي عليها الأديان والأمم، والفطري المستقيمة، والعقول السليمة، من أول العصر إلى آخره، ختمها بقوله<sup>(1)</sup>: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ [سورة الإسراء: 39].

والموضع الثاني كان في سورة لقمان فقبل أن يذكر تعاليم لقمان الخلقية التي تبتدئ من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ... إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [سورة لقمان 13-19]. افتتح كل ذلك بقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ [سورة لقمان: 12]. فدل ذلك على أن كل ما نطق به لقمان، وصدر عنه من التعاليم الخلقية، والوصايا الحكيمة إنما نبعت عن هذه الحكمة التي أكرمها الله بها<sup>(2)</sup>.

والموضع الثالث ففي سورة البقرة، من قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ... وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: 261-268]. فبعد إيراد هذه الأخلاق الطيبة والصفات الفاضلة الكريمة ختمت بذكر الحكمة ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [سورة البقرة: 269].

فيرى الندوي أن كل ذلك يدل على أن الحكمة في اصطلاح القرآن وتعبيره، لها صلة عميقة وثيقة بالأخلاق فإذا لم تكن أخلاق لم تكن حكمة، وإذا لم تكن حكمة لم تكن أخلاق، وإذا تقرر ذلك فتعليم الأخلاق الفاضلة، وتهذيب النفوس وتزكية الأرواح -ولا يتم ذلك إلا بتصحيح العقائد، والتطهر من دنس الشرك والجاهلية، والتحلّي بالعلم الصحيح- يحتلّ مكانا كبيرا في مهمة النبوة المقدسة، ويشكّل مقصدا كبيرا من مقاصد البعثة الرئيسية، وقد دخل ذلك في تعليم الحكمة، وفي التزكية<sup>(3)</sup>.

وعليه فإن معشر الأنبياء وصفوة الخلق يقدمون للأمم ويمنحون الأجيال البشرية ثروة الأخلاق السامية، والقيم المثلى، التي تصنع الإنسان الحضاري، وإن «كل ما وجد في هذا العالم من المعاني الإنسانية الكريمة، والأحاسيس الرقيقة اللطيفة، والأخلاق العالية

<sup>1</sup>: الندوي، مقالات إسلامية، مصدر سابق، 52، 51/2.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، 52/2.

<sup>3</sup>: ينظر: المصدر نفسه، 53/2.

الفاضلة، والعلوم الصحيحة النافعة، ومن القوة والعزم على محاربة الباطل والفساد، إنما يرجع فضله، وينتهي تاريخه إلى وحي السماء، وتعليمات الأنبياء، وتبليغهم، ودعوتهم، وجهادهم، وإلى أصحابهم، وتابعيهم بإحسان، وما زال العالم ولا يزال يأكل من ردفهم، ويمشي في ضوئهم، ويعيش في البناء المحكم الذي بنوه»<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثالث: مآثرة البعثة المحمدية في إنجاز نموذج الأمة

إن من أبرز سمات البعثة المحمدية المنجز التاريخي الفريد الذي غير مجرى الحياة، فمن تصورات جاهلية لكل شيء، للخالق، وللكون، ولغاية الوجود، إلى تصور إسلامي صحيح، وذوق متميز ومنهج إلهي قويم للحياة تجلى في نظام متناسق تحكمه القيم والأخلاق التي جسدها سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام واقعا عمليا دونه التاريخ شهد له القاصي والداني من قريب وبعيد.

إن أعظم منجز في تاريخ الأمم والشعوب كان قد تمّ على يد خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم، وقد عدّ الندوي مآثرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أعزّ مآثرة تلمع على جبين الحياة الإنسانية من بين مآثر النبوة، وقد سجل التاريخ مآثره النبوية في تفصيل لا يوجد له نظير في غيره من الأنبياء، تميّز تميزا كبيرا عن سابقيه من إخوانه الأنبياء والمرسلين ذلك لأنه «بدأ عمل تكوين وتهذيب الإنسان من مستوى لم يبدأ نبي أو مصلح عمله منه ولم يكلف به، لأنه وجد مستوى أرفع منه بكثير، وقد بلغ صلى الله عليه وسلم بهذا العمل إلى مستوى لم يبلغ عمل نبي إليه، بدأ من مستوى تنتهي هنالك الحيوانية وتبتدئ منه الإنسانية، وبلغ إلى مستوى هو منتهى الإنسانية، ولا منزلة فوقه إلا النبوة، وقد ختمت بمحمد صلى الله عليه وسلم»<sup>(2)</sup>.

### أولا: النماذج المثالية الذي أوجدتها النبوة

يعد الندوي بروز صناعة النماذج المثالية التي كوّنت النواة الأولى للأمة الإسلامية من أروع ما شهده التاريخ من نماذج إنسانية عملية، يشق الطريق للإسلام، وتترامى

<sup>1</sup>: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 26، 25/3.

<sup>2</sup>: الندوي، النبوة والأنبياء، مصدر سابق، ص 97.

بفضله وتأثيره أمة وأقطار في أحضان الإسلام، ويتكون مجتمع كامل حي يعتبر مجتمعا مثاليا نموذجيا من كل الجوانب.

وبعد أن تشبث الجيل الأول بحقيقة الإسلام وتعاليم القرآن الكريم فهما وعملا، والأخذ بالتوجيه النبوي، حدث هنالك تغيير جذري على مستوى التصورات والأذواق والأخلاق وموازين الأشياء ومقومات الحياة، ووقع انخلاع عن الجاهلية، فأبصروا النور بعد الظلام الحالك بفضل المنحة المحمدية وانكشفت لهم حقائق الأمور، فاستقامت العلاقة بينهم وبين خالقهم، وأدركوا سر الوجود، ونشأت فيهم روح العمل فصاروا جيلا عمليا لتعاليم القرآن والنبوة، حينها أصبحوا كما وصفهم الندوي «نموذجا رائعا للتربية النبوية، ومفخرة وشرفا للنوع الإنساني، لا توجد صورة في المصور الإنساني العالمي الواسع، بل في الكون كله، أجمل، وأروع وأشرف من هذه النماذج الإنسانية والأنماط البشرية، باستثناء الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم أجمعين»<sup>(1)</sup>، ولا عجب في ذلك لأن هذه الصفات العلية يجب أن تتحقق فيمن شاءت الإرادة الإلهية أن يكونوا ورثة الأنبياء وخلفائه في دعوته ورسالته العالمية، بل وكان «يمتاز أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم كانوا جامعين بين الديانة والأخلاق والقوة والسياسة، وكانت تتمثل فيهم الإنسانية بجميع نواحيها وشعبها ومحاسنها المتفرقة في قادة العالم، وكان يمكن لهم -بفضل تربيتهم الخلقية والروحية السامية واعتدالهم الغريب الذي قلما اتفق للإنسان، وجمعهم بين مصالح الروح والبدن واستعدادهم المادي الكامل وعقلهم الواسع- أن يسيروا بالأمة الإنسانية إلى غايتها المثلى الروحية والخلقية والمادية»<sup>(2)</sup> و«حوت من ألوان العظمة في كل اتجاه ما لم يجتمع لأمة أخرى في التاريخ بهذه الوفرة وذلك التعدد وتلك الآفاق؛ عظمت حربية وعظمت سياسية وإدارية وعظمت نفسية وعظمت روحية.. عظمت من كل نوع وفي فترة وجيزة من عمر الزمن كأنها لحظات! .. ولقد كان ذلك كله هو الثمرة الجنية للتربية الإسلامية في أعلى صورها، على يد أعظم مرب في التاريخ»<sup>(3)</sup>. وقد تميزت هذه الطبقة «بقوة الحفظ والفهم والفقهاء في الدين والبصر والتأويل، فجرت من النصوص أنهار العلوم، واستتبنت منها

<sup>1</sup>: الندوي: مقالات إسلامية، مصدر سابق، ص13.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مكتبة الإيمان، مصر، (دط، دت)، ص109.

<sup>3</sup>: محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، ط10، 1412هـ، 1992م، 2/15.

كنوزها، ورزقت فيها فهما خاصا، كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد سئل: هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء دون الناس؟ فقال: لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا فهما يؤتية الله عبدا في كتابه»<sup>(1)</sup>.

وقد أفاض الندوي في الحديث عن النماذج التي صنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تميزت به من صفات عديدة انفردت بها عن الأجيال التي تلتها وعليه يقول: «ولكننا إذا لم نجد مع الأسف وصفا كاملا شاملا وتصويرا جامعاً لهذه الجماعة الفريدة التي أبرزتها للعالم تربية الرسول صلى الله عليه وسلم، وصحبته، فإننا نجد وصفا لبعض الشخصيات.. وبهذا الوصف نستطيع أن نستعرض آثار التربية النبوية ومدى نجاحها وإبداعها، ونرى نموذجا رائعا رفيعا لهذا الجيل الذي ظهرت فيه معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم في أروع مظاهرها»<sup>(2)</sup> ويعرض الندوي هذه الصورة التي تجلت في شخص أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وذلك ما وصفه به ضرار بن مرة في مجلس معاوية رضي الله عنه بقوله:

«والله كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلا، ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، وينطق بالحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير الدمعة، طويل الفكرة، يقلب كفه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشِب، كان والله كأحدنا يجيبنا إذا سألناه، ويبتدئنا إذا أتينا، ويأتينا إذا دعونا، ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبية ولا نبتديه لعظمة، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا يبأس الضعيف من عدله، وأشهد بالله لقد رأيت في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سجوفه، وغارت نجومه، وقد مثل في محرابه قابضا على لحيته يتململ تلملم السليم، ويبكي بكاء الحزين، وكأنني أسمع وهو يقول: يا دنيا! يا دنيا! أبي تعرضت؟ أم لي تشوفت؟ هيهات هيهات! غري غيري، قد بتتكَ ثلاثا لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك كبير!! آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق؟!»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>: ابن تيمية: مجموع الفتاوى، مرجع سابق، 93/4.

<sup>2</sup>: الندوي، النبوة والأنبياء، مصدر سابق، ص101.

<sup>3</sup>: ابن الجوزي: صفوة الصفوة، تحقيق: خالد طرطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1433هـ، 2012م، ص118.



بفضل التعليم النبوي، والتربية الحكيمة الدقيقة وبشخصيته الفذة، وبفضل هذا الكتاب السماوي المعجز الذي لا تتقضي عجائبه ولا تخلق جدته، بعث رسول الله في الإنسانية المحتضرة حياة جديدة، فحول خامات الجاهلية إلى عجائب الإنسانية.. وعمد إلى الذخائر البشرية وهي أكداس من المواد الخام لا يعرف أحد غناها، ولا يعرف محلها وقد أضاعتها الجاهلية والكفر، والإخلاق إلى الأرض، فأوجد فيها بإذن الله الإيمان والعقيدة وبعث فيها الروح الجديدة، وأثارها من دفائننا وأشعل مواهبها، ثم وضع كل واحد في محله فكأنما كان جمادا فتحول جسما ناميا وإنسانا متصرفا، وكأنما كان ميتا لا يتحرك فعاد حيا يملئ على العالم إرادته، وكأنما كان أعمى لا يبصر الطريق فأصبح قائدا بصيرا يقود الأمم<sup>(1)</sup> ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ﴾ [سورة الأنعام: 122].

### ثانيا: إيجاد أمة تضطلع بأعباء الرسالة والإصلاح

يرى الندوي أن الفساد كان أعظم وأوسع من أن يتداركه أفراد منتصرون، ومصلحون موزعون، أو عصابة قوية، أو مؤسسة غنية، فقد اتسع الخرق على الراقع، وطمّ الوادي على القرى، وإنما السبيل في تدارك هذا الفساد عمل أمة تبعث وتتصل، وتستمر، وتكافح، وتتاضل، وتنتشر في أرض الله، وتتحدى الباطل أينما كان، وتجتث الشر أينما وجد، وتملأ أرض الله قسطا وعدلا، كما ملئت ظلما وجورا، وكان العالم في حاجة إلى بعثة نبي من أعظم الأنبياء مقرونة ببعثة أمة من أقوى الأمم<sup>(2)</sup> ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران 110].

وعليه نجد أن مآثر النبوة الطيبة تلخصت في إيجاد العناصر الثلاثة المفقودة في الأمة الإسلامية ابتداء وفي البشرية انتهاء وهي: العلم الصحيح، الإرادة الخيرة، والجماعة التي تنتصر للحق وتحارب الباطل، وتصارع الشر، وتبني عالما جديدا. فقد أوجدت الفرد الصالح والمجتمع الصالح، والأمة المسلمة القائمة على رسالة الإسلام، كما أوجدت أوثق الروابط والوشائج، وحاربت الأمراض والأدواء، وأنشأت شبكة اجتماعية عزّ أن ينتج التاريخ مثلها.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص 102.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 85/3.

## ثالثاً: النظرة النبوية للأمة الإسلامية

لا تختلف النظرة النبوية عن النظرة القرآنية للأمة الإسلامية في نظر الندوي، وقد تمثلت النظرة النبوية في القلة المؤمنة المخلصة التي مثلت غزوة بدر، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف قيمة هذه الكتيبة المؤمنة، التي قادها إلى بدر، وقد حشد كل طاقته وكل ذخيرته إلى هذه الساحة التي كانت تقرر مصير الإنسانية، ثم قام يدعو ربه، ويبتهل إليه، ويخر ساجدا ويقول: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لن تعبد»<sup>(1)</sup>.

ويرى الندوي أن العالم الإسلامي بأكمله مرتبطاً بمدينا لهذا النصر المبين، الذي تحقق في ساحة بدر، ولا يزال يعيش في ظلال هذا الانتصار<sup>(2)</sup>.

وعليه فإن النبوة تقدم للأمة الإسلامية قيمتها، وشخصيتها الدينية، وخصائصها، والأبعد من ذلك أنها ترى أن مدار الفساد في الأرض مرتبط بانتكاس الأمة الإسلامية وتفاصرها عن وظيفتها الحضارية تجاه الإنسانية.

<sup>1</sup>: رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، رقم(1763).

<sup>2</sup>: الندوي، بين نظرتين، مصدر سابق، ص16.

### المطلب الثالث: دور حفظ الموروث في بناء الأمة

تضمن هذا المطلب ثلاث فروع؛ الأول في الحديث عن القدوة الدائمة للإنسانية، و الثاني عن دور الحديث في صيانة الأمة وثباتها على المنهج المطلوب، والثالث في أهمية الحديث في الإصلاح والتجديد.

#### الفرع الأول: القدوة الدائمة للإنسانية كلها

إن أبرز خصائص الأمة الإسلامية أن مصادر دينها محفوظة-القرآن وسيرة نبيها- ما يمكنها من الحفاظ على شخصيتها من الزوال والضياع، ومن هنا في تختلف عن الأمم السابقة التي ضيعت أخبار أنبيائها وتوجيهاتهم والحكم البوالغ التي نطقوا بها، ما أدى بهم إلى التيه والضياع في ضلالات رجال دينها، ما حال بينها وبين تحقيق حياة مثالية يقودها وحي السماء.

إن وجود النبي صلى الله عليه وسلم بشخصه في الأمة الإسلامية لن يتكرر في مسيرتها، وعليه فإن وجوده النبي بشخصه ليس شرطاً في إقامة الأمة المسلمة، ولو كان الأمر كذلك ما استطاعت الأمة أن تكمل مسيرتها وتستمر في حركتها، ولا أمكننا أن نفكر في إعادة بناء الأمة لأن تحقق عنصر وجود شخص النبي صلى الله عليه وسلم مفقود، وإنما الشرط في ذلك توفر كل ما يحيط بشخصه الكريم من دقائق الأمور وتفاصيل حياته، لتتيح فرصة معايشة حياته والاهتداء بسيرته وسريرته، لذا كان الموروث من حياته من أهم العناصر الضرورية في بناء الأمة بناءً واقعياً.

ولما كان هذا العامل من أهم الأسس التي يضمن للأمة الإسلامية البقاء واستمرارية في حركتها، نجد أنه قد تمّ حفظ موروثها من الزوال والتحريف والافتراء، فكانت حياته صلى الله عليه وسلم القدوة سالحة، والأسوة الحسنة، على اختلاف الأزمنة والأماكن، وقد وصف سبحانه وتعالى ذلك: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: 21]، وقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: 31]، وقال: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسَرَاجًا مُنِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: 45، 46].

ولأهمية حياة النبوة في بناء الأمة الإسلامية فإننا نجد لها قد خلدت عن طريق «حفظ أخباره، وآثاره، وصفاته، وأخلاقه، وعاداته، وتصرفاته، وصرف الله قلوب المسلمين إلى تتبع كل ما يصدر عنه من حركة وسكون، وأخذ ورد، وعادة وعبادة، وأهمهم الاعتناء به..، وقد تجلت هذه العناية الإلهية بكل وضوح في الحديث والسيرة، وفي كتب الشمائل، وفيما أثر عن الوصافين الحاذقين من أصحابه وأهل بيته»<sup>(1)</sup>.

أما الحديث النبوي فيؤثر الندوي تسميته "سجل الوقائع اليومية" وشبهه مذكرات لمدة ثلاث وعشرين سنة قضاها النبي صلى الله عليه وسلم..، ترينا كيف كان الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم يعيش في هذه الحياة، وكيف كان يقضي نهاره، وليله، وتعرف عنه من دقائق الأخلاق، والعادات، والميول، والرغبات، والقول، والعمل ما لا نعرفه عن كثير من الشخصيات التي عاشت قريبا، بل عن الشخصيات المعاصرة أحيانا<sup>(2)</sup>.

والحكمة من وراء حفظ سيرته أنها كانت حجة، لئلا يكون لمتعلل بانقراض الآثار، وانقطاع الأخبار عذر في ترك التأسّي، والافتداء، كما هو الشأن في قضية الأنبياء الذين لم يبق لبعضهم إلا الاسم أو أخبار مبتورة لا تكفي للاقتداء، والافتقاء<sup>(3)</sup>.

وأما ما نجده في «حياة الصحابة الكرام، والتابعين لهم بإحسان بجانب العقائد والأعمال- من الخلق الإسلامي، والذوق السامي، والعواطف الدينية العميقة، والكيفيات الإيمانية العجيبة- لم تكن نتيجة تلاوة الكتاب وحدها، وإنما كانت- بجانب ذلك- فيها يد لتلك الحياة المثلى المؤثرة، الحبيبة الأثيرة، التي كان يتقيؤون في ظلالها، ويتذوقون جمالها، ولتلك السيرة والأخلاق الفاضلة التي كانوا يشاهدونها، ولتلك المجالس والصحبة، والإرشادات، والتعليمات التي ظلوا يسعدون بها»<sup>(4)</sup>.

ومن جملة خصائص حديثه عليه الصلاة والسلام التي أثر الندوي أن يكون كلام الجاحظ أحسن صورة لها أنه عليه الصلاة والسلام: «.. لم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام حفّ بالعصمة، وشدّ بالتأييد ويسر بالتوفيق، وهذا الكلام

<sup>1</sup>: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 109/3.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، 110/3.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، 110/3.

<sup>4</sup>: المصدر نفسه، 564/3.

الذي ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة...، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعمّ نفعا ولا أصدق لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا ولا أسهل مخرجا ولا أفصح عن معناه، ولا أبين عن فحواه من كلام النبي الكريم صلى الله عليه وسلم»<sup>(1)</sup>، و«قد ذلّ بالقرآن لسانه، وامتزج القرآن بلحمه ودمه، وجرى فيه مجرى الروح وأخذ بقلبه واستأثر بلبه، بل أشرب في قلبه القرآن الكريم، وتمكن منه ما الله أعلم به، فإن لم يكن كلامه بعد ذلك من الوحي، فكما قال الشاعر مصطفى صادق الرافعي: "قد جاء من سبيله، وإن لم يكن له منه دليل، فقد كان هو من دليله، قد عبّد له الوحي طريق الكلام وذللّه، كما كان بعد السيل مجراه مرتعا"»<sup>(2)</sup>.

### الفرع الثاني: دور الحديث في صيانة الأمة وثباتها على المنهج المطلوب

من أهم الغايات التي يؤديها الحديث النبوي في الأمة الإسلامية صيانة الحياة وتقويمها، لما يحمله من خصائص تحقق هذه الغايات.

#### ولا: مصدر القوة و محاربة الفساد

يعدّ الندوي الحديث مصدر القوة والإصلاح ومحاربة الفساد و«ميزان عادل يستطيع المصلحون في كل عصر أن يزنوا فيه أعمال هذه الأمة واتجاهاتها، ويعرفوا الانحراف الواقع في سير هذه الأمة، ولا يتأتى الاعتدال الكامل في الأخلاق والأعمال إلا بالجمع بين القرآن وبين الحديث الذي ملأ هذا الفراغ الذي وقع بانتقال الرسول صلى الله عليه وسلم»<sup>(3)</sup>، وهو السبيل الذي حفظ الأمة من الإفراط والتفريط وذلك عن طريق تمثيله للحياة المعتدلة الكاملة المتزنة، والتوجيهات النبوية الحكيمة، والأحكام التي أخذ بها الرسول المجتمع الإسلامي، فكان الكفيل في اتزان حياة الأمة<sup>(4)</sup>.

ويرجع سبب ذلك أن الحديث «زاهر بالحياة والقوة والتأثير الذي لم يزل يبعث على الإنتاج، والزهد، والتقوى، ولم يزل باعنا على محاربة الفساد والبدع، وحسبة المجتمع، ولم يزل يظهر بتأثيره في كل عصر وبلد، من رفع الإصلاح والتجديد، وحارب البدع

<sup>1</sup>: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 598/3.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، 596/3.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، 551/3.

<sup>4</sup>: ينظر: المصدر نفسه، 553/3.

والخرافات، والعادات الجاهلية، ودعا إلى الدين الخالص، والإسلام الصحيح، لذلك كلّه كان من حاجات هذه الأمة الأساسية، وكان لابد من تقييده، وتسجيله، وحفظه ونشره»<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: الحفاظ على الجو الإيماني والذوق الإسلامي الصحيح

إن من أهم ميزات الحديث، أنه حفظ لنا من حياته عليه الصلاة والسلام حقيقة الإسلام وشرائعه قلباً وقالبا، شكلاً وروحاً، وقد أعطى الندوي من ذلك نماذج من حياة النبي عليه الصلاة والسلام مع أصحابه، وكيف عاشوا الإسلام ذوقاً ومشاهدة وعملاً، لتبرز أهمية وجود "القدوة" و"القيادة" ومركزيتها في الأمة المسلمة.

ومن جملة ما تذوقه الصحابة رضي الله عنه منه صلى الله عليه وسلم الصلاة، فلم يتوصلوا إلى كفيّتها الصلاة الصحيحة إلا حينما صلّوا مع رسول الله فعلاً، وشاهدوا هيئة ركوعه وسجوده، وذلك ما وصفوا به حاله صلى الله عليه وسلم في الصلاة بقولهم: «يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء»<sup>(2)</sup>، كما أنهم علموا من القرآن أن الصلاة شغل المؤمن، ووظيفته الحبيبة، لكنهم لم يتمكنوا من تقدير مدى شغف المؤمن بها وحنينه إليها؛ إلا لما سمعوه عليه الصلاة والسلام يقول: «وجعل قرّة عيني في الصلاة»<sup>(3)</sup>، «يا بلال أقم الصلاة، وأرحنا بها»<sup>(4)</sup>، كما لم يتمكنوا من عمق الصلة بين المسجد وقلب المؤمن، حتى سمعوا: «ورجل قلبه معلق بالمساجد»<sup>(5)</sup>، ولم يتطلعوا على حقيقة الدعاء الذي حثهم عليه القرآن إلا عندما شهدوا النبي صلى الله عليه وسلم في بدر واضعاً جبهته على الأرض يقول: «اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد»<sup>(6)</sup>، ولم يعرفوا حقيقة الاعتراف بالعبودية والعجز والتضرع والتذلل؛ إلا عندما سمعوه عليه الصلاة

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 3/551، 552.

<sup>2</sup>: رواه النسائي في سننه، كتاب السهو، باب البكاء في الصلاة، رقم(1214)، ينظر: سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط2، 1406هـ، 1986م، 3/13.

<sup>3</sup>: رواه النسائي في سننه، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، رقم(3940)، مرجع سابق، 61/7.

<sup>4</sup>: رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، رقم(4985)، ينظر: سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، دمشق، 1430هـ، 2009م، 7/338.

<sup>5</sup>: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، رقم(660).

<sup>6</sup>: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في درع النبي صلى الله عليه وسلم والقميص في الحرب، رقم(2915).

والسلام في عرفات يقول: «اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني، وتعلم سري وعلانيتي، لا يخفى عليك شيء من أمري، وأنا البائس الفقير، المستغيث المستجير، الوجل المشفق، المقرّ المعترف بذنبي، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهاج المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، ودعاء من خضعت لك رقبتك، وفاضت لك عبرته، وذل لك جسمه، ورغم لك أنفه، اللهم لا تجعلني بدعائك شقياً، وكن لي رؤوفاً رحيماً، يا خير المسؤولين ويا خير المعطين»<sup>(1)</sup>، وهكذا كان شأن الدين كله، فقد شاهد الصحابة رضي الله عنهم الإسلام عملاً وذوقاً<sup>(2)</sup>.

وحياة النبي صلى الله عليه وسلم المباركة، وإرشاداته، وتعاليمه في نظر الندوي هي الكفيلة في خلق ذلك الجوّ الذي تخضر فيه شجرة الدين، وتورق وتثمر، لأن الدين ليس مجموعة من الضوابط الخلقية الجافة، إنه لا يبقى حيّاً بدون العواطف والروح والوقائع، والأمثلة العملية<sup>(3)</sup>.

### الفرع الثالث: أهمية الحديث في الإصلاح والتجديد

إن أعظم ما يستلهم منه المؤمن من حياته عليه الصلاة والسلام المنهج القويم في التغيير والإصلاح، لأن أعظم ما قدمته حياة النبي صلى الله عليه وسلم؛ أن مثلت سيرته القرآن عملياً - فكان خلقه القرآن، وكان قرآناً يمشي في الناس - وقد كانت حياته هي الصورة الحقيقية الكاملة المثلى لمعاني القرآن وأوامره، وآدابه، وأخلاقه - وقد كان عليه الصلاة والسلام النموذج القرآني، وقد فهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معاني القرآن أصح الفهم من حياته عليه الصلاة والسلام، وعرفوا حقيقة ذلك وتفسيره بالواقع العملي من حياته صلى الله عليه وآله وسلم، وفهموا - من أسلوب حياته وحياة أهل بيته - معنى كون الآخرة هي خيراً وأبقى<sup>(4)</sup>، ومعيشة النبي صلى الله عليه وسلم وحياته وحياة أهل بيته معروفة في التاريخ، معروفة في السيرة النبوية، تثير العجب، وتسحر النفوس،

<sup>1</sup>: رواه الطبراني في المعجم الكبير، باب العين، عطاء عن ابن عباس، رقم(11405)، ينظر: المعجم الكبير للطبراني،

تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، 174/11.

<sup>2</sup>: الندوي، نظرات في الحديث، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1420هـ، 1999م، ص9-11.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، ص15، 16.

<sup>4</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص11.

وتملأ القلوب عظمة ومهابة، وتتصب للدعاة والسائرين على منهاج النبوة منارا عاليا من نور، وكان شعارها الدائم: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة»<sup>(1)</sup> ودعاؤها المقبول: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا»<sup>(2)</sup>.

ولذلك تبقى كتب السنة والحديث التي حفظت هذا المنبع الفياض «مصدرا من مصادر الإصلاح والتجديد»<sup>(3)</sup>، والتفكير الإسلامي الصحيح في الأمة الإسلامية، تلقى منه المصلحون في عصورهم العلم الديني الصحيح، والفكر الإسلامي النقي، واحتجوا بأحاديثه واستندوا إليها في دعوتهم، إلى الدين والإصلاح، وفي محاربتهم للبدع والفتن والفساد، ولا يستغني عن هذا المصدر كل من يريد إرجاع المسلمين في عصره إلى الدين الخالص، والإسلام الكامل، ويريد أن يوجد صلة بينهم وبين الحياة النبوية، والأسوة الكاملة»<sup>(4)</sup>.

كما أن بقاء صورة العهد النبوي-بجانب القرآن الكريم- مسجلة، وبقاء حديث صاحب النبوة، وصورة جو عهدها، معجزة من معجزات الإسلام، ومزية من مزاياه التي لا تشاركه فيها ديانة، وإن الدين الذي جاء ليبقى إلى يوم القيامة، ويقدم للأجيال القادمة نماذج عملية، ويوفر دواعي العمل ونوازعه، ويغذي العقل، والقلب في وقت واحد لا يمكنه أن يعيش بدون الجوّ، وهذا الجوّ قد بات مصونا محفوظا بفضل الحديث<sup>(5)</sup>.

ولعله من الأصح أن نسمي حياة النبي صلى الله عليه وسلم المحفوظة في المدونات الحديثية "بالقيادة الكاملة".

<sup>1</sup>: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق، باب لا عيش إلا عيش الآخرة، رقم(6413).

<sup>2</sup>: رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب في الكفاف والقناعة، رقم(1055).

<sup>3</sup>: وننبه هنا إلى أصناف الاستفادة من الهدى النبوي مستويات ثلاثة تتفاوت فيما بينها على تفاوت الاستعدادات النفسية، وقد بينها عليه الصلاة والسلام في قوله: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقيّة، قبلت الماء، فأنتبت الكأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشرّبوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به». رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم، رقم(2282). والصفان الأولان هما العنصران الصالحان في بناء الأمة، وأما ثالثهما فهو منبت الداء ومنبع كل فساد في الأمة.

<sup>4</sup>: الندوي، نظرات في الحديث، مصدر سابق، ص25.

<sup>5</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص32.



ومن هنا يبرز أن أهم العناصر في تكوين الأمة الإسلامية -في المنظور الشرعي- عند الندوي أمور ثلاث:

- 1- القرآن الكريم وهو المصدر الذي أوجد العلم الصحيح.
  - 2- شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أوجدت الإرادة الخيرة.
  - 3- تعليمات النبي عليه الصلاة والسلام وإرشاداته، وتوجيهاته، وأعماله التي أوجدت الجماعة التي تنتصر للحق وتحارب الباطل، وتصارع الشرّ، وتبني عالماً جديداً.
- ومفهوم الأمة الإسلامية عند الندوي يكمن في ما ألمح إليه -اعتماداً على هذه العناصر الثلاث- من أنه «هيكل اجتماعي تتجلى فيه العقائد، والأعمال، والأخلاق، والسلوك، والعواطف، والرغبات، والميول، والأذواق، والأواصر، والعلاقات»<sup>(1)</sup>.
- ومما سبق تبيّن أن القرآن والنبوة وما أثر عليها من المدونات الحديثية أهم العناصر التي يركز عليها في إعطاء الأمة البعد المثالي والواقعي. لما يلعبه من دور إصلاحي لواقع الأمة والمحافظة على شخصيتها الدينية.

<sup>1</sup>: الندوي: دور الحديث في تكوين المناخ الإسلامي وصيانتته، المجمع الإسلامي العلمي، الهند، ط2، 1410هـ، 1989م، ص8.

### المبحث الثالث: خصائص الفرد والمجتمع والأمة عند الندوي

تضمن هذا المبحث ثلاثة مطالب؛ الأول في خصائص الفرد المسلم، والثاني في خصائص المجتمع، أما الثالث ففي خصائص الأمة الإسلامية.

#### المطلب الأول: خصائص الفرد المسلم عند الندوي

يشتمل هذا المطلب على جملة الخصائص التي تتجلى في الفرد المسلم في تصوّر الندوي، وقد تضمن المطلب ثلاثة فروع؛ الفرع الأول في طبيعة الإنسان في تصوّر الندوي، والثاني في تأثير الندوي بنظرة جلال الدين الرومي إلى الفرد المسلم، والثالث في تأثيره بنظرة محمد إقبال إلى الفرد المسلم.

#### الفرع الأول: طبيعة الإنسان في تصوّر الندوي

من الأهمية معرفة تركيبية الإنسان الخلقية، لما لذلك من تأثير في السلوك والانطباعات والانفعالات، و لذلك نجد أن الندوي أولى هذا الجانب اهتماما كبيرا، فهو يرى أن الإنسان خلق «وسطا بين الملائكة والحيوانات، وركبت فيه طبائع هذين الجنسين المتناقضين تركيبيا لطيفا، حكيما بديعا، فهو مزيج غريب من الخواص الملكية، والخواص الحيوانية، ومن الأخلاق الإلهية، والعادات الحيوانية، ذلك لأن منصبه الذي رشّح له، وغايته التي طلب منه أن يبلغها ويحققها، ووضع فيه استعدادها وحبها، لم يرشح له الملائكة، ولم يخلق له الحيوانات، وذلك منصب الخلافة، ومركز الأمانة، وغاية العبادة»<sup>(1)</sup>.

وكلا منهما- الروح والجسد- له خصوصياته يجذب إليها؛ فالروح «تجذبه إلى أصلها ومنبعها، وتذكره بمنصبه ومركزه، وغايته ومهمته، وتفتح فيه الكوة إلى العالم الذي انتقل منه، إلى سعته وجماله، ونظافته وصفائه، وتثير فيه الأشواق والطموح، وتبعث فيه الثورة على المادة الكثيفة الثقيلة..، والتحرر من النظام الرتيب الخشيب، قيمة الحياة ولذتها، وسرور النفس وبهجتها، فلا يزال يحن حنين الطائر إلى الوكر، وحنين السمك إلى الماء، وذلك كله صنع الروح التي أودعت فيه، وانتقلت إليه من عالم الغيب»<sup>(2)</sup> ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الإسراء: 58].

<sup>1</sup>: الندوي، مقالات إسلامية، مصدر سابق، 260/1.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، 261/1.

أما الجسد فهو يجذب إلى الأرض - بكتافتها، وتبلدها، وثقلها، وسفالتها- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ [سورة الحجر: 26]، ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهَمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾ [سورة الصافات: 11]، ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ [سورة الرحمن: 14].

فإن طغت هته النزعة، وتحرر الجسد من سلطان الروح، وحرم توجيه النبوة وإرشادها وانقاد للنفس والهوى نتيجة انجذابه إلى أصله ومصدره كان كحال من وصفه القرآن الكريم: ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَتَبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ [سورة الأعراف: 175، 176]. وبذلك «يسترسل الإنسان في لذته وشهوته، ورتع فيها رتع البهائم السائمة، وجرّ بها جنونا..، وأبدع فيها ألوانا، وفنونا، وتخطى حدود العقل، والعرف، والصحة، والطب، والعدل والشرع وانصرفت همته، وذكاؤه، وإبداعه، وعبقريته إلى التفتن والتدقيق، والإسراف والإكثار من أنواع الطعام، والشراب..، ولا تصوير أدق، وأصدق من تصوير القرآن المعجز»<sup>(1)</sup> ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ [سورة محمد: 12].

ونجد الندوي قد جعل هاتين الطبيعتين وصراعهما هما اللتين حكمتا حركة التاريخ ومساره في تاريخ الأمم والشعوب وفي ذلك يقول: «وما تاريخ الإنسان الديني والخلقي إلا قصة صراع بين الطبيعتين، وتأرجح بين نهايتين»<sup>(2)</sup>، فكان لكل منهما آثار؛ فإن تغلبت الطبيعة الأولى، وتطرفت، وابتدعت الرهبانية، وغلت في التقشف في الحياة، ورفضت الطبييات..، فلم تكن نتيجة ذلك إلا أن ضعفت الأجسام، والعقول، وانحلت الروابط، وتعرض المجتمع الإنساني لخطر محقق، وتخلّى الإنسان عن منصب الخلافة الذي أكرمه الله به، وانسحب من ميدان الكفاح والمسؤولية<sup>(3)</sup>.

أما إن طغت الثانية، الطبيعة الجسدية الأرضية، أحيانا كثيرة، فانفلت «الإنسان من كل قيد من قيود العقل والشرع، ومن كل سلطة من سلطات الروح والأخلاق، وانساق لدواعي

<sup>1</sup>: الندوي، مقالات إسلامية، مصدر سابق، 262/1 .

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، 273/1.

<sup>3</sup>: ينظر: المصدر نفسه، 273/1.

المادة والمعدة، فأمعن في إرضاء شهواته البدنية، وتحقيق رغباته المادية..، فكانت نتيجة ذلك أيضا إلى أن أصبح الإنسان حيوانا مفترسا ضاريا، يفترس بني نوعه، ويزدرد أفراد أسرته وما قصة الحروب والغارات، والفتوح والانتصارات - حاشا الجهاد الديني المقدس - إلا قصة الجشع الفردي، أو الجماعي، وقصة الغرام بالتمتع والرئاسة، والعلو في الأرض»<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثاني: تأثر الندوي بنظرة جلال الدين الرومي إلى الفرد المسلم

يرتكز تصوّر الندوي لخصائص الفرد المسلم على رؤيتين إحداهما النظرة العرفانية الروحية وتمثلت في نظرة جلال الدين الرومي<sup>(2)</sup>، والأخرى النظرة الفلسفية التي تمثلت في نظرة محمد إقبال.

تعد النظرة الأولى مستقاة من فكر جلال الدين الرومي من كتابه "المثنوي المعنوي" الذي عدّه الندوي من قبيل علم الكلام الجديد الذي أسسه جلال الدين، وقد تأثر به الندوي تأثرا بالغا، وعدّه الشخصية القوية العبقريّة المجددة التي كان العالم الإسلامي بحاجة إليها، فاستطاعت بدورها أن تنفخ في المجتمع العاطفة القوية التي طغى عليها العقل وتغلب، أما تأسيسها لعلم كلام جديد فإنه لم يكمن في مصارعة العقول، وإفحام المجادلين، بل يكمن في حل العقد النفسية والفكرية التي خلفها علم الكلام<sup>(3)</sup>.

وتغلب على نظرة جلال الدين الرومي للمسلم النزعة الروحية العرفانية التي استقاها من شيخه شمس الدين التبريزي<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup>: الندوي، مقالات إسلامية، مصدر سابق، 274/1.

<sup>2</sup>: محمد بن محمد بن الحسين، البلخي، الشاعر الكبير صاحب المثنوي، المعروف بالرومي، كانت ولادته في بلخ عام 604هـ، وإقامته ووفاته بقونية تركيا عام 672هـ، ومن ثم كانت شهرته باسم القونوي أو الرومي، ومولانا ي روم، ويقصدون بروم : قونية؛ ويذكرونه بمولوي، وينسبون إليه طريقة الدراويش المولوية، من مؤلفاته المثنوي، كتبه في ستة دقاتر أو مجلدات، تضم ما يقرب من خمسة وعشرين ألف بيت، و"ديوان شمس تبريز"، ويشتمل على غزليات صوفية يبلغ عدد أبياتها ثلاثة آلاف وخمسمائة بيت تقريبا، و"الرباعيات وتشتمل على 1659 رباعية، وعدد أبياتها 3318 بيتا، ومن مصنفاته: كتاب "فيه ما فيه" ويشتمل على قصص ومواعظ وأمثال، وكتاب "المجالس السبعة". ينظر: عبد المنعم الحفني، الموسوعة الصوفية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط5، 2006م، ص307، 308. وينظر: الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م، 30/7.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي، رجال الفكر والدعوة في الإسلام، دار ابن كثير، بيروت، ط3، 1428هـ، 2007م، 371/1.

<sup>4</sup>: هو شمس الدين، وقيل شمس الحق والدين محمد بن ملك داد التبريزي، المشهور بالشمس التبريزي، وقيل اسمه: محمد بن علي بن ملك داد. من مشاهير الصوفية في إيران، وكان عارفا، أديبا، شاعرا، ولد سنة 582هـ. قام برحلات

ولعل علم الكلام الجديد الذي أنشأه الرومي إنما كان بعد تشربه الذوق الروحي من أستاذه، فقد عاش جلال الدين في وسط الأشاعرة ومدرستهم الفكرية، وكان قبل أن يقابل شمس الدين أستاذا كبيرا وعالما جدليا؛ ولكن بعد ما جذبته الجاذبة الربانية، وانتقل من القيل والقال، إلى حقيقة الحال، ومن الخبر إلى النظر، ومن الألفاظ إلى المعاني، وبطل عنه سحر المصطلحات والتعريفات التي يتبجح بها المنطق ووصل إلى لبّ اللباب وغاية ما في الباب؛ فكانت نتيجة ذلك أن انكشفت له مواضع غلطهم في الاستدلال والقياس والاعتماد في تقريرها أو نفيها على العقل والحواس، وعرف أن بضاعتهم مزجاة في هذا الموضوع، ومن هنا تناول علم الكلام والفلسفة بالنقد والتزييف<sup>(1)</sup>.

وتتمحور نظرة جلال الدين الرومي حول خصائص النفس الإنسانية وأغوارها وحول القلب وأسراره، وقد تمثلت رؤيته فيما يلي:

#### أولا: الإنسان بين التقويم والكرامة

تمثلت نظرتة للإنسان في القيمة التي منحها إياه خالقه سبحانه من الكرامة الإنسانية، وبذلك فهو «يذكر قراء شعره وتلاميذه أن الله سبحانه وتعالى قد خصّ الإنسان بأحسن تقويم؛ فقد قال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [سورة التين:4]، وإن هذا اللباس الفضفاض قد فصل على قامة الإنسان؛ فلا يطابق كائنا آخر، كما يحث قارئه على دراسة سورة (التين) والتدبر في معانيها، وأن يحسب لكلمة (أحسن تقويم) حسابا خاصا؛ فإنها ميزة للإنسان لا يشاركه فيها غيره»<sup>(2)</sup>.

ويذكر القارئ بقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة الإسراء:70]. فيقول: «هل وجه هذا الخطاب الكريم وهذا الأسلوب من التكريم إلى السموات والأرض أو الجبال؟ إنه لم

=كثيرة إلى أماكن مختلفة كحلب وبغداد وقونية ودمشق، أخذ التصوف عن ركن الدين السجاسي، وتتلذذ عليه الملا الرومي البلخي-جلال الدين الرومي- له (ديوان شعر)، و(مقالات)، (وده فصل)، و(مثنوية (مرغوب القلوب)، و(بعد التبريزي نقطة تحول في حياة الرومي، ينظر: عبد الحسين الشبستري، مشاهير شعراء الشيعة، المكتبة الأدبية المختصة، ط1، 1421هـ، ص19، 20.

<sup>1</sup>: الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، مج1/383.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، مج1/414.

يوجّه إلا إلى هذا الإنسان الذي يستهين بقيمته، ويجهل مكانته، إن الله قد توجّهك - أيها الغافل - بتاج الكرامة، وخصّك بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا﴾ وحلّى جيدك بالمنحة الخالصة فقال: ﴿أَعْطَيْنَاكَ﴾ [سورة الكوثر: 1]، كلمة لم يقلها لأحد»<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: قيمة الإنسان ومنزلته في الكون

أما عن قيمة الإنسان فإنه يراه خلاصة هذا الكون، ومجموع أوصاف العالم يتمثل في هذا الجسم الصغير ما شئت في العالم من خيرات وكنوز، وبدائع وعجائب؛ إنه ذرة حقيرة انعكست فيها الشمس؛ فإذا طلعت لم يبد الكوكب، إنه قطرة صغيرة انصبّ فيها بحر العلم، وثلاثة أذرع من الجسم انطوى فيها العالم.

والإنسان عنده هو غاية هذا الخلق؛ لأجله خلق العالم، وهو القطب الذي يدور حوله رحي الكون، وتحسده الكائنات، وقد فرض الله طاعته (خاضعة مذلة ومسخرة له) على جميع الموجودات؛ إن كل ما في هذا العالم من جمال وكمال إنما خلق لأجلك ويطوف حولك، أنت الذي يحسده المقربون، لست في حاجة إلى جمال مستعار؛ فأنت جمال الدنيا، وواسطة العقد، وبيت القصيد، الإنسان جوهر والفلك عرض، كلّ ما عداك فرع وظلّ، أنت الغرض، إن خدمتك مفروضة على جميع الكائنات، إن عارا على الجوهر أن يخضع لعرض<sup>(2)</sup>.

ويضيف على قيمة الإنسان معان أخرى؛ ومن ذلك أن الإنسان مظهر لصفات الله، وهو المرآة الصادقة التي تجلت فيها آياته، يقول: «إن الذي يتراءى في الإنسان من الكمالات والمحاسن عكس لصفات الله، كعكس القمر المنير في الغدير الصافي، إن الخلق كالماء تتجلى فيه صفات الله، وينعكس فيه علمه وعدله، ولطفه، كما ينعكس ضوء الكوكب الدري في الماء الجاري»<sup>(3)</sup>.

ولعلّ هذه الأوصاف قد قصد بها الرومي الإنسان الحقيقي الذي تمثلت فيه القيم الإنسانية وأحرز أعلى مراتب القرب من الله، لذا نجده يميز في ذلك بقوله: «أشباه رجال

<sup>1</sup>: الندوي، مولانا جلال الدين الرومي، المختار الإسلامي للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1394هـ، 1974م ص60، 61.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، ص61.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، ص61، 62.

ولا رجال، الذين يعتبرهم فريسة نفوسهم، وقتلى شهواتهم، لا يعرفون من الإنسانية إلا ما يفوق فيه الحيوان، من الشبع والري والشبق»<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً: الإنسان وخاصية الحب

أما عن الحب فقد ذكر عجائبه وتصرفاته في بسط وتفصيل؛ يقول: «إن الحب يحول المرّ حلواً، والتراب تبرا، والكر صفاً، والألم شفاءً، والسجن روضة، والسقم نعمة، والقهر رحمة، وهو الذي يلين الحديد، ويذيب الحجر، ويبعث الميت وينفخ فيه الحياة، ويسود العبد»<sup>(2)</sup>.

والحب الذي يشير إليه الرومي إنما هو ثمرة السلوك العرفاني والمجاهدات التي وصل إليها العارفون السالكون، ويرى أن هذا الحب البريء السامي يصل بالإنسان إلى حيث لا توصله الطاعات والمجاهدات..<sup>(3)</sup>، أم المحبوب الذي يقصده جلال الدين في حديثه إنما هو الله سبحانه وتعالى وفي ذلك يقول: «إن الحب خالد لا يجدر إلا بالخالد، إنه لا يجمل بمن كتب له الفناء والأفول، إنه حق الحي، الذي لا يموت، الذي يفيض الحياة على كل موجود»، ويستدل الرومي على ذلك بقصة سيدنا إبراهيم ويتمثله بقوله: "لا أحب الآفلين"، والمحبوب الحقيقي هو الذي يحب أن يحب، ويجذب إليه من انجذب»<sup>(4)</sup> ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ

مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [سورة الشورى:13].

### رابعاً: الإنسان وأسرار القلب

للرومي حديث كثير عن مكانة القلب وأسراره وأحواله -من فيوضات واشراقات- في حياة الإنسان، من حيث أنه لطيفة رابانية روحانية وهذه اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب<sup>(5)</sup>. والقلب أشرف وأجل ما في الإنسان كونه محلاً لمعرفة سبحانه ومحبه، والأنس به وهو مصدر كل الخير، إن عرف مولاه عن طريق التجلي من طريق العظمة والجلال، ومن

<sup>1</sup>: الندوي، مولانا جلال الدين الرومي، مصدر سابق، ص 62.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، ص 48، 49.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، ص 50.

<sup>4</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص 53.

<sup>5</sup>: ينظر: أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المنهاج، جدة، ط1، 1432هـ، 2011م، 5/14.

طريق كمال الأسماء، وجمال الأفعال والصفات، كما يتجلى سبحانه بصفات الرحمة والبر والल्प والإحسان، والعدل والانتقام، والغضب والسخط، والعز والكبرياء، والتحبب إلى عباده بالنعم، فكل ذلك كفيل لأن يعرف القلب مولاه وخالقه ولا يرضى بوجود سواه فيه ولا متملك عرشه دونه سبحانه، فإن أصبح كذلك فإن القلوب تحبه و«تنافس في القرب منه وتتفق أنفاسها في التودد إليه ويكون أحب إليها من كل ما سواه، ورضاه أثر عندها من رضا كل ما سواه، وكيف لا تلهج بذكره ويصير حبه والشوق إليه والأنس به هو غذائها وقوتها ودواؤها»<sup>(1)</sup>.

ومن هذا المنطلق فالقلب في نظرة الرومي العرفانية بلد عامر مأمون، وحصن محكم مصون، روضة مباركة لا ينفذ نعيمها، ولا ينضب معينها، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها..، والقلب الذي يريده الرومي بكلامه ويقصده هو القلب الحي العامر، وما دونه من القلوب التي تتجمع فيها الشهوات والأهواء، والتي لم تذوق طعم الحب، ولم تعرف معنى اليقين، ولم تملك شيئاً من الشوق الذي لا تتفتح زهرته ولا يشرق ليله، ويؤثر أن ينقل تسمية هذه الأنماط من القلب إلى قطعة من حجر أو خشب<sup>(2)</sup>.

ومما سبق فإن نظرة الرومي لخصائص المسلم انحصرت في الجانب الروحي، ولعل بيئة الرومي كان لها الأثر على نظرتة للمسلم، وخصائصه، وبذلك تكون نظرتة لإعادة للتوازن بين الروح والعقل.

ولا شك أن للجانب الروحي والاهتمام بشأن القلب الأثر في واقع المسلم؛ حيث أن الأحوال الظاهرية التي تأتي على المسلم متعلقة بأعماله، وأعماله متعلقة بجوارحه، وجوارحه متعلقة بقلبه، وقلبه متعلق بإيمانه وبقينه، فصالح أحواله متعلق بصالح إيمانه وبقينه، وفسادها بفسادهما كذلك.

### الفرع الثالث: تأثر الندوي بنظرة محمد إقبال إلى الفرد المسلم

يقدم الندوي تصويره للإنسان الكامل، إذ نجده قد اقتبس هذه الصورة من فلسفة أستاذه محمد إقبال -فكثيراً ما يقتبس من رؤاه ونظراته وفلسفته الإسلامية- والإنسان

<sup>1</sup>: ابن القيم الجوزية، الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1393هـ، 1973م، ص29.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، جلال الدين الرومي، مصدر سابق، ص55، 56.



الكامل هو الذي يحمل معاني الإنسانية، والقوة والحياة والجمال، والكمال وهو الضالة المنشودة والصورة الكاملة، والقيادة الراشدة الرشيدة، وما قصة بروز الشخصيات وصفاء نفوسها، وسمو أرواحها، ومنتهى أخلاقها، وبلوغها أرقى المقامات، وأعلى المنازل، وما كتب لها من القبول؛ إلا لنيلها حضا من صفات الإنسان الكامل. وتتجلى في المسلم الكامل خصائص حضارية<sup>(1)</sup> يكون بها معنى "الأمة" في شخصيته الفريدة.

### أولاً: المسلم المثالي

ينفرد المسلم في رؤية إقبال بأنه ذلك المسلم المثالي الذي يمتاز بين أهل الشك والظن بإيمانه ويقينه، وبين أهل الجبن والخوف بشجاعته وقوته الروحية، وبين عبّاد الرجال والأموال، والأصنام والملوك بالتوحيد الخالص، وبين عبّاد الأوطان والألوان والشعوب بآفاقية وإنسانيته، وبين عبّاد الشهوات والأهواء والمنافع، بتجرده من الشهوات وتمرده على موازين المجتمع الزائفة وقيم الأشياء الحقيرة..، ذلك المسلم الحق الذي مهما اختلفت الأوضاع، وتطورت الحياة لا يزال الحقيقة الثابتة التي لا تتغير ولا تتحول، وأما ما عداه فزيد يذهب جفاء<sup>(2)</sup>.

### ثانياً: الوجود الإنساني والإيماني للمسلم

أ- الوجود الإنساني: وهو ما يشترك فيه المسلم مع غيره من البشر في الخصائص، فلا تعدّ ذلك من أسباب التميز لأنها تشمل النظام التكويني والفطري وهي مراحل طارئة على الحياة البشرية جمعاء.

ب- الوجود الإيماني: وهو مكن التميز، وهو الأساس الذي خوّله لحمل رسالة خاصة؛ رسالة الأنبياء والمرسلين، ويؤمن بمبادئ خاصة، ويعتقد اعتقاداً خاصاً ويعيش لغاية خاصة، فهو من هذه الناحية سرّ من أسرار الحق، ودعامة من دعائم العالم، وحاجة من حاجات البشر، يستحق أن يعيش ويستحق أن ينتصر، ويستحق أن يزدهر، بل يجب أن يعيش ويجب أن يزدهر، ويدوم مع البشرية ومع هذا الكون، فحاجة البشرية، وحاجة الكون

<sup>1</sup>: ينظر الندوي: محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 632/3.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، روائع إقبال، دار الفكر دمشق، ط1، 1379هـ، 1960م، ص52.

إليه ليست أقل من حاجتهما إلى الماء، والهواء والنور والحرارة، وهذا الوجود الإيماني هو الذي أهلّ المسلم بإعلان رسالات الأنبياء التي شرحت وبيّنت معاني الحياة والحقائق المرتبطة بالغايات والأرواح والإيمان والأخلاق والقيام بها والجهاد في سبيلها، فلو لا هو لضاعت هذه الغايات والرسالات وأصبحت سرا مكتوما<sup>(1)</sup>.

### ثالثا: للمسلم مقام الإمامة والتوجيه

أما مقام الإمامة والتوجيه فهي مبنية في نظر إقبال على المدافعة والمصارعة إن لم يخضع الواقع له، فالمؤمن لم يخلق ليندفع مع التيار، وليسائر الركب البشري حيث اتجه وسار، بل خلق ليوجّه العالم والمجتمع والمدنية..، ولا يستسلم لأحوال الدهر والزمان، ولا يدور حيث دارا، لأن المسلم مكّلف بمصادمة الأوضاع الفاسدة، وأما شأن الخضوع والاستكانة لأحوال القاسرة، والأوضاع القاهرة، والاعتذار بالقضاء والقدر، من شأن الضعفاء، الذين يعتذرون دائما بالقضاء والقدر، أما المؤمن القوي فهو بنفسه قضاء الله الغالب وقدره الذي لا يرد..، فإذا أحسن المؤمن تربية شخصيته، وعرف قيمة نفسه، لم يقع في العالم إلا ما يرضاه ويحبه<sup>(2)</sup>.

### رابعا: المسلم رائد الانقلاب ورسول الحياة

يعتبر إقبال أن المسلم بإيمانه ورسالته هو منقذ البشرية، وهو الذي يحدث برسالته-إن قام عليها وأقامها- الانقلاب الصالح في التاريخ ومطلع فجر السعادة في العالم، وإنه لم يزل ولا يزال رائد الانقلاب ورسول الحياة..، وهو الكفيل الآن لإيقاظ الإنسانية، وإحياء الضمير البشري، يقول في بيت له: «إن المؤمن إذا نادى في الآفاق بأذانه، أشرق العالم واستيقظ الكون»<sup>(3)</sup>.

### خامسا: المسلم حيّ خالد

المسلم في نظر إقبال حيّ خالد، فلا يمكن أن ينقرض المسلم من العالم؛ لأن وجوده رمز لرسالات الأنبياء، وأن أذانه إعلان للحقيقية التي جاء بها إبراهيم وموسى

<sup>1</sup>: ينظر الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 634/3.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، 635/3.

<sup>3</sup>: الندوي، روائع إقبال، مصدر سابق، ص57.

وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، ويؤكد على أن المسلم رسالة الله الأخيرة، فلا يعترها النسخ والتبديل<sup>(1)</sup>.

### سادسا: المسلم متخلق بأخلاق الله

يشارك إقبال في هذه الخاصية مع جلال الدين الرومي، حيث يرى أن المسلم مظهر من مظاهر أخلاق الله. فهو في تسامحه، ورحابة صدره، وكثرة صفحه قد تخلق بخلق "الغفار"؛ وفي شدته في الدين، وغضبه للحق، وثورته على الباطل قد تخلق بخلق "القهار"؛ وهو في نزاهته، وعفته، وطهارة ضميره قد تخلق بخلق "القدوس"؛ وفي صلابته إذا تصلب، وشدته شكيمته إذا أبطى، وشدته بطشه إذا حارب تخلق بخلق "الجبار"<sup>(2)</sup>، كما يرى أن المسلم لا يمكنه أن يكون المثل الكامل لدينه، وصورة صادقة للإسلام، حتى يجمع بين هذه الأخلاق المتنوعة؛ من الشدة واللين، والغضب والرحمة، والصلابة والمرونة، والعفة والنزاهة، فيصبح في ذلك آية من آيات الله، ومعجزة من معجزات الرسول، والمثل الكامل عنده أن يكون المؤمن هو الميزان العادل، والقسطاس المستقيم؛ به يعلم رضا الله وسخطه، وبه يعرف الحسن من القبيح، فما راق في نظره، فهو حسن، وما استقبحه فهو طائش؛ وفي عزائمه تتجلى إرادات الله، وهو القرآن الناطق، وهو الدين يسعى على قدميه، ثم إن حياته متوافقة متشابهة كالطبيعة، فالصبح يطلع كل يوم، والليل يتبع النهار، لا تخلف فيه، ولا تناقض. وهو صاحب معان كثيرة، ونعمة واحدة، فهو كسورة الرحمن في القرآن، تتجدد معانيه وتتكرر فيه آية<sup>(3)</sup>: ﴿فَأَيُّ آيَةٍ رَّبِّكَ مَا تُكذِّبَانِ﴾ [سورة الرحمن: 13].

### سابعا: عالمية المسلم

يعني إقبال بذلك أن شخصية المسلم عالمية فلا تقبل أن تتحصر بين الحدود الجنسية والوطنية الضيقة - وإن كان ذلك بداية منطلقه - بل تتخطى حدود المكان والزمان، وتفويض كالطبيعة البشرية، وكالإنسانية العامة، في مساحة زمانية شاسعة،

<sup>1</sup>: الندوي، روائع إقبال، مصدر سابق، 54، 55.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص 60.

<sup>3</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص 60.

كمساحة التاريخ الإسلامي، وفي مساحة مكانية واسعة كمساحة العالم الإسلامي، ويجعل هذه الخاصية من صفته الريانية، فالمسلم الرياني عنده ليس بشرقي ولا غربي، ليس وطنه دهلي ولا أصفهان ولا سمرقند؛ إنما وطنه العالم كله<sup>(1)</sup>.

### ثامنا: قوة المسلم

ويعتقد محمد إقبال أن قوة المؤمن الخارقة للعادة، المحيرة للعقول المعجزة للبشر، مستمدة من رسالته وإيمانه، وباندماجه وضمحلاله في إرادة الله، هناك يتحول إلى جارحة للقدرة الإلهية، وقوة قاهرة، لا تصدها الجبال، ولا تقف في سبيلها البحار، يقول في قصيدة: «إن يد المؤمن جارحة القدرة الإلهية، فهي غالبة، حلالة للعقد والمشاكل، فتأحة للأبواب المقفلة، لبقة صناع حاذقة، إن المؤمن جسمه من تراب وفطرته من نور؛ عبد متخلق بأخلاق مولاه، قلبه غني عن العالمين، ويقول: «ما ظنك بقوة ساعد المؤمن! وهو بنظرته يقلب الأوضاع، وبدعوته يرد القضاء»<sup>(2)</sup>.

بناء على ما سبق نخلص إلى أن تصوّر الندوي لخصائص الفرد المسلم قد ارتكز على نظرتين؛ نظرة الرومي وإقبال، اللتان حاولتا أن ترسما الصورة المثالية الروحية والرسالية للمسلم، تعريفا له بقيمته، وإبرازا لخصائصه الحضارية، وإعادة له لمركز الخلافة في الأرض، ليكون الفرد النموذج قدوة وقيادة.

<sup>1</sup>: ينظر الندوي، روائع إقبال، مصدر سابق، ص 59.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه ص 58.

### المطلب الثاني: خصائص المجتمع المسلم

تضمن هذا المطلب الحديث عن خصائص المجتمع المسلم في ثلاثة فروع، الأول في المجتمع المسلم ومقوماته، والثاني حول خصائص المجتمع المسلم في عهد النبوة، والثالث في الخصائص الضرورية للمجتمع المسلم المعاصر.

#### الفرع الأول: المجتمع المسلم ومقوماته

تبيّن في ما سبق في مفهوم المجتمع<sup>(1)</sup> أن أهم ما يميز المجتمع عن التجمعات الأخرى هي الحركة، وأن أهم المعايير التي يمكن تمييز المجتمعات بعضها عن بعض هي الغايات التي تسعى إلى تحقيقها من خلال حركتها.

#### أولاً: أهمية الدين في المجتمع

كان ميلاد المجتمع الإسلامي بداية بعثة النبي صلى الله عليه وسلم الذي تجلت في شخصه جميع القيم الإنسانية الكاملة فكان "الفرد الأمة"، وكلمة "ميلاد" لا يعني بها ميلاد جنس بشري من جديد، على قدر ما يقصد بها التغيير الذي يصاحب النفوس، أو الهجرة التي تكون الفارق بين حياتين-حياة فوضى بلا هدف، وحياة منظمة ذات هدف-وبذلك يكون هذا الميلاد ميلاد في القيم الإنسانية، ميلاد في الأخلاق، وفي الميول، ميلاد في الهدف والغاية، ميلاد في التصوّر الصحيح عن الكون وخالقه، وعن الحياة.

وإضافة كلمة "المسلم" إلى المجتمع يعني أن تكون حقائق الإسلام متجسدة فيه مهيمنة عليه في شتى جوانب وميادين الحياة، فلا ينفلت جانب من جوانب الحياة الاجتماعية من عرى الإسلام، فالإسلام دين كامل شامل ملم بشتى الحياة ومتطلباتها ومن ذلك فهو لا يقبل التجزؤ والأخذ ببعضه والإعراض عن بعضه الآخر وبذلك يطالب المجتمع المسلم ب: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [سورة البقرة: 208]، فالإسلام هو الكفيل بتولي «تنظيم الحياة الإنسانية جميعاً...، وقد تناول طبيعة العلاقة بين الخالق

<sup>1</sup>: سبق تناول مفهوم المجتمع ومقارنته مع مصطلح الأمة.

والخلق، وطبيعة العلاقة بين الكون والحياة والإنسان، وطبيعة العلاقة بين الإنسان ونفسه، وبين الفرد والجماعة، وبين الفرد والدولة، وبين الجماعات الإنسانية كافة، وبين الجيل والأجيال»<sup>(1)</sup>.

والإسلام بتعاليمه هو منشأ شبكة علاقات اجتماعية متماسكة قويمة ومتينة، فقام بصيانتها من كل أسباب وهنها وضعفها، فنهى عن الغش والخديعة، والكذب والاحتقار، والتباغض والتحاسد، والغدر، والمساس بالأعراض، وحتى سوء الظن، وأمر بجملته من أسباب قوامتها وثباتها من الحث على الصبر والصدق والمراقبة والتقوى، والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعظيم حرمة المسلمين، وستر عوراتهم، وقضاء حوائجهم، والإصلاح بينهم، واحتمال أذاهم، والاختلاط بهم، والتعاون معهم.

فأهمية الإسلام تكمن في إيجاد العلاقة الروحية بين الله وبين الإنسان، التي تلد العلاقة الاجتماعية، وهذه بدورها تربط ما بين الإنسان وأخيه الإنسان في إطار القيم الأخلاقية<sup>(2)</sup>.

### ثانياً: القيم والأخلاق

إن الدين وتعاليمه هما المحرك الفعّال الذي يولد القيم المثلى والأخلاق الحضارية الإنسانية ويعززها ضمن الشبكة الاجتماعية، ويحقق للمجتمع الوعي والرشد والنزاهة والتركية والصفاء والعدالة والإحسان، وينشئ شبكة علاقات متينة تضمن حقوق الفرد في الجماعة، وتضمن قيمة الجماعة عند الفرد، وعليه يكون المجتمع المثالي القدوة والقائد، والعلاقات الاجتماعية داخل المجتمع المسلم إنما تقوم على «دعامة خفية تكمن في أغوار النفس الإنسانية، ألا وهي استشعار معنى العبودية لله عزّ وجلّ، واليقين بوجوده ورقابته للإنسان، وبأنّ مردّه إليه، وأنه سيجزيه الجزاء الأوفى، على كل ما صدر منه أو اقترفه من خير أو شر، لذلك كانت سائر الأعمال السلوكية التي تصدر من الإنسان مهددة لا قيمة لها في ميزان المثوبة الإلهية يوم القيامة، إن لم تنهض على هذه الدعامة الإيمانية، وإن لم تصطبغ بها»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>: سيد قطب: العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشروق، القاهرة، 1415هـ، 1995م، ص20.

<sup>2</sup>: مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص56.

<sup>3</sup>: رمضان البوطي، الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية لماذا.. وكيف..؟، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1، 1404هـ، 1984م، ص224، 225.

والإسلام هو المنهج الرباني الذي يقوم على تثمين القيم الإنسانية في المجتمع ما يجعل من أفراد مبدعين في هذه القيم الإنسانية والأخلاقية في إطار شبكة العلاقات الاجتماعية، كما أنه جعل أساس التباين والمفاضلة هو الفرق في السعي والجدارة ومقدار الكفاح ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنْ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى ﴾ [سورة النجم: 39، 40].

### ثالثاً: البعد الأخروي

إن المجتمع المسلم هو الذي تتملكه فكرة الغيب والآخرة وتهيمن عليه، وتكون الغاية الكبرى والهدف السامي في هجرته وسيره، وقد رسم الدين الحنيف حدود طريق المجتمع المسلم ابتداءً ومآلاً ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [سورة البقرة: 156]، ونجد أن القرآن الكريم يجعل طلب الآخرة هي الغاية المنشودة في حركته، وحذر من أن يكون سيره وحركته في الدنيا من أجل الدنيا ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [سورة الأعلى: 17، 16]، لذا ميز في حركة الفرد داخل المجتمع بين المستوى الأخروي الأعلى الأمثل والمستوى الأدنى المادي فقال: ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ [سورة آل عمران: 152]، وبين جزاء كلا منهما: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾ [سورة الإسراء: 18، 19].

### الفرع الثاني: خصائص المجتمع المسلم في عهد النبوة

يتمحور تصور الندوي لخصائص المجتمع من الصورة التي كان عليها المجتمع المسلم الأول زمن البعثة، لأنه يجعله دائماً النموذج المثالي الذي يقاس عليه، والندوي عند ذكره لمثالية المجتمع المسلم الأول فإنه يقصد المجتمع المدني لا المكي لأن الفرق بينهما أوسع، فحقيقة المجتمع المسلم قامت في المدينة في لا مكة، أما خصائصه وسماته التي قام عليها فيرى الندوي أنها قد تمثلت في (1):

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص 94-101.

### أولاً: الوحدة والأخوة الإيمانية

أقام الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، والتسليم لله ولأمره عوج الحياة، ورد كل فرد في المجتمع البشري إلى موضعه، لا يقصر عنه ولا يتعداه، وأصبحت الهيئة البشرية طاقة زهرة لا شوك فيها، وأصبح الناس أسرة واحدة أبوهم آدم، وآدم من تراب، ولا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى<sup>(1)</sup>، وينصب معيار التفضيل وميزان التكريم فكان من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعظمها آبائها، فالناس رجلان: رجل بر تقي كريم على الله تعالى، ورجل فاجر شقي هين على الله تعالى»<sup>(2)</sup>، ويسمعه الناس فيما يناجي ربه في آخر الليل: «وأنا شهيد أن العباد كلهم أخوة»<sup>(3)</sup>.

### ثانياً: نبذ العصبية

قام رسول الله باقتلاع جذور الجاهلية، وحسم مادتها وسدّ كل نافذة من نوافذها، وحذر منها فقال: «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل عصبية، وليس منا من مات على عصبية»، وقال: «دعوها إنها منتنة»<sup>(4)</sup>، وحرّم حمية الجاهلية.

### ثالثاً: الالتزام بالمسؤولية

حيث كانت الطبقات والفئات في المجتمع الإسلامي متعاونة لا يبغى بعضها على بعض، فالرجال قوامون على النساء بما فضل بعضهم على بعض، والنساء صالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله، لهن مثل الذي عليهن بالمعروف، وأصبح كل واحد في المجتمع راعياً ومسئولاً عن رعيته.

<sup>1</sup>: رواه أحمد في سننه، كتاب باقي مسند الأنصار، باب حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، رقم(23489)، ينظر: مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت ط1، 1421هـ، 2001م، 474/38.

<sup>2</sup>: رواه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحجرات، رقم(3270)، ينظر: سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395هـ، 1975م، 389/5.

<sup>3</sup>: رواه أحمد في مسنده، كتاب مسند الكوفيين، باب حديث زيد بن أرقم، رقم(19293)، مرجع سابق، 48/32.

<sup>4</sup>: رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، رقم(2584).



وكل ملتزم بما أنيط به من مسؤوليات، وكل على قدره فالإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته، وهكذا كان المجتمع الإسلامي مجتمعاً رشيداً عاقلاً مسؤولاً عن أعماله.

#### رابعاً: الطاعة لله ورسوله والسيادة للشرع

كان المسلمون أعواناً على الحق، أمرهم شورى بينهم، يطيعون الخليفة ما أطاع الله فيهم، فإن عصى الله فلا طاعة عليهم وأصبح شعار الحكم "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"، وأصبحت الأموال والخزائن التي كانت طعمة للملوك والأمراء ودولة بين الأغنياء مال الله الذي لا ينفق إلا في وجهه ولا يخرج إلا في حقه وأصبح المسلمون مستخلفين فيه، والخليفة كولي اليتيم إن استغنى استغنى وإن افتقر أكل بالمعروف.

#### خامساً: عاطفة الحب والطاعة والانقياد

كانت عاطفة الحب في المجتمع الإسلامي قوية، وقد نال منها رسول الله النصيب الأوفر، وحل محل الروح والنفس من المجتمع، وإلى هذه العاطفة القوية يرجع الفضل في الغالب إلى عجائب الإنسانية ومعظم الآثار الخالدة في التاريخ مما دون من صنيع أصحاب رسول الله وأتباعه.

وقد أحدثت فيهم شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذكره ناعته ب: لم أر قبله ولا بعده مثله، فاندفع إليه الحب الصادق كما يندفع الماء إلى الحذور، وانجذبت إليه النفوس والقلوب انجذاب الحديد إلى المغناطيس، كأنما كان من القلوب والأرواح على ميعاد، وأحبه رجال أمته وأطاعوه حباً وطاعة لم يسمع بمثلها في تاريخ العشاق والمتيمين، ووقع من خوارق الحب والتفاني في سبيل طاعته وإيثاره على النفس والأهل والمال والولد ما لم يحدث قبله ولن يحدث بعده.

#### سادساً: الوعي والنضج

وجدت هذه الخاصية بفضل التربية النبوية الحكيمة الشاملة، وقد كان «المجتمع الإسلامي الأول المثالي قد جمع بين الدين المتين الذي لا مغمز فيه، والإيمان القوي الذي لا يعتريه وهن، وبين الوعي الناضج الكامل، فكانوا لا يخدعون، ولا يندعون، ولا

يسيغون شيئاً ينافي الإسلام، وينافي العقل، والذي يضرهم، ويجني عليهم، أو يوقعهم في خطر، أو تهلكة، قد بلغوا سن الرشد، واستكملوا الحصافة والنضج، فلا يؤخذون على غرة، ولا يقعون في شرك ينصبه العدو الماكر، يخطئون، ولكن لا يصرون، ولا تتكرر منهم غلطات وتورطات..»<sup>(1)</sup>.

ولا شك أن جملة هذه الخصائص التي تشكل لنا تصوّر الندوي للمجتمع المسلم قد توفرت في حضرة القيادة الكاملة المعصومة والإنسان الكامل -رسول الله صلى الله عليه وسلم- وفي المنهج الرباني الذي يتجلى في الوحي، فكان المجتمع الإسلامي قد حضى بالقيادة الراشدة الحكيمة التي تمثلت في شخص النبي صلى الله عليه وسلم آنذاك، التي قامت على جملة السنن الإلهية بلغت بها التمكين والاستخلاف في الأرض.

فمن هذا المنطلق وجب عند الحديث عن وضع المجتمع المسلم في أدوار مختلفة من التاريخ استحضار الحديث عن القيادة، والتي تمثل تجربة بشرية، مستواها القيادي مرهون بمدى قربها أو بعدها من المنهج النبوي الكامل في قيادة الركب البشري.

### الفرع الثالث: خصائص ضرورية للمجتمع المسلم المعاصر

قبل تناول جملة هذه الخصائص عند الندوي؛ نوّد التنويه على أن تصوّر الندوي لهذه الخصائص لها كان وليدة حاجة، لأن المجتمعات الإسلامية المعاصرة في واقع أمرها فاقدة لها، بل «الواقع أنه لا يوجد اليوم في أيّ مكان مجتمع إسلامي كامل، نثق به ونضع فيه رجاءنا، ونعلق عليه آمالنا»<sup>(2)</sup>.

لذا فهو يعرضها كمقومات لبلوغ المجتمع الإسلامي المنزلة التي تليق به ليكون وعاء استقطاب الشعوب المجتمعات، ويتحمل بفضلها أثقل عبء الخلافة الإسلامية<sup>(3)</sup>.

### أولاً: القوة والمتانة

يضيفي الندوي على المجتمع المسلم خاصية القوة والمتانة التي يجب أن يكون عليها، فعبر عن المجتمع بأنه الغصن الذي يوضع عليه العشّ، فقبل التفكير في تطبيق

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، مقالات إسلامية، مصدر سابق، 89/2.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 105/1.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، ص106/1.

أي نظام إسلامي وجب الاهتمام أولاً بالغصن الذي نريد أن نضع عشنا عليه فالأمر يتوقف على ذلك الغصن، فوجب أن يكون متيناً، أخضر أنضر، محكم الاتصال بالساق<sup>(1)</sup>.

وقوة الغصن ومثاقته تدرك عن طريق «استعراض مشاعر الناس -الذين يمثلون الحياة العامة في المجتمع- وأحاسيسهم، ومقاييس الحسن والقبح لديهم، وموازن الخير والشر عندهم. والاطلاع الجيد على وضع المجتمع أخلاقياً، وعقدياً، وإلى أي حد يأخذ بضروريات الحياة المبدئية، وأصولها الأساسية، وبشروط الإنسانية الأولية حينها يمكن الوقوف على مدى قدرة الغصن على احتمال ثقل العش»<sup>(2)</sup>.

فإن كان المجتمع قد سقط في جملة الأمراض والمهلكات وأسباب الانشقاق والتضعع والفساد الأخلاقي، وفي ذلك يكون قد فقد قوته ومثاقته وأصبح لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً.. وقد عرض القرآن نموذج من المجتمعات التي فسدت فطرتها وانحرفت عن إنسانيتها قال تعالى: ﴿ أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّجَاهِلُونَ ۚ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ أَلْ لُّوطِ ۚ مِّنْ قَرِيْبِكُمْ ۚ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يُّنطَهَرُونَ ۚ ﴾ [سورة النمل: 56]. فتعرض لنا الآية في تعبيرها «نفسية المجتمع الفاسد الذي صار وكأنه يلفظ أنفاسه الأخيرة من أجل الدعوة إلى الخير، حتى صاح صيحته، وأعلن صراحة أنه لا يستطيع التنفس في هذا التيار الذي تدفق أخيراً من الطهر والصفاء والعفة، لأنه تعود أن يكون غارقاً في حمأة الذنوب والآثام إلى الأذقان والآذان»<sup>(3)</sup>.

### ثانياً: الثبات والاستقرار

شبه الندوي المجتمع بالتربة الكريمة الثابتة ذات القرار المكين، فإذا كانت على هذه الصفات الكريمة فإنها تستطيع أن تأتي بحاصل كبير بجهد ضئيل، وفي وقت قليل، تنبت عليها الأشجار، وتحضر عليها الزروع، وتكثر فيها الفواكه والأثمار، كما تقام عليها

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 101/1.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، 103/1.

<sup>3</sup>: ينظر: المصدر نفسه، 103/1.

القصور والأبنية والمصانع. وكذلك المجتمع المسلم لا بد أن تتحقق فيه صفات التربة من استقرار وثبوت، كي لا يصبح - كما في التعبير القرآني البليغ - كثيباً مهيباً، لا قرار له ولا ثبات تهوي بذراته الريح إلى حيث تشاء، ولا رجاء في بقاءه في مكانه بعد حين...، ولئن صار إلى هذه الحالة وفقد ثباته واستقراره فإنه لا يحمل قوة على مقاومة خطر ولا يتصف بتماسك عقلي ومعنوي، بل يكون على استعداد للانحراف كغشاء السيل مع كل تيار جارف من الدعوات المضللة، أو القوى المفسدة، أو النظم الجائرة والفلسفات المنحرفة...، وتذهب - في كل ثانية أو أقل - كل محاولات الإصلاح والبناء هباء منثوراً<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً: الفعالية

إن المجتمع المسلم لا يعرف الخمول والركون للباطل، وليس الضعف والهوان من سماته، وليس وجوده شكلياً لا روح فيه ولا حركة ولا فعالية. وإنما المجتمع المسلم هو الذي «يملك الضمير الحي السليم، ويميز بين الخبيث من الطيب، والظلم من العدل، ويتألم قلبه على الإثم والعدوان...، ويؤنبه ضميره على غمط الحق، وإهدار الشرف، ولا ينساق مع كل تيار، ولا يسيل مع الإغراءات المادية، وشهوات النفس، بل يحافظ على شخصيته ووجوده»<sup>(2)</sup>.

ثم إن للمجتمع المسلم البصير بزمانه الواعي بوظيفته كمجتمع رسالي أمين فهو الذي يؤدي دوره ولا يخشى في ذلك لومة لائم «فيقف في وجه الظالم ويمسكه عن تنفيذ إرادته، ويجهر بالحق والصراحة والصدق، واعتبار الظالم ظالماً، والخائن خائناً، وعندما يكون المجتمع على هذا المستوى فإنه لا يزال يؤدي دوره ووظيفته بأمانة، وجدارة»<sup>(3)</sup>.

وكذلك فالمجتمع المسلم هو الذي «يستهي قلبه الأقدار الخلقية والإنسانية، ويكون عنده شعور بقدره الله العليم البصير، وتكون له عقيدة التوحيد راسخة في أذهانه، متغلغلة في أحشائه، وبذلك يستطيع هذا المجتمع أن يقاوم أي مؤامرة ضد الأخلاق، والإنسانية»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 104/1.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، 360/1.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، 361/1.

<sup>4</sup>: المصدر نفسه، 361/1.

ويرى الندوي إن مثل هذا المجتمع المثالي لم يتكون في التاريخ إلا في فترات خاصة، وأدوار معلومة، ولكنه يبقى بارقة أمل للإنسانية<sup>(1)</sup>.

#### رابعاً: خاصية الإيمان

تعد الخاصية التي تتجلى في روح المجتمع الإسلامي المعاصر صفة ملازمة له لا تتفك عنه، كما يعدها الندوي القوة الكفيلة التي تحفظ صلاحية الأفراد والمجتمعات لتكون نماذج إنسانية من طراز رفيع، وهذه القوة هي السر في صنع العجائب، وتحقيق البطولات، وهي القوة التي أعادت للأمة الإسلامية عزها في الأوقات الحرجة التي كانت تبعث اليأس وتتذر بالزوال<sup>(2)</sup>.

يعتبر الندوي أن المجتمع المسلم المعاصر هو المجتمع الوحيد الذي لا يزال محافظاً على هذه الخاصية التي تربطه بتعاليم السماء، وبالرسالات عامة والرسالة السماوية الأخيرة التي ختمت بها النبوات خاصة، والإيمان بالحياة بعد الموت، والحساب والجزاء ويوم الآخرة، والإيمان والاحتساب والطمع في الأجر والثواب، والإجلال لكثير من المثل والقيم التي جاءت في التعاليم السماوية، وتمثلت أظهر تمثل في السيرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام وفي حياة خلفائه، وخريجي مدرسة النبوة<sup>(3)</sup>.

إن تصور الندوي لخصائص المجتمع المسلم تمثلت في نظرتين؛ نظرة واقعية وقد انحصرت في المجتمع المسلم الأول في العهد المدني والخلافة الراشدة، والنظرة الثانية تنظيرية أوجدتها واقع المجتمعات المسلمة المعاصرة وحاجتها إليها، وقد تمحورت في الركائز الأساسية التي يقوم عليها المجتمع المسلم لحمل أعباء الرسالة.

<sup>1</sup>: الندوي، مقالات إسلامية، مصدر سابق، 1/360.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، حاجة البشرية إلى معرفة صحيحة ومجتمع إسلامي، دار الصحوة للنشر، القاهرة، ط 1 1412هـ، 1992م، ص 49.

<sup>3</sup>: ينظر: الصدر نفسه، ص 48.

### المطلب الثالث: خصائص الأمة المسلمة عند الندوي

يتناول هذا المطلب خصائص الأمة الإسلامية في ثلاثة فروع، الأول في خاصية الرسالية، والثاني في خاصية الوحدة الإسلامية، والثالث في الحركة العلمية والحضارية.

#### الفرع الأول: خاصية الرسالية

من أهم سمات الأمة الإسلامية التي تميزت بها عن سائر الأمم، إذ نيطت بها مسؤولية القيام بأعباء تبليغ رسالة الإسلام إلى الإنسانية.

#### أولاً: أمة مبتعثة

يرى الندوي أن "الاكتشاف" أقوى العوامل في صياغة التاريخ وتغيير الأوضاع، وما تاريخ نهضة الأمم وتطور المدنية والاجتماع، وصعود المجتمعات، وهبوطها، إلا قصة اكتشاف بعض الأفراد لأنفسهم ولطاقاتهم المجهولة<sup>(1)</sup>.

لذلك فهو يرجع بروز الأمة الإسلامية ودخولها باب التاريخ إلا أنها لاكتشافها نفسها وأنها صاحبة رسالة سماوية عالمية خالدة، كما أدركت أن «حياة الأمم بالرسالة والدعوة، وإن الأمة التي لا تحمل رسالة، ولا تستصحب دعوة حياتها مصطنعة غير طبيعية، إنها كورقة انفصلت من شجرتها، فلا يمكن أن تحي بسقي أو ري»<sup>(2)</sup> ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۗ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة الرعد: 17]، فالأمة الإسلامية ليست كحشائش الغابة أو الشجيرات التي تنبت عفواً، و ليست كهوام الأرض.

ونجد أن القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة هما العاملان الوحيدان اللذان أيقضا هذه الأمة ونفخ فيها الحياة ورسم لها طريق التمكين والقوة والاستخلاف بعدما كانت مستضعفة لا يحسب لها حساب ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ

<sup>1</sup>: ينظر الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 2/123.

<sup>2</sup>: الندوي، مقالات إسلامية، مصدر سابق، 1/28.

كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴿[سورة الأنعام:122] ﴿ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿[سورة القصص:5].

أما القرآن فقد أنبأها عن المسؤولية الجسيمة ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران:110]، و«كلمة "أخرجت" تدل على أنها أنشئت لغاية الحفاظ على الإنسانية، ولتحقيق أهداف رب العالمين، أما السنة فقد أفضت عليها صفة "البعثة" «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين..»<sup>(1)</sup>، وقد دلت كلمة "بعثتم" أن الأمة أسند إليها عمل وكلفت بتحقيق غاية، ونصبت لأجل تحقيق غرض كريم، ودلت كلمة "ميسرين" أنها خلقت لكي توفر السهولة..»<sup>(2)</sup>.

كما نجد أن هذه الحقيقة -اكتشاف الأمة لقيمتها- قد تجلت على لسان ربي بن عامر رضي الله عنه حينما أرسله سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه على طلب من رستم: «الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادته وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام»<sup>(3)</sup>.

ويؤكد الندوي على أن الجيل الأول من تلاميذ التربية النبوية كان على وعيما أنيط بهم من مسؤولية اتجاه الإنسانية تكميلاً للرحمة العالمية ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء:107]. وهو الشيء الذي أثر في مصير الإنسانية، حيث كانت - بالنسبة للناس - تجربة جديدة في تاريخ الديانات وفي تاريخ مصائر الأمم وفي تاريخ الاتجاهات أحدث تحولا في التاريخ<sup>(4)</sup>، ولا ينكر الندوي أن القرآن قد شهد بوجود أفراد صالحين في اليهود المغضوب عليهم في وقوله تعالى: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ

<sup>1</sup>: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد، رقم (220).

<sup>2</sup>: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 89، 88/1.

<sup>3</sup>: ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، 39/7.

<sup>4</sup>: ينظر: الندوي، الإسلام أثره في الحضارة، مصدر سابق، ص 97.

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴿ [آل عمران: 113، 114]، إلا أنه لم يكن لهم أثر في المجتمع الإنساني وفي المسيرة الإنسانية، لأنهم أفراد، والأمم لا تحسب للأفراد حساباً...، والفراغ الموجود والأزمة الموجودة على مستوى الأمم والشعوب وعلى مستوى المدنية والاجتماع لا تملأ إلا إذا كان الصلاح، وكانت القدوة الحسنة، وكانت النماذج العملية على مستوى أمة، وعلى مستوى مجتمع إنساني يمثل التعاليم النبوية السامية<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: أمة ذات وظيفة حضارية

نيطت بالأمة الإسلامية مسؤولية الوصاية على العالم والحسبة على الأخلاق والاتجاهات، وسلوك الأفراد والأمم، ومسؤولية القيام بالقسط والشهادة لله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واعتبار نفسها أمة تسأل يوم القيامة عن مدى قيامها بهذا الواجب وتحاسب على تفريطها في ذلك وانشغالها بنفسها<sup>(2)</sup> ويحذر القرآن الكريم الأمة الإسلامية من تفريطها في أداء واجبها وما ينجر ذلك من الشقاء والبلاء على الإنسانية، وانتشار الفتنة والفساد، فيقول للمجموعة الصغيرة التي كانت لا تتجاوز عدد أفرادها بضع مئات في حياة المدينة الأولى، وقد أمرت بالتأخي وتكوين الخلية الإسلامية القائمة على أساس العقيدة والدعوة ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [سورة الأنفال: 73].

كما يذكر القرآن هذه الأمة بهذا المركز القيادي الدعوي، والواجب الإصلاحي وبمسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، محيلاً ذلك على الأمم الماضية، مثيراً للشعور وبالمسؤولية في الأمة في الحاضر، فيقول: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [سورة هود: 116].

وهذا يستوجب أن يكون عمل التأثير في الحضارة الإنسانية واستعراضها بين آونة وأخرى من جديد، والحيلولة بينها وبين عناصر التدمير والإبادة والاتجاهات المفسدة الهدامة مستمراً<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، الإسلام أثره في الحضارة، مصدر سابق، ص 98.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، ص 99.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، ص 101.



وقد كان لهذه الرسالة الدور البالغ في دخول الأمة التاريخ؛ إذ أن دخول التاريخ في نظر الندوي يكون عن طريق ثلاثة مداخل رئيسية<sup>(1)</sup>:

-**المدخل الأول:** وهو مدخل الغزو والفتح، والاستيلاء والحكم، وقد دخل منه أكثر الشعوب والأمم التاريخ.

-**المدخل الثاني:** وتمثل هذا في العبقرية الفنية، والذكاء الباهر، ووضع العلوم جديدة، وقيادة العقل البشري وهو المدخل الذي دخلت منه اليونان.

-**المدخل الثالث:** وهو مدخل الرسالة والهداية، والرحمة للإنسانية، والخدمة المخلصة، المجردة عن الأغراض، وقد انفردت به الأمة المسلمة عن غيرها من الأمم، وبذلك شاهدت الإنسانية طرازاً جديداً فريداً لم تشهده من قبل، وعليه فإن أهم مقوم في بناء الأمة الإسلامية في حياة الأمة المسلمة هي القيام على متطلبات الرسالة السماوية التي كانت عنصر استقطاب للبشرية جمعاء.

### ثالثاً: التشخص الديني

يقصد الندوي بالتشخص الديني المحافظة على الصفة الدينية، وأن تمتلك حياة الأمة الإسلامية الأبعاد والملاحم الدينية ولا تتسلخ عنها في أي حال من أحوالها، ويبقى لباسها الذي يحفظها والحلة الوحيدة التي تميّزها.

فلا يكفي للأمة الإسلامية مجرد بقاء النسل، والجسم، واستمراريتها، وصيانة الأموال والأرواح، وحرية الانتفاع بالفرص السياسية، والاقتصادية، والديمقراطية، ومنافعها..، أما التشخص الديني في نظر الندوي يتلخص في: تمثيل شعائر الإسلام، والعيش وفق العقائد الدينية، وحرية العمل بأحكام الشريعة، وصيانة القوانين العائلية، وصيغ الحياة بالحضارة الإسلامية، والمجتمع الإسلامي، بل الواقع أنها مسئولة عن إبقاء تلك اللغة والثقافة الخاصة التي هي ذريعة للاطلاع على تعاليم دينها، والارتباط بماضيها، وفي حين تفقد هذه الضمانة والشروط بالتميز الديني في الأمة، لا نستطيع أن نتأكد أن الأمة الإسلامية تعيش بحرية، وصيانة، وعزة<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر الندوي، كيف دخل العرب التاريخ، المجمع الإسلامي العلمي، لكهنؤ، الهند، ط2، 1980م.

<sup>2</sup>: الندوي، مقالات إسلامية، مصدر سابق، 207/2.

## الفرع الثاني: خاصية الوحدة الإسلامية

للوحدة أهمية ضرورية في صلابة وعاء الأمة وبقائها على المستوى الحضاري المطلوب، والندوي يجعل الوحدة كالمغناطيس الذي يحمل خاصية الجاذبية، فالإنسان يعشق الوحدة بطبيعته، إلا أن ما وقع في تاريخ البشرية من صراعات بين هذه الوحدات كان سببه راجع إلى الأسس التي قامت عليها من عاطفة العدوان، وإذلال الإنسان وبسط النفوذ والسلطان، والتسامي والكبرياء، واستعباد العباد الأبرياء، فلا بدّ ألا تقرّ مثل هذه الوحدة بوحدة أخرى سواها، وما تاريخ الأمم والديانات والشعوب إلا تأكيداً لذلك، من حيث تتالي الحروب الدامية، ومن قطع الرؤوس البشرية..، وغير ذلك من الأعمال الوحشية<sup>(1)</sup>، وعلى هذا فإن الندوي يرى أن مجرد كلمة "الوحدة" لا تجدي نفعاً، ولا تغني غناء، وإنما الأمر موقوف على الأسس التي بنيت عليها الوحدة، والغاية التي أريدت من ورائها، ومن تصوره للوحدة نذكر: <sup>(2)</sup>

## أولاً: مراحل الوحدة

يذكر الندوي أن الوحدة في تاريخ ارتقاء النوع البشري ست مراحل؛ فأولها الوحدة الأسرية، والوحدة القبلية، والوحدة السلالية والعنصرية، والوحدة الجنسية، وبعد تقدم العالم البشري وجدت الوحدة اللغوية، ثم الوحدة الحضارية والثقافية. وقد كانت هذه الأخيرة أكبر محط للآمال، ذلك أن من مبادئها زوال الشكوك والشبهات، وارتفاع الحاجز بين إنسان وإنسان، وأن تنشأ عن طريقهما عاطفة الحب والوئام والتعاون والسلام، والعدل والإنصاف..، إلا أن ذلك لم يكن له وجود في واقع البشرية بل أضحت البشرية مجموعة من المتضاربات والمتناقضات، وقد يتبنى الإنسان أغراضاً تستهدف الإطاحة بالإنسان، وربما تقوم هذه الأغراض على أنقاض أغراض إنسان آخر<sup>(3)</sup>.

## ثانياً: التصور الإسلامي للوحدة

يعطي الإسلام البديل في حقيقة الوحدة، فهو لا يقرّ -كما يرى الندوي- إلا بوحدين حقيقيتين، ويدعو إليهما دعوة مؤكدة وهما أعظم الوحدات عصمة وبراءة، وأكثرها نفعاً

<sup>1</sup>: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 1/117، 118.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، 1/118.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، ص 1/118، 119.

وخيرا للبشرية، وأغناها إيجابية وفعالية، وتعميرا وإنتاجا وهما ما يتجلى في "الوحدة الإنسانية" و"الوحدة الإيمانية": أما الوحدة الإنسانية فهي التي تعني أن السلالة البشرية كلها أبناء أب واحد، وهو آدم أبو البشر عليه السلام، وقد أقرّ خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة وأكدّ عليها فقال: «إن ريكم واحد وإن أباكم واحد»<sup>(1)</sup>.

أما الوحدة الإيمانية فهي الربوبية وهي الوحدة التي قامت عليها الأمة في بداية منشئها والتي تجلت في الآصرة التي أقامها عليه الصلاة والسلام بين المؤمنين المخلصين؛ الذين كانوا يؤمنون بالوحدة الإنسانية، والوحدة الربانية، وكانوا يتمتعون بالثبات على وحدة العقيدة ووحدة الهدف، وكان ذلك قوة جديدة أنشئت لإنقاذ العالم المنهار، وتخليص الإنسانية من بؤسها وشقوتها<sup>(2)</sup>.

والأمر المؤكد عليه أن المسلمين لم يكن لهم هذا الشأن الجليل في سجل التاريخ إلا بعد أن «خضعوا للشريعة الجديدة التي جاء بها محمد، وجمعوا كلمتهم المتفرقة تحت لوائها، وهي التي كان يمكنها وحدها أن تجمع القوى المبعثرة في جزيرة العرب»<sup>(3)</sup>.

ولعل تمثل الوحدة الإسلامية على مستوى المجتمعات الإسلامية لا يتحقق إلا إذا شغلت قضية "الوحدة الإيمانية والإسلامية" اهتمامات المسلمين الفكرية والعملية أفرادا وجماعات فكرا ووجدانا وتصبح من الهموم التي لا تتفك عن خاطرهم، وتملكت وجدانهم، واعتقدوا جزما أنه لا قوام للأمة الإسلامية -بالمعنى القرآني - إلا بتحقيق هذه الوحدة حيث تصبح مسألة الوحدة مسألة أساسية في سؤال النهضة، ولا يتأتى ذلك أيضا إلا إذا ارتقى الأفراد والجماعات إلى مستوى من الأخلاق والتزكية والتطهر من أمراض النفس من الأنا والاستكبار وإتباع الهوى، واللجوء إلى الحل القرآني الذي يتجلى في الحوار المتزن الهادئ الهادف فكّا للنزاعات والخلافات التي أذهبت بقوة الأمة ونذرت بالفشل الحضاري، و«إن من خصائص الإنسان الحي أن يتباحث، ويتناقش، ويتأمل، ويتدبر، وأن يحاول الفهم

<sup>1</sup>: رواه أحمد في مسنده، باقي مسند الأنصار، حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، رقم (23489)، مرجع سابق، 474/38.

<sup>2</sup>: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 123/1.

<sup>3</sup>: غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، (دط، دت)، ص 630.

والإدراك والوصول إلى الحقيقة»<sup>(1)</sup> في القضايا المختلف فيها والمنتزاع عليها، مع لزوم الصبر والتحلي به امتثالاً لأمر تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَا تَنزَعُوا فَنفَشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحَكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة الأنفال: 46].

ويؤكد الندوي على أن القرآن الكريم طالب الأمة بالوحدة تأكيداً على أهميتها وتحذيراً من التواني في تحقيقها، وذلك في قوله: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ يعني: إن لم تتألفوا، ولم تكونوا وحدة بشرية مميزة، تقوم على العقيدة الممتازة والهدف الواضح إلى إنقاذ البشرية وإسعادها، وعلى نمط خاص من الحياة والقيم والأقدار الخاصة، وعلى التصميم على القيام بالدعوة، وإن لم تتخذوا الحياة الإيمانية الخلقية المثلى شعاركم، ولم تكونوا نموذجاً فريداً للإنسانية، ولم تصمموا على نشر الدعوة الإسلامية إلى أقاصي الأرض، وعلى إخراج البشرية من الظلمات إلى النور، ومن الدمار والهلاك والشقاء، إلى السعادة الأبدية<sup>(2)</sup> ﴿تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [سورة الأنفال: 73].

### ثالثاً: فلسفة النفع والضرر

يرى الندوي أن صفة الضرر والنفع من السمات الضرورية في حياة الأمة؛ التي تضمن به كيانها وتحفظ به قيمتها وكرامتها، وتذود عن حماها، كما أنه لا بد من توازن بين النفع والضرر، فلا يستقيم حال الأمة بأحدهما دون الآخر، وإن كان النفع دون الضرر موقفاً شريفاً في علم الأخلاق والنفوس، وفي العلم النظري والفلسفات النظرية الخيالية، وكان دالاً على شرف الرجل وفضله، وعلى نبله، وعلى تمسكه بالمبادئ السامية، إلا أن الضرر بدوره يقدم دوراً جليلاً لا يقدمه النفع وهو الدفاع عن النفس وحماية المبادئ والقيم والمقومات التي تعيش بها ولها الأمة<sup>(3)</sup>.

وعليه كان لا بد أن يملك المسلمون بصفتهم أمة، ويملك الفرد المسلم بصفة فرد، القدرة على النفع والضرر، ويؤثر الندوي تقديم هذا المعنى على لسان محمد إقبال في صورة تشبيهية في قوله: «إن الوردة الجميلة لا سلامة لها ولا صيانة إذا كان الشوك الذي خلق

<sup>1</sup>: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 96/1.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، 250/1.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي، واقع العالم الإسلامي، دار الكلمة، مصر، ط1418، 1، 1997م، ص19.

ليحوطها ويصونها من الأيدي العاتية، قد انحرف عن فطرته وأصبح حريرا ناعما، إذن فلا بقاء للوردة ولا حرمة لها»<sup>(1)</sup>.

ولا يمكن تحقق هذه الصفة إلا إذا تحققت الوحدة الإسلامية وكانت واقعا مشاهدا، فالضر والنفع مرهون بمدى وجود الوحدة، فمتى غابت الوحدة غاب الضر والنفع وأصبحت الأمة كالقصة تتداعى عليها الأكلة من كل جانب.

### الفرع الثالث: الخاصية العلمية والحضارية

من جملة خصائص الأمة الإسلامية الخاصية العلمية والحضارية وقد عدّهما الندوي من أهم الإنجازات التي تفتخر بهما في تاريخها.

#### أولا: الخاصية العلمية

إن من أهم مآثر الأمة الإسلامية أن أوجدت حركة علمية وتأليفية لا يوجد مثلها في تاريخ الأدوار والمدنيات التي قامت على أساس الدين والرسالات السماوية، وقد كان لهذه الحركة العلمية جملة من الخصائص تمثلت في:

#### أ-العالمية والإنسانية

ويعني بذلك «أن العلم في الإسلام حق مشاع، وثروة مشتركة لجميع الأمم والشعوب، والعناصر والأجناس، والأسر والبيوتات، والبلدان والأوطان، ليس فيه احتكار مثل احتكار "بني لاوي" من اليهود أو "البراهمة" من الهنود، ولا يتميز فيه شعب عن شعب، ولا نسل عن نسل... بل الاعتماد فيه على الحرص والشوق، وحسن التلقي، وزيادة التقدير، والتفوق في الجهاد والاجتهاد، وقد روى الإمام أحمد بن حنبل بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لو كان العلم بالثريا لتناوله أناس من أبناء فارس»<sup>(2)</sup>.

والتاريخ الإسلامي كان خير شاهد على هذه الخاصية، وقد دون هذه الشهادة ابن خلدون في مقدمته المشهورة في قوله: «من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم العجم، لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية، إلا في القليل النادر، مع أن الملة عربية، وصاحب شريعته عربي»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، واقع العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 20.

<sup>2</sup>: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 3/350.

<sup>3</sup>: ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، دمشق، ط 1، 1425هـ، 2004م، 2/361.

### ب- الاحتضان الشعبي

حيث قامت هذه الحركة على مجهودات شعبية، وعلى تقدير المسلمين للعلم، والشعور بالحاجة إليه، فكان الرجاء للثواب والتصديق للموعود الدافع المحرك لروح التنافس بين المسلمين في كل عصر وجيل، وأما المدارس وحلقات التعليم في العالم الإسلامي فقد قامت على تقدير المسلمين وتمويلهم..، كما انتشر العلم انتشارا واسعا بفضل العلماء المتطوعين والأساتذة الزاهدين المتقشفين، الذين زهدوا في مناصب الحكومة، ووظائفها، وتقدير الأغنياء والأمراء، وقنعوا بالكفاف، وما يقيم الصلب ويسدّ الرمق.

وقد كانت الحركة العلمية في المسلمين حركة شعبية عمّت جميع الطبقات والمستويات، وأصبحت الدراسة هوية للجميع، يتظرف بها حتى أهل الحرف والمهن<sup>(1)</sup>.

### ج- الحركية

تجسدت هذه الخاصية في الترحل والارتحال، وتحمل المشقات، وقطع المسافات للحصول على العلم، والتوسع، والاختصاص في الدراسة..، ويكفي في شهادة ما ذكره العلامة ابن خلدون من فوائد الرحلة في طلب العلم إذ قال: «إن الرحلة في طلب العلوم، ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم، والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم، وأخلاقهم، وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علما، وتعلّما، وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشدّ استحكاما وأقوى رسوخا، فعلى قدرة كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها..، فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم»<sup>(2)</sup>.

### د- الفتوة والعمل بالعزيمة

وهو ما تمثل في شخص العلماء والمربين، فاشتملوا على جملة صفات أبرز ما يراها الندوي أنها تمثلت في؛ علوّ الهمة، والشهامة والفتوة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكلمة الحق عند سلطان جائر، والصمود في وجه الانحرافات والمؤامرات

<sup>1</sup>: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 352/3.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، 355/3.

المحبوكة في دائرة الحكومات أو المجتمعات الإسلامية، والكفاح والنضال، وقيادة حركة الجهاد، وتحرير البلاد، ومطاردة القوى الأجنبية، والحكومات المعادية للإسلام، وسلسلة الانتصارات في تاريخ الجهاد والحركات الإصلاحية التجديدية من العصر الإسلامي الأول إلى عصرنا هذا، لا تمرّ بصفحة من صفحاتها إلا ويرى على رأسها، وفي مركز القيادة منها عالما من علماء الدين، أو مربيا من الشيوخ الربانيين<sup>(1)</sup>، وهو منبع هذه الفكرة ومصدر هذه الحركة، منها تبتدىء، وإليها تنتهي<sup>(2)</sup>.

#### هـ- التركيز على العلم النافع

وقد جاء الإسلام حاثا على العلم مبرزاً غايته ومقصد الكلي ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [سورة فاطر: 28]، دالا على فضله مرغبا له ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [سورة المجادلة: 11]، ومن ثم فقد أصبح العلم هادفاً، نافعا، موصلا إلى الله تعالى، مركزا جهده على ما ينفع الإنسانية ويسعد المجتمع والمدنية، وكانت أكبر منته على الفكر الإنساني والمجهود الإنساني فقد غير مصير الإنسانية ومجرى الفكر البشري<sup>(3)</sup>.

ونجد الإسلام يركز على العلم النافع-الذي أساسه القرآن- الحامل للهداية والكافل للنجاة، والمفيد في الآخرة، وهو العلم الذي لا سعادة للإنسان، ولا نجاة له بغيره، ويعرف به خالقه، وفاطر هذا الكون، ومدبر هذا العالم، وصفاته العالية، والصلة التي بينه وبين عبده، وما يرضيه تبارك وتعالى، وما يسخطه، وما يشقي الإنسان في الدار الآخرة وما يسعده<sup>(4)</sup>.

#### ثانيا: الخاصية الحضارية

ينطلق الندوي في حديثه عن الخاصية الحضارية من نظرة تصحيحية لمفهوم الحضارة، فيرى أنه كلما أطلقت كلمة الحضارة الإسلامية ابتدر إلى الذهن "دمشق"

<sup>1</sup>: ينظر على إثره ذلك ما كتبه الندوي على جملة من العلماء والمربين من كتابه ربانية لا رهبانية، دار القلم، دمشق، ط1، 1421هـ، 2000م، ص93-102.

<sup>2</sup>: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 3/356.

<sup>3</sup>: الندوي، الإسلام أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية، مصدر سابق، ص87.

<sup>4</sup>: ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 3/356.

و"بغداد"، و"قرطبة"، و"غرناطة"، و"أصفهان"، و"سمرقند"، و"دلهي"، و"لكهنؤ"، ويتمثل للعيون طراز خاص للفن المعماري الذي جرت العادة بتسميته "الفن الإسلامي" ومن نماذجه الرائقة قصور الملوك الفخمة، والسرايات الجميلة، والدهاليز الواسعة، والمقابر الجميلة البديعة، وتجددت ذكرى أناقة الأمراء المسلمين، وتطرفهم في الحياة والأزياء، واحتضانهم للفنون الجميلة، والحياة المترفة الزاهية، التي كانوا يعيشونها في عواصم الحكومات الإسلامية، وأصبحت مناظرها الزاهية الزاهرة ماثلة للعيون<sup>(1)</sup>.

ويرى أساسا أن وجود الكثير من مثل هذه المآثر لم تكن إلا وليدة التبذير والترف والإسراف والعدول عن التعاليم الإسلامية، وكانت نتيجة السخرة الجائرة، وحين تقوم المدنية الإسلامية بروحها وهيكلها لم يكن لما ذكرنا وجود، وأن هذا التصور للحضارة الإسلامية الذي تعودته مصنفونا ومؤرخونا القوميون ويسرون بتقديمه مقابل المدنية الغربية سرور الانتصار والافتخار؛ إنما هو أسلوب الملوك المسلمين، الذي لا يتحمل الإسلام وشريعته مسؤولية أعمالهم كلها<sup>(2)</sup>.

كما يعتبر أن مثل هذا الصنيع يتنافى مع الإسلام الذي يدعو إلى الوسطية والاعتدال في الإنفاق، فالإسلام لا يسمح بالبناء الزائد عن الحاجة عبثا بلا ضرورة، لا غاية له إلا المظاهرة بالحشمة والفخفة، أو إظهار الترفه والسمعة وخاصة بناء المقابر العظيمة عمل غير إسلامي، وإسراف وتبذير، ومن الظلم أن يحتل الإنسان حتى بعد موته مساحة واسعة من الأرض بغير حاجة، ويضيع في بناء مقبرته وجدانها ما به قوام الحياة وما يغطي حاجات مئات الناس<sup>(3)</sup>.

رغم ما ذهب إليه الندوي من نقده لمفهوم الحضارة الإسلامية، إلا أن الجانب الأثري والمعماري الذي خلفه الوجود الإسلامي في الأمصار والأقطار يبقى ضمن تراث الأمة الإسلامية الذي لا ينفك عنها بحال، ولعل الندوي يريد بكلامه هذا الفصل بين مرحلتين

<sup>1</sup>: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 330/2.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، 331/2.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، 331/2.



في تاريخ الحضارة الإسلامية؛ مرحلة امتدت من غار حراء إلى صفين -وهي المرحلة الرئيسية التي تركبت فيها عناصرها الجوهرية- وكانت دينية بحتة، يسودها الارتقاء الروح..، فقد ظلت روح المؤمن هي العامل النفسي الرئيسي في السير الحضاري<sup>(1)</sup>، والمرحلة الثانية وهي حضارة لم تنشأ على مبادئ الإسلام، بل إن هذه المبادئ قد توافقت مع سلطة زمنية قاهرة<sup>(2)</sup>، والمرحلة الأولى هي المهيمنة على فكر الندوي وتصوره؛ ما أدى به إلى الحكم على نتائج الحضارة الإسلامية وتراثها العمراني.

أما حقيقة الحضارة الإسلامية في نظره هي حضارة إبراهيمية محمدية، فكان إبراهيم عليه السلام إمام هذه الحضارة القائمة على توحيد الله تعالى والإيمان به وذكره، المؤسسة على الحياء والأدب مع الله، والإنابة والرحمة على بني النوع، والرقّة العاطفة، وقد سرت أخلاقه في هذه المدنية ومنهج الحياة..، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو حفيده مجدد هذه الحضارة وتمامها، وهو الذي بعث فيها الروح، وأفاض عليها الخلود، وأرسى قواعدها، وشيد بنيانها، وجعلها خالدة باقية عالمية<sup>(3)</sup>.

ومن خصائص الحضارة الإسلامية وسماتها نذكر منها:<sup>(4)</sup>

#### أ- التوحيد والإخلاص

إن هذه الحضارة الإبراهيمية المحمدية لا تعرف الوثنية والشرك، ولا تسمح به في لون من الألوان، أو في أي مكان وزمان، فكان أعظم دعاء إبراهيم وأكبر همّه:

﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [سورة إبراهيم: 35].

<sup>1</sup>: ينظر: مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، (د ط)، 1406هـ، 1986م، ص52.

<sup>2</sup>: مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط1، 1423هـ، 2002م، ص62.

<sup>3</sup>: الندوي، النبوة والأنبياء، مصدر سابق، ص62.

<sup>4</sup>: المصدر نفسه، ص64.

### ب- الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة

فهي لا تعرف التهلك على الشهوات، والتكالب على حطام الدنيا، والتناحر على جيف المادة، والتقاتل في سبيل الحكومات والمناصب إنها دعوة لم تنزل عقيدتها: ﴿تِلْكَ أَلْدَارُ الْأَخْرَةِ جَعَلَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعِزَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: 83].

### 3- العدل والمساواة

فلا تعرف الفصل بين الإنسان والإنسان، والتمييز بين الألوان والأوطان. وفي مجملها حضارة تعرف في العقيدة بالتوحيد، وفي الاجتماع باحترام الإنسانية والمساواة بين أفرادها، وفي دائرة الأخلاق والمنهج بتقوى الله والحياء والتواضع، وفي ميدان الكفاح بالسعي للآخرة والجهاد لله، وفي ساحة الحرب بالرحمة والعاطفة الإنسانية، وفي أنواع الحكومات بترجيح جانب الهداية على جانب الجباية، والخدمة على الاستخدام، تعرف في التاريخ بخدمة الإنسانية المخلصة، وإنفاذها من براثن الجاهلية، والدعوات المضلة الطاغية، وفي العالم بآثارها الزاهرة الزاهية، وخيراتها المنتشرة الباقية.

إنها حضارة عجت مع إسم الله ومراقبته وصبغت بصبغة الله، وقامت على أساس الإيمان، فلا يمكن تجريدتها عن الطابع الديني واللون الرباني والروح الإيماني<sup>(1)</sup>.

والأمة الإسلامية في تصوّر الندوي لا يمكنها أن تقوم بدور التأثير في الحضارة الإنسانية إذا متطفلة على مائدة الحضارة الأجنبية، وإنما تستأنف المد الحضاري والتأثير في الواقع الإنساني إذا آمنت إيماناً عميقاً بأن حضارتها مستقلة ذات شخصية خاصة، ربانية سماوية، قائمة على أسس متينة، مستفاد من الكتاب والسنة، منبثقة من الهدايات الربانية والتعاليم النبوية، للطهارة والعفة فيها تصور خاص، فليست الطهارة فيها مرادفة لكلمة "النظافة" وليست العفة فيها الابتعاد عن الجنايات الخلقية فحسب، بل هي أوسع معنى وأكثر شمولاً واحتواءً<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup>: الندوي، ملة إبراهيم وحضارة الإسلام، المجمع الإسلامي العلمي، لكهنؤ، الهند، ط2، 1412هـ، 1992م ص13، 14.

<sup>2</sup>: الندوي، الإسلام أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية، مصدر سابق، ص109، 110.

إن تصور الندوي للأمة الإسلامية وخصائص أفرادها ومجتمعاتها يركز على أهم مقوم منوط بها وهو الرسالة وما تلعبه من أهمية بالغة في إبراز الأمة إلى الوجود، كما كانت السبب الوحيد في دخولها صرح التاريخ- كما ذكرنا ذلك من قبل-، ولذا ندرك أن تصور الندوي للأمة الإسلامية ينطلق من الرؤية القرآنية ويحاول محاكاة المفهوم القرآني للأمة، ففكرته أساساً تنطلق من تكوين الأمة وبنائها عن طريق وحدتها واجتماعها على العقيدة والإيمان، ثم تبنيتها الرسالة وتبليغها عن طريق الدعوة إلى الله تعالى، ومن ثم تحقق الخيرية والشهود، ولذلك نجده يقول: «يتجلى في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة تصوّر اعتناق الدعوة الإسلامية والدين الحنيف والمؤمنين به في صورة جماعة منظمة متضامنة مترابطة، وكلمات "الأمة" و"الملة" و"الجماعة" التي استخدمت لهم كلها تدل على هذه الحقيقة دلالة واضحة»<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup>: الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، مج2/606.

**وختلاصة الفصل** فإن تصور الندوي للأمة المسلمة اعتمد على عناصر أساسية في بناء الأمة، وقد أبرز ثمرة كل عنصر في ذلك؛ فكان القرآن الكريم هو المصدر الذي أوجد العلم الصحيح، والتصور السليم عن الخالق، ثم شخصية النبي صلى الله عليه وسلم التي مثلت "القدوة" و"القيادة" في تعليماته وإرشاداته، وتوجيهاته، وأعماله، وقد أوجدت الإرادة الخيرة في الجماعة التي كونت الأمة.

ومفهوم الندوي للأمة المسلمة يتجلى في الكيان الاجتماعي الذي يشترك مع غيره في الرابطة الإنسانية، وينفرد عنها بالرابطة العقائدية، وكلتا الرابطين رتب عليها المولى سبحانه التزامات، فالرابطة العقائدية توجب التزامات تتمثل في علاقة الفرد المسلم بخالقه معرفة وشكرا، وفي علاقة الفرد مع الفرد والجماعة في نمط اجتماعي منظم تعاضدا وتراحما، أداء للحقوق والواجبات، في إطار أخلاقي قيمى، تحقيقا للوحدة الإسلامية، والأخوة الإيمانية.

أما الرابطة الإنسانية فتتجلى في احترام الإنسانية، والنظرة إليها من منطلق رسالي وظيفي هدائي تنتم للرحمة المحمدية العالمية وقيادة للركب الحضاري نحو الكمال النفسى.

## الفصل الثاني:

# مفاهيم الأزمة في الأمة الإسلامية

## من خلال فكر النكوي

المبحث الأول: الأزمة السياسية في الأمة الإسلامية من خلال فكر الندوي

المبحث الثاني: الأزمة الثقافية في الأمة الإسلامية من خلال فكر الندوي

المبحث الثالث: الأزمة الروحية والاجتماعية في الأمة الإسلامية من خلال فكر الندوي

### الفصل الثاني: مظاهر الأزمة في الأمة الإسلامية من خلال فكر الندوي

يحتوي هذا الفصل الحديث عن جملة أزمت الأمة الإسلامية في فكر الندوي، ابتداء من الأزمة السياسية على اختلاف صورها في مسارها التاريخي، مروراً بالأزمة الثقافية الفكرية والعلمية، وصولاً إلى أزمة الحياة الدينية والاجتماعية.

#### المبحث الأول: الأزمة السياسية في الأمة الإسلامية من خلال فكر الندوي

تضمن هذا المبحث الحديث عن الأزمة السياسية في ثلاثة مطالب، الأول في بدايات الأزمة السياسية في تاريخ الأمة الإسلامية، والثاني في استمرار الأزمة السياسية في تاريخ الأمة الإسلامية، أما الثالث فتناول الأزمة السياسية المعاصرة في الأمة الإسلامية.

#### المطلب الأول: بدايات الأزمة السياسية في تاريخ الأمة الإسلامية

تناول هذا المطلب ثلاثة فروع، الأول في الحديث عن الخلافة في منظور الندوي والثاني في جذور الأزمة السياسية، والثالث من الخلافة الراشدة إلى الملك العضوض.

#### الفرع الأول: الخلافة في منظور الندوي

انطلق الندوي في حديثه عن الخلافة ابتداء من مفهومها إلى مكانتها في الدين، وصولاً إلى الوقوف على الأئمة المسلمين وخصائصهم.

#### أولاً: مفهوم الخلافة عند الندوي

نجد الندوي في مفهومه للخلافة يميل إلى تعريف الإمام الدهلوي وينتخبه، وهو قوله: «الخلافة هي الرئاسة العامة في التصدي لإقامة الدين بإحياء العلوم الدينية، وإقامة أركان الإسلام، والقيام بالجهاد وما يتعلق به من ترتيب الجيوش والفرص للمقاتلة وإعطائهم من الفيء، والقيام بالقضاء، وإقامة الحدود، ورفع المظالم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نيابة عن النبي صلى الله عليه وسلم»<sup>(1)</sup>.

ولعل الندوي ذهب إلى أن هذا التعريف جامع مانع لاحتوائه على الكلية الأم "إقامة الدين" التي تندرج تحتها مجموع الكليات الأخرى بجزئياتها وقد أوضح صاحب التعريف

<sup>1</sup>: الشاه ولي الله الدهلوي، إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء، تحقيق: تقي الدين الندوي، تعريب: جاويد أحمد الندوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1434هـ، 2013م، 85/1.

تبييننا لذلك وإيضاحاً بقوله: «عندما ننظر إلى الأمور نظرة استقراء، وننتقل من الجزئيات إلى الكليات، ومن الكليات إلى الكلية الواحدة الشاملة للجميع، نصل إلى نتيجة أن الجنس الأعلى لهذه الأمور من الجزئيات المتشعبة والكليات المنتشرة الكثيرة (وكانها كلية الكليات) هي تلك الحقيقة (الكلية الجامعة) التي عنوانها "إقامة الدين" والتي تتدرج تحتها أنواع أخرى، منها إحياء العلوم الدينية التي تشتمل على تعليم الكتاب والسنة والتذكير والموعظة»<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: مكانة الخلافة في الإسلام

يرى الندوي أن مقاصد الإسلام وغاياته تدعو إلى إصلاح العلاقة وتنظيمها وتقويتها بين العبد والمعبود، ثم توسيع نطاقها وتعميمها، ومحاولة سبك الحياة الإنسانية في قالبها، وتصحيح العلاقات وتطبيقها بين أفراد الجماعة وأعضائها، وتهيئة الجو والمناخ الصالح لحياة آمنة وادعة مطمئنة، مهذبة جميلة زاهية، تتوفر فيها الفرص الكاملة لأداء حقوق العباد ورب العباد، والبلوغ إلى غايات الكمال ومدارج الرقي والفضائل التي أودعت صلاحيتها في فطرة الإنسان<sup>(2)</sup>.

ومن وظيفة الخلافة «مقاومة تلك الأخطار، والتوقي من تلك الخسائر والأضرار، وإزالة المفسد والأمراض التي تتجم-تارة- نتيجة الحياة الممزقة غير المنظمة ومن القوانين الوضعية تارة أخرى، ولا بد لذلك من خلافة وإمارة تتبني على الاعتقاد بقانون نازل من السماء وشريعة ربانية، وحاكمية الإله الواحد وألوهيته وربوبيته.

أما الخلافة أو الإمارة فإنها يجب عليها أن تكون ترجماناً صالحاً وممثلة صادقة للشريعة الربانية، بعيدة-إلى حد المستطاع البشري والإرادة الإنسانية- عن التمييز والعصبية بغير حق، بريئة عن عدم المساواة بين الناس، والمحاباة والمداهنة في الدين»<sup>(3)</sup>.

### ثالثاً: الأئمة المسلمون وخصائصهم

ذكر الندوي جملة من الخصائص التي اتصف بها الأئمة نذكر منها<sup>(4)</sup>:

<sup>1</sup>: الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، مج2/609.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، مج2/606.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، مج2/607.

<sup>4</sup>: ينظر الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص105-110.

أ- أصحاب شريعة إلهية وكتاب منزل، ودستور سماوي شامل للحياة ومتطلباتها (فليسو بحاجة إلى التقنين والتشريع).

ب- ذوو تربية خلقية وتزكية نفسية، فقد مكثوا زمنا طويلا تحت تربية الرسول صلى الله عليه وسلم وإشرافه الدقيق، يزكيهم ويؤدبهم ويأخذهم بالزهد والورع والعفاف والأمانة والإيثار على النفس وخشية الله وعدم الاستشراف للإمارة والحرص عليها، فهذه التربية تولوا الحكم والقيادة.

ج- عملوا على إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، فلم يكونوا دعاة شعب أو وطن، يسعون لرفاهيته ومصالحته وحده، ويؤمنون بفضله وشرفه على جميع الشعوب والأوطان، لم يخلقوا إلا ليكونوا حكاما، ولم تخلق الإمامة إلا لتكون محكومة لهم.

د- كانوا خير القائمين على مصالح الأمة حارسين لها، ولا ينظرون إلى هذه الحياة كفرصة من لهو ونعيم ومتعة فينتهزونها، ولا ينظرون إلى الدنيا كمائدة ممدودة فيتهاكون عليها، وإلى ما في الأرض من نعماء وخزائن وخيرات كأنها مال سائب يتقاتلون عليه، وإلى الأمم الضعيفة كفريسة يتسابقون في اقتناصها.

هـ- جمعوا بين الدين والسياسة وبين الدين والدنيا، فيرى الندوي أن الواحد منهم كان في آن واحد تقيا زاهدا وبطلا مجاهدا، وقاضيا فهما، وفتيا مجتهدا وأميرا حازما وسياسيا محنكا، فكان الدين والسياسة يتمثلان في شخص الخليفة وأمير المؤمنين.

#### رابعاً: شروط الإمامة عند الندوي

للإمامة شروط كثيرة، إلا أننا نجد الندوي يحصرها في أمرين اثنين هما: "الجهاد" و"الاجتهاد"<sup>(1)</sup>.

أ- الجهاد: ويعني به الندوي: بذل الوسع وغاية الجهد لنيل أكبر مطلوب، وأكبر وطر للمسلم طاعة الله ورضوانه والخضوع لحكمه والإسلام لأوامره، وذلك يحتاج إلى جهاد طويل شاق ضد كل ما يزاحم ذلك من عقيدة وتربية وأخلاق وأغراض وهوى وكل من ينافس في حكم الله وعبادته من آلهة في الأنفس والآفاق، فإذا حصل ذلك للمسلم وجب

<sup>1</sup>: ينظر الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص 120، 121.



عليه أن يجاهد لتنفيذ حكم الله وأوامره في العالم حوله وعلى بني جنسه، فريضة من الله وشفقة على خلق الله<sup>(1)</sup>، أما أنواع الجهاد وأشكاله فهي كثيرة في نظر الندوي، فيرى أن القتال أشرف أنواعه، وغايته أن لا تبقى في الدنيا قوتان متساويتان متنافستان تتجادبان الأهواء والأنفوس ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْتَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: 193].

أما مقتضيات "الجهاد" يقول: «أن يكون الإنسان عارفاً بالإسلام الذي يجاهد لأجله وبالكفر والجاهلية التي يجاهد ضدها، يعرف الإسلام معرفة صحيحة ويعرف الكفر والجاهلية معرفة دقيقة، وتختص هذه المعرفة بمن يتزعم الإسلام ويتولى قيادة الجيش الإسلامي ضد الكفر والجاهلية، أن تكون معرفته بالكفر والجاهلية فوق معرفة عامة المسلمين وأوساطهم»<sup>(2)</sup>.

ومن شروط تحقق الجهاد -بمعنى الحرب- كذلك يجب أن يكون استعداد المسلمين كاملاً وقوتهم تامة، يقارعون الحديد بالحديد بل بأقوى من الحديد، ويقابلون الريح بالإعصار ويواجهون الكفر وأهله بكل ما يقدرون عليه<sup>(3)</sup>، وبكل ما امتدت إليه يدهم، وبكل ما اكتشفه الإنسان ووصل إليه العلم في ذلك العصر، من سلاح وجهاز واستعداد حربي، لا يقصرون في ذلك ولا يعجزون<sup>(4)</sup> ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [سورة الأنفال: 60].

وتبين من هذا أن شرط امتلاك القوة من أهم مقومات وظيفة الإمامة وإكمال دورها في الأمة الإسلامية، وذلك لدفع كل ما يهدد الأمة الإسلامية من مخاطر خارجية، من الحراية والعدوان والمكائد المحاكة والمؤامرات، وهذا الدور الذي يترتب عن فريضة الجهاد ضروري في الحفاظ على كيان الأمة الإسلامية وحفظ كرامتها وصيانة وظيفتها الدعوية.

<sup>1</sup>: ينظر الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص 120.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، ص 120.

<sup>3</sup>: ويجب أن ننبه على أن الوجه الذي يكون عليه مواجهة الكفر هي علة درء الحراية والعداء الذي يصدر من أهله، وهي الوجه الذي اختاره الجمهور (الحنفية والمالكية والحنابلة) على خلاف الشافعي وابن حزم الذين ذهبوا على أن العلة في الجهاد القتالي الكفر ذاته. ينظر: محمد سعيد رمضان البوطي، الجهاد في الإسلام، كيف نهمه؟ وكيف نمارسه؟،

دار الفكر دمشق، ط 1، 1414 هـ، 1993 م، ص 94-110.

<sup>4</sup>: ينظر: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص 121.

## ب- الاجتهاد

أما الاجتهاد فيريد به الندوي «أن يكون من يرأس المسلمين قادراً على القضاء الصحيح في النوازل والحوادث التي تعرض في حياة المسلمين وفي العالم وفي الأمم التي يحكمها، وفي المسائل التي تفاجئ وتتجدد، والتي لا يستقصيها فقه مدون ومذهب مأثور وفتاوى مؤلفة، ويكون عنده من معرفة روح الإسلام وفهم أسرار الشريعة والاطلاع على أصول التشريع وقوة الاستنباط -انفراداً أو اجتماعاً- ما يحل به هذه المشاكل ويرشد الأمة في الغمة»<sup>(1)</sup>. وأن يكون عنده من الذكاء والنشاط والجدّ والعلم ما يستخدم به ما خلق الله في هذا الكون من قوى طبيعية، وما بث في الأرض وتحت الأرض من خيرات ومنابع ثروة وقوة، وأن يسخرها لمصلحة الإسلام بدل أن يستخدمها أهل الباطل لأهوائهم، ويتخذوها وسيلة للعلو في الأرض، ويسخرها الشيطان لتحقيق أغراضه والإفساد في الأرض<sup>(2)</sup>.

ولعل نظرة الندوي مثالية أكثر منها واقعية، لأنه ليس «من الممكن أن تتوفر هذه القابلية في شخص واحد بمفرده، وأن يكون قادراً على القضاء الصحيح بكل نازلة تعرض في حياة المسلمين، بل والعالم، وأن يكون عنده من الذكاء والحلم والنشاط ما يمكنه من تسخير هذا الكون لصالح الإسلام والمسلمين، ثم بعد ذلك لصالح الإنسانية؟»<sup>(3)</sup> وهذا ذاته لم يتوفر في الخلفاء الراشدين، حيث كان لهم أعوان في ذلك، فيستشير الخليفة غيره من هو أرشد منه أو أعلم في قضية ما من أمور الأمة وعلى هذا يعود الندوي ليستدرك على نظرته مضياف العمل الجماعي، بقوله: «حوله جماعة، تلقوا تربية واحدة يستشيرهم الخليفة ويستعين بهم، فلا يقطع أمر ذا بال حتى يشهده»<sup>(4)</sup>، وعليه فشرط الندوي تكون متجسدة في جهاز حكم أو في أهل الحل والعقد وليس في فرد.

ولعل هذه المبادئ والشروط التي وضعها الندوي في الأئمة كانت المعيار الذي بنى على أساسه التفريق بين عهد الخلافة الراشدة والملك العضوض.

<sup>1</sup>: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص 121.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص 121.

<sup>3</sup>: ينظر: عبد المجيد السلماني، الفكر والسلوك السياسي عند أبي الحسن الندوي، دار القلم دمشق، ط 1، 1425هـ،

2004م، ص 82.

<sup>4</sup>: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص 119.

### الفرع الثاني: جذور الأزمة السياسية في الأمة الإسلامية

ذهب الندوي إلى أن أهم بدايات الانحطاط الجلي في الحياة السياسية للأمة الإسلامية هو انقلاب الخلافة إلى ملك كنتيجة لأسباب كثيرة حدثت، إلا أننا نستدرك عليه حدوث إرهابات ممهدة للأزمة ككل، ألا وهي مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلم يكن قتله مجرد اعتباطية، أكثر مما كانت تدلي بوجود مخططات ومكائد للخلافة الراشدة، تتربص بها الدوائر وتسعى لإطفاء جذوتها؟<sup>(1)</sup>، وبعدها كانت وثبة الجاهلية بتيارها الجارف<sup>(2)</sup> «في عهد عثمان رضي الله عنه، وإن حاول عثمان رضي الله عنه سدّه ببذل نفسه ومهجته، إلا أنه لم ينكفئ، ثم خلفه علي كرم الله وجهه واستفرغ جهده لمنع هذه الفتنة وصيانة السلطة السياسية في الإسلام من تمكن الجاهلية منها، ولكنه لم يستطع أن يدفع هذا الانقلاب الرجعي المركوس حتى ببذل نفسه، فانتهى بذلك عهد الخلافة على منهاج النبوة وحلّ محلها الملك العضوض وبدأ الحكم والسلطة يقوم على قواعد الجاهلية بدلا من قواعد الإسلام»<sup>(3)</sup>.

وعلى هذه التحولات التي سبقت الأزمة السياسية الكبرى ارتأينا أن نعطي هذه القضية الأهمية بمكان لأنها تعدّ الشرارات الأولى لبداية التحولات الكبرى في حياة الأمة الإسلامية.

### أولا: الفتوح والانفتاح للدولة الإسلامية في عهد عثمان رضي الله عنه

إن من جملة ما تميزت به الدولة الإسلامية في عهد عثمان رضي الله عنه والتي عدت من مآثر خلافته الفتوح الإسلامية -التي بدأت أساسا على يد عمر رضي الله عنه- إذ بلغت أوجها وذروتها، ففتح في عهده «أذربيجان» و«طبرستان»، و«بلاد الخرز»، و«منبلاد الديلم» و«الجبل» حتى «بلنجر» و«قهستان» إلى «نيسابور»، و«طغارستان» إلى «مرو» «الروذ» إلى «بلخ» و«خوارزم»، و«أرمينية» إلى «تاليقلا»، واستمرت الفتوح حتى وصلت إلى

<sup>1</sup>: إن تتالي الفتن ومقتل الخلفاء الواحد تلو الآخر -إن اختلفت الملابسات والظروف التي حكم فيها كل واحد منهم- ليشير بوجه أو بآخر إلى تدابير سعت لبتتر ساق الخلافة الراشدة التي سعت للحفاظ على روح الدين وجوهه.

<sup>2</sup>: ينظر تفاصيل أسبابها من كتاب أبي الأعلى المودودي، الخلافة والملك، تعريب: أحمد ادريس، دار القلم، الكويت، ط1، 1398هـ، 1978م، ص64، 65.

<sup>3</sup>: أبو الأعلى المودودي، موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه، دار الفكر الحديث، لبنان، ط2، 1386هـ، 1967م، ص44.

"فليس"، و"جزيرة قبرص" وفتحت السواحل الشمالية للقارة الإفريقية من "طرابلس" إلى "طنجة"<sup>(1)</sup>.

كما سخر المسلمون في عهده «بلخ» و"هرات" و"كابل" و"بدخشان"، وكانت الثورة في جنوب إيران وسيلة لتسخير "كرمان" و"سجستان"، واعتنت الدولة الفاتحة بوسائل الترفيه في هذه البلاد، فحفرت ترع وأنهار، وأنشئت شوارع، وحملت هجمات الروم على التقدم إلى آسيا الصغرى، والبحر الأسود وفتحت طرابلس الغرب، وبرقة في قارة افريقية، وفتحت جزيرة قبرص في البحر الأبيض المتوسط، وأباد المسلمون الأسطول البحري الذي أنشأه الروم لفتح مصر على شواطئ الإسكندرية<sup>(2)</sup>.

### ثانياً: بداية التحول في المجتمع الإسلامي

من المعروف أن نفسية الخليفين عمر وعثمان رضي الله عنهما كانتا مختلفتين، إذ امتازت الأولى بالشدة وامتازت الثانية باللين، فلما كان عمر يمنع الصحابة من الخروج من المدينة والانفتاح على مغربيات الدنيا كان عثمان قد ترك سبيلهم وسمح لهم بالانسياح في الأرض، فكثرت بذلك أملاكهم، وبنو الدور في الأمصار<sup>(3)</sup>.

وبعد أن استشرى هذا التحول عن السمات في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه لانتساع الفتوحات ووفور الخيرات وكثرة الغنائم، وإدرار الأموال، وذلك ما تقتضيه طبيعة الأشياء ومنطق الواقع إذا لم يوجد من يكبح جماحها، ويعدّل من شرّتها وغلوائها، كما فعل عمر رضي الله عنه، وعليه ولج المسلمون عهداً جديداً لم يكن ذا سبق في عهد الخليفين، فقد كان لهذه الانتصارات الواسعة والفتوح العظيمة، وما تجرّه من رخاء وثناء وتجارب جديدة لوسائل الترفيه والتوسع في المعيشة والمدنية، من نتائج نفسية وخلقية، وهي ضريبة طبيعية لا بدّ من دفعها ومواجهتها في حياة الأمم والشعوب، وتاريخ المجتمعات والدول<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup>: الندوي: المرتضى، سيرة سيدنا أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، دار القلم، دمشق، ط1، 1409هـ، 1989م، ص122.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، ص123.

<sup>3</sup>: فقد بنى الزبير بن العوام داراً بالبصرة وغيرها في الكوفة وفي مصر، وبنى طلحة بن عبيد الله داراً في الكوفة، وكانوا ينتقلون بين أملاكهم وضياعهم، ينظر: محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، الخلفاء الراشدون، المكتب الإسلامي، بيروت، ط8، 1421هـ، 2000م ص235، 236.

<sup>4</sup>: الندوي، المرتضى، مصدر سابق، ص125.

واللفتة التي ينبهنا إليها الندوي، هي التحولات النفسية التي صاحبت الفتوحات، وقد خشى رسول الله من عاقبة ذلك فحذر وقال: «فوالله لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتتافسوها كما تتافسوها وتهلككم كما أهلكتهم»<sup>(1)</sup>.

فكان من حدوث هذا الوضع أن «اندفعت من عناصر المجتمع الإسلامي تيارات الأهداف العاصفة، ذلك أن النفوس البشرية إذا أبطرتها نعم الحياة ولم يهذبها الإنسان، وانزلت إلى مخاطر الثورة، عميت فلا تبصر، وضلت فلا تعقل»<sup>(2)</sup>.

أما أول نقمة كانت على عثمان رضي الله عنه هي «اختياره لعمال ليست لهم سوابق إسلامية»<sup>(3)</sup>، أو مكانة دينية رفيعة في المجتمع، و صدرت منهم تصرفات كانت موضع نقد واستياء عند من ينظرون إلى الولاية بنظرة كانوا ينظرون بها إلى عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر، فكثرت القالة فيهم والأحداث عنهم، وللخليفة والأمير اعتبارات إدارية وسياسية، يأخذ بها في اختيار الأمراء، ولا يستطيع أن يقنع بها كل واحد، وأن يرجح في اختيارهم الجانب الديني والخلقي دائماً»<sup>(4)</sup>.

ولا يفهم من الندوي أنه ممن يميلون إلى الطعن في عثمان رضي الله عنه، لأننا نجده يستند إلى أقوال ممن حملوا أعمال عثمان رضي الله عنه في اختياره لقرابته في مناصب الحكومة على حسن قصد ونية<sup>(5)</sup>.

وفي مقابل ذلك يرى أن كل ما يمكن أن يقال في الاعتذار لعثمان في اختيار الولاية والأمراء وإقرارهم، والدفاع عنه، أنه ليس معصوماً عن الخطأ، بل هو في منزلة المجتهد قد يصيب وقد يخطئ، ولا نزكي على الله أحداً، أما شأن ولاته فإن الندوي لا يعتذر لهم ولا

<sup>1</sup>: رواه البخاري، كتاب الجزية، باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب، رقم: 3158، ص 780.

<sup>2</sup>: الندوي، المرتضى، مصدر سابق، ص 126.

<sup>3</sup>: وكان عمر رضي الله قد حذر عثمان وعلياً وعبد الرحمن من مثل هذا الإيثار للأقارب فقال: «إن الناس لن يعدوكم أيها الثلاثة فإن كنت يا عثمان في شيء من أمر الناس فاتق الله ولا تحملن بني أمية وبني أبي معيط على رقاب الناس وإن كنت يا علي فاتق الله ولا تحملن بني هاشم على رقاب الناس وإن كنت يا عبد الرحمن فاتق الله ولا تحملن أقاربك على رقاب الناس». ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ابن حجر، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، 13/196.

<sup>4</sup>: الندوي، المرتضى، مصدر سابق، ص 127، 128.

<sup>5</sup>: المصدر نفسه، ص 128.

يقبل على تبرئتهم ولا على تبرير أعمالهم، يقول: «فلا نبرئ مروان بن الحكم<sup>(1)</sup> والوليد بن عقبة<sup>(2)</sup> وعبد الله بن سعد بن أبي سرح<sup>(3)</sup> في سلوكهم وفي استغلال قرابتهم وما لهم من مكانة عنده، أو كفاية وقدرة لإدارة للأمور»<sup>(4)</sup>. فهؤلاء الثلاثة نجدهم تولوا المناصب مكان

<sup>1</sup>: الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي، عم عثمان بن عفان، وأبو مروان بن الحكم، كان من مسلمة الفتح، وأخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة وطرده عنها فنزل الطائف، وخرج معه ابنه مروان. وقيل: إن مروان ولد بالطائف، فلم يزل الحكم بالطائف إلى أن ولي عثمان، فرده عثمان إلى المدينة، وبقي فيها وتوفي في آخر خلافة عثمان) واختلف في سبب نفي رسول الله له إلى الطائف بين أمرين: أولاً: أنه كان يفشي مشاورات رسول الله وأسراره التي كانت بينه وبين صحابته، والأمر الثاني: أنه كان يقلد رسول الله في مشيئته وحركاته حتى رآه يوماً. وقد أعاده عثمان إلى المدينة في عهده. وابنه مروان هو من قتل سيدنا طلحة رضي الله عنه في معركة الجمل وكان حينها في حربه ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد الجبوي دار الجبل، بيروت، ط1، 1412 هـ، 1992 م، 359/1، 766/2.

<sup>2</sup>: الوليد بن عقبة بن أبي معيط أسلم يوم الفتح هو وأخوه خالد بن عقبة، وأظنه يومئذ كان قد ناهز الاحتلام. قال الوليد: لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم، فيمسح على رؤوسهم، ويدعو لهم بالبركة، قال: فأتي بي إليه وأنا مضمخ بالخلق، فلم يمسح على رأسي.. «ولا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت أن قوله عز وجل: "إن جاءكم فاسق بنبأ" نزلت في الوليد بن عقبة، وذلك أنه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني المصطلق مصدقاً، فأخبر عنهم أنهم ارتدوا وأبوا من أداء الصدقة، وذلك أنهم خرجوا إليه فهابهم، ولم يعرف ما عندهم، فانصرف عنهم وأخبر بما ذكرنا، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد، وأمره أن ينتثبت فيهم، فأخبروه أنهم متمسكون بالإسلام، ونزلت ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾ [الحجرات:6]. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، مرجع سابق، 1552/4-1554.

وكذلك نزلت الآية (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستترون) في ما وقع سيدنا علي رضي الله عنه والوليد بن أبي معيط ينظر: جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ط1، 1424 هـ، 2003 م، 705/11. كما نقشى أمر إيمانه على الخمر حتى أنه صلى الصبح بالناس أربع ركعات وهو سكران ثم التفت إلى الناس فقال: هل أزيدكم؟، أما نظرتة إلى منصبه فقد كان يراه ملكاً بحتاً يتلهفون عليه وذلك منه، فحينما قدم على سعد قال له سعد: والله ما أدري أكست بعدنا أم حمقتنا بعدك؟ فقال: لا تجزعن أبا إسحاق فإنما هو الملك يتعداه قوم ويتعشاه آخرون. فقال سعد: أراكم والله ستجعلونها ملكاً. ابن عبد البر، مرجع سابق، 1554/4.

<sup>3</sup>: عبد الله بن سعد بن أبي السرح بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي العامري، أسلم قبل الفتح، وهاجر، وكان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ارتد مشركاً، وصار إلى قریش بمكة، وهم من الذين أمر رسول الله بقتلهم في فتح مكة، ولو وجدوا تحت أستار الكعبة، إلا أنه عفا عنه رسول الله لشفاعته أخيه عثمان رضي الله عنه له، وأسلم فيما بعد وحسن إسلامه، ينظر: ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1421 هـ، 2001 م، 131/2.

<sup>4</sup>: ينظر، الندوي، المرتضى، مصدر سابق، ص 129

كبار الصحابة-بعد أن عزلوا- الذين كان لهم السبق في الإسلام والأفضلية في الخلق والتربية وقوامة الدين<sup>(1)</sup>.

ولم يكن قصدنا التركيز في عرضنا لبعض أعمال عثمان أو سلوك انحراف أقاربه والكشف عن سيرتهم على قدر ما كان التركيز على النقاط المفصلية التي أحدثت تحولات كبرى وانزلاقات في الحياة السياسية للأمة، التي كانت بذاتها الممهديات لبدايات سلسلة الفتن والصراعات التي ختمت في الأخير بمقتل عثمان رضي الله عنه، لتستأنف بعد ذلك حركة أخطر من سابقتها أدت إلى فتنة كبرى تركزت في محاربة علي رضي الله عنه وذريته من بعده.

وعليه لا يمكن تجاوز الكلام عن الانحطاط في حياة الأمة قبل التنويه عن البدايات الحقيقية له في عهد عثمان.

### الفرع الثالث: من الخلافة الراشدة إلى الملك العضوض

يولي الندوي تركيزه في الحديث عن هذا التحول الكبير وعليه يرجع الكثير من الأزمات.

#### أولاً: علي رضي الله عنه وانقضاء عهد الخلافة الراشدة

انتقلت الخلافة من بعد مقتل عثمان إلى علي رضي الله عنهما، وكانت الأمة في أخرج الأوقات من الفتن والتوتر والانشقاقات، وقد حمل علي رضي الله عنه مسؤولية إعادة الخلافة على نهج النبوة، واستصلاح المفاصل التي وقعت من قبله من الظلم والجور والترف والتسلط على الأمة بما لا يقيم لها شأنًا ولا قدرًا.

واجه علي رضي الله عنه واقعا كان أمر واقع على الأمة-حتى إن الأربعة الذين كانوا مخولين من قبل عمر تدافعوا الأمر إلى علي- وفي ذلك واجه ثلاث معضلات<sup>(2)</sup> استقرغ لها جهده بما تميز به من حكمة ونفاذ بصيرة ورجاحة عقل واتزان وسمو نفس وكمال خلق، وقد تجلت هذه المعضلات في معركة الجمل وأساسها خروج طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم عليه بدعوى مطالبة القصاص بدم عثمان، ثم معركة صفين التي تولاهما

<sup>1</sup>: عزل سعد بن أبي وقاص من حكومة الكوفة وولى عليها الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخاه لأمه ثم ولى عليها فيما بعد أحد أقربائه هو سعيد بن العاص. وعزل أبا موسى الأشعري عن حكومة البصرة وولى مكانه ابن أخيه عبد الله بن عامر. وأقيل عمرو بن العاص من حكومة مصر وولاهها عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخاه من الرضاة.

<sup>2</sup>: ينظر تفاصيل أحداثها من كتاب المرتضى للندوي والخلافة والملك للمودودي.

معاوية الذي رفض البيعة لعلي، ويدعوى المطالبة بدم عثمان كذلك، والمعضلة الثالثة النهروان وفيها قتال الخوارج، وقد تضافرت هذه المعضلات لتكون من أكبر المعوقات في إتمام روح الخلافة على نهج النبوة.

وختمت هذه النكبات ببتير مسيرة الخلافة الراشدة على إثر مقتل علي رضي الله عنه وسياسته الرشيدة التي كانت قائمة على «تقديم المبادئ والقيم والمثل الإسلامية، على المصالح السياسية والإدارية، والمحافظة على روح خلافة الأنبياء ومنهج الخلفاء الراشدين، وقد كان يعتبر الخليفة داعياً إلى الدين ونموذجاً وقوة للمسلمين، وقد كان مستعداً كل الاستعداد لأن يدفع قيمة هذا المنهج، وإيثار هذا الجانب على جانب الاعتبارات السياسية والملاحظات الإدارية، وقد دفع قيمة إيثار هذا المنهج باهضة، راضياً بذلك قرير العين»<sup>(1)</sup> وكانت هذه الواقعة الكبرى أكبر انحراف في تاريخ المسلمين، وضياح النماذج المثالية العملية الكاملة، والقيادة الراشدة في الأمة، وبذلك تكون أول عروة تنقض من عرى الإسلام، كما أخبر عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(2)</sup>.

ولعل هذه الأزمة لم تعطى الحظ الأوفر في الحديث عن تاريخ أزمة الحضارة الإسلامية كما يقول مالك بن نبي: «..لست أدري لماذا لم ينتبه المؤرخون إلى هذه الواقعة التي حولت مجرى التاريخ، إذ أخرجت الحضارة الإسلامية إلى طور القيصرية الذي يسوده عامل العقل وتزينه الأبهة والعظمة، في الوقت الذي بدأت تظهر فيه بوادر الفتر الدالة على أفول الروح فإن مؤرخينا لم يروا في تلك الكارثة إلا ظاهرة ثانوية»<sup>(3)</sup>، التي تعد نقطة الانكسار في منحى التطور التاريخي، وهي لحظة انقلاب القيم داخل حضارة معينة<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup>: الندوي، المرتضى، مصدر سابق، ص184.

<sup>2</sup>: رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، باب إخباره صلى الله عليه وسلم عما يكون في أمته من الفتن والحوادث، ذكر الإخبار بأن أول ما يظهر من نقض عرى الإسلام من جهة الأمراء فساد الحكم والحكام رقم(6715)، ينظر: صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ، 1993م، 111/15.

<sup>3</sup>: مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة: عمر كامل سقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1406هـ، 1986م، ص52.

<sup>4</sup>: مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1423هـ، 2002م، ص36.



أما الندوي فيرى خلاصة الأمر أن علي رضي الله عنه أراد أن تبقى الخلافة على منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث هاديا لا جابيا، على عكس معاوية رضي الله عنه الذي جعلها ملوكية<sup>(1)</sup>.

### ثانيا: الحكم ورجال الملك

لقد كانت الخلافة الراشدة تتسم بجملة من الخصائص؛ أساسها أن الخليفة من «أكفأ رجال الأمة وأقدرهم على قيادتها. وأن الشورى كانت مرعية، فلا افتيات، ولا استبداد ولا استعلاء، وأن يدّ الخليفة في المال العام كانت مغلولة، فلا يستطيع توسعا، ولا استغلالا أبدا. وأن العمل بالإسلام وله في الداخل والخارج كان شغله الشاغل»<sup>(2)</sup>.

وينطلق الندوي في نظريته لبداية الانحطاط الحقيقية من لحظة تولي منصب الإمامة رجال لم يكونوا له أكفاء، ولم يعدوا له عدّة، ولم يأخذوا له أهبة، ولم يتلقوا تربية دينية وخلقية كما تلقى الأولون وكثيرون في عصرهم وجيلهم، ولم يسيغوا تعاليم الإسلام إساعة تليق بقيادة الأمة الإسلامية والاضطلاع بزعامتها، ولم تتق رؤوسهم ولا نفوسهم من بقايا التربية القديمة، ولم يكن عندهم من روح الجهاد في سبيل الإسلام ومن قوة الاجتهاد في المسائل الدينية والدنيوية ما يجعلهم يضطلعون بأعباء الخلافة الإسلامية، وهذا الحكم عام يشمل خلفاء بني أمية<sup>(3)</sup> وبني العباس، حاشا الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز<sup>(4)</sup>.

### ثالثا: فصل الدين عن السياسة

أما عن واقع الدين والسياسة فيحكم الندوي بوقوع فصل بينهما عمليا، فإن هؤلاء لم يكونوا من العلم والدين بمكان يستغنون به عن غيرهم من العلماء وأهل الدين فاستبدوا

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، مذكرات سائح في الشرق العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1398هـ، 1978م، ص257.

<sup>2</sup>: محمد الغزالي، سر تأخر العرب والمسلمين، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، ط7، 2005م، ص12.

<sup>3</sup>: يعد الأمويون أول من بدلوا سنة رسول الله في الخلافة وتحويلها إلى مملوكية، وقد ورد في حديثه عليه الصلاة والسلام: " أول من يغيّر سنتي رجل من بني أمية" أخرجه بن أبي عاصم في "الأوائل" عن أبي ذر رضي الله عنه، ينظر: ابن أبي عاصم، الأوائل، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، (دط، دت)، ص77، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، 329/4.

<sup>4</sup>: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص122.

بالحكم والسياسة، واستعانوا-إذا أرادوا واقتضت المصالح- بالفقهاء ورجال الدين كمشيرين متخصصين، واستخدموهم في مصالحهم واستغنوا عنهم إذا شاعوا، وعصروهم متى شاعوا، فتحررت السياسة من رقابة الدين، وأصبحت قيصرية أو كسروية مستبدة، وملكاً عضواً، وأصبحت السياسة كجمل هائج حبله على غاربه<sup>(1)</sup>.

#### رابعاً: النزعات الجاهلية في رجال الحكومة

يرى الندوي أن رجال الحكومة حتى الحكام منهم لم يكونوا أمثلة كاملة في الدين والأخلاق، بل كان في كثير منهم عروق للجاهلية ونزعاتها، فسرت روحهم ونفسياتهم في الحياة العامة والاجتماع، وأصبحوا أسوة للناس في أخلاقهم وعوائدهم وميولهم<sup>(2)</sup>، و«تمثلت العصبية القبلية التي قمعها الإسلام، واقتحمت هذه القوى سياج الكبت، وفرضت نفسها على شعبة الحكم في الإسلام! ثم فرضت نفسها على شعب أخرى اجتماعية، واقتصادية، وخلقية..»<sup>(3)</sup>.

#### خامساً: سوء تمثيلهم للإسلام

يحكم الندوي على هذا الصنف من الحكام بسوء تمثيلهم لصورة الإسلام الحقيقية، حيث كانوا في كل ما يأتون ويذرون ممثلين لأنفسهم وسياستهم فقط، لا يمثلون الإسلام، ولا سياسته الشرعية، لا في قانونه الحربي، ولا في نظامه المدني، ولا في تعاليمه الأخلاقية إلا في النادر؛ ففقدت رسالة الإسلام تأثيرها وقوتها في قلوب غير المسلمين وضعفت ثقفتهم به وبدأت البشرية تشك في صدق القائمين بتمثيل الديانة الجديدة<sup>(4)</sup>.

ويذهب الندوي في وصف هؤلاء إلى أبعد من هذا، فيرى أنهم تشبهوا بسابقيهم من ملوك الأمم السابقة وسلاطينها يقول: «..وأشبهت ملوكهم وأمراؤهم، جبابرتها وفراعنتها وأغنياؤهم مترفيها وأكابر مجرميها، وكاد يسبق فجّارهم فجّارها، تحاسد وبغضاء ومنافسة في السلطان، وتكالب على حطام الدنيا، وإخلاق إلى الترف والنعيم، وإعراض عن الآخرة، وسفك للدماء، وهتك للأعراض، وهضم للحقوق وغدر بالعهود والذمم، وتعدّ على حدود

<sup>1</sup>: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص122.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، ص122.

<sup>3</sup>: ينظر: محمد الغزالي، سر تأخر العرب والمسلمين، مرجع سابق، ص12،13.

<sup>4</sup>: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص123.

الله وإعانة للظالم، وجنّف في الحكومات والمظالم، وتبذير لأموال الله، وعموم الفواحش والمنكرات، وابتداع للجرائم، وإبداع في الخيانة، مما يحتاج بسطه إلى مجلدات، فهانوا إذا على الله مع أسمائهم الإسلامية، ورغم وجود الصالحين فيهم، وظهر بعض الشعائر الدينية، والواجبات الشرعية في بلادهم، وهانوا على الناس رغم مملكتهم الواسعة وجيوشهم الكثيفة، وخزائنها العامرة، ورغم تقدمهم في الحضارة ومظاهرها الكثيرة، فقلّ إكرام الناس لهم وهيبتهم إياهم، وتجاسروا عليهم، قال "رتبيل" ملك رُخج وسجستان لرسول يزيد بن عبد الملك وقد جاؤوا إليه يطالبونه بالخراج<sup>(1)</sup>: "ما فعل قوم كانوا يأتونا: خماص البطون، سود الوجوه من الصلاة، نعالهم خوص؟ قالوا: انقروضوا، قال: أولئك أوفى منكم عهداً وأشد بأساً، وإن كنتم أحسن منهم وجوهاً، ثم لم يعط أحداً من عمال بني أمية، ولا عمال أبي مسلم على سجستان من تلك الإتاوة شيئاً"<sup>(2)</sup>.

ونخلص مما سبق إلى أن أول إرهابات الأزمة السياسية في تاريخ الأمة الإسلامية تكمن في مقتل الخليفة عمر رضي الله عنه، لتبرز أكثر -في نظر الندوي- في زمن عثمان رضي الله عنه، لتتبلور وتكون قضية مفصلية وأزمة واضحة جلية ومنعطف انحراف في مسيرة الأمة الروحية والحضارية، في انقلاب الخلافة الراشدة إلى الملك العضوض الذي صاحب تحولات جوهرية في روح الأمة المسلمة.

<sup>1</sup>: ينظر القصة: البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، (دط)، 1407هـ، 1987م، ص564.

<sup>2</sup>: الندوي، إلى الإسلام من جديد، دار القلم للنشر والتوزيع، دمشق، ط4، 1399 هـ، 1979م، ص67، 68.

### المطلب الثاني: استمرار الأزمة السياسية في تاريخ الأمة الإسلامية

حوى هذا المطلب ثلاثة فروع، تناول الأول الحديث الهجومات الصليبية والغزو التتاري، وتناول الثاني في الحكم العثماني وأسباب انحطاطه، بينما تعرض الثالث إلى الحديث عن يقضة أوربا والأزمة السياسية المعاصرة في الأمة الإسلامية.

#### الفرع الأول: الهجومات الصليبية والغزو التتاري

أشد ما واجهت الأمة الإسلامية في صراعها الطويل الحروب الصليبية والغزو التتاري، اللذان كانا من أعنف الصراعات.

#### أولاً: الحروب الصليبية

كانت أوربا النصرانية منذ قديم الزمان تتطوي على حقد دفين للإسلام، والسبب في ذلك أن استولى المسلمون على مملكتها الشرقية التي كانت تحكمها الدولة البيزنطية، وكانت جميع مقدساتها ومولد المسيح نفسه تحت حضانتهم وسيطرتهم، فكان هذا الأمر كاف لاستفزاز أوربا وإثارة دافعها لأخذ الثأر من المسلمين<sup>(1)</sup>.

بدأت «الغزوات الصليبية تتحدى الإسلام والمسلمين كلهم<sup>(2)</sup>، وتهدد الجزيرة العربية، ومهد الإسلام والدول المجاورة للشام، واستولى الصليبيون الأوربيون فعلا على القدس وعلى عامة مدن الشام وقلاعه، وطمعوا في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(3)</sup>، فكانت مجموع الحملات السبع قد فعلت الأفاعيل من الوحشية والتقتيل وفي هذا الصدد يصف لنا غوستاف لوبون هذه الحال بقوله: «.. حدث ما هو عجيب بين العرب! عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها، فقد قطعت رؤوس بعضهم، فكان هذا أقل ما يمكن أن يصيبهم! وبُقرت بطون بعضهم، فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار، وحرقت بعضهم في النار فكان ذلك بعد عذاب طويل، وكان لا يرى في شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم، فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم، ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض ما نالوا..»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر الندوي، صلاح الدين الأيوبي البطل الناصر لدين الله، دار القلم، دمشق، ط3/1400هـ، 1980م، ص7.

<sup>2</sup>: توجه أول جيش من الصليبيين إلى الشام سنة 490هـ، واستولى في ظرف عامين على مدن "الرها" و"أنطاكية" وأكثر قلاعهما، وأخذوا "بيت المقدس" سنة 492هـ، ما يوافق 1099م،

<sup>3</sup>: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص126.

<sup>4</sup>: غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، مصر، (د، ط)، 2012م،

ويقول: «.. لقد أفرط قومنا في سفك الدماء في هيكل سليمان، وكانت جثث القتلى تعومفي الساحة هنا وهناك، وكانت الأيدي والأذرع المبتورة تسبح كأنها تريد أننتصل بجثث غريبة عنها، فإذا ما اتصلت ذراع بجسم لم يُعرف أصلها، وكان الجنود الذين أحدثوا تلك الملحمة لا يُطيقون رائحة البخار المنبعثة من ذلك إلا بمشقة، ولم يكتف الفرسان الصليبيون بذلك، فعقدوا مؤتمرا أجمعوا فيه على إبادة جميع سكان القدس، من المسلمين واليهود وخوارج النصارى، الذين كان عددهم نحو ستين ألفا فأفنوهم على بكرة أبيهم في ثمانية أيام، ولم يستثنوا منهم امرأة ولا ولدا ولا شيخا..، وأراد الصليبيون أن يستريحوا من عناء تذبيح أهل القدس قاطبة، فانهمكوا في كلما يستقذره الإنسان من ضروب السكر والعريضة..»<sup>(1)</sup>.

ولا شك أن هذا كان من الخطر العظيم الذي تعرضت له الأمة في تاريخها. والتي خسرت فيه الكثير من الأرواح.

ووقعت هذه المآسي في وقت قد وقع العالم الإسلامي فريسة الاضطراب وتزايد للفوضى، فكان خلفاء السلاجقة متحاربين فيما بينهم، وأما الخلفاء العباسيون فقد نقلوا سيادتهم إلى الأتراك قبل زمن بعيد، ولم يوجد حينها في العالم الإسلامي سلطان عملاق أو قائد عبقرى يحمل صلاحية القيادة وتدبير الأمر<sup>(2)</sup>.

### ثانيا: غزو التتار للأقطار الإسلامية

ضعفت القيادة بعد رحيل صلاح الدين سنة 589هـ، وسقطت دولته اقتضاء لسنن الله التي لا تعرف المحاباة ولا الظلم، بل تسري بعدل إلهي، وقد فشا في هذه الدولة كغيرها جملة من الأدواء<sup>(3)</sup> منها: حدوث مظالم عظيمة من سفك الدماء فيما بينهم، فقاتل الأخ أخاه والعَمّ بني أخيه ظلما وجورا وتسلطا على العباد والبلاد، وحوصرت دمشق وتعرض أهلها للمجاعة بسبب الأهواء والنزوات وإسراف بعض سلاطينهم في المال العام، وتمّ الاعتداء في بعض الأحوال على أموال الرعية بدون وجه حق..، وانغماس في الترف

<sup>1</sup>: غوستاف لوبون، حضارة العرب، مرجع سابق، ص339.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، صلاح الدين الأيوبي، مصدر سابق، ص11.

<sup>3</sup>: ينظر تفاصيل هذه الأدواء من كتاب علي محمد الصلابي، الأيوبيون بعد صلاح الدين، دار المعرفة، بيروت، ط3،

والشهوات وهدر مبدأ الشورى، وانتهاك قدسية الولاء والبراء، فاستعانوا بالصليبيين وتحالفوا معهم ضد إخوانهم مقابل تسليم بيت المقدس لهم، وقد فعلوا ذلك حقيقة<sup>(1)</sup>. وعلى إثر هذا الأوضاع من «الانقسام والتطاحن والغفلة، والزيغ والانحراف، ولم تنزل القوة الإسلامية إلا انهياراً، وضعفاً، من دون أن يستأنف المسلمون دور القيادة الروحية والأخلاقية، فظلت الإنذارات السماوية، والأحداث الجسام تحذر الناس، وكانت كفيلة بأن تبعث الناس على التوبة والإنابة إلى الله، وإصلاح أحوالهم»<sup>(2)</sup>، وتمكن من النفوس الفساد وكثرة المظالم والانصراف عن الأخذ بما يوجب العزة والنصر والتمكين حتى وقع عليهم وعد الله، ودخل التتار إلى بغداد ووقعت مجازر عظيمة سنة 656هـ، و«استمر سفك الدماء فيها أربعين يوماً..، وأصبحت بغداد خاوية على عروشها لم ينج إلا النادر من الناس، ووقع وباء شديد بسبب الأمطار التي نزلت على الجثث فتغيرت صورهم وأنتنت الجيف البلد، وتغير الهواء، حتى تعدى الوباء وسرى إلى بلاد الشام، فمات على إثره خلق كثير من تغير الجوّ وفساد الريح، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون»<sup>(3)</sup>.

ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير والقنى والمقابر كأنهم الموتى إذا نبشوا من قبورهم، وقد أنكر بعضهم بعضاً فلا يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه، وأخذهم الوباء الشديد فتفانوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى، واجتمعوا تحت الثرى<sup>(4)</sup>.

ومن عظم هذه البلية يقول ابن الأثير -تهويلاً لها-: «لقد بقيت عدة سنين، معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظماً لها كارهاً لذكرها، فأنا أقدم إليه رجلاً وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين، ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك، فيا ليت أُمي لم تلدني، ويا ليتني متّ قبل هذا وكنت نسياً منسياً..، والمصيبة الكبرى التي عقت

<sup>1</sup>: ينظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، 1383هـ، 1963م، 6/322.

<sup>2</sup>: الندوي، غارة التتار، مصدر سابق، ص8.

<sup>3</sup>: ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، 202/13، 203.

<sup>4</sup>: ينظر: المرجع نفسه، 203/13.

الأيام والليالي عن مثلها، عمّت الخلائق، وخصّت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم، إلى الآن لم يبتلوا بمثلها، لكان صادقا، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها..، وأما الدجال فإنه يبقى على من اتبعه، ويهلك من خالفه، وهؤلاء لم يبقوا على أحد، بل قتلوا النساء والرجال والأطفال، وشقوا بطون الحوامل، وقتلوا الأجنّة، فإنّا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لهذه الحادثة التي استطار شررها، وعمّ ضررها، وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح..»<sup>(1)</sup>.

وقد كان نهر دجلة يحمر «تارة بدماء أهل بغداد، وأخرى يسودّ بسبب إلقاء الكتب المحرقة فيه، وكانت منارات عالية ترفع برؤوس المسلمين المقطوعة تبدو من بعيد، فغلب على الناس التشاؤم واليأس، حتى بدؤوا يعتبرون التتار بلاء سماويا، ومقاومتهم مستحيلة وانهمامهم فوق القياس، حتى سار المثل: "إذا قيل لك إن التتار انهزموا فلا تصدق"»<sup>(2)</sup>.

و«ورث التتار والمغول تراث المسلمين وخلفهم في الحكومة، وناهيك به بؤسا وشقاء للإنسانية وخرابا للعالم أن يتولى قيادة العالم أمة جاهلة وحشية ليس عندها دين ولا علم ولا ثقافة ولا حضارة»<sup>(3)</sup>.

ولا شك أن هذه البلايا التي وقعت على المسلمين قد مست بكافة مناحي الحياة؛ دينيا واجتماعيا واقتصاديا، ما أسهم في انحطاط الأمة الإسلامية وضعفها، وما كان ذلك إلا أن الظلم والانحراف عن صراط الله أوجب الفشل والضعف وتساقط البلايا بداية بالحكم والسياسة وما يتفرع عن ذلك من أزمات في الوضع الاجتماعي والثقافي.

### الفرع الثاني: الحكم العثماني وأسباب انحطاطه

أسهمت الإمبراطورية العثمانية في الحفاظ على المقدسات الإسلامية، وأصبحت حامية الديار، وقد نجحت في إبطال مخططات الصليبية البرتغالية التي قامت بمحاولتين

<sup>1</sup>: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1417هـ، 1997م، ص333،334.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، أوربا، أمريكا وإسرائيل، كشف حقيقة صارخة، وتنبيه على خطر داهم، المجمع الإسلامي العلمي، الهند، ط1، 1418هـ، 1997م، ص15.

<sup>3</sup>: الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مصدر سابق، ص130.

لاحتلال ميناء جدة، فكانت المحاولة الأولى (923هـ/1517م)، والثانية في (926هـ/1520م)<sup>(1)</sup>.

كما كان لها الفضل الكبير في الحفاظ على سكان شمال إفريقيا من أخطار الغزو الصليبي الأوربي الذي حمل لواءه البرتغال والأسبان والمنظمة الصليبية المعروفة باسم "فرسان القديس يوحنا" التي كانت تسعى لإقامة مراكز مسيحية على الساحل الشمالي لإفريقيا<sup>(2)</sup>، وعليه فإن العثمانيين كانوا يمثلون سيف الدفاع عن معظم العالم الإسلامي، مقابل العرب الذين مثلوا سيف الاندفاع في الفتوحات الإسلامية.

إن من أسباب هذه الانتصارات جملة المزايا التي كانت في الشعب التركي من الحماسة والطموح وروح الجهاد، إضافة إلى امتلاكه القوة الحربية، كما أسهم موقعهم الجغرافي بشكل كبير في تثبيت مركز القيادة العالمية، فكانت شبه جزيرة البلقان خير عاصمة لأكبر دولة تحكم آسيا وأوروبا وإفريقيا<sup>(3)</sup>، ومع ذلك تعرض الحكم العثماني كغيره للتقهقر لأسباب داخلية وخارجية.

### أولاً: الأسباب الداخلية

#### أ- فساد نظام الحكم

في إطار الحديث عن أزمة الحكم العثماني لا نجد أن الندوي قد عرض الأسباب المفصلية التي أدت إلى تدهور الدولة العثمانية سوى أنه اكتفى بذكرها إجمالاً دون الوقوف عليها تفصيلاً، ولا يقدم هذا الاختصار للقارئ الرؤية الحقيقية التي أسقطت الدولة العثمانية من قمة الهرم إلى انحطاط مسّ بالعالم الإسلامي من بعدها، ومن هنا لجأنا إلى تناول أسباب انحطاط الحكم العثماني بشيء من التفصيل.

أما جملة الأسباب العامة التي يراها الندوي قد أدت بالأترك إلى الانحطاط والتدلي فهي: الحسد والبغضاء واستبداد الملوك وجورهم وسوء تربيتهم وفساد أخلاقهم وخيانة أمرائهم

<sup>1</sup>: ينظر: إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، ط2، 1998م، ص235 236.

<sup>2</sup>: المرجع نفسه، ص237.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص134.



وغشهم للأمة وإخلاق الشعب إلى الدعة والراحة..، وكان شرّ ما أصيبوا به الجمود في العلم والجمود في صناعة الحرب وتنظيم الجيوش<sup>(1)</sup>.

وقد تجلت أسباب الانحطاط التي تعلقّت بالحكم في جملة من المظاهر نذكر منها<sup>(2)</sup>:

- 1- طغيان الجانب العسكري والاهتمام به على حساب الميادين الأخرى.
- 2- حلّ الأمور والنزاعات بالقوة والسيف مكان الدراسة والمناقشة والتخطيط.
- 3- قانون قتل الإخوة الذي مفاده إجازة السلطان المتولي للعرش قتل إخوته المنافسين له، وقد عمل السلطان على قتل جميع إخوته وأبنائهم خوفاً من الانقلاب عليه، ودس الدسائس حتى أضحي "قتل الإخوة" قانوناً جارٍ في نظام الدولة.
- 4- الترف والإسراف في الأموال، وقد أدى هذا الأمر إلى تراجع دور الجيش الانكشاري عندما منحت لهم الامتيازات، وقدمت لهم الاقطاعات، فأخذوا إلى الأرض، وألهاهم ذلك عن الدور الفعال الذي كانوا يؤدونه بإخلاص وحماسة، وخاصة أنه قد سمح لهم بالإقامة خارج الثكنات، ومن ذلك أصبحت لها متطلبات مالية وامتيازات بفضل انتصاراتها الحربية، فأدى إلى ضعف الدولة، وقد اضطرت الدولة بعد ذلك في زيادة قيمة الجباية والضرائب وإرهاق الشعب الضعيف ونهب خيرات الأقطار الإسلامية والعربية التي فتحتها<sup>(3)</sup>، والأمر الذي بدا خطره يبرز أن الانكشارية قد أصبحت تتصرف في السلطة

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص134.

<sup>2</sup>: ينظر: محمود شاكر، التاريخ الإسلامي-العهد العثماني-، المكتب الإسلامي، بيروت، ط4، 1421هـ، 2000م، 8/ 109-111.

<sup>3</sup>: وما ورثه لنا الرحالة المغاربة في رحلاتهم ومذكراتهم من مادة وفيرة تعطي الصورة الحقيقية التي كان عليها ما يسمى الفتح العثماني؛ نضرب مثلاً امتداد دخول العثمانيين إلى الجزائر وصولاً إلى الأغواط التي حاصرها الباي محمد الكبير وصار يقذفها بالرصاص والمدافع من على الجبل المتصل بها حيث: وصل العسكر إلى الموضع الذي يمكن الرمي، جعلوا يرمون على المدينة بالرصاص، ورماهم الطبعي صاحب المدفع بنحو ثلاثة أو أربعة مدافع، فلما وجد الباي المدينة قد أحيطت بها البساتين والأبراج وبساتينها كلها مدورة بالسور..، أمر الخدام والموالي الذين لا سلاح لهم أن يحملوا بأيديهم الفيسان (الفؤوس) ويذهبوا مع العسكر لتهديم أسوار المدينة، فكلما وصل العسكر لحائط من تلك الحيطان، أو برج من تلك الأبراج يركبه أصحاب الفيسان بالهدم حتى يجعلوا فيه طريقاً للعسكر..، فجعلوا كلما مرّوا ببستان إلا وهّدوه هداً وخرّت حيطانه إلى الأرض سجداً، ولم يفهم الهدّ والهدم حتى راحوا يقتلون أهل المدينة ويأسرونهم، ولما رأت أهل المدينة أن العذاب قد أحيط بهم والبلاء نزل بساحتهم علموا أنه سيصلهم ويستأصلهم، فجالوا يمينا وشمالاً، وتزحزحوا عن مواضعهم..، ثم انكشفوا وركب ظهورهم العسكر، يقتلونهم كيف شاءوا وحيث شاءوا وأين شاءوا، وقبضوا منهم جماعة فأتوا بهم أسارى..، وعن نتائج الحرب فقد أصيب من بني الأغواط وأحلافهم ما يزيد عن

وخاصة في عمليات عزل وتصفية وتعيين سلاطين وصدور عظام وولادة...، وأدى ذلك إلى تضخم المؤسسة الانكشارية وانتزاعها للعديد من الأدوار السياسية المركزية، ما ترتب عن ذلك من دورات عنف داخل مباني السلطة نفسها<sup>(1)</sup>، وقد وصل تبذير السلاطين والملوك للأموال حتى بلغت نفقات القصور الملكية في بعض الأحيان ثلث إيرادات الدولة<sup>(2)</sup>.

5- الزواج بالأجنبيات من اليهود والنصارى، وقد تسبب هذا في تغيير مجرى السياسة، سواء من التأثير على السلطان، أو سعي الأجنبيات في ترسيخ عقيدة الولاء في أبنائهن، وذلك ما حدث مع "روكسلان الروسية" زوجة الخليفة "سليمان القانوني"، وسعيها في تولي ابنها السلطة<sup>(3)</sup>، كما أدى إفشاء أسرار السلاطين وكشف خططهم إلى الهزائم في الحروب، وتسبب نظام الحريم هو الآخر في تشكل صورة دنيئة من الفتن والاغتيالات والمؤامرات، فهدد ذلك كيان الدولة وأضعف الناحية الروحية بها<sup>(4)</sup>.

6- نشوب الصراع بين السلطة والمؤسسة الانكشارية، ما أدى إلى إضعاف الدولة ومنعها من استمرار حركة الفتوحات وانطوائها على نفسها، فتحولت بذلك من فاتحة إلى مدافعة ضعيفة تواجه التآمر الخارجي، وتخشى سطوة آلتها العسكرية<sup>(5)</sup>.

=ستين رجلا ما بين قتيل وجريح، وأحد عشر أسيرا، وكان من بين القتلى نساء وبعد أن كثر الهرج والقتل وتعب الناس ويئسوا التجئوا إلى المفاوضات مع الباي ووافقوا على دفع الضريبة مقابل الأمان، فاتفقوا على دفع: مائة خادم وخمسة آلاف ريال بوجه، ومائتين وخمسين بعيرا كلها مختارة من خيار كسب العرب، وأربعة أفراس من عتاق الخيل، ومائتي ثوب... في كل عام، وإن كانت الأغواط قد حاربت ولم تستسلم لأول مهلة فإن بعض القبائل هرب أهلها وتركوها بما فيها للباي وجنوده، مثل ما حدث مع أهل الدبداب التي خرج أهلها منها لما سمعوا بقدوم الباي إليهم: ولم يأخذوا شيئا من أمتعتهم وقوتهم... فانتهبت جميع ما فيها من القماش والغرائر والسمن. ينظر: أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي المغرب الجزائري، دار السويدية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004م، ص57-59.

<sup>1</sup>: ينظر: حسن الضيقة، الدولة العثمانية، الثقافة، المجتمع والسلطة، دار المنتخب العربي، بيروت، ط1، 1417هـ، 1997م، ص99.

<sup>2</sup>: محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط1، 1401هـ، 1981م، ص731.

<sup>3</sup>: ينظر: محمود شاکر، مرجع سابق، 118/8.

<sup>4</sup>: ينظر: أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مرجع سابق، 872/5.

<sup>5</sup>: ينظر: قيس جواد العزاوي، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط2، 1424هـ، 2003م، ص14.

7- ضعف صناعة الحرب والتخطيط بسبب انشقاق الانكشارية عن السلطة، فأدى ذلك إلى انصراف السلطة لإيجاد إصلاحات عسكرية لإضعاف وإلغاء الانكشارية، وقد جرّهم هذا العمل إلى استجلاب خبراء أوروبيين عسكريين والأخذ باستشاراتهم، مما ساعد تسلي القوى الخارجية داخل حصون الإمبراطورية العثمانية، ما سهل دراسة الوضع العثماني والوقوف نقاط الضعف واكتشاف الثغرات الداخلية<sup>(1)</sup>.

8- احتجاب السلاطين وعدم ممارستهم السلطة كسابقهم والاتكال على وزراء جهّال، فعهدوا بالقيادة وأمور الدولة إلى ضباط غير الأكفاء من الناس<sup>(2)</sup>.

### ب- الحركات الانفصالية داخل الدولة العثمانية

حكمت الدولة العثمانية مجموعة من الدول العربية والإسلامية، وقد لاقت جزاء ذلك مجموعة من الثورات التي استطاعت إبادتها في بادئ أمرها، إلى أن ضعف الدولة فيما بعد، ورغبة هذه الدول في الاستقلال وبناء نفسها بعيدا عن الدولة العثمانية التي اتضح لها أنها تستغل الإسلام لإخضاع الدول العربية، ولا تدين بهذا الدين إلا بقدر الانتفاع به في عالم السياسة.

فانحرف سلاطين الدولة العثمانية المتأخرين عن شرع الله، وتقريط الشعوب الإسلامية الخاضعة لهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كان له الأثر البالغ في الفساد، إذ كثرت الاعتداءات الداخلية بين الناس، وتعرضت النفوس للهلاك، والأموال للنهب، والأراضي للاغتصاب بسبب تعطل أحكام الله فيما بينهم، ونشبت حروب وفتن، وبلايا تولدت على إثرها عداوة وبغضاء لم تزل تعمهم حتى بعد زوالهم<sup>(3)</sup>. وما ساعد على هذا، فكرة القومية الطورانية والعربية اللتان سعتا إلى العودة إلى الجاهلية والاعتزاز بالهويات على حساب الخصائص الحضارية التي منحها الإسلام لهما. ما أدى إلى بروز حركات استقلالية أهمها<sup>(4)</sup>:

<sup>1</sup>: جواد العزاوي، الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص15.

<sup>2</sup>: ينظر: محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية، مرجع سابق، ص731.

<sup>3</sup>: ينظر: علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، ط1، 1421هـ، 2001م، ص552.

<sup>4</sup>: ينظر: أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، 890/5، 891.

**1- مصر:** حركة علي بك الكبير في ق18، كانت في عهد عثمان الثالث حيث تأمر مع الجنرال الروسي الذي قد عين لبحر الروم، واشترط عليه مساعدته بالسلاح، والذخيرة حتى تستقل مصر، ونجح علي بك في السيطرة على غزة، ونابلس، والقدس، وبافا، ودمشق، إلى أن أوقفه محمد بك ولقي هزيمة على يده، فكانت من نتيجة هذه الحروب الداخلية والفوضى أن أطلقت الأساطيل الروسية النيران على بيروت، وانهدم بسببها حوالي ثلاثمئة بيت، ثم وقعت الحرب بين علي بك ومحمد بك عام 1187هـ، التي انتصر فيها الأخير وأسر الأول ومات بجروحه، وفصل رأسه عن جسده<sup>(1)</sup>.

**2- فلسطين:** حركة الزعيم "البدوي ضاهر العمر" الذي كان معاصرا لعلي بك الكبير.

**3- لبنان:** حركة الأمير "فخر الدين المعني الثاني" في ق17، وحركة الشهابيين في ق19.

**4- العراق:** حركات الباشوات المماليك في ق18.

**5- الجزيرة العربية:** كانت الجزيرة العربية تحت حماية الدولة العثمانية وقد كانت تحكمها دولة الأشراف منذ الثلث الأول للقرن الرابع الهجري، وحسب شهادة كتب التاريخ، والرحلات، ومذكرات الحج؛ التي ألفت في منتصف القرن الثاني عشر الهجري أو تؤرخ لذلك العهد فإن البلاد كانت تشكو قلة الأمن في الطرق، وغارات البدو، وفساد النظام، وسوء الإدارة الذي كانت نتيجته بعد مركز الدولة العثمانية (القسطنطينية) وسياسة عدم التدخل من جانب الأتراك إلى حد المستطاع في الأمور الداخلية للحجاز، والتسامح الزائد مع أشراف مكة والإجلال الزائد للعرب، واحترامهم، وسياسة التغاضي عن تجاوزاتهم، وسوء تصرفاتهم<sup>(2)</sup>، وبعدها قامت الدولة السعودية مع تحالف محمد بن عبد الوهاب، وقد استطاع هذا الأخير من كسب قوة عسكرية عزز بها دعوته في الدرعية وخارجها مواجهها بذلك العثمانيين خارج الجزيرة.

**6- اليمن:** الحركة الزيدية التي انفصلت في ق17، وقد دخلت اليمن في حوزة الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني ابن ياور سليم، وكان يحكمها-آنذاك- إمامها.

**7- شمال إفريقيا:** ظهور حركات استقلالية في ليبيا وتونس الجزائر.

<sup>1</sup> ينظر: الندوي، مقالات إسلامية، 438، 439/1.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، 438، 439/1.

## ج- تدهور أوضاع المجتمع

تعرض الواقع الاجتماعي إلى الكثير من التدهور، فأغفال مصالح الشعب من طرف الدولة أدى إلى تدهور حالته، فكانت مصالح الأسرة الحاكمة محفوظة في حين لم تسفر الدولة عن إنشاء شيء يذكر من المستشفيات والمدارس، ولم تبد اهتماما يذكر بتحسين حال الزراعة والري، أو صيانة مرافقها.. وقد هجر الكثير من الفلاحين من القرى..، وأهمل الري حتى تدهورت حالة الزراعة واختل نظام نوبات المياه، فكانت القرى يقتتل بعضها مع بعض على مورد الماء، وتحول الكثير منهم إلى لصوص، وقطاع طرق، فتوَلد عن هذا الحال كثرة المجاعات والأوبئة، وكانت أحيانا تشتد حتى تقضي على مئات الألوف من البشر وتدع بعض القرى خالية تماما..(1).

## ثانيا: الأسباب الخارجية

## أ- كثرة الحروب والصراعات مع الدول الأجنبية

أدت كثرة الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية مع دول أوروبا إلى إضعاف قوتها كما أنزفت الثروة المالية، وأرهقت المؤسسة العسكرية، وما انجرّ عن ذلك من خسائر في الأنفس، وأهم هذه الحروب؛ حربها مع النمسا والروس وانجلترا وفرنسا، والدولة الصفوية.

## ب- خيانة الوزراء وقواد الجيوش للدولة

كانت الأسباب التي نخرت قوة الدولة وتماسكها تواطؤ قادتها وبعض وزرائها مع الدول الأجنبية مقابل الرشوة وامتيازات كبيرة، بغية التملك والتسلط(2).

<sup>1</sup>: ينظر: أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، 875، 876/5، نقلا عن G.P.Grant The SyrinDesert p.14.

<sup>2</sup>: وقد صرح على مثل هذه الخيانات السلطان عبد الحميد في مذكراته، كخيانة وزيره الأعظم الماسوني مدحت باشا وقائد جيشه وتواطؤهما مع الانجليز مقابل امتيازات وأموال كثيرة، ومن قوله: أحطت بجو تتعدم فيه الثقة ليس عندي دليل على اتهام مدحت باشا، ولكن الواضح للعيان أن للانجليز يدا في عزل عمي السلطان عبد العزيز..، وقد سبق أن رشا الانجليز قائد الجيش حسين عوفي عند ذهابه للاستشفاء..، ولم يهزني شيء في حياتي هزّا ضخما قدر شخص يرتفع إلى مقام قيادة الجيش أو إلى مقام الصدارة العظمى ويقبل نقودا من دولة أجنبية كافرة.. . ينظر: السلطان عبد الحميد، مذكرات السلطان عبد الحميد، ترجمة: محمد حرب، دار القلم، دمشق، ط3، 1412هـ، 1991م، ص101، 102.

## ج-نظام "الامتيازات الأجنبية"

قامت الدولة العثمانية بمنح الدول الأجنبية مجموعة امتيازات دون مقابل، ولم تكن مضطرة إلى ذلك لأنها كانت في عنفوان دولتها، ولا أن هذه الدول قد طلبت منها ذلك ولا كان منها ضغط أو إكراه.

كان لنظام "الامتيازات الأجنبية" الآثار الخطيرة والوخيمة، وهو السبب الرئيسي في استعمار أوروبا الاقتصادي للدولة العثمانية، إذ ثبّطت هذه الامتيازات قدرة السلطنة على الإصلاحات واستتباط موارد مالية جديدة، بل وأصبحت الامتيازات الأجنبية مثابة موثيق مذلة للعثمانيين.

اشتملت معاهدة "الامتيازات" على ستة عشر بندا، كان أكثر البنود إجحافا بحق العثمانيين الرابع والخامس والسادس والسابع. فقد أتاحت لفرنسا تحقيق مصالح تجارية وسياسية وقضائية لم تكن تحلم بها أية دولة أوروبية، فمضمون نصوصها يدل على تنازلات قانونية تتعلق بالسيادة العثمانية على أراضيها دون ذكر لأية معاملة بالمثل على سبيل التكافؤ بالعلاقة<sup>(1)</sup>.

ومن آثار هذه الامتيازات أن جعلت الدول الأجنبية شبه شريكة معها في حكم البلاد، دون تقدير الأمور قدرها الحقيقي وتقدير قوة ودهاء الدول التي منحت لها هذه الامتيازات، والعامل لا يستهين بعدوه مهما كان صغيرا أو ضعيفا<sup>(2)</sup>.

## ج- فقدان الدولة لأملكها في أوروبا

فقد العثمانيون أملكهم في الأجزاء المفتوحة من أوروبا، فأخذ هذا الأمر يتزايد كل مرة حتى ضاعت جميع أملكهم بهزيمتهم مع ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، وانتقال هذه المناطق إلى دول أوروبية مناهضة ومنافسة للدولة العثمانية، فقد فقدت المجر، والقرم، وجنوب روسيا، صربيا (جزء من يوغسلافيا)، رومانيا، واليونان، والقوقاز وبلغاريا، وقبرص وألبانيا، ومقدونية وتراقية وجزر بحر إيجه وكريت<sup>(3)</sup> مما تسبب في انهيار كبير لقوة الدولة الاقتصادية والعسكرية.

<sup>1</sup>: ينظر: قيس العزاوي، الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 19، 20.

<sup>2</sup>: ينظر: محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية، مرجع سابق، ص 733.

<sup>3</sup>: ينظر: أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، 889/5.

## د- القروض

لجأت الدولة العثمانية -بعد خسارة ثروتها في المناطق التي خرجت من سيطرتها- إلى القروض، وللأسف كانت تقترض من أعدائها الأوروبيين، فأتاح هذا الوضع الفرصة لهذه الدول وبخاصة إنجلترا وفرنسا للتدخل في الشؤون الاقتصادية للدولة، واضطرت الدولة لإنشاء البنك العثماني برئاسة فرنسي الذي كان نائبه انجليزي، وكان ذلك سنة 1836م، وبعد ذلك بحوالي عشر سنوات أعلنت الحكومة عجزها عن سداد فوائد الديون فأساء ذلك لحقها إساءة كبيرة<sup>(1)</sup>.

## هـ- اتساع الرقعة وسوء الإدارة

كان نفوذ الدولة العثمانية مبسوطا على ثلاث قارات؛ أوربا وآسيا وشمال إفريقيا، وقد شكّل ذلك صعوبة في إدارة شؤون البلدان التي دخلت تحت حكمها، إضافة إلى سوء الحكم وظلم وتهميش بعض أهالي هذه البلاد.

## و- نظام الملل داخل الدولة

كانت الدولة العثمانية متعددة الأجناس والأديان وخاصة اليهود والنصارى الذين كانوا يتظاهرون بالإسلام التي منحت للدول الأجنبية حق فرض الوصاية عليهم داخل البلاد، وقد تسلل هؤلاء بدهائهم بداية بقبول أدنى المناصب وصولا إلى مناصب كبرى في الدولة، ما منح دولهم الأجنبية التدخل في كثير من شؤون الدولة والتطلع على واقع الحياة والشغرات التي تدخل من خلالها، وقد كان أولئك يفدون إلى قصر السلطان برسائل عمل على اختلاف تخصصاتهم من الموسيقي إلى الكيميائي..، وقد كانوا يطلبون أدنى عمل حتى خدمة الحريم، يقصدون من وراء ذلك رئاسة الوزارة، وكثيرا ما نجحوا في ذلك على حسب قول خالد بك مبعوث أنقرة في المجلس العثماني: «لو رجعنا إلى البحث عن أصول الذين تولوا الحكم في الدولة العثمانية وارتكبوا السيئات والمظالم باسم الشعب التركي لوجدنا تسعين في المئة منهم ليسوا أتراكا»<sup>(2)</sup>.

ومن جملة الأزمات التي ولّدها الحكم التركي -بسبب غفلته عن تربية الشعوب، وإنفاقه الأموال في غير موضع، والاحترام في غير وقت، وعسفه في غير هوادة- البطالة،

<sup>1</sup>: ينظر: أحمد شلبي، الدولة العثمانية، مصدر سابق، 857/5.

<sup>2</sup>: ينظر: محمد فريد بك، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص732.

وسقوط الهمة، والجهل المطبق في كثير من البلاد العربية<sup>(1)</sup>، ونتيجة الفتن التي أصيبت بها الدولة العثمانية من فساد نفوس السلاطين وانحرافهم وبعدهم عن صراط الله القويم، وانحلال المجتمع وفساد أخلاقه وإيمانه، ومن ذلك فقد نزلت من أعلى الهرم لأنها لم تكن -كغيرها من الدول السابقة- النموذج الأمثل كقدوة والمثل الأعلى في القيادة.

الفرع الثالث: يقظة أوروبا والأزمة السياسية المعاصرة في الدولة الإسلامية

أولاً: يقظة أوروبا

في الوقت الذي انحطت فيه الدولة العثمانية وولت القهقري، كانت في الكفة المقابلة الدول الأوروبية التي أفاقَت وأدركت المعوقات الكبرى في نهضتها، فسارت سيرا حثيثا نحو استدراك ما أضاعته في عصر الظلمات وطغيان الانحراف الكنسي وجرائمه ضد شعبه، وقد تجلت هذه اليقظة في العديد من المظاهر نذكر منها:

### 1- هيمنة الفكر المادي على أوروبا

قد كان حال أوروبا آنذاك أن طغت عليه الرهبانية العاتية، حتى فقدت النصرانية الملقحة المشوهة روحها وجمالها، فكانت عاجزة عن تعديل المادية الجامحة، كما منيت بالفساد في مراكزها الدينية، فشقيت أوروبا برجال الدين الذين جنوا على الكتب الدينية المقدسة ودسوا فيها معلومات بشرية، كما عملت الكنيسة على اضطهاد العلم، ما أدى بالغرب أخيرا إلى اختيار المادية وما تتضمنه الكلمة من عقيدة ووجهة نظر ونفسية وعقلية وأخلاق واجتماع وأدب وسياسة وحكم..<sup>(2)</sup> بعد أن فشلت الرهبانية بلوغها المستوى الذي تطمئن إليه شعوبها وتحقيق الوسطية ما يلبي حاجات النفوس المعنوية والمادية.

وبعد أن اتجه الغرب إلى المادية، تهيأ لها جنود و«نهض الكتاب والمؤلفون والأدباء والمعلمون والاجتماعيون والسياسيون في كل ناحية من نواحي أوروبا ينفخون صور المادية، وينفثون بأقلامهم سمومها في عقل الجمهور وقلبه، ويفسرون الأخلاق تفسيراً مادياً، تارة ينشرون الفلسفة النفعية وطورا فلسفة اللذة الأبيقورية»<sup>(3)</sup>، لتصبح بذلك المدنية الغربية وريثة الحضارة الرومانية ووثيبتها، فهي لم تأخذ من النصرانية -التي اعتنقتها

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، محاضرات في الفكر والدعوة، مصدر سابق، 25/1.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص150-159.

<sup>3</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص160.



لأسباب سياسية قاهرة- سوى الطلاء الخارجي فحسب، ثم إن المدنية الأوربية لا يزال في واقعها وثني مادي لا تؤمن بغير القوة<sup>(1)</sup>.

و«أصبحت المادية لأسباب حتمية طبيعية وتاريخية وعلمية؛ شعار الحضارة الغربية والحياة الغربية منذ عهد عريق في التاريخ، ولم تزدها النشأة الجديدة والنهضة العلمية والسياسية في أوروبا إلا حدة وقوة..، وقد بلغ النظر المادي والفكر المادي في أوروبا درجة الاستغراق فيه والفناء ونسيان ما سوى القيم المادية، وقد جعل "كارل ماركس" مؤسس الفلسفة الشيوعية النظام الاقتصادي روح الاجتماع وأن الدين والحضارة وفلسفة الحياة كلها عكس لهذا النظام الاقتصادي..، وبذلك يكون قد جحد جميع نواحي البشرية غير الناحية الاقتصادية ولم يعر غيرها شيئاً من العناية، ولم يقدّم للدين والأخلاق والروح والقلب وحتى العقل وزناً وقيمة، ولم يعترف أن أحداً منهما كان عاملاً من عوامل التاريخ، وأن جميع الحروب والثورات في التاريخ لم يكن إلا ثأراً لبطن من بطن، وجهاداً في سبيل تنظيم جديد للنظام الاقتصادي وطرق الإنتاج الصناعي..»<sup>(2)</sup>.

## 2- الجنسية والوطنية في أوروبا

بعد انحلال النظام الديني وانتعاش النعرة القومية، أصبحت أوروبا معسكراً واحداً ضد الشرق كله، وخطت خطاً فاصلاً بين الغرب والشرق أو بين أوروبا وبين ما سواها من القارات والأقاليم، والجنس الآري وبين ما عداه من أجناس البشر، وقد اعتبرت أوروبا أن الجنس الآري هو الجنس الوحيد الذي يعود له الفضل على كل نسل وشعب وثقافة وحضارة وعلم وأدب، وأنه خلق ليسود ويحكم، ويبقى ويزدهر، وغيره خلق ليخضع ويدين، ويموت ويضمحل..، وهذا ما امتاز به اليونان والروم في عهدهم..، فسرت روح الجنسية والعصبية في أوروبا وخاصة في ألمانيا، ولا ينفي هذا أيضاً على روسيا العالمية بأقل حماسة للعصبية والوطنية من منافسها القديم ألمانيا<sup>(3)</sup>.

أدى داء الجنسية والقومية إلى الإحساس بالتفوق العنصري على شعوب العالم الأخرى وخاصة الضعيفة منها، ولكي يتم تعزيز هذا الإحساس لجأ الغرب إلى تثبيت مبادئه ومصالحه المادية على حساب الشعوب واستعمارها، استناداً إلى القوة.

<sup>1</sup>: ينظر: محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة: عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، ص43.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص167-169.

<sup>3</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص175، 176.

## ثانيا: الاكتشاف والاختراع في الصناعات

يرى الندوي أن من جملة المزايا التي منحها الغرب للإنسانية الاكتشافات والاختراعات والإبداع في الصناعات مما أخرج البشرية من عناء وشقاوة الأزمنة الماضية، وكان توفير الوقت والقوة أعظم حسنات هذه الكشوفات والاختراعات. إلا أن فشل المسيحية المحرفة في ربط الإنسان بخالقه وإنشاء علاقة صحيحة وتهذيب جشع النفوس ونهايتها؛ أدى إلى انقطاع الصلة بعالم الغيب، فنسي الإنسان هدفه في الوجود، وتحولت الدنيا إلى ساحة قتال، ومجزرة للإنسانية، وتكون فيها سيطرة لإهانة الإنسانية، وغلبة لأصناف الظلم والعبودية..<sup>(1)</sup>، وفي ذلك يكون الأوروبيون قد حرّموا أنفسهم الدين، ولم يبقى لهم من رادع من خلق أو وازع من دين، أو مرشد من علم إلهي يرشدهم إلى الجادة..، فاعتقدوا بطبيعة هذه العقيدة أن ليس للإنسان وراء اللذة والراحة والانتفاع المادي والعلو في الأرض وبسط السيطرة والتغلب على أهلها والاستئثار بخيراتها وخزائنها، مقصد وغاية، فاستعملوا هذه القوة والعلم في حصول اللذات والتغلب على الناس وقهر المنافسين، وتنافسوا في اختراع الآلات التي ينالون بها وطهرهم ويعجزون بها غيرهم<sup>(2)</sup>.

## ثالثا: الحركة الاستعمارية

لقد ساعدت الدول الغربية تلك الاكتشافات الصناعية والاختراع وامتلاك القوة، في تأمين بلادها وتعزيز قوتها فلجأت إلى استخدام القوة لإخضاع البلاد الضعيفة والغنية بالثروات الباطنية، فبعد «اتفاقيات ومعاهدات دول الامبريالية عمدت التجزئة السياسية للشعوب الأخرى لرسم الخطط الاستعمارية لاستلاب إرادتها السياسية ونهب ثرواتها المادية لما تتركه التجزئة من آثار حاسمة في إضعاف الكيانات المجزأة سياسيا واقتصاديا وعسكريا، وكانت التجزئة في البلقان، وفي إفريقيا وفي الوطن العربي أمثلة ذلك»<sup>(3)</sup>. وقد كان الدافع الصليبي من أقوى العوامل للحركة الاستعمارية، حيث قامت البابوية على تشجيعها، وتمثل هذا الدافع في متابعة المسلمين بعد طردهم من الأندلس، للاستيلاء على

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 369/3.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص191.

<sup>3</sup>: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، مرجع سابق، 687/1.

بلادهم وإخضاعها لحكمهم...، ومما سهل ذلك جملة الرحلات التي قام بها الصليبيون في العالم الإسلامي، فدرسوا مداخله ومخارجه، ورجعوا إلى حكوماتها ليدلوها على طريقة التسلل إلى بلاد المسلمين، وأشهرها رحلة "ماجلان"، التي كان هدفها الاستيلاء على الأرض الإسلامية في الفلبين وإخضاعها لحكم الصليبيين<sup>(1)</sup>.

أما واقع الحركة الاستعمارية الحديثة التي غمرت البلاد العربية والإسلامية فقد اختلفت عن سابقتها-من الحروب الصليبية- التي اعتمدت في حروبها على العالم الإسلامي على النهب والتدمير وزهق الأرواح وتدمير النتاج الحضاري للمسلمين، ولم يكن هجومها مدعما بحضارة أو عقيدة أو دعوة، إنما كان هجوما عسكريا مدمرا، ولم يفكر قادتها في حين من الأحيان أن يقدموا بديلا للدين الإسلامي أو الحضارة الإسلامية، أو إبدال حضارة بحضارة، ودين بدين، وقانون بقانون<sup>(2)</sup>.

أما الاستعمار الحديث فكان مختلفا في الرؤية والمنهج عن السابق؛ إذ رافق في حملاته الاستعمارية على العالم الإسلامي فكره وثقافته ورؤاه وتصوره للحياة، فقدم ذلك كبديل قانع للثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي والتصورات والرؤى التي سعى بكل قواه إلى محاربتها.

<sup>1</sup>: ينظر: محمد قطب، واقعنا المعاصر، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1418هـ، 1997م، ص177.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، واقع العالم الإسلامي، دار الكلمة، مصر، ط1، 1418هـ، 1997م، ص54.

### المطلب الثالث: الأزمة السياسية المعاصرة في الأمة الإسلامية

تناول هذا المطلب الحديث عن الأزمة السياسية المعاصرة في ثلاث فروع، الفرع الأول تناول الحديث عن سياسة التغريب في الحكومات الإسلامية، والفرع الثاني في الحديث عن الحكم الاستبدادي في العالم الإسلامي، والفرع الثالث في الفكرة القومية.

#### الفرع الأول: سياسة التغريب في الأمة الإسلامية

كانت حركة التغريب من أبرز العوامل التي أسهمت في تحول الشخصية الإسلامية وضعفها، وحاولت هدمها وإعادة بناءها محاكاة على الشاكلة الغربية.

#### أولاً: الحركة التغريبية في العالم الإسلامي

كان موقف التغريبين-التقدميين دعاة التحديث- من الحضارة الغربية موقف الاستسلام والخضوع الكامل، موقف المقلد، المؤمن المتحمس، والتلميذ البار الصغير الذي لم يبلغ سن التمييز، وهو أن يقبل العالم الإسلامي أو جزء منه- هذه الحضارة المادية الآلية ذات الطبيعة الخاصة بحذاقيرها، يقبلها بعقائدها الأساسية، ومناهجها الفكرية، وفلسفتها المادية ونظمها الاقتصادية والسياسية التي نشأت واختمرت في بيئة بعيدة عن بيئة هذه الأقطار تحت ضغط عوامل وحوادث خاصة، وبتوجيهها، ويحاول تطبيقها في هذا البلد الإسلامي برمتها، ويتحمل في سبيل ذلك كل صعوبة وعنت<sup>(1)</sup>، وقد حاولوا بكل مساعيهم وقواهم أن يتجهوا ببلادهم الإسلامية نحو الحياة الغربية.

وهنا نشير إلى مشكلة اقتباس العالم الإسلامي الذي تمثله البلدان المستقلة حديثاً -على وجه الخصوص- التي لم تكن قائمة على وعي فكري وثقافي، ولم تكن هناك روح نقدية ترسم شروط وضوابط تجاه ما يقتبس، ولا ننكر أهمية الاستفادة من الغرب وتقدمه على المستوى المعيشي بسبب تطور الوسائل والتكنولوجيا، إلا أن ذلك صاحب تسرب الثقافة الغربية، وما ولد صعوبات وعقد على المستوى الفكري والثقافي.

#### ثانياً: نماذج من سياسة التغريب في العالم الإسلامي

أ-تركيا: كانت تركيا من بين أبرز الدول التي خضعت للتجديد والتغريب بعد إسقاط الخلافة، فكانت قدوة الزعماء "التقدميين" في الدول والحكومات والأقطار الإسلامية، وكان كمال أتاتورك-رغم فقره في النبوغ العقلي والتعمق- رمز التقدم و"الثورة" في كل بلد

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، المجمع الإسلامي، الهند، ط4،

ناهض، وفي كل مجتمع متحرر في العالم الإسلامي، ولا نعرف زعيما من زعماء البلاد الإسلامية أثر في العقول والنفوس، وأثار الإعجاب بشخصيته وأعماله الرغبة في تقليده والاحتذاء به، مثل ما فعل " كمال أتاتورك " في الزمن الأخير<sup>(1)</sup>.

يرجع تأثير شخصية كمال أتاتورك في نظر الندوي لسببين أولهما: اشتهاره بإنقاذ تركيا من الأخطار المحيطة بها، وتأسيسه لحكومة قوية، وكسبه احترام الحكومات الأوروبية والزعماء السياسيين في أوروبا، وأما السبب الثاني: فإصلاحاته التي صادفت رغبة في نفوس الزعماء القوميين، وعبرت عما تجيش به نفوسهم من القلق والثورة على القديم، والتحرر من رقة الدين، والاتجاه بشعوبهم إلى الحضارة الغربية، ومن أخطر الأعمال التي نجح فيها نجاحا باهرا أنه قام بإقصاء العنصر الإسلامي والعربي من الحياة التركية، الذي كان جزءا من مخططة التغيير الشامل العميق<sup>(2)</sup>.

#### ب- إيران بين حكومة الشاه والحكومة الإسلامية

قامت إيران بتقليد تركيا في عملية التطوير الفكري والحضاري أو ما يسميه زعماء التجدد "بالإصلاحات" وقد بدأ هذه المرحلة الشاقة ملك إيران السابق رضا شاه البهلوي (1925م-1941م) أيام حكمه، واتخذ لذلك خطوات حاسمة، وقرر تنفيذ القانون الفرنسي، وبدأت النزعة العلمانية في كل ذلك واضحة جلية، إلا أن ذلك لم يكن بالقدر الذي كان في تركيا بسبب نفوذ علماء الشيعة الذي وقفوا حجر عثرة في تغريب البلاد، وكذا أن الدستور الإيراني ينص بصراحة على أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام، وأن الطائفة الجعفرية هي الطائفة التي يعتمد عليها ويجب على الملك أن يكون من أتباع هذه العقيدة وداعيا إليها، وبهذه الصعوبة اتخذ تدابير سياسية بدلا من معارضة ومواجهة المواد الدستورية، ورأى أن تجاهل رجال الدين أقوم من معاكستهم<sup>(3)</sup>.

تولى الملك شاه هذه النقلة التغريبية، بعد أن تربي تربية غير إسلامية في بيئة علمانية، وكان يقصد إلى تغريب البلاد، ونشر الثقافة الغربية، وتصورها عن الحياة الإنسانية، وصبغ إيران بصبغتها الغالبة، وقد قام في عهده بإجراءات عديدة أوجت إلى القادة

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، ينظر: الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، مصدر سابق، ص 61، 62.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص 62.

<sup>3</sup>: ينظر: المصدر نفسه، 133، 134، نقلا عن: The Middle Eastin World Affairs P.180-182.

الدينين إنه يريد طمس المعالم الدينية، والقضاء على الشخصية الإسلامية في إيران، وإنه قد أسند زمام البلاد باعتماده على اليهود، والبهائيين وثقته الكاملة بهم - إلى القوى المعادية للإسلام<sup>(1)</sup>.

وقد اتجه بالبلاد نحو حياة غربية وسعى للحد من النفوذ الديني في البلاد، وإبعاد الشباب عن ممارسة الشؤون الدينية والتفكير على الأسلوب الديني، وأصبح مادة التعليم الديني في المدارس الابتدائية والثانوية غير إجباري، وإصلاحات تعريبية كثيرة تضمنت تغيير جذري شامل الذي عمل الملك محمد رضا بهلوي بعده بأن أضفى على بعض هذه الإصلاحات صفة دستورية..، فوقع هناك احتجاج ومظاهرات واضطرابات واشتباكات من طرف علماء إيران بسبب هذه الإجراءات؛ إلا أنها لم تحدث أي تغيير في موقف الحكومة<sup>(2)</sup>.

وإضافة إلى هذه الإجراءات التعريبية فقد عمد الشاه إلى أساليب أخرى لا تقل خطراً من سابقتها للتقليل من تأثير العلماء، وإضعاف نفوذهم ونفي الأكثر نفوذاً وتأثيراً، مع اعتقال الكثير منهم، إضافة إلى عقوبات شديدة مع التعذيب، وقد أدى هذا العدوان الطاعي إلى خسارة آلاف من النفوس المسلمة، إلا أن حمية الشعب الإيراني الدينية حالت بين الشاه وأهدافه التعريبية التي باءت بالفشل والخسران<sup>(3)</sup>.

عملت الكثير من الأسباب على مجابهة حكومة الشاه ومخططاته وإبطالها، وكان أبرز هذه الأسباب نجاح علماء الدين في تأثيرهم على الشعب وتوعيته، وقد ساعد ذلك عاطفة الشعب الدينية وتمسكه بدينه والاستماتة في سبيله التي لا يوجد لها نظير في هذا العصر. وقد كانت هذه التضحيات الجسيمة بقيادة آية الله الخميني، والتي توجت بتأسيس الحكومة الإسلامية في إيران عام 1979م، وقامت رؤية الخميني السياسية بالتركيز على التكوين الاجتماعي للأمة أكثر من العبادات المحضة، حيث يرى استحالة التغيير في الحياة إلا بالوعي السياسي، والإصلاح الاجتماعي لأن الحكام لا يخشون على أنفسهم من العبادات المحضة، ولكن يرون الخطر في الوعي السياسي - وهو ما اصطاح عليه بالسلطة التنفيذية - إلى جنب العبادات<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، مصدر سابق، ص137.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص153.

<sup>3</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص137.

<sup>4</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص137-139.

ومن مآخذ الندوي على قيادة الخميني أنه لم يستطع في المرحلة الأولى من ضبط العواطف الانتقامية التي شبت ضد الشاه وحاشيته، ويجنب الشعب بذلك العواقب الاقتصادية والفكرية، وقد كانت نتيجة ذلك ذهاب مئات من الشخصيات المحنكة، أصحاب الكفاءة السياسية والإدارية والعسكرية، وشاع في العالم تصور الاضطهاد والقسوة والاستبداد عن الإسلام، بدلا من تصور العفو عند المقدرة والصفح والغفران، وهذا التصور يضر بالإسلام كثير من الناحية الدعوية<sup>(1)</sup>، وإلى جانب هذا يرى الندوي أن التسرع في بعض الإجراءات الإصلاحية عكست ردود فعل سيئة، ولم تكن هناك مراعاة تامة لعواطف الأقلية السنية في تطبيق الأحكام الشرعية، ما أدى إلى بعض الصدام والخصام، كما أدت بعض مواقف إيران المحايدة في قضية النضال ضد قوات الاحتلال السوفيتية في أفغانستان، وعدم اتخاذ قرارات مناسبة كانت مرجوة، وصدافة إيران مع حكومة الأقلية النصرانية التي تضطهد الإسلاميين في سوريا، وسكوتها على المذابح التي تتعرض لها، والصدافة مع النظام القائم في ليبيا، فبعثت كل هذه التصرفات الشكوك في حقيقة الثورة الإيرانية، هل هي إسلامية أم سياسية<sup>(2)</sup>.

وعلى كل فقد كانت الثورة الإسلامية في إيران المنفذ المخلص من أخطار الهجمة الغربية التي قادها الشاه وأراد السير بالبلاد نحوها، كما ننبه على أن نظرة الندوي لم تكن حكما نهائيا، لأن الثورة الإسلامية قد امتد أكلها وبدت ثمارها ولا تزال العدو الأكبر والوحيد الذي يضايق أمريكا، لذا كانت ولا تزال أمريكا ومن معها من قوى الاستكبار العالمي وقوى الشر تتصب المخططات والمكائد باسم الشعارات التي تولت حمل رايتها، كما حاولت منذ

<sup>1</sup>: ما يجب أن ينبه عليه، أن أعمال الشاه الإجرامية في حق علماء الدين وأساليب التعذيب والقتل والنفي قد بعثت في الشعب الحقد على كل أتباعه وحاشيته، والشعب الإيراني كما يقول الندوي شعب عاطفي يولي علماء الدين منزلة فائقة في الاحترام والتقدير على حد قول الندوي.

<sup>2</sup>: رغم ما رآه الندوي من مآخذ على الثورة الإسلامية، إلا أنه يجب أن يراعي الناقد واقع الثورة الإسلامية وإيران ككل، فالثورة آنذاك لا تزال في بداية أمرها لم تستقر البلاد بعد، بل ولا تزال لأعمال الشاه أثر على النفوس وعلى الحياة بميادينها، ثم ما تعرضت إليه من طرف العراق قد أرق البلاد في جانبها الاقتصادي والدفاعي، وخسرت الكثير من الأرواح، ولعل الندوي إنما ذكر وصفا للواقع لا حكما نهائيا على إيران، ولذلك نجده يقر أن المستقبل هو الذي يحكم بمدى نجاح الخميني في أهدافه وإصلاحه الاجتماعي، وهل تنحصر جهوده في إقامة حكومة خاصة أو ثورة ضد الحكم الطاغوي أو أنها سوف تتجاوز ذلك إلى ثورة فكرية في الشعب الإيراني، وتربيته تربية إسلامية، ودعم القضايا الإسلامية في العالم. ينظر: الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، مصدر سابق، ص 141.

أمد بعيد لتشويه الثورة والمقاصد التي انطلقت من أجلها عن طريق استغلال الجانب وافتعال ضجة الصراعات التاريخية القديمة، لأن أمريكا ممثلة قوى الشر عدوة الإسلام أدركت حقيقة مدى الصحوة التي أنشأتها الثورة الإسلامية ومدى نجاحها كتجربة إسلامية، ومما تخوفت منه أكثر أن تتقدم الأمة الإسلامية في شتى الأقطار إلى مثل هذه التجربة الإسلامية فتنهياً البيئة المناسبة لتنمو فيها القيم التي تعود بالأمة الإسلامية إلى مقام القيادة الحضارية الذي رسمه القرآن الكريم لها.

ج- إندونيسيا: توجهت طبقتها الحاكمة هي الأخرى بقيادة الرئيس الدكتور "أحمد سوكارنو" إلى تقليد تركيا بتصميم دقيق وتخطيط سابق، وقد حمل هذا البلد طابعا غير إسلامي وغير ديني وكذلك فإن معظم الأحزاب السياسية والزعماء والقادة وأهل الفكر والرأي متورون، ومن دعاة العلمانية التي تدعو إلى عقلية العصر الحديث، ويعتقدون أن الجهاز العلماني أحرى وأجدر لدولة إسلامية، وهكذا ترى أكثرهم يفكرون على الطراز الغربي وطابعه<sup>(1)</sup>.

#### د- أقطار إسلامية أخرى

كانت الأقطار الإسلامية التي تحررت من الاستعمار الغربي وبذلت كل طاقاتها من أرواح شعوبها في إخراج العدو من أرضها، قد اتجهت أيضا إلى التغريب<sup>(2)</sup>، «فمن عام 1924م إلى عام 1962م ومن تركيا إلى الجزائر قصة واحدة ذات فصول وحلقات، لا تستثنى منها دولة إسلامية، ونرى أن الدول العربية- بنفسها- أيضا تتقدم إلى هذا الهدف بنفس العزم والحماسة والقوة، وتقتفي أثر تركيا التي كانت في زمن من الأزمان ناقمة عليها ثائرة ضدها، والتي لا تزال تتظاهر باستكانتها واستيائها لسياستها حتى الآن»<sup>(3)</sup>.

ومن بين هذه الأقطار الإسلامية؛ تونس التي بدأ رئيسها الأول الحبيب بورقيبة بعملية التجدد وتنفيذ الإصلاحات الكمالية في هذا البلد العربي المسلم..، وبدا ذلك في تصريحاته التي تقتضي السير بتونس إلى ما سارت عليه تركيا من قبل، وأن ينشئها كما تملي عليه

<sup>1</sup>: الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، مصدر سابق، ص143.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص146-162.

<sup>3</sup>: الندوي، المصدر نفسه، ص146.



ثقافته الفرنسية، كما أن بعض التصريحات التي أبان عنها دلت على ثقافته الساذجة المنحرفة هيمنت على أفكاره وتطبيقها في البلاد، ومن بينها تصريحه بتناقضات القرآن، وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم واتهام شخصيته الكريمة بالإنسان البسيط الكثير السفر في الصحراء العربية التي كانت تسمع إلى الخرافات البسيطة السائدة في ذلك الوقت، ونقلت هذه الخرافات إلى القرآن، كعصا موسى، ويقر بأن هذا لا يقبله العقل بعد اكتشاف باستور، وقصة أهل الكهف.

أما الجزائر التي دفعت ضريبة الحرية بتضحياتها لاستقلال بلادها، فقد عانت نفس المشكلة، ومرت بنفس التجربة التي مرت بها الدول الإسلامية، وقد أصبح زعماء الجزائر يسوقون بلادهم نحو مادية اشتراكية علمانية ونحو الحضارة الغربية، فكان رئيسها هواري بومدين يمتاز بين أقرانه من القادة العرب في الولاء للاشتراكية، والاستعطاف من الاتحاد السوفياتي في مجال السياسة والحكم، وقد قام بدور كبير في إعادة ثقة الدول العربية والشعب العربي بالاتحاد السوفياتي حين عمت موجة السخط واليأس بسبب موقفه من حرب حزيران..، وقد أصيبت بعض الأقطار في آسيا وفي إفريقيا، التي دخلت حديثا في حلبة التقدمية أو الاشتراكية، بنوبة عصبية عنيفة في تغيير معالم الإسلام والسير بهذه البلاد إلى العلمانية أو الاشتراكية، بخطى سريعة متهورة، حتى تعدت في ذلك بعض الأوقات مبادئ حقوق الإنسان.

كان شأن ليبيا كباقي الأقطار الإسلامية، فمعمّر القذافي أخذ ببعض المبادئ الغربية الرأسمالية وبيعض المبادئ الاشتراكية وأعطى للأجانب حرية مطلقة في سبيل تحويل ليبيا بلدا صناعيا..، كما أدلى ببعض التصريحات المعارضة للمبادئ الإسلامية والتي تفيد بحصر الإسلام في مفهوم العبادات ليقطع صلة الإسلام المستمرة بالحياة كالنصرانية، وقد كانت جملة آرائه التي صرح بها في " الكتاب الأخضر".

أما اليمن التي كانت أخف ضرر من تأثير التغريبيين، فقد اتجهت المنطقة الجنوبية -أو اليمن الجنوبية- منها بقيادة الاشتراكيين المتطرفين إلى الثورة على جميع القيم والتقاليد القديمة، والحياة الإسلامية، ووقعت هذه المنطقة الإسلامية نتيجة هذه التصرفات الجديدة، والإجراءات التعسفية، في إلحاد سافر، فقامت الدعايات للنزعات الإلحادية، واستهزئ بالشعائر الدينية، وبدأت العملية لاستئصال القيم الدينية والمثل العليا وجذورها، وظهر

للقضاء على الحياة الإسلامية من الطرق والوسائل ما لا تجده في البلدان غير الإسلامية..، ويقود هذه الإجراءات في المنطقة الجنوبية الاشتراكيون الذين يشكلون أكثريتها، ولحكامها وقادتها علاقات وثيقة مباشرة بالسوفيات، والبلدان الاشتراكية الأخرى، ينتظرون منها التعاليم والإرشادات، ويرجون منها العون والمدد<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثاني: الحكم الاستبدادي في العالم الإسلامي

من أبرز الآفات التي تمس الجانب السياسي وتترك الأثر السلبي على شتى جوانب الحياة آفة الاستبداد، ومن آثاره:

#### أولاً: الصراع بين الحكومات والشعوب الإسلامية

كان من شأن فعل الثقافة الغربية وتأثيرها السلبي في نفوس قادة وزعماء الأقطار الإسلامية أن «نشأت طبقة لم تكن زاهدة في الدين فحسب، بل تنكرت له، واستوحشت منه، وكانت تتعى على الشعب تمسكه بالشرعية، وعضه على جميع أجزائها..، وقد تعلمت هذه الطبقة التي حكمت من أسانذتها الغربيين؛ أن الدين قضية شخصية، وخير لهذا الدين -إذا أراد البقاء أن يظل على هذه الصفة..، ولما عادت هذه الطبقة إلى بلادها وجدت تدخل أفراد الشعب في شؤون الحكومة، ينتقدون القيادات، ويؤاخذونها، ورأت أن أحلامها لن تتحقق؛ ففتحت جبهة مستقلة لتوجيه الهجوم على الشعب..، ورصدت الطبقة الحاكمة كل إمكانات البلاد وثرواتها وخيراتها لكبت عواطف الشعب، فكان هناك جهاد في غير عدو، وكانت محاربة الشعب والحركات الإسلامية والمؤسسات الدينية، مكان الإلحاد والشيوعية، ومحاربة إسرائيل والقوى الصهيونية»<sup>(2)</sup>.

ولا شك أن هذه النظرة هي الفكرة التي قامت عليها العقلية الأوربية والتي أثرت بالكلية على تصور القادة والزعماء في البلدان الإسلامية والعربية في اعتبار الدين سبب عرقلة الشعوب عن الرقي والازدهار على شاكلة الغرب، وقد كانت العقلية الأوربية -بعد أن تحرر العقل الأوربي من عبوديته للكنسية- «قد وطدت عزمها تدريجياً على العداء لكل شكل من أشكال السلطان الروحي على الإنسان، ومن توجسها الكبير من عدوة القوى

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، مصدر سابق، ص34.

<sup>2</sup>: الندوي، مقالات إسلامية، مصدر سابق، 142/1، 143.

التي تدعي السلطان الروحي مرة أخرى أن أقامت أوربة نفسها بكل ما هو ضد الدين مبدئياً وعملياً»<sup>(1)</sup>.

ظهرت الحكومات العسكرية الدكتاتورية في كل قطر عربي تقريبا، وظهرت ثورة عسكرية على اثر ثورة عسكرية في هذه البلدان، وقد أفقدت هذه البلدان أفضل قادتها العسكريين وزعمائها السياسيين، وأكثرهم حنكة وتجربة، واكتواء بالسياسة ومراسا بالحرب..، وهكذا أصيبت هذه البلاد بفقر الرجال، وأزمة القادة، ولم تبق فيها إلا عصابات معدودة محدودة لحزب واحد ولوجهة نظر خاصة<sup>(2)</sup>.

قامت هذه الحكومات الدكتاتورية المقلدة للشيعوية المتطرفة، بالقضاء على الجماعات الإسلامية، فلقبت منها الاضطهاد والتعذيب والمطاردة والهوان، فأصبح في البلاد لا يوجد إلا "أصبت وأحسننت"، كما عملت هذه الحكومات على القضاء على منابع الإيمان والحماسة الإسلامية، أكثر مما عنيت بسدّ أبواب الفساد والإلحاد ومعاقبة الخونة المجرمين، والداعرين الحشاشين، وكانت هذه الحكومات التي تزعم الديمقراطية أو الاشتراكية أفضع صور الحكومات الشخصية الجابرة المستبدة في الزمن القديم<sup>(3)</sup>.

ومن نتائج هذا الصدام والصراع أن أصبح «العالم الإسلامي حائر بين شعوب مسلمة بسيطة في عقليتها ودينها وحكومات لم تنتشر صدور رجالها لهذا الدين ولم تطاوعهم نفوسهم على العمل به، ولكنهم يصرون على أن يحكموا هذه الشعوب التي تؤمن بهذا الدين ولا يرون حياتهم وشرفهم إلا في البقاء في الحكومة، ولا يرون لهم محلا في الحياة إلا الزعامة والحكومة، ولا موزعا في العالم إلا المجتمع الإسلامي الذي ولدوا ونشؤوا فيه»<sup>(4)</sup>.

فالحكومات في بلاء من هذه الشعوب التي لا يسهل عليها التخلي عن المبادئ الدينية، ومن ثروتها الإيمانية ومن تراثها الغني..، فهم في عملية هدم واسعة الأكناف، طويلة المدى، والشعوب الإسلامية -التي وقعت تحت حكمهم وقيادتهم- في بلاء وشقاء من

<sup>1</sup>: محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، مرجع سابق، ص 47.

<sup>2</sup>: الندوي، كارثة العالم العربي وأسبابها الحقيقية، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، (د،ط) (د،ت)، ص 17.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، ص 18.

<sup>4</sup>: الندوي، الإسلام والحكم، المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1398هـ، 1978م، ص 7.

هؤلاء القادة، فهم يحاربون طبيعتها ويقودونها بهتافات وشعارات لا تسيغها هذه الشعوب ولا تنشط لها<sup>(1)</sup>.

ويلخص الندوي حقيقة الصراع بين الحكومات والشعوب في نقطتين<sup>(2)</sup>؛ الأولى أن الطبقة التي تمتلك زمام البلاد لم تسع الإسلام اساعة كاملة ولم تهضمه هضما صحيحا بحكم نشأتها وثقافتها، ولا تؤمن بالإسلام كدين وحياة، إيمانها بمبادئ الحضارة الغربية وقيمتها، ولا تخلص له إخلاصها لفوائدها وأغراضها، وأن عقلية كثير من أفرادها عقلية متعفنة لا تصدق أن الإسلام يسود ويحكم وأن سعادة البشرية منوطة به.

أما النقطة الثانية؛ فإن الشعوب الإسلامية في جميع هذه البلدان ضعيفة في الوعي أو فاقدة له، لا تفهم المبادئ والمسائل الأولية للحياة، ولا تميز بين الصديق والعدو والناصح والغاش ولا تبغض العدو ولا تحب الصديق، إنها كالسائمة تساق بالعصي وكقطعان الغنم تندفع من غير تفكير، وما دامت هذه الشعوب يعوزها الوعي فهي عرضة للدعايات وأفرادها أتباع كل ناعق بخلاف الشعوب الأوربية فهي على علّتها الكثيرة الجمة ذات وعي في الشعور، تعرف العدو من الصديق فلا يستطيع غير مخلص أن يستغلها زمتا طويلا أو يخدر أعصابها ويرجع إلى كرسي الحكم بعد ما جنى على مصالح الأمة ولم يحقق آمالها.

أما صورة الحكومات في الأقطار العربية فيعرض الندوي مشاهداته ويقول: «عرفت ما هنالك في العالم العربي من تفسخ في الأخلاق واستبداد في الحكومات وتحزب في السياسة، وانصراف بالكلية عن الدين، وعبادة المادة وضياع الشعوب العربية بين حكومات مستبدة ورجال يعبثون بأموال الدولة والأمة عبث الأطفال بالحصى والخزف، وأحزاب سياسية تتلهى بالشعب وتسخر منه وتضرب بعضه ببعض لمصلحتها وسياستها وبرجال لم تنشر صدورهم للإسلام ولكن يصرون على أن يحكموا شعبا يؤمن بهذا الدين..»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>: الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، مصدر سابق، ص 169، 170.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، مذكرات سائح في الشرق العربي، مصدر سابق، ص 77، 277.

<sup>3</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص 25، 26.

وما زاد الطين بلة، هو أن العالم الغربي قد عرف أن هذه الحكومات التي كان يمكن أن يخشاها مشغولة بالصحة الدينية..، وأن همّها الوحيد أن تقضي على البقية الباقية من الجمرة الإيمانية في هذه الشعوب، فهي لا تجد فرصة، ولا تجد مجالاً لأن تبرز في الميدان الحقيقي وتتحدى القوة الأجنبية المحاربة للإسلام، كالصهيونية أو الصليبية الحاقدة، أو أن تنهض للانتصار لقضية إسلامية من قضايا الشعوب الإسلامية (1).

فإن كان هذا شأن الوضع السياسي داخل الأمة الإسلامية فإن شأنها الخارجي كذلك لا يخلو من تأزم كبير، وعلى هذا الحال يرى الندوي أن الأمة الإسلامية لم تستطع أن تفرض ثقلها السياسي في خريطة العالم، ولم تعد لها كلمة مسموعة في أي قضية، وأصبحت لا تستطيع أن تقدم في القضية أو تؤخر، ولا أن تثبت ثقلها الدبلوماسي في أي قضية من قضايا العالم الإسلامي، وقد امتد هذا الوضع منذ سقوط الدولة العثمانية إلى يومنا (2).

### ثانياً: الصدام بين الطبقة الحاكمة والحركات الدينية

تبيّن جلياً عدم ارتياح الطبقة الحاكمة التي أخذت الدرس عن أساتذتها من الغربيين والمستشرقين تجاه الحركات الإسلامية التي تدين لهذا الدين وترى ضرورة القيام بتعاليمه. وإن من الأسباب التي ساعدت على نشوء هذا الوضع، هو شعور رجال الحكم، وواضعي القانون بالتحوف من الحركات الدينية، والدعاة إلى النهضة الإسلامية، و تجربتهم بأن كثيراً من الحركات الدينية التي قامت لإصلاح العقائد والأعمال، والقضاء على الخرافات والأباطيل، والدعوة إلى الرجوع إلى الله، والإنابة إليه، والتمسك بالشرعية، وتطبيقها في الحياة العامة، سرعان ما تتحول إلى أحزاب سياسية، وتتدخل في الأمور السياسية والإدارية للبلاد، وتحاول الحصول على السلطة، والوصول إلى مناصب النفوذ، واستلام زمام الأمور في البلاد، فيبدأ صدام بينها وبين الطبقة الحاكمة، ويتعامل معها معاملة الأحزاب المعارضة..، والندوي يشهد -اعترافاً وإظهاراً للواقع- أن بعض الدعوات والحركات عملت بالتسرع في هذا الأمر، وصدرت من قاداتها أعمال، وتصرفات وبيانات، وأبدى أتباعهم وممثلوهم، والمتحدثون عنهم تحمسا زائداً، فكسبت العداء مع حكومات

<sup>1</sup>: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 189/2.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، 524/1.

البلدان الإسلامية، وأصبحت فريقا مخاصما لها، وأحدث هذا الموقف في بعض البلدان الإسلامية والعربية خوفا من العمل الإسلامي، وذعرا من كل نشاط باسم الدين، وكل مجهود يقصد استثمار الوعي الإسلامي، ودعم الحركة الإسلامية، وحدثت حساسية زائدة في القادة السياسيين<sup>(1)</sup>.

كما يؤكد على أن هذا الصراع تعود مسؤولية تطوره إلى ذعر رجال الحكم، وحساسيتهم الزائدة، أكثر مما تعود إلى الحركات الإسلامية وقادتها، وكان للشكوك والشبهات والمخاوف والظنون دور كبير في تأزم العلاقات بينهما..، أما الخوف من النهضة الإسلامية، وذعر الحكام، وبروز النزعة العلمانية، فيرجع الندوي جذورها أساسا إلى مجهودات أمريكا المباشرة وغير المباشرة، فبعد تفكك الاتحاد السوفياتي وانهيار الشيوعية، استهدفت الإسلام باعتباره الخطر الأكبر، والسد المنيع لسيادتها العالمية، واستخدمت جميع وسائل الإعلام، والتدابير السياسية الرادعة لقمع الاتجاه إليه، ولم تكتف بذلك بل شنت حملة شعواء ضارية عالمية النطاق لمكافحة ما أسمته بالأصولية (laudemanatibisn) والثبات في العقيدة، وتحكيم الشريعة في أمور الدين والدنيا<sup>(2)</sup>.

إن من أبرز الأخطار التي حققتها سياسة التغريب أن جعلت من الدين -في نفوس القادة والزعماء- قضية هامشية شخصية لا تقوى أن تسيّر البلاد، وعلى هذا فلا يجب أن يصل من ينادون به إلى السلطة أو إلى منصب من مناصب الحكومة.

### الفرع الثالث: تسرب الفكرة القومية في الأمة الإسلامية

كانت لفكرة القومية مآلات خطيرة هددت الوحدة الإسلامية، وقد أولاها الندوي أهمية في تناوله أزمة الأمة الإسلامية، وبذل جهوده في بيان مخاطرها على الحياة الإسلامية.

### أولا: القوميات في أوروبا

بدأ عصر القوميات في أوروبا -وكانت اللجوء إلى القومية حاجة ملحة- بعد أن انهارت الكنيسة اللاتينية بأخطائها وجنباياتها وسفاهتها فأصبحت الأمم الأوربية قطعانا من البشر لا تربط بينها جامعة دينية أو مركز روحي، وفقدت النصرانية المتعثرة سلطانها

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 3/299، 300.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، 3/300.

على النفوس والرؤوس فلجأت أوروبا بطبيعة الحال إلى قوميات مختلفة تربط بين أفرادها المشتتين الضائعين<sup>(1)</sup>.

وعلى هذا السبيل طغى الحس القومي وطغى الشعور السياسي والشعور بالواجب وقوة الدفاع عن البلاد والحمية التي تعتمد عليها وتلتجئ إليها في الأزمات..، فأفلست في مقومات الحياة وانهارت في الأخلاق، واستعانت أوروبا الحائرة المضطربة بهذا السلاح حيناً من الدهر فاستعمرت بقوتها أقطاراً شرقية سلطت أبناء جنسها على رقاب المحكومين، وكانت هذه القومية مصدر قوتها وسر توحدها وانتظامها في سلك واحد<sup>(2)</sup>.

### ثانياً: الحرب العالمية الأولى والثانية

قامت النزعة القومية في أوروبا على عاملين اثنين؛ عامل **تجميع** قام توحيد الشعوب ذو القومية الواحدة، وعامل **تفتيت** قام على التجزئة داخل الدولة الواحدة «وانقسمت أوروبا نفسها في معسكرات قومية مختلفة، فانجلترا قومية ومعسكر، وألمانيا قومية ومعسكر، وفرنسا قومية ومعسكر، والمجر قومية ومعسكر، والنمسا قومية ومعسكر، كانت نتيجة الفلسفة القومية أن تحاربت فيه هذه المعسكرات على نفس أساس القوميات، ولم تكن حرب مبادئ وعقائد، بل كانت حرب قوميات دفعت إليها وحملت عليها النعرة القومية، فكانت الحرب العالمية الأولى وجاءت الحرب العالمية الثانية المدمرة، ولم تكن إلا على أساس ما أثارته القومية المتطرفة من الطموح المسرف والمجد الكاذب والمغالطات الخداعة، والدعايات الكاذبة، واستفزاز الشعور القومي»<sup>(3)</sup>.

### ثالثاً: الفكرة القومية من أوروبا إلى العالم الإسلامي

تسربت الفكرة القومية إلى الأقطار الإسلامية في القرن التاسع عشر في ظل التفوق الأوربي ونفوذ نظمه في العالم الإسلامي، وقد كان العصر الأوربي آنذاك عصر القوميات.

والندوي يعرض "القومية" كفلسفة غربية - كما تصوّرها الغرب-، وصدّرها إلينا قادة الفكر والسياسة في أوربة، كديانة وعقيدة، وفلسفة لها شريعتها، وشعائرها ومقدساتها، ولها

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، العرب والإسلام، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1401هـ، ص92.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، ص92، 93.

<sup>3</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص93، 94.

أمجادها، وأبطالها من غير نظر إلى كفر، وإيمان، وفسق، وصلاح، وجاهلية، وإسلام، وإنما هي على أساس المجد القومي، والبطولة القومية، وقد آمن بهذه القومية بمفهومها العقائدي عدد ضخم من كتابنا، وأدبائنا، ومفكري الشرق العربي، وهم الآن في طريقهم إلى صبغها بالصبغة العلمية، وتدوينها كفلسفة، والدعوة إليها كدين<sup>(1)</sup>، وقد حمل نشوء القومية وانتشارها خطراً على الوحدة الإسلامية، وانتشار الإلحاد والضلال من جزائها..، واستوت في هذا الأمر حركات القومية والوطنية التي نشأت في تركيا، وإيران، وكردستان، وأفغانستان<sup>(2)</sup>.

#### رابعاً: القوميات في مواجهة الوحدة الإسلامية

شكّلت القوميات معيقات ومخاطر هددت وحدة الأمة الإسلامية، وكانت من بين المخططات والمكائد لتفتيت وحدة المسلمين وتلاحمهم، فقدمت الرابطة القومية كبديل عن الرابطة الإسلامية، وقد كانت أول مبادرة في إحياء هذا الفكر؛ جماعة "تركيا الفتاة" وجمعية "الاتحاد والترقي" حين نادوا بالقومية الطورانية، فقدموا هذا المبدأ كبديل لتفتيت وحدة الخلافة العثمانية، التي تضم مختلف الأجناس والعرقيات والقوميات، والطورانية تحمل في مضمونها سموّ الجنس التركي على بقية الأجناس البشرية، وأن الجنس التركي في مرتبة أعلى من الشعوب الخاضعة لحكم الدول العثمانية وهذا ما يعرف بسياسة التتريك، فكان ذلك سبيلاً خفياً لإسقاط الخلافة الإسلامية.

ولما جعلت القوميات رابطاً لتكوين الأمة، وبديلاً أولاً - ثم من بعدها فكرة الوطنية - أخذ المفكرون يبحثون عن سند فكري أو نفسي لهذه القومية المعاصرة، فطرح آراء متعددة، وعرضت رؤى وبرزت أفكار لتحديد العناصر التي ترتكز عليها القومية، وقد حصرت في: وحدة "الأصل" و"العرق"، وحدة "اللغة"، وحدة "التاريخ"، وحدة "الثقافة"، "المصالح المشتركة"، وحدة "المشاعر حول آلام الماضي وآمال المستقبل"، وقد جعل فلاسفة القومية ودعاتها "وحدة التاريخ واللغة" العناصر الأهمية التي ترتكز عليها القومية في العالم الإسلامي، وبأقي العناصر جعلت كنتيجة طبيعية للغة والتاريخ.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، مقالات إسلامية، مصدر سابق، 60/1.

<sup>2</sup>: الندوي، أكبر خطر على العالم العربي، تعريب: الأستاذ واضح رشيد الندوي، مؤسسة الصحافة والنشر، الهند، ط1،

1411هـ، 1991م، ص4.



ولا شك أن ما تقدم من عناصر للقومية أنها من مقومات الأقسام وهوية الشعوب داخل الأمة الإسلامية، إلا أن تحوّل هذه العناصر لتصبح منافسا للرابط الإسلامي والوحدة الإسلامية أو بديلا عنه يحدث شرخا في صرح وحدة الأمة، وتختزل المسلمين من أمة عالمية تحمل رسالة للإنسانية في قوميات ويتراجع دورها القيادي كأمة وصية على الأمم وشاهدة عليها، كما تسهم في ضمور الفكر الإسلامي ليصبح فكر خدمة "الأنا" والذات" والقوم والعشيرة، وفكر حصر المنفعة للقوم من أخطر المعوقات التي تشلّ الانطلاقة الحضارية وتنبت الآفات التي تفتك بجسم الأمة الإسلامية.

### خامسا: القومية العربية

نشأت القومية العربية تحت تأثير عاملين رئيسيين اثنين: تمثل الأول في استعارة الأفكار والنظم الغربية، وتقليد الأوربيين في شعارات عصر نهضتهم بوجه خاص..، والعامل الثاني كان مجارة للقومية الطورانية أو تقليدا لها وقياسا عليها، ورد فعل على سياسة "التريك" التي تبناها أعضاء "جمعية الاتحاد والترقي"<sup>(1)</sup>، وبدأ نشاطها في لبنان وسوريا والعراق.

يرى الندوي أن أول آثار القومية العربية أن أصبح العرب يؤسسون حياتهم وسياستهم على الوحدة العربية، والقومية، والوطن العربي، فكان ذلك ضللا بعد هدر، ضللا في العقيدة والعمل والأخلاق والاجتماع، وفوضى فكرية هائلة، وتفسخ خلقي واجتماعي لا يقلّ عن التفسخ الخلقي والاجتماعي في الجاهلية الأولى، وقد يفوقه بالتنظيم والانتشار، وبأنه قد صار فناً وصناعة وتجارة<sup>(2)</sup>.

فكانت «فرقة بعد وحدة، وانقسام بعد اجتماع شمل واتحاد كلمة، وليس هنالك ما تخلف الرابطة الإسلامية وتقهر الشهوات، -شهوة الحكم والزعامة والاستقلال بالمجد، والأنانيات والأغراض الجنسية- وقد ظهر ضعف الرابطة العربية عن قهر هذه الشهوات والنزوات لتجردها عن عقيدة قوية وإيمان عميق وتربية صالحة»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>عدنان محمد زرزور، جذور الفكر القومي والعلماني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1420هـ، 1999م، ص49، ص50.

<sup>2</sup>الندوي، العرب والإسلام، مصدر سابق، ص65.

<sup>3</sup>المصدر نفسه، ص65.

## سادسا: بواعث معارضة الندوي للقومية العربية

إن المتتبع لحديث الندوي عن خطر فكرة القومية يجده يركز عن القومية العربية أكثر من غيرها، ويعود ذلك لمكانة العرب التي يوليها الندوي الأهمية البالغة في فكره - سواء في الحديث عن الأزمة أو عن النهضة-، فهو ينطلق أساسا من «أن الله عقد بين العرب والإسلام للأبد، وربط مصير أحدهما بالآخر..، ولا يظهر الإسلام في مظهره الصحيح إلا إذا قاد العرب ركبه وحملوا مشعله<sup>(1)</sup>، ويستند إلى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «..أوصيه بالأعراب خيرا فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام»<sup>(2)</sup>.

ومن هذا المنطلق فالندوي لا يعطي لقومية غير العرب الخطر الأكبر على القدر الذي يعطيه لقومية العرب، وذلك استنادا إلى الرؤية التي ترسخت في ذهنه، حيث جعل قومية الشعوب الأخرى "انحرافا"، أما تبني العرب -حملة الرسالة- للقومية "تحريفًا" أكبر خطر على العالم.

وينطلق الندوي في معارضته للقومية العربية من المخاوف والشبهات التي تدلي بها كتابات دعاة القومية العربية، ويرى أن هذا المفهوم الغربي للقومية يتعارض مع الدين، وهو بديل له، وند له، وتمهيد للادينية والإلحاد، وأن الحركة القومية لأي بلد عربي أدهى وأمر من كل حركة قومية أخرى، لأن من شأن هذه الحركة أن تحملهم على احترام

<sup>1</sup>: إن ما ذهب إليه الندوي من أن الإسلام ربط مصيره بالعرب لا يمكن أن يتوافق مع قول تعالى: ﴿وَلَنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أُمَّتَكُمُ﴾ [سورة محمد:38]، فهل يضيع الدين - الذي تولى سبحانه حفظه - مع إعراض العرب عنه وتوليهم؟ ثم لماذا لا يمكن أن يظهر الإسلام في مظهره الصحيح إلا إذا قاد العرب ركبه وحملوا مشعله؟، ثم إن تفسير بداية الرسالة واعتناق العرب للإسلام وحملهم مسؤولية تبليغ الدين في بادئ الأمر على مدى التاريخ، واعتبار هذا الأمر فلسفة حاكمية، من شأنه أن يكون من معيقات الانطلاقة الحضارية، لأننا جعلنا جوهر الحضارة الإسلامية - وهو الدين المحرك - مرهون بقيام العرب ومصير الاستئناف الحضاري مرتبط كذلك بالعرب، كما أننا ننهد المنطلق نكون قد ولينا العرب مكانة تفضل سائر المسلمين. وعلى كل فإن نظرة الندوي للعرب تتفق مع دعاة القومية في أنها تولي العرب مكانة مميزة ومحاولة منه لابتعائهم من جديد، إلا أن بين نظرة الندوي ودعاة القومية فوارق جوهرية، فالندوي يرى ابتعائ العرب باستئنافهم حمل رسالة الإسلام والقيام بالمسؤولية العالمية وهذا هو الواجب الموكل إليهم، في حين يرى دعاة القومية العربية ابتعائ العرب عن طريق سمو العروبة على الدين، وجعل إحياء العروبة ذاتها هي مسؤولية العرب وهي رسالة الإسلام، وواجب العرب. ينظر: الندوي، العرب والإسلام، مصدر سابق، ص4.

<sup>2</sup>: روه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب قصة البيعة، والاتفاق على عثمان بن عفان وفيه مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. رقم (3700).

الجاهلية القديمة، وتمجيد الآباء والأجداد في الجاهلية أو على الأقل تقلل من كراهيتها من قلوبهم، وتمنع من الاستهانة بها<sup>(1)</sup>.

ثم إن احتضان هذه الديانة الجديدة أو الفلسفة الجديدة- كما يسميها الندوي- هو قطع لصلة العرب بالعالم الفسيح الذي يدين بحبهم، هذا من جهة ومن جهة أخرى فهو يعطي لدعاة القومية في الهند وتركيا وغيرها حجة يقيمونها على المتمسكين بالجامعة الإسلامية، ويجعلهم ينطوون على نفوسهم ويعيشون في عزلة عن العالم وعن قضاياهم الكبرى ثم ينقسمون على أنفسهم ويتوزعون في معسكرات صغيرة، وتنشأ قوميات في ضمن قوميات ووحدات في بطن وحدات، وتلك طبيعة القومية التي لا تستطيع أن تسد أبواب القوميات الصغيرة بل هي التي تفتح وتمهد العقول وتثير العواطف للاستقلال واستغلال نفس المبدأ ونفس الطريق<sup>(2)</sup>، ويعتبر الندوي هتافات "القومية العربية" و"العروبة" و"نحن أبناء الفراعنة والعرب" و"العزة للعرب" وإلى غير ذلك من الهتافات الجاهلية نداء العودة إلى الجاهلية<sup>(3)</sup>.

ومن آثار تبني العرب للقومية أن تزعزعت ثقة الشعوب غير العربية بهم وتغيرت نظرتها ونظرة العالم إليهم، وقد حمل هذه الشعوب على تذكر قومياتها وفلسفاتها وحضاراتها، وأمجادها ولغاتها التي تناستها وآثرت عليها القومية الإسلامية<sup>(4)</sup>.

إن من أسوأ ثمارها التي أوجدت جملة المآسي والمحن أن تمزقت الوحدة الإسلامية وتكونت معيقات في سبيل تحقيقها فيما بعد، وترسخت تبعاتها من العصبية والوطنية - خاصة بعد مخطط تقسيم العالم الإسلامي - فكانت حرب الخليج الأولى والثانية<sup>(5)</sup>؛ وكان

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي أكبر خطر على العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 21، 22.

<sup>2</sup>: الندوي، العرب والإسلام، مصدر سابق، ص 95، 96.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، ص 108.

<sup>4</sup>: الندوي، كيف دخل العرب التاريخ، مصدر سابق، ص 25.

<sup>5</sup>: دامت حرب العراق وإيران التي ثمان سنوات أرهقت البلدين أنهكت قواه، وفعلت فعلها في التدمير، والتشريد، وتبديد الطاقة الإسلامية، وقتل مئات الألوف من الشباب المسلم في الطرفين، وبدلاً من أن تبدأ مرحلة البناء والتجديد، وتتخذ إجراءات جبارة لتوحيد شمل المسلمين، ثارت قضية جديدة كانت أسوأ نتيجة وأبشع فضيحة، وأوسع تدمير من الحرب الأولى، وهي غزو العراق للكويت وفرضت هذه الحرب من قبل دولة ترفع نعمة القومية العربية..، وكانت المأساة الكبرى أن السياسة الطائشة والإجراءات المتهورة لدولة الاعتداء، وتهديداتها المطلقة أن جلبت تدخل القوى الكبرى في القضية بتحويل من مجلس الأمن للأمم المتحدة من أجل إقرار السلام في المنطقة فتوسعت دائرة التدمير وشقاء المواطنين في المنطقة المنكوبة. ينظر: الندوي، مستقبل الأمة العربية الإسلامية بعد حرب الخليج، مؤسسة الصحافة والنشر، الهند، (د، ط)، 1411هـ، 1991م، ص 5، 6.

الصراع بين العراق وإيران<sup>(1)</sup>، وغزو العراق للكويت، من أسوأ نتائج الانحطاط في السياسة وتدابيرها التي تدلي بهشاشة وضعف الرابطة القومية العربية المتجردة من العقيدة والإيمان، والتربية الدينية، فلم تستطع جملة الدول التي اعتنقت القومية أن تنجح في إبراز صلاحية القومية في تكوين جبهة موحدة قوية، تعز بها نفسها وتتصر بها قضاياها العقيدية- وقد فشلت في مواجهة الصهيونية وتحرير فلسطين-؛ بل أبدت عكس ذلك، فلم تستطع الجمهورية الجزائرية والمملكة المغربية-وكلاهما عربيتان- أن تمنع الحرب بينهما، ولم تستطع أن توفق سورية والعراق-وكلاهما عربيتان- بينهما، وأن تحافظ سورية ومصر على واقع "الجمهورية العربية المتحدة" التي سعت لتحقيقها.

بناء على ما سبق فإن الأزمة السياسية في فكر الندوي تبتدئ من وقت مبكر في حياة الأمة الإسلامية، فقد عدّ الندوي بدايتها مع صدور بعض أخطاء الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه وانحراف تصرفات ولاته، إلى أن تصل إلى انقلاب الحكم من الخلافة الراشدة إلى ملك والوراثة، وما انجرّ عن ذلك من آثار على ميادين الحياة الأخرى، ثم تستمر مع ملوك المسلمين على طريق انحرافهم وعدم استئناف سبيل الرشد فأوجب ذلك فعالية سنن الله، ذكرا بواقع الأزمة السياسية التي جلبت الشقاء وأوقعت العالم الإسلامي في أزمة الحروب الصليبية وهجوم التتار اللذان سجلا نكبات كبرى في تاريخ الأمة الإسلامية، ثم يلي هذا الواقع الحكم العثماني -رغم ما قدمه من أعمال جليلة في

<sup>1</sup>: يرى الندوي أن مسألة الصلح بين العراق وإيران ومواقفة العراق على شروط إيران، وكذا تنازله بمثابة إساءة لتضحيات شعبه، وللأرواح التي ذهبت سدى، واستحق أن تسأل: ﴿يَا أَيُّ ذُنُبٍ قُتِلَتْ﴾ [سورة التكويد:9]، ولا ندري ما حمل الندوي على هذا الخطأ، فهل أراد أن لا يقام الصلح؟، وأن يضل الصراع -مع العلم أن النفوس التي تزهد من كلا الطرفين أرواح مسلمة- حتى يحقق صدام حسين مطالبه؟ ثم ألم يكن هذا الصلح هو الأمر الذي يستوجب في قتال المسلمين مع بعض- وإن كان الصلح قائما على شروط أحدهما فقط-. ثم إن الندوي يقرر أن أعمال التي قام بها صدام حسين ومطالبه لم تكن إلا لغرض من أغراض الدنيا، فحبطت أعمالها، يقول: "وبهذه التجربة مع الرئيس العراقي في صدد التضحيات التي بذلت في الحرب مع إيران، علمنا مصداقية هذه الآية: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبْآةً مَّنثُورًا﴾ [سورة الفرقان:23]. ينظر: الندوي، المأساة الأخيرة في العالم العربي، المجمع الإسلامي العلمي، الهند، ط1، 1410هـ، 1990م، ص10.

الدفاع عن كيان الأمة الإسلامية- وما صدر عنه من مطبات أورثت العالم الإسلامي والعربي أزمات، ثم كانت بعده الحركة الاستعمارية التي ورثت الكثير من أزمات سياسية في العالم الإسلامي خاصة فكرة القومية التي لا يزال أثرها فاعلا، وأخيرا أثر الاستبداد السياسي على الحياة الإسلامية، وحركة التغريب الذي سعت من خلاله الطبقة الحاكمة محاكاة الحياة الغربية وتقليدها، وما أحدث من صراعات الداخلية بين الحكومات وشعوبها.

### المبحث الثاني: الأزمة الثقافية في الأمة الإسلامية من خلال فكر الندوي

تضمن هذا المبحث مطلبين؛ تناول الأول أزمة الفكر الإسلامي عند الندوي، بينما تناول الثاني الأزمة العلمية عند المسلمين.

#### المطلب الأول: أزمة الفكر الإسلامي من منظور الندوي

تناول هذا المطلب الحديث عن الأزمة الفكرية للأمة الإسلامية، فكان في فرعين؛ الأول في بداية أزمة الفكر عند المسلمين، والفرع الثاني في الأزمة الفكرية المعاصرة.

#### الفرع الأول: بداية أزمة الفكر عند المسلمين

يرجع الندوي بدايات أزمة الفكر في الأمة الإسلامية إلى فشل التجريبتين العقلية والروحية في تحقيق الإجابات الكاملة على أسئلة الوجود؛ من أين؟ لماذا؟ وإلى أين؟.

#### أولاً: قصور تجربة العقل والروح في الإجابة عن قضايا الغيب

سعت كل من الحركة العقلانية والحركة الروحية للإجابة عن مجموعة تساؤلات تمثلت في السؤال عن مبدأ هذا الكون ومصيره؟ وهل هناك حياة أخرى بعد هذه الحياة؟ فإن كانت فما هي طبيعتها؟ وما هي تعليماتها ووصاياها في هذه الحياة؟ ثم ما هي مكانة هذا الكون من حيث المجموع؟ ومن الذي يديره بمثل هذه الدقة والنظام، والحكمة البالغة الشاملة، والقانون المحكم المتين، وما هي صفاته وصلته بالإنسان؟ وماذا ينبغي للإنسان أن تكون علاقته به، وهل هناك قانون خلقي عدا قوانين الطبيعة الدائرة في العالم، فإن كان فما هي تفاصيله؟ وما هي مكانة الإنسان الصحيحة، ومنصبه، ومنصب هذا الكون؟ هل هو حرّ طليق لا يتقيد بقيود وأحكام، أم هو تابع محكوم؟ هل هو مسؤول أمام أي قوة ومحكمة أخرى، أم أنه حرّ طليق لا مسؤولية عليه؟ ثم ما هو أسمى مطلوبه؟<sup>(1)</sup>.

وقد مثل كل من التجريبتين فريقان؛ أصحاب الفلسفة وأصحاب الإشراق.

#### أ- تجربة العقل

يرى الندوي أن العقل وحده عاجز عن أداء وظيفته الطبيعية وهو مضطر إلى الاستعانة بالحواس الخمس التي هي أقل منه قيمة، أما النتائج التي حققها العقل فقد كانت عن طريق الحواس، ومتى قصرت هذه الوسائل عن تحقيق وظيفتها عجز العقل عن أداء

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، بين الدين والمدنية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1401هـ، 1981م، ص9.

وظيفته. وبما أن هذه حقيقة العقل وحدوده وهذا هو قدره ومستواه فإنه لا شك أنه عاجز عن إثبات مسائل الغيب وتقريرها والوصول إلى منتهى حقيقتها<sup>(1)</sup>.

### ب- تجربة الروح

قامت هذه الحركة على قوى الباطن، وسعت إلى إثبات وجود الحاسة السادسة الداخلية التي ترى أنها مصدر النور والإشراق، ونتائجها المشاهدات غير المرئية التي تتجلى للإنسان، والأصوات غير المسموعة، والحقائق غير المعلومة، ولا يمكن للحواس والعقل والعلم والقياس والاستقراء، والبرهان والاستدلال، والنقد والتحليل الوصول إلى الحق واليقين، إلا بهذه الحاسة التي تتولد عن طريق المجاهدة والتزكية، وإماتة النفس، والفكر والمراقبة.

وبالرغم من اعتراف الندوي بواقعية هذه الحاسة الباطنية وتحقق آثارها، إلا أنه يؤكد أن أصحاب هذه الحركة سعوا لإثبات وجود هذه الحاسة الباطنية وعالمها التي تبحث فيه في مقابل الحواس الخمس، أما وظيفتها فهي تشترك مع وظيفة العقل في محدوديتها، وقابليتها للخطأ والتأثر والخضوع للعوامل الخارجية شأنها شأن القوى الإنسانية، كما أنه لا يوجد ما يثبت إطلاقها، وعصمتها من الخطأ، وسلامتها من الغلط والانخداع والغرور بالنفس، وقد كان من نتائجها التعارض والتناقض، والاختلاج والاضطراب، والتورط في مزالق وأغاليط في القضايا المهمة الحاسمة كما هو الواقع<sup>(2)</sup>.

### ثانياً: الفلسفة والتجربة العقلية

#### أ- الفلسفة اليونانية

انتشرت الفلسفة اليونانية -التي مثلت حركة العقل- عن طريق حركة الترجمة التي ازدهرت في العهد العباسي، وقد كان للندوي جملة من الانتقادات للفلسفة اليونانية، أهمها؛ أنها اعتمدت العقل الذي لا يستقيل بذاته في أداء وظيفته الطبيعية فدائره محدودة ضيقة، كما أنه لا يسلم من تأثره بالعواطف والرغبات، والميول والنزعات، وتأثير البيئة والتربية الخاصة، والعقائد والنظريات، والوهم والخيال، والسهو والنسيان، كما يستعصي عليه

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، بين الدين والمدنية، مصدر سابق، ص16، 17.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص27، 28. و ينظر: الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، مج2/219.

التجرد الكامل من الشوائب الخارجية، لذا فمن المستبعد أن تكون أحكامه في الإلهيات والبحوث الغيبية صادقة يقينية<sup>(1)</sup>.

فكان هذا في جانب العقل الذي اتخذته الفلسفة اليونانية كوسيلة للمعرفة، والبحث عن ذات الله وماهيته، وعن صفاته وحقيقتها، وعلاقتها بالذات ونسبتها إليها، وكيفية ظهور هذه الصفات وصدور أفعال الله وكيفيتها، وحدث العالم وقدمه، وعن الحياة بعد الموت، وعن قضايا أخرى في الإلهيات، وما بعد الطبيعة كل ذلك في ثقة وقطعية، وتفصيل وتدقيق<sup>(2)</sup>.

أما في جانب بحوثهم في الإلهيات فيحكم عليها أنها لم تكن إلا وثنيتهم القومية التي ترجمت في لغتهم الفلسفية، وأضافوا عليها صبغة من الفن، كما أنها لم تكن سوى تخمينات وطلاسم لفظية لا حقيقة لها ولا معنى، ولا وجود لها في الخارج<sup>(3)</sup>.

إلا أن هذا الرأي لم يكن مبني على العلمية وعلى وجه التحقيق وخاصة في حق الفلاسفة اليونانيين الموحدين، الذين كانوا يعتقدون بوحدانية الله، ثم إن بحوثهم العلمية لم تكن وثنية فقد ثبت أن «ابندقلس» و «فيثاغورس» و «سقراط» و «أفلاطون» قد استفادوا من بني إسرائيل لما قدموا الشام، كما أن أتباع أرسطو دخلوا الشام وأخذوا عن أتباع الأنبياء «داوود» و «سليمان» عليهما السلام، وأخذ فيثاغورس معلم سقراط عن «لقمان الحكيم» وسقراط معلم أفلاطون وأفلاطون معلم أرسطو<sup>(4)</sup>.

ثم إن «أرسطو لم يقتل إلا لأنه خالف عبادة الأصنام وأقام الحجة والبرهان، وقد كان مذهبه في الصفات قريبا من مذهب أهل الإثبات...، وكلامه في المعاد والصفات والمبدأ أقرب إلى كلام الأنبياء من كلام غيره، وبالجملة فهو أقرب إلى تصديق الرسل، ولهذا قتله قومه...، أما أفلاطون فقد كان معروفا بالتوحيد، وإنكار عبادة الأصنام، وإثبات حدوث العالم وكان تلميذ سقراط، ولما هلك سقراط قام مقامه، وجلس على كرسيه، وكان يقول إن

<sup>1</sup>: ينظر، الندوي رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، مج2/203، 202.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، بين الدين والمدنية، مصدر سابق، ص18.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، مج2/205.

<sup>4</sup>: ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن الحسن، عبد العزيز بن إبراهيم، حمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية، ط2، 1419هـ، 1999م، 6/499.



للعالم صناعاً محدثاً، مبدعاً أزهياً، واجبا بذاته عالماً بجميع المعلومات، قال: «وليس في الوجود رسم ولا ظل إلا ومثاله عند الباري تعالى يشير إلى وجود صور المعلومات في علمه». فهو مثبت للصفات، وحدوث العالم، ومنكر لعبادة الأصنام، ولكن لم يواجه قومه بالرد عليهم، وعيب آلهتهم فسكتوا عنه، وكانوا يعرفون له فضله وعمله»<sup>(1)</sup>.

فمثل بعض هذه النتائج التي توصل إليها هؤلاء لم تكن -على الأقل- ضرباً من الطلاسم والخرافة التي لا حقيقة لها ولا معنى، ولا وجود لها في الخارج كما يعتقد الندوي.

وعلى كل فالندوي يرى أن الفلسفة اليونانية خاضت في الإلهيات بطريق غير طريق الأنبياء والمرسلين، فجاؤوا بالسخيف المرذول، وبالمتهافت المتساقط، وبالمتناقض المتضاد من الآراء والأقوال، والتحكيمات والتخمينات، وإن كان الندوي في هذا قد استند إلى حكم الغزالي في قوله: «.. وهي على التحقيق ظلمات فوق ظلمات، لو حكاها الإنسان عن منام رآه لاستدل به على سوء مزاجه، أو أورد جنسه في الفقهيات التي قصارى المطلب فيها تخمينات لقل أنها ترهات لا تفيد غلبات الظنون»<sup>(2)</sup>، وإلى قول ابن تيمية كذلك: «ليتأمل اللبيب كلام هؤلاء الذين يدعون من الحق والتحقيق ما يدفعون به ما جاءت به الرسل كيف يتكلمون في غاية حكمتهم ونهاية فلسفتهم بما يشبه كلام المجانين ويجعلون الحق المعلوم بالضرورة مردوداً والباطل الذي يعلم بطلانه بالضرورة مقبولاً بكلام فيه تلبيس وتدليس»<sup>(3)</sup>.

ومن الاتجاهات التي يرى الندوي أنها تأثرت بالفلسفة اليونانية؛ المعتزلة، والفلاسفة المسلمين، إخوان الصفا، والباطنية.

### ب- المعتزلة

أول ما توجه لهم الندوي بنقده المعتزلة لاعتبارهم كبداية للأزمة الفكرية، وكان قد استقى هذا الأمر من محمد إقبال عند حديثه عن تأثير الثقافة الفارسية في الحضارة

<sup>1</sup>: ابن القيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية. (دط)، (دت)، 64/2-66.

<sup>2</sup>: الغزالي، تهافت الفلاسفة، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1385هـ، 1966م، ص146.

<sup>3</sup>: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة محمد بن سعود، السعودية، ط2، 1411هـ، 1991م، 427/3.

الإسلامية، وذلك ما صرح به إثر لقائه به، يقول الندوي: «.. وذكر -يعني إقبال- أن العقل العربي كان أقوى على إساعة الإسلام إساعة صحيحة وأجدر بحمل أمانته، وقد أصيب الإسلام في إيران بما أصيبت به المسيحية في أوربا، فقد أثرت العقلية الآرية في كلتا الديانتين»<sup>(1)</sup>، أما وجه التأثير فهو «التحوّل الذي أحدثه الآريين بالإسلام إلى ما يتوافق مع عاداتهم الفكرية الآرية، وبذلك كان الفارسي محافظا على شخصيته الثقافية الفكرية»<sup>(2)</sup>، وقد كانت بداية هذا التحوّل بعد أن تواءمت العقلية الفارسية مع الفتح السياسي العربي على العهد الأموي، وقد تحررت من عقالها على العهد العباسي بسبب شيوع الفلسفة اليونانية..، وتمثل هذا التحوّل في حركة المعتزلة التي يرى إقبال أن طائفة من ذوي العقول البارعة من الإيرانيين هي التي شغلت هذه الحركة العقلية وقادتها<sup>(3)</sup>. وبناء على قول إقبال يرى الندوي أن المعتزلة أكثر الطبقات تأثرا وانفعالا بالفلسفة اليونانية، وقد عرفوا بثقافتهم النادرة وذكائهم الحاد، كما عرفوا بإسرافهم في تقدير سلطان العقل وحدود العلم الإنساني، وأن نظرياتهم ومباحثهم مستعجلة قد فاتها الإحكام والتدقيق<sup>(4)</sup>.

أما وجه نقد الندوي للمعتزلة فهو مجموع الأخطاء التي اعتمدها في بحوثهم<sup>(5)</sup> والتي تكمن في استعمالهم البراهين في أدق الأمور وأصعبها وأعقدها، فأفراطوا في قياس الغائب على الشاهد، وقياس الله على الإنسان، وإخضاع الله تعالى لقوانين هذا العالم، كما نقلوا الدين

<sup>1</sup>: الندوي، روائع إقبال، مصدر سابق، ص7

<sup>2</sup>: محمد إقبال، تطور الفكر الفلسفي في إيران، ترجمة: حسن محمود الشافعي، محمد السعيد جمال الدين، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1409هـ، 1989م، ص31.

<sup>3</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص47، 48.

<sup>4</sup>: ينظر: الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، 1/153.

<sup>5</sup>: ولا شك أن الكثير مما ذهب إليه الندوي في الشدة من الحكم على عقلية المعتزلة، وما يجب أن ينبه عليه من الصعب العسير معالجة الإنتاج الفكري للمعتزلة والحكم عليه لأن أكثر كتبهم قد ضاع، ولم يبقى إلا ما كتبه مخالفوهم عنهم، وهذا ما عرضه أحمد أمين في نقاشه مع الندوي حول المعتزلة، فأنكر منهم الندوي جانب العقل الذي كان في دور الطفولة، وانتقاده دخولهم في السياسة، وقد وافقه أحمد أمين في ذلك، وأقرّ بفكرهم الذي كان أوسع من المحدثين، وأن إبقاءهم كان خيرا للإسلام، كما أن كتبهم قد ضاعت، أما الحكم على آرائهم الدينية فستعلم من كتاب القاضي عبد الجبار المعتزلي الذي قد عثر عليه، ينظر: الندوي، مذكرات سائح، مصدر سابق، ص37.

إلى مجموعة من القضايا العقلية، والبراهين المنطقية، وعلى الجملة فإن نظام المعتزلة غالى في تقدير العقل، وقصر في قيمة العاطفة<sup>(1)</sup>، ونتيجة الاتجاه العقلي الذي اعتمده المعتزلة أن قام بتحويل «الدين البسيط العملي الذي يستسيغه العقل البشري بكل سهولة إلى فلسفة نظرية دقيقة يعجز عن فهمها وإساعتها كثير من العقلاء»<sup>(2)</sup>.

ولكتابات أحمد أمين حول المعتزلة تأثير في رؤية الندوي، حيث يرى أحمد أمين أن مكنم الأزمة حقيقة في اتجاه المعتزلة أنهم وقعوا في خطأين اثنين<sup>(3)</sup>:

1- إرادتهم إشراك العامة في جملة المسائل التي تعرضوا لها، والعامة أبعد الناس عن علم الكلام وهو علم دقيق تاهت فيه عقول الخاصة.

2- والخطأ الثاني أن حملوا سلطة الحكومة- التي تبنت المذهب المعتزلي- التدخل بسلطانها وقوتها لتتصر ما يقرره أصحاب هذا الفكر، وترغم الناس على القول بآرائهم في ذلك.

فكان الخطأ الذي ارتكبه أنهم استبقوا الزمن واستعجلوا الأمور، وأرادوا أن يحققوا بالإكراه ما لا يتحقق إلا بالإقناع، وأن ينجزوا في برهة وجيزة ما قد يتطلب قروناً، وأية غلطة ارتكبها المعتزلة بإعلانهم المحنة (خلق القرآن) واضطهادهم علماء الأمة<sup>(4)</sup>، «وأشد ما يدعو إلى الغرابة أن يكون مصدر هذا التعذيب والمحنة هم المعتزلة الداعين إلى حرية الفكر والقائلين بسلطة العقل، فقد كان الظن بهؤلاء التسامح في العقيدة والبعد عن الضغط والتعذيب..، كما أن ما فاتهم أن العقول متفاوتة وأنماطها مختلفة، وأن القول بسلطان العقل يقضي أن يعذر من ضاق عقله ويسمح له أن يسير في حياته حسب عقله الضيق ما لم يضر بمصلحة عامة..، أما أضعف ما يكون في عقل المعتزلة أنه يراد أن يفرض على العامة فرضاً<sup>(5)</sup>. فكانت نتيجة ذلك أن وسعوا الصدع بينهم وبين أهل السنة حتى بدا من الاستحالة جبره..، فانبعثت الرجعية وانطلقت قوية جامحة تأخذ في طريقها رجال

<sup>1</sup>: ينظر: أحمد أمين، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط7، 1973م، 69/3.

<sup>2</sup>: الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، 155/1.

<sup>3</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص191، 192.

<sup>4</sup>: ينظر: زهدي جار الله، المعتزلة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1974. ص252.

<sup>5</sup>: ينظر: أحمد أمين، ضحى الإسلام، ص192، 193.

الفكر جميعاً من المعتزلة ومن غيرهم..، فهبت مكتبة الكندي الفيلسوف، واضطر المحاسبي أن يختفي، ولما مات لم يصل عليه سوى أربعة نفر وهو الرجل الصالح العابد! ولعن الكرابيسي في جنازة ابن حنبل بأصوات عالية وأكره على أن يلتزم بيته حتى مات..»<sup>(1)</sup>.

والأمر الذي يجب أن ننبه عليه، أن حقيقة الأزمة لا تكمن في بزوغ نجم المعتزلة وسلطان العقل<sup>(2)</sup> أو أقوله، أو ضعف سلطة المحدثين وبزوغ سلطانهم فيما بعد، وإنما مكمن الأزمة في قمع الحريات الفكرية والإبداع، وبتره في عز منبته. فكان من الأجر للأمة حينها أن يبقى كلاهما متسايرين في إطار "الأمة" في إطار التعدد الفكري دون ظهور عداً أحدهما للآخر، أو التسلط على الحريات وتكميم الأفواه، فتعرض الأخطاء والتصورات على محك النقد العلمي النزيه بالحجاج القوي والتنافع مكان التذافع والتصارع، إلا أن الاستبداد السياسي دائماً يكون الأزمة المحركة لاتجاه دون آخر، قاهراً للحريات الفكرية، مرهباً للإبداع والحرية الفكرية المنتجة للمعرفة.

### ج- الفلسفة الدينية

تأثرت الفلسفة الإسلامية هي الأخرى بالفلسفة اليونانية، وقد قام على شرحها في حماس وإخلاص وتمجيد وتقديس مجموعة من أعلام الأمة كيعقوب الكندي (ت258هـ)، وأبي نصر الفرابي (ت339هـ)، وأبي علي ابن سينا (ت428هـ)، ومن بين أوجه نقد الندوي لهؤلاء الأعلام إثر تناولهم الفلسفة اليونانية؛ جهلهم باللغات التي ألفت فيها هذه الكتب،

<sup>1</sup>: زهدي جار الله، المعتزلة، مرجع سابق، ص252.

<sup>2</sup>: والندوي يدلي برأي معتدل وسطي في حق المعتزلة- وإن عارضهم في مسألة العقل - فبالرغم من إفراطهم في تمجيد العقل وتحكيم الفلسفة في الدين، واتجهوا بالأمة ذات النبوة والكتاب والتعاليم اتجاهاً كان يبعدها عن وضعه الصحيح، وروحها الحقيقية، ولكن ومما لا شك فيه أن طبيعة المعتزلة كانت طبيعة دينية، وكانوا يفكرون التفكير الديني، كانوا يؤمنون بالنبوة والوحي، وكانوا في حياتهم متقشفين زهاداً يحترزون عن المعاصي، ويلتزمون بالعبادات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..، ينظر: الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، مج1/206.

وقد ساهموا إسهاماً كبيراً في الحفاظ على الحمية الدينية، وكان الشعور الديني في المسلمين حياً قوياً، فكانوا متحمسين نشيطين في خدمة الإسلام ونشره، ومحاربة الملحدين؛ فلم يكن نتيجة انتشار الاعتزال وسلطة المعتزلة أن انتشر الكفر والإلحاد في المجتمع الإسلامي، وفشا إنكار النبوات، وإنكار المعاد، والميل إلى الإباحية والتعطل، وقد كانت عقائد المعتزلة وآرائهم الدافع الكبير في الحفاظ على الإسلام والمجتمع من الزيغ والانحراف، فكانوا يرون مرتكب الكبيرة مخلد في النار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة وأمر واجب لا بد منه. ينظر: المصدر نفسه، مج1/206.

ودونت فيها هذه الأفكار، وكانوا غير قادرين على الانتفاع بالمصادر الأصلية المباشرة؛ فكانوا عيالا على من ينقلها لهم من السريانية واليونانية، ووقعوا في أخطاء وأوهام في فهم مقاصد المؤلفين والفلاسفة اليونانيين، فأخذوها على علاتها، وعكفوا عليها دراسة وشرحا وإيضاحا، من غير البحث فيها والنقد<sup>(1)</sup>.

إلا أن ما قدمه الندوي كدليل على أخطاء جملة هؤلاء الفلاسفة المسلمين، ليس في الحقيقة حجة عليهم، وإنما هو حجة على من بالذات - كالغزالي وابن تيمية والسرهندي الذين اعتمدهما الندوي في نقدهم - لأننا إذا اعتبرنا أن أصل المشكلة قائمة في عدم القدرة على الانتفاع المباشر بالمصادر الأصلية فهذه بالأساس شبهة تدفع عن هؤلاء الفلاسفة المسلمين جملة نقود معارضتهم، لأن أساس المشكلة تقع على ناقلي العلوم اليونانية إلى العربية أكثر مما تقع على هؤلاء الفلاسفة المسلمين، ومن هنا يصبح هذا النقد تبرير لهم أكثر مما هو عتاب عليهم.

هذا من جانب، ومن جانب آخر وبناء على هذا الرأي، فإن الشخصيات التي اعتمد الندوي على آرائها وانتقادها للفلسفة الإسلامية بالأساس لم تتح فرصة الاطلاع على المصادر الأصلية حتى يستطيعوا الحكم على نتائجها، ومن هنا يكن رأي الندوي نقد لكلا الطرفين من غير أن يشعر، فلا هؤلاء الفلاسفة المسلمين ولا الغزالي وابن تيمية والسرهندي استطاعوا الاطلاع على المصادر الأصلية، وكانوا محيطين باللغات التي ألفت فيها.

ثم إن الأسس التي قام عليها منتقدوا الفلاسفة المسلمين لم يكن مما ذهب إليه الندوي نصيب من ذلك، بل قامت على محاكمة تراثهم الفلسفي بميزان الشريعة والنقل والعقل؟. إن من مظاهر تأثر الفلسفة الإسلامية بالفلسفة اليونانية - في نظر الندوي - أن بليت بنفس نزعتها التي تمثلت في البحث التفصيلي في قضايا ليس عند الإنسان مبادئها ومقدماتها، وتسربت إليها هذه الروح الفلسفية العاتية؛ التي تتعدى حدودها ولا تعرف قدرها، فجاءت بالتدقيق والتفشير في مسائل الذات وتأويل الأسماء والصفات، وتناولوه بالتشريح والتجزئة والتحليل، كأنهم في معمل كيميائي<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، 206/1.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، مصدر سابق، ص 23.

ثم إن من الغريب في ختام نقد الندوي للفلسفة أن يفصل في حقها بأنها «كانت تمثل مع العلم الذي جاءت به النبوة الخطآن المتوازنان اللذان لا يلتقيان، وكلما ازداد الناس إقبالا على الفلسفة وإجلالا لها ازدادوا انصرافا عن الدين واستخفافا له، وكلما ازداد الناس خضوعا للفلاسفة ازدادوا استهانة بالأنبياء...!!»<sup>(1)</sup>.

إن مثل هذه الأحكام التي تفضي إلى إقصاء جزء كبير من تراث الأمة مما قدمه فلاسفة المسلمين من الإنتاج الفكري والعقلي، بل وتحمل الناس الخاضعين لمثل هذه الأحكام في حق الفكر الفلسفي على التهميش والتناول عليه، وحتى تكفيره والتهجم عليه، في حين الأمة ليست بحاجة إلى تعميق مثل هذه الأزمة التي لا تزال تعاني من ويلاتها.

ويمكن أن نحمل قصد الندوي بهذا الحكم فرقة "الباطنية"، لأننا نجده بعد هذا الحكم مباشرة تناول الحديث عن الباطنية، ورغم ذلك لا يجدر بالندوي توريط الفلسفة واعتبارها سبب في ظهور نتائج فلسفة الباطنية المنحرفة، فليس كل من أعتق الفلسفة قد نحا هذا النحو من الضلال والزيغ وسلك دربها، وخير دليل على ذلك ابن رشد الذي كان أن أبرز المدافعين عن الفلسفة اليونانية، والمعتقين لها.

كما لا ندري أيضا ما الدافع الذي أدى بالندوي إلى هذا الحكم، وقد اعترف بأن رغم خفوت صوت الفلسفة إلا أنه لم يخلو من فائدة، ولعل الندوي قصد بهذا الدور الذي أداه ابن رشد بعد الغزالي والذي تمثل في الدفاع المتحمس على فلسفة أرسطو، وذلك مما قدمه من حجج ضد بحوث الغزالي الفلسفية في كتابه "تهافت التهافت" ردا على "تهافت الفلاسفة"<sup>(2)</sup>. وكذا كتابه "فصل المقال".

#### د- جمود علم الكلام وتراجع دوره

تكمن أهمية علم الكلام في إثبات العقائد الإسلامية والدفاع عنها، ومناقشة غيرها من الأفكار والشبه والرد عليها، وبما أن الموضوع الذي يعمل فيه علم الكلام متجدد ومتطور حسب تطور العقل والبيئة، فإن الندوي يرى أنه من أحوج العلوم إلى النمو والتطور ومسايرة العصر، لأنه يتكفل شأن الإقناع ودفع الشبهات لما يطرأ على العقل

<sup>1</sup>: الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، 206/1.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، بين الدين والمدنية، مصدر سابق، ص23، 24.

الإنساني من تطور، وتجدد الشبه والأسئلة، ولأن لكل عصر تفكيره ومشاكله، إلا أن واقع علم الكلام لم يكن كذلك فقد جمد علم الكلام جمود العلوم النقلية، وغلب عليه التقليد، وأصبح يتناقل كرواية، وقد خصّ الندوي هذا الحال أساسا المتكلمون من الأشاعرة، حيث أصبحوا لا يطالبون بتسليم عقائدهم فقط، بل يلحون على تسليم المقدمات والدلائل التي استدل بها الإمام أبو الحسن الأشعري، والعلامة أبو بكر الباقلاني، لإثبات هذه العقائد، ويلحون على الاكتفاء بها، ويعدون العدول عن مسلك الأشعري قيد شعرة؛ ضربا من البدع والانحراف عن الصراط المستقيم»<sup>(1)</sup>، وقد برزت هذه النزعة في أئمة الأشاعرة ما أبدوه للغزالي من عتاب وسخط بسبب ما جاء به من طرائف جديدة لم يجده في كتبهم القديمة<sup>(2)</sup>.

وإضافة إلى هذا فالندوي يرى أن من المزالق التي وقع فيها المتكلمون -وهو الرأي الذي أخذه الغزالي عليهم- هي مؤاخذة عوام الناس بعلم الكلام، وتكليفهم بمعرفة الدلائل الكلامية، والتقسيمات المرتبة، وأن من يجهل ذلك، ولم يعرف الله عن طريق علم الكلام والأدلة المحررة، فهو ناقص في دينه أو شاك في يقينه، فأدى هذا ببعضهم إلى أن ينحوا منحى الغلو والتطرف والتكفير<sup>(3)</sup>.

أما الثغرات التي تخللت جهود المتكلمين فيرى الندوي -رغم قوة استدلالهم وبراعتهم في المناظرة وقطعهم لسان المعترضين وإفحامهم المجادلين- أنهم لم يستطيعوا أن يبعثوا في القلوب سكينة وإيمانا، وفي أهل الشك يقينا وإذعانا، وتركوا أثرا سلبيا على الحياة لما

<sup>1</sup>: الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، مج1/257.

<sup>2</sup>: وقد برز ذلك مما صرح به الغزالي بقوله: «أما بعد: فإني رأيتك أيها الأخ المشفق، والصديق المتعصب موغر الصدر مقسم الفكر، لما قرع سمعك من طعن طائفة من الحسدة على بعض كتبنا المصنفة في أسرار معاملات الدين، وزعمهم أن فيها ما يخالف مذهب الصحاب المتقدمين، والمشايخ المتكلمين، وأن العدول عن مذهب الأشعري - ولو في قيد شبر- كفر، ومباينته -ولو في شيء نزر- ضلال وخسر..، فإن زعم أن حد الكفر ما يخالف مذهب الأشعري، أو مذهب المعتزلي، أو مذهب الحنبلي أو غيرهم، فاعلم أنه بليد، قد قيده التقليد؛ فهو أعمى من العميان؛ فلا تضيع بإصلاحه الزمان! وناهيك حجة في إفحامه مقابلة دعواه بدعوى خصومه..، ويزعم أن مخالفته في كل ورد وصدر كفر من الكفر الجلي». الغزالي، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، ط1، 1413هـ، 1993م، ص13-19.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، مج1/261.

خلفته مناهج بحثهم وأساليب استدلالهم من عقد في القلوب والعقول، عجز علم الكلام نفسه عن حلها وفكها، واستخف أصحابه بالوجدان الذي هو منبع فياض للعلم واليقين، فنضب معينه<sup>(1)</sup>.

والوجه الآخر الذي عاب الندوي عليه المتكلمين أنهم لم ينتبهوا إلى مسألة تحديد العقل الإنساني ونقد وسائل العلم، فحاضوا في المسائل والبحوث الفروعية، بصرف النظر عن هذا البحث المبدئي<sup>(2)</sup>.

### هـ - فرقة الباطنية

يرتكز رأي الندوي في الباطنية<sup>(3)</sup> على أنها نشأت إثر التحول الفكري الذي أحدثته ازدهار الفلسفة والذي تولدت منه، وهي طبقة من المسلمين تستهزئ بالدين، وتزدرية وتتمجد بخروجها عن ربة الدين، وتحررها من تكاليفه وعقائده في غير كتمان، ومن غير احتشام..، فكانوا يظهرون في المظهر الإسلامي وهم يبطنون الكفر والإلحاد<sup>(4)</sup>. ويرى أنها كانت «مؤسسة على الفلسفة اللاهوتية اليونانية، وعلى الطبيعيات، وقد استخدموا مصطلحات الفلسفة اليونانية وأفكارها وعقائدها في أدبهم وشرح عقيدتهم بسخاء وحرية،

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، مج3/1:371.

<sup>2</sup>: وهنا يشيد الندوي برأي ابن خلدون حين تنبه لهذه الطريقة التي غابت عن الكثير حتى الغزالي نفسه لم يتخذ هذا المبدأ أساساً في نقده للفلسفة، ينظر: الندوي، بين الدين والمدنية، مصدر سابق، ص19، 20.

<sup>3</sup>: نسبة إلى الباطن المقابل للظاهر، وسبب هذا اللقب لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر، وأنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صوراً جلية، وهي عند العقلاء والأدكياء رموز وإشارات إلى حقائق معينة" ويعددها الغزالي إلى عشرة ألقاب: "الباطنية" و"القرامطة" و"القرمطية" و"الخرمية" و"الحرمدينية" و"الإسماعيلية" و"السبعية" و"البابكية" و"المحمرة" و"التعليمية" ينظر: أبو حامد الغزالي، فضائح الباطنية، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت، 1383هـ، 1964م، ص11. "الباطنية لقب عام مشترك تندرج تحته مذاهب وطوائف عديدة، الصفة المشتركة بينها هي تأويل النص الظاهر بالمعنى الباطن تأويلاً يذهب مذاهب شتى، وقد يصل التباين بينها حد التناقض الخالص. فهو يعني أن النصوص الدينية المقدسة رموز وإشارات إلى حقائق خفية وأسرار مكتوبة، وأن الطقوس والشعائر، بل والأحكام العملية هي الأخرى رموز وأسرار، وأن عامة الناس هم الذين يقنعون بالظواهر والقشور، ولا ينفذون إلى المعاني الخفية المستورة التي هي من شأن أهل العلم الحق، علم الباطن".

عبد الرحمن البدوي، مذاهب الإسلاميين، دار العالم للملايين، بيروت، 1997م، ص751.

<sup>4</sup>: الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، مج3/1:206.



وطبقوا الفلسفة ولغتها وتفكيرها على ديانتهم الجديدة»<sup>(1)</sup>، فكانت أضرّ على الإسلام وتعاليم النبوة من الفلسفة.

وقد قام منهجها -بفضل ذكائها- على قطع الصلة بين الكلمات والمصطلحات الدينية ومعانيها، وبين الهيكل الفكري العملي في حياة المسلمين، والخطر الذي يؤول إليه هذا العمل -أيقطع الصلة بين الكلمات ومدلولاتها ومعانيها- أن يتسرب الشك والاختلاف إلى الأمة، وتصبح فريسة لكل دعوة وفلسفة..، وعمدوا كذلك إلى الاسترسال في تقرير بواطن المصطلحات الشرعية المتواترة المعنى حسب أهوائهم، وأطلقوا العنان، وفسروا هذه الكلمات والحقائق بما شاءوا<sup>(2)</sup>.

فكان من تأثر الناس بهم أن تجاسروا على تأويل النصوص والقطعيات، وتحريف الأصول والمحكمات، ووجد في الناس إقبال غريب على الإلحاد والتطرف في الاعتقاد.

### و- إخوان الصفا<sup>(3)</sup>

إن أول ما حكم به الندوي على هذه الجماعة هو السرية-وشبهها بالماسونية- وأنها اتسمت بالاضطراب الفكري والاضطراب السياسي، وتجمع بين الفلسفة اليونانية والعقيدة الباطنية، متأثرين بالأفلاطونية الحديثة، والفيثاغورية الحديثة، وغايتهم إنشاء مذهب جديد يجمع بين إلهيات اليونان، ونظريات أفلاطون وأرسطو وغيرهم وبين الطهارة والمروءة والأخلاق الثابتة في كل دين وأمة، وعقيدة الشيعة الإسماعيلية.

<sup>1</sup>: الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، مج1/213.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، مج1/210.

<sup>3</sup>: أغلب من عرّف هذه الفرقة ذهب -كما ذهب الندوي- إلى أنها جماعة سرية، شيعية، إسماعيلية، باطنية، ذات توجه فلسفي تلفيقي جمعت في نزعتها بين الإسلام، وبين حكمة اليونان والفرس والهنود..وأخذوا من حكمة اليونان مثل الأفلاطونية.. ثم فيثاغورس، وأفلاطون ..، وطمحت هذه النزعة إلى توحيد الأديان حتى تتفق مع فلسفتهم. ينظر: الوسيط في المذاهب والمصطلحات الإسلامية، ص99. إلا أنه حرصا على الأمانة العلمية أن نقدم إخوان الصفا على أنها: جماعة منتظمة تغلب عليها السرية، استقرت في البصرة وبغداد، في القرن الرابع الهجري، تميزت بإنتاجها الموسوعي الممثل في كتابها المتضمن لاثني وخمسين رسالة، في شتى الموضوعات، ولا تزال هويتها الدقيقة والزمن المضبوط في تأليف موسوعتها محل اضطراب بين الباحثين الأكاديميين. وما ذلك إلا لمنهجها الجمعي التوفيقي. الذي نهل من كل مفيد.

بيد أن الحكم بالسرية-مثله مثل الكثير من الكتابات حول إخوان الصفا- لم تكن بالأمر المسلم به في حقيقة الأمر، فإنه على الأقل قد عرف أن مؤلف رسائل إخوان الصفا هو "أبو سليمان السجستاني" (ت 341هـ)<sup>(1)</sup>، كما وجد ذكر مجموعة من الإخوان مع شيء من تفصيل عن الجماعة ومن هؤلاء؛ "أبو الحسن بن هارون الزنجاني"، و"أبو محمد المهرجاني"، و"العوفي" وغيرهم<sup>(2)</sup>.

أما عن مسألة انتمائهم إلى الشيعة الإسماعيلية فهذا لم يتحقق، فالمتتبع لرسائل إخوان الصفا يجد أنهم يحملون الفكرة الوسطية بين السنة والشيعة، فنجد تسويتهم بين الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، وبين عثمان وعلي، وفي توقيير عائشة عليهم الرضوان، كما أدلو بدورهم في نقد التشيع المتطرف المغالي والمعادي، ونبذوا التطرف السني، وقد خالفوا الشيعة الإسماعيلية في التسبيع<sup>(3)</sup>، واختاروا العدد خمسة لما له من دلائل مؤنسة في الإطار الإسلامي، كالصلوات الخمسة، وأهل بيت النبوة الخمسة، وأركان الإسلام، وغيرها..، فجملة هذه الأدلة وغيرها كثير ينفي نسبتهم إلى الفرقة الإسماعيلية، ويتبين من كلامهم أنهم يتجهون إلى وحدة الأمة لا إلى الانتماء الفئوي والفرقي<sup>(4)</sup>.

أما رأي الندوي في رسائل إخوان الصفا فيعتبرها مجموعة من الحكمة اليونانية والديانة والشعوذة والكهانة والسياسة، قائمة على نظريات الفلسفة اليونانية وأوهامها الطبيعية والإلهية، وليست لها أهمية كبيرة، وأن سبب إقبال الناس على هذه الرسائل وتناقُلها فيرجعه إلى الاضطراب الفكري السائد في القرن الرابع والخامس، وإجلال لكل ما يظهر في الصبغة الفلسفية..، والكثير من هذه الأحكام فيها من الجفاء والتعنيف، ولا تتسم بالإنصاف على الأقل في بعض إيجابيات الرسائل ومضامينها، فلو لم تكن على الأقل لهذه الرسائل أهمية -كما يقول الندوي- لما وجد تماثل بين الكثير من مضامينها في

<sup>1</sup>: ينظر: أبو سليمان المنطقي السجستاني، صوان الحكمة وثلاث رسائل، تحقيق: عبد الرحمن البدوي، طهران 1974م، ص 361.

<sup>2</sup>: ينظر: أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، المكتبة العنصرية، بيروت، ط1، 1424هـ، ص 163.

<sup>3</sup>: نقصد بالتسبيع هنا، اختلاف الفرقة الإسماعيلية مع الفرقة الاثني عشرية-الإمامية- من يكون الإمام بعد جعفر الصادق، فقالت الاثني عشرية أنه موسى الكاظم، بينما الإسماعيلية ذهبوا أنه إسماعيل بن جعفر الصادق.

<sup>4</sup>: ينظر: جورج طرابيشي، نقد العقل العربي- العقل المستقبل في الإسلام-، دار الساقي، بيروت، ط1، 2004م، ص 326-339.

مقدمة ابن خلدون التي تعد تراث ثري بمقدمات علمية زاخرة<sup>(1)</sup>، ولعل تقويم الندوي لرسائل الإخوان قام على الكتابات التي تتجه اتجاه الرفض لفلسفة إخوان الصفا، دون التروي المباشر في قراءة رسائلها وأهداف تأليفها والبيئة التي ألفت فيها. كما لا تقل رسائل إخوان الصفا من أهمية في مجال فلسفة التربية، والاجتماع، والسياسة، والأخلاق، وغيرها من شتى العلوم والفنون، وقد اتسمت بالموسوعية والشاملية، والتسامح .

ومن أهمية الرسائل، يكفي أنها قدمت خدمة من وجهين؛ أنها كانت «مرآة عن حالة العرب والمسلمين، السياسية والعلمية، في القرن الرابع للهجرة، فالرئاسة الدنيوية كانت فاسدة منحلّة؛ وسلطة الخليفة لم يبق منها إلا اسمها؛ والوزراء والحكام كان ينقصهم الغيرة على عزة الإسلام ومجد العرب؛ والمجتمع كان فاسدا مترفا، والعلماء والفقهاء والفلاسفة، يتجادلون ويتناحرون، فنشأ من ذلك تغليب مذهب، واضطهاد منافسه؛ مع ما ذلك كله من بلبلة في الأفكار وتبديد للجهود»<sup>(2)</sup>.

والوجه الثاني أنها قدمت مساعي وجهودا لحل الأزمات عن طريق التوفيق بين شتى الأطياف والمذاهب قضاء منهم على التنازع والاختلاف وتحقيقا للوحدة، فعالجوا الاضطراب السياسي عن طريق السعي لتأسيس دولة جديدة مثالية، رئاستها للعلماء والحكماء<sup>(3)</sup>، أما حلهم للاضطراب الاجتماعي العلمي فعن طريق السعي لنشر جميع فروع المعرفة<sup>(4)</sup>، بطريقة سهلة تقرب من مدارك جمهور الناس، ليسهل تدريبهم وإعدادهم

<sup>1</sup>: ينظر، محمود إسماعيل، نهاية الأسطورة نظريات ابن خلدون مقتبسة من رسائل إخوان الصفا، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، ص 59-162.

<sup>2</sup>: عبد اللطيف الطيباوي، محاضرات في تاريخ العرب والإسلام، دار الأندلس، بيروت، (د ط)، 1382هـ، 1963م، 82/1.

<sup>3</sup>: ومن قولهم في ذلك: «واعلم يا أخي أن دولة الخير يبدأ أولها من قوم علماء حكماء وخيار فضلاء يجتمعون على رأي واحد، ويتفقون على مذهب واحد ودين واحد، ويعقدون بينهم عهدا وميثاقا أن لا يتجادلوا ولا يتقاعدوا عن نصره بعضهم بعضا، ويكونون كرجل واحد في جميع أمورهم، وكنفس واحدة في جميع أمورهم، وكنفس واحدة في جميع تدبيرهم فيما يقصدون من نصره الدين وطلب الآخرة، لا يبتغون سوى وجه الله ورضوانه جزاء ولا شكورا». إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا وعلان الوفاء، (القسم الرياضي الرسالة الرابعة)، مكتب الإعلام الإسلامي، طهران، (د، ط)، 1405هـ، 181/1.

<sup>4</sup>: ورد ذلك في قولهم: «ينبغي لإخواننا، أيدهم الله تعالى، أن لا يعادوا علما من العلوم أو يهجروا كتابا من الكتب، ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب، لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها، ويجمع العلوم جميعها..». ينظر: المصدر نفسه، (الرسالة الرابعة، من العلوم الناموسية والشرعية)، 41/4.

ليكونوا رجالاً عاملين، فكان أكبر غايتهم الوصول إلى مدينة فاضلة روحية تتم عن طريق انتظام الشريعة الإسلامية مع الفلسفة، أي ازدواجية العقل والروح.

### ثالثاً: الإشراق والتجربة الروحية

#### أ- الفلسفة الاشرافية

كانت في مقابل الحركة العقلية حركة الإشراق والروحانية، التي كانت مصر والهند من أكبر مراكزها في الزمن القديم، وانتشرت في اليونان والروم عن طريق تأثير الديانات الشرقية والاختلاط بالمصريين، وقد ازدهرت في (الإسكندرية) التي كانت ملتقى العقلية الشرقية والغربية والديانات.

وتتمحور الفلسفة الاشرافية حول الأنوار الإلهية الذي تقذف في القلب، الغائبة عن الحس والإدراك المنبعثة من عالم خارج عن عالم المشاهدة، ولا تتأتى هذه الفيوضات النورانية إلا لأصحاب المجاهدات الذين تحرروا من القيود الجسمانية، وعليه فالقوى الباطنية وأحوالها هي أساس اشتغال الإشراق.

إلا أن هذا السبيل لم يسلم من الزلل والوقوع في التناقضات وذلك ما بدا في التجربة الاشرافية، ولعل ذلك بسبب أن هذا العلم خاضع لأسرار النفس وتقلباتها واختلافها في التصورات والأذواق.

ويعد شهاب الدين السهروردي الملقب بـ: "المقتول" أو الشهيد<sup>(1)</sup> مؤسس الفلسفة الاشرافية، الذي «اعتبر أن إمام الحكمة وصاحب النور هو أفلاطون، وهو صاحب كلمة الحكمة الذوقية، وهرمس أبي الحكماء، وأنباذقلس وفيثاغورس من عظماء أساطين الحكمة..» وقد

<sup>1</sup>: السهروردي الحكيم الاشرافي المعروف بالسهروردي الحلبي.. والشيخ الشهيد.. وشيخ الاشراق.. هو أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي الملقب بشهاب الدين، ولد عام 549هـ/1155م، في سهرورد شمال غرب إيران، وكان كثير الترحال والأسفار، كبغداد وتركيا وحلب، وقد كانت أكبر محنته في هذا الأخير، حيث عجز جملة الفقهاء والعلماء عن مناظرته والتغلب عليه لسعة علمه وغزارة معرفته، وقوة حجته وبراهينه، ما أضطر بأعدائه إلى التشنيع به، والإصرار على إعدامه، وزهق روحه وكان سبب إعدامه معتقداته الفاسدة المنحرفة بحسب رأي أعدائه، إضافة إلى كونه قد شكّل صورا من صور المقاومة التي هددت دولة صلاح الدين الأيوبي. توفي سنة 686هـ/1191م، خلف تراثا في الفكر الفلسفي والاشراقي منها: "حكمة الإشراق"، "المشارع والمطارحات"، "هياكل النور"، و"التقيحات"، "الألواح العمادية"، "كلمة التصوف"، "اللمحات"، و"ديوان السهروردي"، رسالة مختصرة". ينظر: شهاب الدين السهروردي، حكمة الإشراق، مراجعة وتقديم: إنعام حيدورة، لبنان، ط1، 1430هـ، 2010م، ص26، 27، و ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1994م، 268/6، 269.

اعتبر أن هذه الشخصيات سلفه الروحي، وانتهل من نبع كلماتهم وأفكارهم، واتصل بهم معنويا غير محدود... وقد نزه السهروردي هؤلاء الحكماء من عقيدة الشرك والثنوية، والتي اتهمهم بها مؤرخو الفلسفة<sup>(1)</sup>.

### ب-الإشراق في الحياة الإسلامية

كان للإشراق أهمية واعتبار كبيرين بين الصوفية المسلمين، إذ يعتبر الندوي أن «محاولاتهم لمشاهدة الحق واليقين عن طريق الكشف، والوسيلة في ذلك لم تكن ولا تكون إلا العلم القطعي الذي جاءنا عن طريق محمد صلى الله عليه وسلم، القائم على الوحي والتنزيل، وكذا اعتبر أن هذا العلم كان في متناول الصوفية المسلمين، في كل وقت ومكان، إذ كان الاشرافيون في اليونان والهند بمعزل عنه ولم يدركوا ذلك النور الذي أشرق في جزيرة العرب»<sup>(2)</sup>.

ويضرب الندوي أمثلة من أقوال محي الدين بن عربي والغزالي، ما تؤكد على أهمية ثمار الإشراق، والعلم الحاصل عن طريق الكشف والمكاشفة<sup>(3)</sup>.

إلا أننا نجد الندوي أخيرا قد أكد على احتمال وقوع أهل الكشف والإشراق في الخطأ في نتائجهم، والخلاف والتعارض في حصيلة تأملاتهم، ويقرر بأننا حتى لو سلمنا كلياً لقوة هذه الحاسة الباطنية، فإننا لا نستطيع إدراك محسوسات هذه الحاسة والأشياء، سوى أن

<sup>1</sup>: شهاب الدين السهروردي، حكمة الإشراق، مرجع سابق، ص 11، 12.

<sup>2</sup>: الندوي، بين الدين والمدنية، مصدر سابق، ص 31.

<sup>3</sup>: نلمس في حديث الندوي عن كلتا التجريبتين، الشدة في نقد الفلاسفة أكثر من نقده للاشراقيين والمتصوفة، وذلك ما يتجلى في ختام حديثه عن الفلاسفة: «إنني لا أعتقد الفلاسفة إلا بشرا وما كان أفلاطون، وأرسطو، والفرايبي، وابن سينا، وابن رشد نفسه، إلا أفرادا من النوع البشري فيما أعتقد، فكانوا كسائر أفراد الجمهور مكلفين بأن يعرفوا قدرهم، ويؤمنوا بأن عقولهم كعقول سائر الناس مقصرة عن الخوض في هذه الحقائق...، ولم يملكو من المعلومات الأولية والمواد والمقدمات ما يتوصلون بترتيبها إلى النتائج القطعية والمعرفة الصحيحة» الندوي، بين الدين والمدنية، مصدر سابق، ص 24. أما في حديثه عن المتصوفة والاشراقيين فنجده قد صرف هذه الشدة في النقد إلى محاولة الاعتذار عنهم، وذلك ما برز في اعتذاره لشخصية محي الدين ابن عربي رغم ما أقر به من صدور مخالفات منه للشريعة، يقول: «إن مكانة ابن عربي في الكشف والإشراق معروفة ومسلمة عند المتصوفين، ولكنه مع ذلك كله كان يتبع مذهب الظاهرية، ومن المشهور المستفيض أن الشيخ ابن عربي كان متمسكا بالشريعة المحمدية حريصا على اتباع السنن النبوية يعمل بذلك ويدعو إليه ويوصي به» المصدر نفسه، ص 38. ونحن لسنا ضد ما قاله الندوي في حق ابن عربي، فهذا من الشيء المحمود في شخصية الندوي، إذ كان بعيدا عن التبذيع والتضليل كحال من درب على هذا، وإنما غرضنا في مقابلة واقع النقاد إبراز ميول الندوي إلى الإتجاه الروحي الصوفي.

تثبت على أن الإنسان يتمتع بأسرار عالم الأرواح وعجائبه ويطير في أجوائه الواسعة بحرية، وينكشف عالم بأجمعه أمام حاسة جديدة من حواسه ويرى صوراً وألواناً منه، يقيس به قدرة الله، وسعة الكون، وإذا كان هذا حال الإشراق والكشف -الذي اعتمد على القوة الباطنية الدفينة في أسرار الروح والقلب- فإن حاله لا يختلف عن شأن الفلسفة -التي اعتمدت قوة العقل- في عجزها عن الإجابة على الأسئلة السالفة الذكر، فكان العلم التفصيلي لمشيئة الله الخالق، والنظام المعين للأخلاق والأعمال، وراء إدراكهم، ويعيد عن متناولهم، كما أنهم لم يستطيعوا إبداع نظام ديني إيجابي<sup>(1)</sup>.

بناء على ما سبق نخلص إلى أن أول بداية الأزمة الفكرية عند الندوي ابتدأت مع قصور التجريبتين العقلية والروحية وعجزهما عن الوصول إلى الإجابة عن أسئلة الوجود ومآلاته وعن خالقه وصفاته، والعالم الغيبي وغيرهما من متعلقات، فمثلت التجربة العقلية الفلسفة اليونانية، وتليها الفلسفة الدينية التي تأثرت بها مع ما صاحب ذلك من بروز تيارات انتهجت الفكر الفلسفي العقلي في تناول قضايا الدين ومسائل الشريعة فنتج عن ذلك انحرافات وتحريفات مست بالدين ونقلته من يسورته إلى مسائل عقلية صعبة المنال لدى جمهور المسلمين وبسطاء العقول. وكان هذا الشأن شأن علم الكلام الذي طرأ عليه الجمود والتقليد والتعصب الذي دربت على رجاله. وأما التجربة الثانية فلم تسلم أيضاً من التناقضات والتعارضات والقصور في الإجابة عن تلك الأسئلة.

### الفرع الثاني: الأزمة الفكرية المعاصرة

تتمثل الأزمة الفكرية المعاصرة في جملة من المظاهر والصور في رؤية الندوي، وقد كان أولها الحضارة الغربية المؤثرة في الحياة الإسلامية، وتليها مشكلة العالم الإسلامي تجاه الحضارة الغربية، ثم الغزو الفكري المؤسس وخطره.

#### أولاً: الحضارة الغربية الوافدة

#### أ- ماهية الحضارة الغربية في فكر الندوي

تتجلى ماهية الحضارة الغربية في فكر الندوي في أنها «مجموع عقائد ومناهج فكرية، وفلسفات ونظم سياسية واقتصادية، وعلوم طبيعية وعمرانية، واجتماعية، وتجارب

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، بين الدين والمدنية، مصدر سابق، ص 37، 38.

خاصة مرت بها الشعوب الأوربية التي تزعمت هذه الحضارة في رحلتها الطويلة، وكانت مظهر تقدم العلم البشري وعلوم الطبيعة، وعلم الآلات والعلوم الرياضية، ومجموع نتائج جهود علماء وباحثين عبر القرون»<sup>(1)</sup>.

### ب- صورة الحضارة الغربية في فكر الندوي

تتلخص صورة الحضارة الغربية<sup>(2)</sup> في فكر الندوي في أنها حضارة ميكانيكية مادية محضنة، لا هدف لها، فهي لا تحمل للإنسانية رسالة<sup>(3)</sup>، ومن أزماتها أن أهملت الجاني الروحي -عالم القلب والنفس- وأهملت جانب الأخلاق، وقامت على المنفعة المادية، وطغى ذلك على كل تصوراتها للحياة، فأدى بها الوضع أن أصبحت حضارة السامة والقلق والاضطراب<sup>(4)</sup>.

### ج- صفة التدجيل في الحضارة الغربية

تتشارك جملة المعاني التي تشتملها كلمة التدجيل في التغطية<sup>(5)</sup>، وسمي الدجال بذلك للتمويه والكذب وتغطية الحق بالباطل والتلبيس على الناس، وصفة الدجل هي الشعار الذي يعرف به، ويتميز به عن سائر دعاة الشر والإفساد، والكفر والإلحاد، وهو القطب الذي تدور حوله شخصيته، ودعواته، وأعماله، وتصرفاته<sup>(6)</sup>.

وكان شأن الحضارة الغربية في العهد الأخير شأن الدجال الذي شاركته في صفة «التدجيل في كل شيء، والتلبيس على الناس، وتسمية الأشياء بغير أسمائها وتمويه الحقائق، وإطلاق الأسماء البراقة الخلابة للعقول على غير مسمياتها..، وهذا شأن

<sup>1</sup>: الندوي، موقف العالم الإسلامي اتجاه الحضارة الغربية، مصدر سابق، ص10.

<sup>2</sup>: ينظر بالتفصيل ما كتبه عن الحضارة الغربية من كتابه ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مصدر سابق، ص141-172، 188-198.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي، أحاديث صريحة في أمريكا، مصدر سابق، ص28، 29.

<sup>4</sup>: المصدر نفسه، ص36.

<sup>5</sup>: جاء في لسان العرب دجل الشيء غطاه.. ودجلة: اسم نهر، من ذلك لأنها غطت الأرض بمائها حين فاضت.. وهو دجال: كذب، وهو من ذلك لأن الكذب تغطية.. والداجل: المموه الكذاب، وبه سمي الدجال. والدجال: هو المسيح الكذاب، وإنما دجله سحره وكذبه.. ينظر ابن منظور، لسان العرب مادة:دجل، مرجع سابق، 237/11.

<sup>6</sup>: ينظر الندوي، الصراع بين الإيمان والمادية تأملات في سورة الكهف، دار القلم، دمشق، ط1، 1418هـ، 1997م، ص12.

الشعارات والفلسفات، التي حلت محل الأديان، وسحرت النفوس والعقول..»<sup>(1)</sup>. ويرى الندوي أن من آثار هذا التدجيل والتلبس أن التبس الأمر حتى على كبار الأذكياء ونوابغ العلماء، فتحمسوا لشعاراتها وفلسفاتها، من دون تمحيص لها، وتحديد مدى نجاحها وإخفاقها في مجال العمل والتطبيق، وإخضاعها للمقارنة الصحيحة المحايدة بين ما كسبته الإنسانية من ثمار هذه الشعارات والفلسفات وبين ما خسرت من جباياتها، من السعادة الحقيقية والحقوق الفطرية، وما كان هذا إلا من عمل التدجيل وسحره<sup>(2)</sup>.

أما السمة الثانية التي تلي التدجيل فهي الشغف الزائد بالمادة ورفاهية الحياة والحرص عليها وتزيينها والمبالغة فيها، ونفي كل ما وراء الحياة من مثل وقيم، وهي النقطة التي تلتقي عليها اليهودية مع المسيحية رغم ما بينهما من عداً وتناقض<sup>(3)</sup>، وقد ساهمت التوراة المحرفة في ترسيخ هذه السمة من حيث تجردها من ذكر عالم الآخرة، والحث على الاستعداد لها، وإثارة الحنين والأشواق إلى نعمائها، والإشارة إلى قصر الحياة الدنيا وفنائها، وذم حب العلوّ، والإفساد في الأرض، لذا كان تاريخ اليهود تاريخ التنافس على المادة، والنهامة للثروة، والكفاح للسيادة السلالية، والكبرياء القومي، وذلك ما صدقته كتبهم الدينية المقدسة، وما صدر في أدبهم وشعرهم، وقصصهم وملاحمهم، ونبواتهم وكهاناتهم، ومن بطولاتهم ومغامراتهم، وحروب وثورات، وما نتج عنهم من فلسفات وأفكار، وإن وجد شيء من حياة الآخرة وشيء من التواضع والرحمة بالإنسانية فعلى وجه الندرة النادرة<sup>(4)</sup>.

### ثانياً: موقف العالم الإسلامي اتجاه الحضارة الغربية ونتائجه

#### أ-الموقف الأول

يتسم هذا الموقف بالرفض التام للحضارة الغربية وبكل ما جاءت به، موقف المعارض الثائر، المعتزل الحائد، فلا يقتبس منها شيئاً، ولا يسمح بدخول علم من علومها ولا الانتفاع بتجاربيها.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، الصراع بين الإيمان والمادية، مصدر سابق، ص13.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، ص14.

<sup>3</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص17.

<sup>4</sup>: ينظر: الندوي، الصراع بين الإيمان والمادية، مصدر سابق، ص18، 19.



وقد وصف الندوي هذا الاتجاه بضيق في العقل، وتعطيل للقوى الفطرية، وهو جناية على الإسلام، وسوء تفسير للدين الذي يحث على استعمال العقل والتفكير في الكون واقتباس الصالح النافع، وإعداد القوة الممكنة دفاعاً عن الدين وإرهاباً للعدو. ومن نتائج هذا الاتجاه التخلف الشديد عن ركب الحياة، أن عاشت الأقطار الإسلامية البعيدة عن الحضارة الحديثة مضطربة مهددة بالغزو الحضاري والثقافي من الخارج، ذلك أن هذه الأقطار ضعيفة الشخصية فقيرة في قوتها المعنوية، فليس لجهازها الاجتماعي أو الإداري عقيدة راسخة قائمة على فقه وبصيرة، وليس لها المقدرة الكافية على تطبيق الحقائق والمبادئ الدينية الخالدة بالحياة المتطورة وحاجاتها الجديدة، والتميز بين الصالح للاقتباس من الحضارة الجديدة ومنتجاتها ومالا يصلح، وبذلك فهي عرضة لتسرب الحضارة الغربية وإن رفضت ذلك<sup>(1)</sup>.

### ب-الموقف الثاني

يتمثل هذا الموقف في الاستسلام والتقليد، والخضوع الكامل للحضارة الغربية وقبول عقائدها الأساسية ومناهجها الفكرية، وفلسفتها المادية، ونظمها الاقتصادية والسياسية التي نشأت واختمرت في بيئة خاصة وتحت ضغط عوامل وحوادث خاصة<sup>(2)</sup>. وقد تصدّر حركة التغريب والتحديث والتقليد جملة الشباب الذين درسوا في الغرب وتأثروا بالحضارة الغربية، ورجع أكثر هؤلاء الشباب إلى بلدانهم وقد أصبحوا طليعة الفكر الغربي ودعاة متحمسين إلى تقليد الحضارة الغربية وقيمها ومفاهيمها وتصوراتها. وهذا التقليد للغرب يرجع إلى « المسلمين الذين رأوا القوة المادية والتقدم في الغرب، ثم وازنوا بينهما وبين الحالة المؤسفة في بيئتهم الخاصة، ولقد كان من جهل المسلمين لتعاليم الإسلام -وذلك راجع في الأكثرية إلى ضيق ناحية التفكير في أولئك الذين نسميهم الفقهاء وإلى انصراف القادة والزعماء إلى ملاذهم ومنازعاتهم الشخصية عن خدمة أمتهم وشعوبهم- أن نشأت الفكرة القائلة بأن المسلمين لا يستطيعون أن يسايروا الرقي الذي نراه في سائر أنحاء العالم ما لم يتقبلوا القواعد الاجتماعية والاقتصادية التي قبلها الغرب»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>: الندوي، موقف العالم الإسلامي اتجاه الحضارة الغربية، مصدر سابق، ، ص 11-16.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، ص 21.

<sup>3</sup>: محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، مرجع سابق، ص 81.

ومن أثر الحضارة الغربية أن أضعفت «الثقة في نفوس الطبقة المثقفة الناشئة بصلاحيته الإسلامية وقدرته على مسايرة العصر وتطوراتها، وتحقيق مطالبه، وقد كان ذلك بسبب تلقيها التربية الغربية وثقافتها، التي أحدثت الردة الفكرية والحضارية التي اكتسحت العالم الإسلامي»<sup>(1)</sup>.

وقد ساعد على ذلك الفكر الإسلامي المتأزم، الذي كان «عاجزا عن إدراك حقيقة الظواهر، فلم يكن يرى منها سوى قشرتها؛ وأصبح عاجزا عن فهم القرآن، فاكتفى باستظهاره، حتى إذا انهالت منتجات الحضارة الأوربية على بلاده اكتفى بمعرفة فائدتها إجمالاً، دون أن يفكر في نقدها، وإذا كانت الأشياء قابلة للاستعمال، فإن قيم هذه الأشياء قابلة للمناقشة، ومن ثم وجدنا المسلم لا يكثر بمعرفة كيف تم إبداع هذه الأشياء، بل قنع بمعرفة طرق الحصول عليها، وهكذا كانت المرحلة الأولى من مراحل تجديد العالم الإسلامي، مرحلة تقتني أشكالاً دون أن تلم بروحها؛ فأدى هذا الوضع إلى تطور في الكم، زاد في كمية الحاجات دون أن يعمل على زيادة وسائل إشباعها، فانتشر الغرام بكل ما هو (مستحدث) في جميع طبقات المجتمع»<sup>(2)</sup>.

وعلى هذين الموقفين تبين أن العالم الإسلامي كان في مشكلة كبيرة تجاه الحضارة الغربية الحديثة، موقف متشبث بالقديم ولم يدرك أن ليس كل قديم يستحق البقاء! وموقف متطلع إلى كل جديد ولم يدرك أيضاً أن ليس كل جديد يستحق الاحترام!<sup>(3)</sup>.

### ثالثاً: الغزو الفكري المؤسس

لا يعتبر الندوي الغزو الفكري مجرد تأثر دعاة التغريب -الذين كانوا وسيلة خدمت أهداف الغرب العميقة البعيدة- ببريق الحضارة الغربية الحديثة، وإنما يتعداه ليعتبره تصميمًا وسعيًا من الغرب «للاستيلاء على الثروة التي كانت تحرك العالم الإسلامي فكرياً ومعنوياً، وتدفعه بطريق يهدد الغرب، والتي كانت مصدر قلق واضطراب له طيلة قرون..» وقد خطط تخطيطاً دقيقاً لإبعاد هذا العالم عن منطلقه، وصرفه عن استئناف

<sup>1</sup>: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 267/1.

<sup>2</sup>: مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1423هـ، 2002م، ص66.

<sup>3</sup>: ينظر: محمد الغزالي، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، دار الشروق، القاهرة، (د، ط)، (د، ت)، ص103.

دوره القيادي، واستخدم فيه ذكاءه وطاقاته العلمية والسياسية، بتزامن وثيق مع اليهودية ووكالاتها»<sup>(1)</sup>. وأبرز الأهداف التي يسعى الغرب لتحقيقها امتلاك زمام القوة والهيمنة والاستعلاء والاستكبار، وذلك ما تجلّى في حملاتها الاستعمارية ومحاولة إخضاع كل العالم بثرواته لنزعاتها المادية، وما كانت الحرب العالمية الأولى والثانية إلا ثمرة من ثمار هذه النفسية المتعالية، فهي بذلك حضارة بلا هدف تحمل في ذاتها أسباب الأفول والانهايار.

#### رابعاً: الدور الذي لعبته اليهودية العالمية في الحضارة الغربية

يعتبر الندوي أن اليهود -مؤخراً- هم الذين يملكون قيادة الحضارة الغربية وتوجيهها في صالحهم، وقد أثروا في الأدب والتربية، والسياسة والفلسفة، والتجارة، والصحافة، ووسائل التوعية والإعلام، حتى أصبحوا العنصر الفعّال الرئيس في قيادة الحضارة الغربية التي ظهرت في بيئة مسيحية، وفي شعوب آمنت بالمسيح، واحتضنت اسمه منذ أمد طويل..، ويؤكد الندوي على أن «المتعمق في الحوادث الأخيرة، والمطلع على مدى نفوذ اليهودية العالمية في المجتمع الغربي، أن هذه الحضارة وما تحوي من علم وفن، ستبلغ نهايتها السلبية، وتصل إلى ذروتها في قوة التدمير، والهدم والإفساد، والتلبيس والتدجيل، على أيدي اليهود الذين مكّن لهم الغرب المسيحي -بغفلة منه وجهل بمراميمهم البعيدة وطبيعتهم الحاقدة- كل تمكين، وأتاح لهم كل فرصة لم يكونوا يحلمون بها قبل قرون، وكانت في ذلك أكبر محنة للإنسانية وأكبر خطر على العالم، فضلا عن العرب، فضلا عن المنطقة المحدودة التي يجري فيها هذا الصراع الحاسم»<sup>(2)</sup>.

وينبه الندوي على أن تجربة الحضارة الغربية وسلوكها مع الأمم الإسلامية عن طريق الحركات والأفكار التي غزت بها أوروبا الشرق الإسلامي قامت على العناصر التالية<sup>(3)</sup>:

1- الوعي والشعور في الغرب بخطر الإسلام، وتهديده وعزمه على وقف سيره إلى أوروبا، وهي النفسية التي أوجدتها الكنيسة الأوروبية وسخرت لها وسائل الإعلام والتعليم، وشاركت اليهودية في هذه المشاعر وقامت بدورها.

<sup>1</sup>: الندوي، المسلمون تجاه الحضارة الغربية، مصدر سابق، ص4.

<sup>2</sup>: الندوي، الصراع بين الإيمان والمادية، مصدر سابق، ص16، 17.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي: المسلمون تجاه الحضارة الغربية، مصدر سابق، ص5، 6.

2- التقدم العلمي والصناعي لأوروبا، والتقدم الحضاري نتيجة العلم الذي يقوم على أساس الانتفاع المادي.

3- مطامع الاستعمار، والشعور بتفوق الجنس الأبيض، وهي العقلية التي ورثتها أوروبا المعاصرة من التاريخ اليوناني..، فيمارس الغرب بمنتهى القسوة والصرامة لترسيخ استيلائه على الأمم المستضعفة وإبقائها تابعة مستضعفة.

4- استغلال العلم للأغراض السياسية، وساهم الاستشراق فيه كوكالة للكنيسة والاستعمار الأوربي، الذي قام بنشر فلسفة تفوق الغرب، وبتث الانهزامية في الأمم التابعة للغرب، وقلب موازين البحث والتحقيق<sup>(1)</sup>.

وقد ساعد هذا الغزو «تدهور البلاد الإسلامية في عصر الانحطاط وعدم استقامتها في الاحتفاظ بروح الدعوة والجهاد التي كانت تدفعه، والجمود والتحجر في العلم والفكر والاجتماع والوهن في نظام الدفاع، فسرت فيه روح الانهزامية ومركب النقص والتردد، فلم يتمكن العقل السليم من الوقوف أمام الغزو الأوربي العلمي والعسكري موقف صرامة وتحليل بحرية القبول والرفض، وصلاحية التميز»<sup>(2)</sup>. فأصيب المسلمون بالشيخوخة والضعف، فلا سعة في العلم ولا ابتكار في التفكير والإنتاج، ولا عبقرية في العقل، ولا حماسة في الدعوة، ولا عرضا جميلا ومؤثرا للإسلام ومزاياه ورسالته إلا النادر القليل<sup>(3)</sup>.

وقد قاد هذا الغزو أخيرا أمريكا التي اجتمعت مع «إسرائيل الصليبية والصهيونية رغم وجود أكبر تناقض بينهما على أن الإسلام وحده يتحدى نظامهما السياسي والفكري، ويحبط خططهما للاستيلاء والسيطرة على العالم كله»<sup>(4)</sup>. ويؤكد الندوي على أن هذا الأمر-أي اتحاد أمريكا بقواها ووسائلها الهائلة مع إسرائيل ذات الذكاء والشطارة الفائقة

<sup>1</sup>: ويرى الندوي أن الاستشراق وأعماله التحقيقية والتأليفية كانت تهدف إلى خدمة الاستعمار الغربي لذا كان الاستشراق ونشاطاته قد ضعفت ضعفا، وكسدت كسادا بعد ما طوى الاستعمار الغربي بساطه من البلدان الشرقية،..والآن قد أصابها حركة الاستشراق الركود والجمود، فلا يصدر منها كتاب ولا مقال قيم إلا نادرا" ينظر: الندوي، أمريكا أوروبا إسرائيل -كشف حقيقة صارخة، وتنبئه على خطر داهم-، المجمع الإسلامي العلمي، لكهنؤ، الهند، ط1، 1418هـ، 1997م، ص30.

<sup>2</sup>: الندوي، المسلمون تجاه الحضارة الغربية، مصدر سابق، ص3.

<sup>3</sup>: الندوي، ردة ولا أبا بكر لها، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ط2، 1413هـ، 1992م، ص13.

<sup>4</sup>: الندوي، أوروبا أمريكا وإسرائيل، مصدر سابق، ص6.

ضد العالم الإسلامي- هو «الخطر الأخطر الذي يندرننا اليوم ويتحدانا في عالمنا المعاصر، من حيث شموله وعمقه ونتائجه البعيدة المدى..، وتركيزه على نقطة واحدة فقط وهي محاربة الإسلام من وراء ستار السياسة والثقافة والعلم، ومن خلال وسائل الإعلام<sup>(1)</sup>، وذلك بترسيخ الظن في عقول الناشئة والشباب بأن الإسلام لم يعد صالحا للعصر الذي يعيش فيه الإنسان وسائل العلم والتقنية الحديثة، ويعيش التقدمات الهائلة في جميع مجالات الحياة ومناحي الحضارة..»<sup>(2)</sup>.

وقد عادت البلدان العربية والإسلامية «هدفاً لأمريكا، وإسرائيل، ونجح هجومهما وغزوهما عقليا وفكريا إلى حد كبير، حتى إن الطبقة المثقفة التي ترعرعت في أحضان الثقافة الغربية التي تعتلي بصفة عامة عرش الحكومة قد أصيبت بمركب النقص واليأس من مستقبل الإسلام، وتتصدر هذه البلدان العربية مصر، والجزائر، حيث قام هناك صراع فكري وعاطفي بينها وبين الشعوب المسلمة التي قامت بحركة تحرير البلاد، وضحت بالغالبي والنفيس، وقد تصدر حركة التحرير العلماء والمشايخ وخريجو المدارس الدينية العربية، وزعماء الحركات الإسلامية، وقد أصبح هؤلاء العلماء والدعاة أكبر خطر للبلاد وأمنها وسلامتها»<sup>(3)</sup>.

ومن جهة أخرى «سعى الغرب لإضعاف وازع العقيدة والإيمان و تدمير الأخلاق الفاضلة ونسف تقاليد المجتمع الكريمة بأساليب ووسائل تبدو بريئة سخية وفي حقيقتها آثمة مجرمة، فسعى عن طريق اليونسكو، ورعايته، والاستعانة بالخبراء الأجانب في التربية، والتنقيف، والإعلام، وبالمدرسين الأوروبيين، وعلماء التربية والتعليم الغربيين، وعن طريق تلك الموجة العارمة الصارمة من كتب وصحف ومطبوعات؛ وأخيرا عن طريق تعميم التلفزيون»<sup>(4)</sup>. وعن طريق هذا الأخير سعى الغرب إلى إثارة الشبهات والفوضى الفكرية

<sup>1</sup>: تنحصر المراكز الكبرى للإعلام العالمي والتي تقود الثورة الإعلامية وهي في تنافس شديد فيما بينها في ثلاث مراكز كبرى: 1- المركز الأمريكي الذي يغطي أمريكا وأوروبا والعالم العربي. 2- المركز الأوربي ومركز التلفزيون العالمي الذي يغطي كل أرجاء الدنيا من خلال القمر الصناعي. 3- المركز الياباني المعتمد على مشروع النظام الدولي للاتصالات التلفزيونية ومقره طوكيو لتغطية العالم كله تقريبا.

<sup>2</sup>: الندوي، العالم الإسلامي وأخطار جديدة، ودرود العلماء في مقاومتها، مجلة البعث الإسلامي، العدد الثامن، مجلد 41، جمادى الأولى 1417هـ، سبتمبر - أكتوبر 1996م، مؤسسة الصحافة والنشر، ندوة العلماء، الهند، ص4.

<sup>3</sup>: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 226، 225/2.

<sup>4</sup>: الندوي، مقالات إسلامية، مصدر سابق، 273/2.

في المجتمع الإسلامي، وتقوية الرغبة إلى الرفاهية، وأسباب الترفيه والتسلية ومباهج الحياة، وزخارفها، وتشجيع التبرج، والسفور، والتعليم المختلط، وصناعة الأفلام، والإشراف عليها.

ومما تخوف منه الندوي أن «تستمر عملية التغيير والتطوير إلى سنوات عدة وتتيح الفرصة للعناصر الهدامة ووسائل التدمير أن تعمل عملها بحرية واطلاق؛ أن تؤثر في هذا الجيل فيشرب على السمع والطاعة -وقد بدت طلائعهما- ولا يعرف معنى المعارضة، وأن تقع كذلك الطبقة الأرستقراطية، والفئة الحاكمة في هذه البلاد فريسة ذلك الجذام الذي مسخ الغرب، وشوه صورته، ثم لا ترى في وجه الأرض مجتمعا سليما كريما تتاط به الآمال في تطهير العالم الروحي، والخلفي، ويعتمد عليه في إنعاش الإنسانية مرة أخرى»<sup>(1)</sup>.

وقد أولى الندوي الأقطار العربية اهتماما بالغا في توجيه النصح والتحذير من الآثار الوخيمة التي يخلفها زحف المدنية الغربية، وقد جعل شبه الجزيرة العربية أول الأقطار التي أولاهها حرصا واهتماما وتخوفا من وقوعها فريسة في مخططات الغرب و من خطر تسرب الفكر اليهودي وهيمنة القيم الغربية على الجزيرة التي تؤدي بدورها إلى «نشوء جيل ليس بينه وبين الحرم ومسجد الرسول ورسالتها تجاوب وانسجام، وتقاوم، واتفاق، بل بينهما العكس..، وهو خطر لا يوجد له نظير في التاريخ الماضي»<sup>(2)</sup>، وقد انطلق في ذلك من وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يترك بجزيرة العرب دينان»<sup>(3)</sup> و«لئن عشت لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب، حتى لا أترك فيها إلا مسلما»<sup>(4)</sup>، فالمعاني البعيدة التي حملتها الوصية النبوية من عدم اجتماع الدينين وإخراج اليهود والنصارى، تقتضي إبعاد أثرهم، وتغلغل حضارتهم وقيمهم في هذه الجزيرة، فلذا شملت هذه الوصية الحكمة والتعليم العميق الدقيق إقصاء كل عنصر يحدث الثورة والردة على القيم والأخلاق، ويضعف الثقة في الإسلام<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup>: الندوي، مقالات إسلامية، مصدر سابق، 2/275.

<sup>2</sup>: الندوي، كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز وجزيرة العرب، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1423هـ، 2002م، ص62.

<sup>3</sup>: أخرجه أحمد في مسنده، مسند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، رقم(26352).

<sup>4</sup>: أخرجه أحمد في مسنده، مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رقم (219).

<sup>5</sup>: الندوي، كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز وجزيرة العرب، مصدر سابق، ص78.

## خامسا: آثار الغزو الفكري في الأقطار الإسلامية

ترك زحف الحضارة الغربية ومدنيتها جملة من المآسي والأزمات، وقد كان ذلك نتيجة تأزم الفكر الإسلامي الذي كان فاقدا للحصانة، والتميز بين ثوابت الدين الإسلامي والمتغيرات التي تقتضيها الحياة وتطورها وما يستلزم من الاقتباس من الحضارة الغربية القوية المندفعة التي اكتسحت العالم الإسلامي، ومن بين جملة الآثار التي خلفها الغزو الفكري:

أ- وجود طبقة مضطربة: في العقائد، والأفكار، والسير، والأخلاق، مذبذبة بين الفكرة الغربية والإسلامية، تتسلخ أكثر الأحيان من كل ما يدين به مجتمعها، وأمتها وبلادها<sup>(1)</sup>.

## ب- الردة الفكرية في الأقطار الإسلامية

وقد تمثلتها الطبقة المثقفة التي قبلت الفلسفات الغربية الوافدة وخضعت لها، وقد اصطلح عليها الندوي اسم "الردة" لأن هذه الطبقة قطعت صلتها بالدين من دون قطع صلتها بالمجتمع الإسلامي، فهي تلح على العيش في مراكزها متمتعة بثقة هذا المجتمع، متمتعة بحقوقها داخله<sup>(2)</sup>، وقد آل حال هذه الطبقة داخل المجتمعات الإسلامية إلى اضمحلال عقيدتها الإسلامية بتأثير فلسفات الغرب وسياسته ونفوذ، والكثير من أفرادها تائر على العقيدة الإسلامية، مؤمن بالفلسفات الغربية، وما تحويه من أفكار تصادم الدين<sup>(3)</sup>، فينتصر لها ويتحمس لها ويحرص على نشرها وتنفيذها، ويريد أن ينظم الحياة على أساسها، وأصناف هذه الطبقة أربعة؛ منهم متسرع متهور، ومنهم حكيم متدرج، ومنهم منفذ بالقوة فارض لها، ومنهم هادئ يزينها للشعب<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 3/199.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، ردة ولا أبا بكر لها، مصدر سابق، ص12.

<sup>3</sup>: ومن أهم هذه الأفكار نظرية دارون "النشوء والارتقاء أو الانتخاب الطبيعي" وهي تقوم على تنازع الأصلح للبقاء، وقد خضع لها أناس كثيرون في الشرق والغرب، وحتى في الأوساط الدينية، فلم يرو أي تصادم بينها وبين ما يراه القرآن، فأولوا الآيات القرآنية تأويلا باردا، وحملوها من المعاني والمفاهيم ما لا تحتمل..ومما تأسف عليه الندوي أن لم يكن للمسلمين السبق في إبطال هذه النظرية وإنما كانت على دراسات علمية أوربية، وكان موضع اهتمام العرب والمسلمين بالتاريخ والأدب فقط. ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 3/252، 253.

<sup>4</sup>: ينظر: الندوي، ردة ولا أبا بكر لها، مصدر سابق، ص23.

ويبرز الندوي أقسام رجال الدين الذين كانت معاملتهم مع هذه الطبقة -وهي أزمة تحتاج إلى حل هي الأخرى-، فكان منهم قسم يحارب هذه الطبقة حرباً شعواء، يتخذ سبيل التكفير والهجر، معرض عن تتبع أسباب ردة هذه الطبقة الفكرية وعن ثقافتها، فلم يسع للتغيير والإصلاح عن طريق أساليب الدعوة الحكيمة من اختلاط بها وإزالة وحشتها من الدين، وتشجيع ما عندها من خير وذرّة إيمان وتغذيتها بالأدب الإسلامي الصالح المؤثر، وبالزهد فيما عندها من حياة أو مال وقوة سلطان، وتقديم النصح الخالص والتوجيه الحكيم.

وفريق آخر متعاون مع هذه الطبقة المحاربة للإسلام يقاسمها المنافع والخيرات، فلا غيرة على الدين، ولا حرص على الإصلاح، ولا رسالة لها في هذا القرب والتعاون<sup>(1)</sup>.

### ج- الاضطراب النفسي والقلق الفكري في الأقطار الإسلامية

بدأت طلائع هذا الأثر على شباب الأقطار الإسلامية خاصة، وقد كان من «أسباب الحيرة والقلق الفكري؛ التناقض بين ما ورثه الشباب وبين ما يعيشونه، وبين ما يلتقونه تلقيناً وبين ما يطلبه علماء الدين، هذا التناقض العجيب الذي سلط عليهم، ومنوا به ..، إنه يتلقى الصراع من مؤسسة الإعلام، ومن التلفزيون، ويسمع إذاعات وأحاديث وبرامج تقضي على البقية الباقية من آثار التربية القديمة، ومن الصحافة التي هي "صاحبة الجلالة" تقدم إليهم في أول النهار الغذاء الفاسد العفن، والمواد المثيرة المهيجة للعواطف..، إنه يقع في أيديهم كتب علمية من أناس آمنوا بفضلهم وعبقريتهم، فيرون ما يشككهم في الدين»<sup>(2)</sup>.

وقد منى العالم الإسلامي والعربي على الخصوص بمركب النقص والفكر الانهزامي أمام الحضارة الغربية، ومن ذلك يرى الندوي أن المشكل الأخطر الذي يورثه هذا الوضع هو اليأس والقنوط من مستقبل الإسلام، الذي لا يزال يزداد<sup>(3)</sup>.

### د- الصراع الفكري بين الطبقات الحاكمة والجماهير المسلمة

من الأزمات كذلك التي أورثها الغزو الفكري للنخب المثقفة والطبقات الحاكمة «التخوف الزائد من الانتفاضة الإسلامية إلى حد الحساسية الزائدة، حتى وصل ذلك إلى

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، ردة ولا أبا بكر لها، مصدر سابق، ص24.

<sup>2</sup>: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 1/146.

<sup>3</sup>: ينظر: المصدر نفسه، 1/328.



الخوف من العمل ببعض التعاليم الإسلامية فريداً، والظهور بالمظهر الإسلامي، والتكثير من الاستشهاد بالكتاب والسنة..، وقد أدى هذا التخوف بمقتضاه إلى إخضاع نظام التربية، ودور التعليم، ووسائل النشر والدعاية، والصحافة والإذاعة للتخلص والأمان من النفوذ الديني والغيرة الإسلامية، والمشاعر الدينية، إلى أن كان هناك مسوخ للإشفاق من الردة الدينية العقائدية، فضلا عن الردة الفكرية الثقافية؛ التي بدت طلائعها وأماراتها في كثير من البلاد الإسلامية المحكومة بالاستعمار الأجنبي، الإداري والثقافي»<sup>(1)</sup>، وكان من أسباب هذا العداء في الأقطار الإسلامية السير خلف النموذج الغربي وتنزيل تفسير أزماته مع الكنيسة ورجالها على الواقع الإسلامي، فظهر العداء للدين كأنه هو سبب تخلف المسلمين وتدهورهم، لذا حاولوا إقصاء الدين وتهميشه، وإبعاده عن الحياة<sup>(2)</sup>.

إن من أخطار وفود الحضارة الغربية التي يحذر منها الندوي، أن تتسلخ الأمة من خصائصها القرآنية والقيمية، وأن تذوب شخصيتها، وينهار كيانها الاجتماعي، ما يبعدها عن التفكير في استعادة مجدها وذاتيتها<sup>(3)</sup>، مما يجعلها هامشا على حضارة الغرب، ما يزيد من تكريس نفسية الاستكبار والتعالي التي تغمر الغرب، وتبقي الأمة في نكستها الحضارية.

نخلص مما سبق أن الأزمة الفكرية للأمة الإسلامية في منظور الندوي - كانت في مرحلتين ولكل منهما آثار ومظاهر، تمثلت المرحلة الأولى مع بداية ازدهار حركة الترجمة وإقبال الفكر الإسلامي على الفلسفة اليونانية وما انجرّ عن ذلك من أزمات في الفكر، أما المرحلة الثانية فتتمثل في أزمة الحضارة الغربية الوافدة بفلسفاتها ونظرياتها وتصوراتها التي تحمل تعارض مع الدين ومبادئه، وتأزم الفكر الإسلامي تجاه هذه الحضارة ومعاملته معها، وما ترتب عن ذلك أيضا من آثار وخيمة على الحياة الإسلامية في جميع الأقطار الإسلامية والعربية.

<sup>1</sup>: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 289/1

<sup>2</sup>: ينظر: محمود كيشانه، الإسلام والغرب عند أبي الحسن الندوي، العتبة العباسية المقدسة، بيروت، ط1، 1440هـ، 2019م، ص161.

<sup>3</sup>: الندوي، المسلمون اتجاه الحضارة الغربية، مصدر سابق، ص4.

### المطلب الثاني: الأزمة العلمية عند المسلمين في فكر الندوي

تضمن المطلب الثاني ثلاث فروع؛ الأول في الحديث عن الانحطاط العلمي عند المسلمين، والفرع الثاني في الاستشراق الغربي وأثره على الحياة العلمية الإسلامية، والفرع الثالث تناول أزمة نظام التربية والتعليم في الأقطار الإسلامية.

#### الفرع الأول: الانحطاط العلمي في العالم الإسلامي

اشتملت الأزمة العلمية في فكر الندوي مجموعة من الصور منها:

#### أولاً: تعطيل فريضة الاجتهاد وإهمال العلوم التجريبية في العالم الإسلامي

يعتبر الندوي أن أهم أسباب الجمود العلمي في العالم الإسلامي وفي العهد العثماني خاصة، تقبيد العلماء والمتكلمون في القرن التاسع الهجري الإلهيات-فضلاً عن الفقه- بسلاسل وقيود، وأوصدوا باب التحقيق والاجتهاد، وفي مقابل ذلك الوقت تغلغت أفكار أرسطاطاليس في الفلسفة الإسلامية، وكان هذا الجمود بسبب سوء فهم القرآن الكريم الذي جاء بشريعة للعالم، وكان القسط الأوفى في تعليمه والأهمية الكبرى للحياة الخلقية والاجتماعية، ومقصوده الأكبر؛ فصل ما بين الحسن والقيح والخير والشر، كما كان سمحا بسيطا، من دون تعقيدات أو إشكالات في مسائل ما بعد الطبيعة والمعارف الروحية، ولم يتعرض بالتفصيل لمسألة خلق العالم الطبيعي، فكان بذلك أفسح صدراً للنظريات الجديدة عن العالم الطبيعي من الأديان الأخرى بكثير، ولكن هذا التسامح وهذه البساطة التي كانت تساعد في التحقيق العلمي الجديد لم تطل مدتها في حياة المسلمين<sup>(1)</sup>.

إضافة إلى هذا الوضع من الجمود وتعطل فريضة الاجتهاد فإن الندوي يرى أن المسلمين لم يعطوا الحظ الأوفر للعلوم الطبيعية التجريبية وبالعلوم العملية المثمرة المفيدة ولم يهتموا بها، واشتغلوا في ذلك بعلوم ما بعد الطبيعة والفلسفة الإلهية التي تلقوها من اليونان، وظلوا يجاهدون في سبيلها من غير جهاد، فضيعوا ذكاءهم في مباحث فلسفية وكلامية لا تجدي نفعاً ولا تأتي بنتيجة، كما اشتغلوا بمباحث الروح وفلسفة الإشراق ومسائل وحدة الوجود وبذلوا فيها قسطاً كبيراً من الجهد والوقت والذكاء، وعلى هذا الوضع يقول: «فلم

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص135،136.

يعنوا باكتساب العلوم الحديثة، بل منعوا الأفكار الجديدة أن تدخل في منطقتهم، وإذ كانوا متصرفين بزماد تعليم الأمة الإسلامية، ولم يسمحوا لشيء طريف بأن يقرب منهم، فإن الجمود قد تغلب على نظامهم التعليمي، وكانت مشاغلهم السياسية قد طغت في دور الانحطاط، وكانت لا تسمح لهم بأن يتحملوا متاعب المشاهدة والاختبار، فلم يكن لهم إلا أن يلحوا على فلسفة أرسطاطاليس، وبينوا علمهم على لاستدلال، فلم تنزل المدارس الإسلامية في القرن التاسع عشر المسيحي<sup>(1)</sup>، كما كانت في القرن الثالث عشر المسيحي<sup>(2)</sup>.

والندوي لا ينفى ما خلفه المسلمون من كتب في الطبيعيات والكونيات والتجارب العلمية، وهو الذي استفادت منه أوربا في نهضتها وأقرت به، إلا أنه يعدّ ما خلفوه ضئيلاً جداً أمام ما أنتجته أوربا في السابع عشر والثامن عشر؛ سواء من الناحية الكمية أو الكيفية، أوفي الإبداع والابتكار، أو في التدقيق العلمي والإتقان الفني..، ولا يتناسب هذا الوضع مع الفتوح الواسعة ولا يتلاءم مع طول مدتهم التي تمتعوا فيها<sup>(3)</sup>.

وهنا الندوي يركّز على عدم وجود توازن وتوفيق بين الجانب الروحي وبين العلوم التجريبية، فكان الاهتمام بأحدهما على الآخر، لذا طرح الندوي هذا الأمر في قوله: «..وإذا أردت أن تعرف مقدار عناية الشرق الإسلامي بالناحية الروحية ونسبتها إلى الناحية العلمية والتجريبية فاقارن بين كتاب الفتوحات المكية للشيخ ابن عربي مثلاً وبين أكبر كتاب في الطبيعيات والحكمة، ترى فرقاً هائلاً في ضخامة المادة والعناية بالموضوع والجهاد في سبيله، وبذلك تعرف ذوق الشرق الغالب عليه»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup>: وفي مقابل هذا الحال الذي آل إليه العثمانيين، كان الغرب قد استدرك أزمته ونشط من عقال الفلسفة الإلهية والمباحث الدينية الكلامية، ووضع أساس العلم الحديث والحكمة الجديدة فأحدث انقلاباً في العالم..، «واضطرت الكنيسة النصرانية بعد المعارك الدموية بين الدين والعلم أن تواجه الواقع، فأدخلت علوم الطبيعة في برنامج مدارسها وكلياتها، وأصبحت جامعاتها التي لم تكن تختلف بالأمس عن مدارس المسلمين، مركزاً للعلوم الطبيعية والعلوم الحديثة، ولم تهجر مع هذا فلسفتها، وكان نتيجة ذلك أن ظل للكنيسة سلطان على فريق من الطبقة المتقفة، وكان للقس الكاثوليك والبروتستانت مشاركة في العلوم الحديثة، وكانوا يقدرّون على أن يباحثوا الناشئة في كل موضوع»<sup>(1)</sup>.

<sup>2</sup>: الندوي، ماذا خسر العالم، ص 135، 136 نقلاً عن: Conflict of East and West in Turkey by Halide

Edib P. 40 – 43

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، ص 123، 124.

<sup>4</sup>: الندوي، المصدر نفسه، ص 123، 124.

## ثانياً: صور من الأزمة العلمية في فكر الندوي

تتجلى صورة أزمة العلم في العالم الإسلامي في ما رآه الندوي؛ في ما أصيب به -من شرقه إلى غربه- من جذب علمي، وشبه شلل فكري، فأخذته الإعياء والفتور، واستولى عليه النعاس، وقد اعتبر الندوي القرن التاسع- إذا لم نقل القرن الثامن- آخر قرون النشاط والتوليد والابتكار في الدين والعلم، والأدب والشعر والحكمة، أما القرن العاشر فهو أول قرون الخمود والتقليد والمحاكاة، وقد كان هذا الخمود عاماً شاملاً للعلوم الدينية والفنون الأدبية والمعاني الشعرية والإنشاء والتاريخ ومناهج التعليم، وعلى هذا يقول الندوي: «فلا تجد في كتب التراجم التي ألقت للعصور الأخيرة من تطلق عليه لقب العبقرى، أو النابغة أو المحقق على الأقل، أو من جاء في فن من الفنون بشيء طريف مبتكر، أو زاد في العلم زيادة حسنة<sup>(1)</sup>...، ولا نقرأ في شعر هذه العصور الأخيرة على كثرة ما نظم وقيل فيها شعراً مطبوعاً يعلق بالذهن أو إنشاء مترسلاً ينشرح له الصدر، ترى أدباً فاتراً بارداً قد أفسده التأنق في الحلية اللفظية والمبالغة والتهويل في الألفاظ والمعاني وكثرة التملق في المدح والغزل بالمذكر في الشعر، والتكلف حتى في الرسائل الإخوانية والأغراض الطبيعية والسجع البارد حتى في كتب التاريخ والتراجم<sup>(2)</sup>.

أما حال حلقات التعليم فقد استغنت عن كتب المتقدمين بكتب المتأخرين المتكفين التي غصت بالحواشي والتقريبات والتلخيصات والتمتون التي ضن فيها مؤلفوها على القرطاس، وتعمدوا التعقيد والغموض، وكأنهم ألقوها في صناعة الاختزال، وكل ذلك ينبئ عن الانحطاط الفكري والعلمي الذي حلّ بالعالم الإسلامي وتغلغل في أحشائه<sup>(3)</sup>.

إذن فقد كان هذا الوضع العلمي سمة القرن العاشر الهجري، الذي لم «يكن قرن الابتكار والاختراع في العلوم، والأصالة العلمية، والنظر الدقيق الذي يتسم "بالاجتهاد" والتدوين

<sup>1</sup>: ويستثني الندوي في ذلك بعض الشخصيات التي برزت في أطراف العالم الإسلامي وقدمت الجديد النافع، كالشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي (م1024هـ) صاحب الرسالة الخالدة في الشريعة والمعارف الإلهية، والشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي (م1176هـ) صاحب حجة الله البالغة وإزالة الخفاء والفوز الكبير ورسالة الإنصاف، وابنه الشيخ رفيع الدين (م1233هـ) صاحب تكميل الأذهان وأسرار المحبة، والشيخ إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله الدهلوي (م1246هـ) صاحب منصب الإمامة والعبقات والصراف المستقيم.

<sup>2</sup>: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص137.

<sup>3</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص128.

الجديد للعلوم، والزيادات ذات القيمة العلمية الكبيرة..، فكان قرن الجمع، والترتيب، والتسهيل، والتلخيص لكتب المتقدمين»<sup>(1)</sup>، أما القرن الثاني عشر فقد غلب على أصحابه «ذوق الأدب والشعر، وقلة المجالس والنوادي، واللطائف، والطرائف، والألغاز، والأحاجي، ولا يبدو أنهم حازوا في ذلك الفضل والسبق، أو ابتكروا نوعا جديدا، بل يتردد فيه السجع، وتكثر القوافي، ويغلب التكلف والتعمل..، فلا يعثر على باحث محقق، ومفكر كبير إلا بعد بحث كبير»<sup>(2)</sup>.

### ثالثا: تخلف العلوم الإسلامية وركود الفكر الإسلامي

أما شأن العلوم الإسلامية ومراكزها فيرى الندوي أنه طرأ عليها وعلى علمائها من مدة طويلة الجمود والركود الفكري، ومن أجل ذلك عجزت هذه العلوم الحافلة بالحياة والروح، الصالحة للنمو والازدهار عن إقامة برهان على صلاحيتها التي تتدفق بها ومسايرتها مع الحياة المتطورة، وذلك في عصر كانت حاجتها فيه إلى ذلك أشد وأعظم من حاجة كل عصر..، فندر وجود العلماء النوابع الذين يستطيعون إقناع الجيل الجديد بخلود الحقائق الدينية وصلاحية الحياة وتفوق الإسلام، ويزيحون الستار عن وجه الحضارة الحديثة بنقدهم العلمي المتزن وتحليلهم الدقيق<sup>(3)</sup>.

وقد مسّ هذا الجمود والتقليد منهج الدراسات الإسلامية -الذي كان يتطور في الماضي ويخضع لتعديلات مستمرة مما يشهد بذلك قواد الحركة العلمية آنذاك- فيرى الندوي أن القرن التاسع عشر أصيب فيه المنهج الدراسي بجمود لم يسمح له بتجاوز المنهج القديم، فأبى قبول التعديل، وألح على إبقاء المنهج القديم وأسلوبه فتوقف توسع نطاق الفقه الإسلامي ليشمل القضايا والمشكلات الجديدة التي خلفتها الحضارة الحديثة والاكتشافات الجديدة، فتعطل الاجتهاد وأصبح مقفل الباب مسدود الطريق<sup>(4)</sup>.

وقد سبب هذا الوضع محن في بعض فترات من تاريخ الدين، ففقد فيها الدين اتصاله بالحياة، والتقصير يكمن في أتباعه الذين لم يطبقوا مثله العليا وقيمه النبيلة فسارت القافلة

<sup>1</sup>: الندوي، مقالات إسلامية، مصدر سابق، 410/1.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، 450/1.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، مصدر سابق، ص 198، 199.

<sup>4</sup>: المصدر نفسه، ص 199.

وتخلفوا عن الركب..، وأبعد من ذلك فقد وقع المسلمون في إنحرافين؛ الأول: لما عجزوا عن حل مشاكلهم في ضوء القرآن وإيجاد التآلف بين أحكام الشريعة وبين حقائق العالم المتغيرة انتقدوا القرآن وقدموا للغير انطباع على أن القرآن ناقص ليس له القدرة على مواكبة الزمان والتغيرات، أما الانحراف الثاني وهو الأخطر من السابق وتجلّى في محاولة إخضاع القرآن لنزواتهم وأهوائهم، ومطامحهم، فبدلاً أن يتماشوا مع القرآن في علوه وقدسيته حاولوا أن ينزلوه من عليائه ليتماشى أنزلوه إلى مستواهم المنحط<sup>(1)</sup>.

ويضيف الندوي على هذا الوضع «أزمة متفشية في نفوس البعض من الدارسين وهي الحجر على الشباب في القراءة والاطلاع، وكالحجر على الأطفال القاصرين الذين لم يبلغوا سن الرشد، وأن هذا الصنف من الدارسين غير جديرين بالثقة في مواجهة الأفكار الغربية والتحديات العلمية والعقائدية، وهذا ما أثبتته علم التربية وعلم النفس من هذه إخفاق هذه التجربة المثيرة للتساؤلات والشكوك، والنهامة باليمنوع المحظور»<sup>(2)</sup>.

وقد أكد الندوي أن مثل هذا التفكير -حجر الشباب على القراءة والمطالعة- كانت من وقائع الكنسية مع العلم، لأن الكنسية كانت ترى أن الخير كل الخير في تبدد الشعور الإنساني، بل كانت تعمل فعلاً على تجميده وإماتته، وكانت تؤمن بأن من الخير والسعادة أن يكون الإنسان محدود العلم، قاصر المعرفة، بل عديم العلم جاهلاً..، فرأت أن العلم العدو للودود والخصم المحارب، فوقفت في وجه العلم وأنشأت محاكم التفتيش في ربوع العالم وعواصمه وفرضت دائرة محدودة من الدراسات وكتب المطالعة على الشباب والدارسين، ما أحدث ضرراً كبيراً على مستقبل الدين وعقلية الجيل الصاعد<sup>(3)</sup>.

### الفرع الثاني: الاستشراق وأثره على الحياة العلمية في العالم الإسلامي

كان للاستشراق دور مهم في التواصل بين الشرق والغرب، وقد قاموا بدور فعال في تحقيق وإحياء الكتب الإسلامية المطمورة ونشرها، كما ألفوا كتباً لا يستهان بقيمتها العلمية، ولإلناصاف يرى الندوي أنه لا يجب أن تنكر جهودهم وروحهم العلمية، وتحملهم للمشاق وتفانيهم في مهمتهم، إضافة إلى دقة نظرهم، وأسلوبهم العلمي.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 212/1.

<sup>2</sup>: الندوي، دور الجامعات الإسلامية المطلوب في تربية العلماء وتكوين الدعاة وحماية الأقطار الإسلامية من التناقض والمجابهة، المجمع الإسلامي العلمي، الهند، ط1، 1407هـ، 1987م، ص16.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي، دور الجامعات الإسلامية المطلوب، مصدر سابق، ص14، 15.

إلا أن الندوي يرى من جانب آخر أن الاستشراق -رغم فضله الكبير ومآثره الكثيرة- قد تقاصر على ملء الفراغ وسدّ الفجوة التي وجدت بين الأُسرتين الشرقية والغربية، وتقديم صورة صحيحة وضّاءة مشرقة للأديان الشرقية عموماً، والدين الإسلامي خصوصاً..، فظلّ الشرق بذلك بعيداً عن الغرب مستقلاً بنفسه ورسالته، لا يلتقيان إلا تحت نفع الشبهات والظنون، والإحن والاحتدام، لا يلتقيان لصالح الإنسانية المشترك، ولبناء المدنية المثلى<sup>(1)</sup>.

والاستشراق الذي شكلت كتاباته العلمية أزمة على العالم الإسلامي وعلى الطبقة المثقفة هو اللون العدائي المؤسّساتي الذي يحدث نتاجه العلمي بدوره فجوة وتباعد بين الشرق والغرب. وهذا النوع من الاستشراق هو الذي عناه الندوي في حديثه عن أخطاره وآثاره السلبية.

#### أولاً: دوافع الاستشراق وأهدافه

يرى الندوي أن للاستشراق جملة من الدوافع والأهداف سعى لتحقيقها في العالم الإسلامي منها:

##### أ- الدافع الديني

يتمثل دافع الحركات الاستشراقية الديني في موقف غربي قديم.. متجذر في الذهنية الغربية..، ومتجسد وشائع في الثقافة الغربية- الدينية، والأدبية، والتاريخية، والسياسية و«على البصير ما يتجلى في كتابات المستشرقين المسيحيين من روح التبشير، ومرارة ذكريات الحروب الصليبية، والتعصب على الأتراك، ودوافع الانتقام ضدهم»<sup>(2)</sup>، ويعدون الإسلام أكبر المعوقات في امتداد العقائد المسيحية.

##### ب- الدافع السياسي

أرادت الامبريالية الغربية إقامة مستعمرات جديدة، فرأت من الضروري دراسة «الخصائص القومية لتلك البلدان، وتقاليده الشعوب الشرقية، وطبيعتها، ومعيشتها، ولغاتها

<sup>1</sup>: الندوي، حديث مع الغرب، دار الإرشاد، بيروت، ط1، 1387هـ، 1967م، ص19، 20.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، مصدر سابق، ص165.

وآدابها، وحتى عواطفها ونفسياتها، ليتسنى للغرب تنفيذ رغباته<sup>(1)</sup>، وإحداث التشكك في مصادر شعوبها العلمية، والدينية، وعدم الثقة بها، لإنشاء مركب النقص في نفوس أصحاب تلك البلاد مما يساعد على بسط نفوذها<sup>(2)</sup>، و«تحقيقاً لهذا الغرض يصدر المستشرقون من مختلف أقطار الغرب عدة مجلات ورسائل حول العالم الإسلامي وتنتشر مقالات تحليلية ومواد تحقيقية تبحث في مشكلات العالم الإسلامي وميوله ونزعاته، منها ما تصدره مجلة "الشرق الأوسط" (The Muslim World) من أمريكا، ومجلة ( Le Monde Misulmans)»<sup>(3)</sup>.

### ج-العامل الاقتصادي

حيث تتخذ المكتبات التجارية كتاباتهم وسيلة للتجارة وجلب الأرباح، وخاصة أن لمواضيعهم حول الإسلاميات والشرقيات إقبال كبير في أوروبا وآسيا<sup>(4)</sup>. إلا أن هذا الرأي لا يعد دافعا قويا بالأساس، لأن الكتابات الاستشراقية المعادية للإسلام في أغلبها تعمل في إطار مؤسستي ممول، ومن هنا لا يهدف هذا النوع من الاستشراق إلى كسب المال أكثر مما يركز على إنتاج أنماط من الكتابات التي تخدم المخططات الغربية.

### ثانيا: صدى أفكار المستشرقين في الأقطار الإسلامية

ساعد ذبوع أفكار المستشرقين وانتشارها في الأوساط العربية والإسلامية جملة المثقفين الذين تتلمذوا على يد المستشرقين، أو ممن تأثروا بموجتهم، وقد عرض الندوي

<sup>1</sup>: على سبيل المثال زار الجزائر كوكبة من الرحالة الغربيين ودونوا كل ملاحظاتهم وانطباعاتهم، بل ولم يتركوا أدنى الأمور التي لا تخطر على بال، كل ذلك في وصف دقيق جدا، ومن بين هؤلاء الرحلة: هايدو Haedo سنة 1634م، الأب دان Père Dan سنة 1637م، دارندا D'Aranda سنة 1640م، دايرير Dapper سنة 1686م، بايصونال Payssonnel سنة 1725م، الدكتور شو Dr Shaw سنة 1732م، لوجي دي تاسي Laugier De Tassy سنة 1724م، فونتور دي بارادي Venture De Paradis سنة 1788م، كيرسي Kersey سنة 1791م، بوتان Boutin سنة 1808م، ديبواتانفيل DuboisThainville سنة 1809م، شالر Shaler سنة 1822م، سيمون بفايفر Simon Pfeifer سنة 1830م.

<sup>2</sup>: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 539، 540/1.

<sup>3</sup>: الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، مصدر سابق، ص 188.

<sup>4</sup>: المصدر نفسه، ص 188.



حالة مصر في ذلك، حيث أصبح كثير من الجامعيين متشبعين بروح الغرب يفكرون بعقله، ويرددون صدى المستشرقين، وينشرون أفكارهم ونظرياتهم<sup>(1)</sup>.

واتسعت بذلك نطاق حركة التشكيك عن طريق كتاب مصر وأدبائها في العقائد الدينية والمقررات التاريخية، والشخصيات الإسلامية، والقيم الخلقية، والأسس الاجتماعية، والآداب العامة، وذلك ما حوته مضامين بحوثهم وكتاباتهم، وكانت من وراء هذه الحركة أغراض منها حب الشهرة، ورواج بضاعتهم في السوق، والريح المادي، أو التسرع في نشر ما يخالج خواطرهم ويحاك في صدورهم، وقد ساعد على ذلك حركة النشر السريعة، ووجود عدد كبير من دور النشر والطباعة.

وينبه الندوي على إستراتيجية كتابات المستشرقين وآلية عملها، فعملها يقوم على إبراز مواضع الضعف في الشريعة الإسلامية، والحضارة والتاريخ الإسلامي، ومجتمعه ومدنيته، وديانته، ويمثلونها في صورة مروعة مضخمة ويعرضونها للقراء..، لأجل غاية سياسية أو دينية، فيثيرون بذلك شبهات حول الإسلام والمصادر الإسلامية، ويحدثون بأسا عن مستقبل الإسلام، ومقتا على حاضره، وسوء ظن بماضيه، وذلك تعزيزا منهم لفكرة "تطوير الدين" و"إصلاح القانون الإسلامي"، وقد ظهرت حذاقتهم وذكاؤهم في كثير من الكتابات في تشويه الإسلام<sup>(2)</sup>، وخاصة ما اتخذته الآن أمريكا عن طريق الإعلام في تشويه الإسلام في متخيل الرجل الغربي، استغلالا منها «لظاهرة التشدد والعنف اللذين تمارسها بعض الجماعات باسم الإسلام..، أو إلى وجود بعض النظم المستبدة التي تستر الاستبداد بشعارات ورموز الإسلام»<sup>(3)</sup>، وهو ما دفعها إلى التوجه إلى الإسلام واعتباره العدو الأكبر الذي حل محل "إمبراطورية الشر الشيوعية" والعائق في تحقيق أغراضها العالمية، والهيمنة الثقافية والاقتصادية<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، مصدر سابق، ص106.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1406هـ، 1986م، ص15، 16.

<sup>3</sup>: محمد عمارة، في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 1423هـ، 2003م، ص136.

<sup>4</sup>: المصدر نفسه، ص136.

ومن جملة القضايا التي تناولها هؤلاء في كتابات المستشرقين: بشرية القرآن، وفصل الدين عن السياسة، وأن الإسلام دين لا دولة، والدعوة إلى العلمانية، والتشكيك في مصادر العربية الأولى، وفي قيمة الحديث العلمية، وإنكار مكانته وحجيته ومكانة السنة في الإسلام، والدعوة إلى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل، والدعوة إلى السفور، وكون الفقه مقتبساً من القانون الروماني، ومتأثراً به في روحه وسبكه، والدعوة إلى إحياء الحضارات السابقة على الإسلام، وتمجيد العصر الفرعوني، والتغني بحضارته وأدبه وأمجادته، والدعوة إلى العامية والتأليف فيها..، والدعوة إلى القومية العربية والاشتراكية المادية..، فترى الفكر الغربي ممدوداً على العقول العربية وأقلامها<sup>(1)</sup>، والاعتقاد بأن الدين عائق في سبيل النهضة والتحقيق، ومعاملة علماء المسلمين على شاكلة رجال الكنيسة، وإعطاء المرأة حق الإسهام في جميع أمور الحياة، وجعل الحجاب علامة استبداد الرجل بالمرأة، والاعتقاد أن قانون الوراثة والنكاح والطلاق اجتهاد فقهاء المسلمين في العصور المتوسطة، ونتيجة طبيعية للمجتمع البدائي المحدود<sup>(2)</sup>.

والخطر الأكبر أن مثل هذه الكتابات تتلقفها الطبقة المثقفة والناشئة في شغف ونهامة وهي في طور المراهقة الفكرية، ولم تنتسب بفهم ماهية الإسلام ومقاصده وروحه، فأصبح «الجهل بالإسلام هو الفرصة الوحيدة لانقاصه والهجوم عليه، وهو المناخ الوحيد الذي تستنبت فيه الأكاذيب والتفولات الباطلة على الإسلام..، فهذه الأكاذيب التي تنتمى في هذا المناخ وتلتصق بالإسلام خلال غيبوبة المسلمين أو أكثرهم عن إسلامهم بحاجز الجهل بحقيقته هي التي تخلق عوامل الاشمئزاز منه والعداوة له»<sup>(3)</sup>.

ثم إن الفكر الاستشراقي استغل الجمود الفكري في مواكبة الحياة وأتيحت له فرصة ترسيخ دعوة تحديث الدين وإصلاحه التي كانت جوهر دعوة المستشرقين، وفي ذلك توجه تقييمهم للدين الإسلامي على النحو التالي<sup>(4)</sup>:

**1- الإسلام كمصدر لتوجيه الحياة فقد صلته بالمجتمع، واتسعت الفجوة بينهما، وتخلف عن مجاراة تطور الحياة بفعل العوامل الخارجية الثقافية والسياسية والاقتصادية.**

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، مصدر سابق، ص 107.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، ص 181.

<sup>3</sup>: محمد سعيد رمضان البوطي، الإسلام والغرب، دار الفكر، دمشق، (دط)، (دت)، ص 99، 100.

<sup>4</sup>: محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 10، 1395 هـ، 1975 م، ص 171، 172.

2-الإعراض عن تنفيذ تعاليم الإسلام أملتته الضرورة الاجتماعية تحت ضغط الحياة المتجددة التي لم يستطع الإسلام أن يكيفها في ضوء تعاليمه، ولم يستطع أن يلائم بينها وبين تعاليمه.

3-على المسلمين أن يسايروا العالم الغربي الحديث، وأن يتطوروا بالإسلام نفسه كدين.

4-لكي تتطور الجماعة الإسلامية وجب عليها أن تسير وفق المثل الغربية وتتفاعل معها في بيئتها الشرقية.

إن العامل الذي ساعد على ذبوع أفكار المستشرقين -بسبب الجمود في البحث والتحقيق والتأليف- اعتماد الأوساط العلمية والجامعات الشرقية على كتب المستشرقين في المواضيع الإسلامية من زمن طويل، وفي جملتها<sup>(1)</sup>؛ كتاب ر.أ.نكلسن في "تاريخ آداب العرب" (ALiteraryHistoryArabs) وكتاب الدكتور حتي عن "تاريخ العرب والإسلام" (History ofArabs) وكتاب كارل بروكلمان في "تاريخ الآداب العربية" (CeschtlrderArabichenLiterature)، وكتاب جولد تسيهر في "العقيدة والشريعة في الإسلام" (Introduction to IslamicTheology and Law)، وكتابه "دراسات إسلامية" (MuhammedanischeStudien Halle)، وكتاب شاخت في "مصادر الفقه الإسلامي" (The OriginsMohammadans Jurisprudence)، وكتاب و.س.اسمث في "الإسلام المعاصر واتجاهاته وحركاته"، (Islam In Modern History)، وكتاب A.R.Gibb "وجهة الإسلام"، (Whither Islam)، وكتب مونجمري وات في "السيرة النبوية" (محمد في مكة Mohammad In Mecca) ومحمد في المدينة Mohammad In Madina) و"محمد كنبّي وقائد سياسي" (Mohammad, Prophet and Statesma).

### الفرع الثالث: أزمة نظام التربية والتعليم في الأقطار الإسلامية

كان لنظام التربية والتعليم نصيبا وافرا في طرح الندوي، وقد أحاطت به هو الآخر جملة من الأزمات وقف عليها الندوي.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، مصدر سابق، ص18، 19.

أولاً: مناهج التربية والتعليم الغربية المستوردة في الأقطار الإسلامية

يؤكد الندوي أن للعلوم والكتب روحاً وضميراً كالكائنات الحية، وهي سارية في باطنها وعليه فإن نظام التعليم وضميره يعد ظلاً لعقائد واضعيه ونفسياتهم، وغايتهم من العلم ودراسة الكون، ووجهة النظر إلى الحياة، ومظهر لأخلاقهم<sup>(1)</sup>. وكذلك فلأمة الإسلامية هيكل تربوي وتعليمي يتواءم مع شخصيتها ومع تصورهما للكون والحياة تتجلى فيه الأبعاد الروحية والأخلاقية، وهو لباس ينسجم مع أجوائها وبيئتها، وهو ليس بضاعة تستورد من بلد لآخر أو من أمة إلى أمة<sup>(2)</sup>. وعلى هذا يرى الندوي أن استعارة<sup>(3)</sup> منهاج من بلاد غير إسلامية أو اختيار كتب لا تحمل روح الدين وتطبيقه على الأمة من غير تمحيص وتجريد روح أصحابها والتمييز بين الصحيح والسقيم، من شأنه أن يوقع صراع مستمر بين الفكر الإسلامي وروحه وبين العقلية الجديدة التي تنشئ هذا المناخ الدخيل. فمثل هذه الحال مثل «عملية نقل الدم التي تخضع لشروط وقواعد دقيقة تتبعي مراعاتها، مخافة أن يؤدي الأمر إلى زلزلة الجسم المتلقي والفتك به، فليس كل عنصر من عناصر الدم بقابل ليحل محل الآخر، لما بين فصائله من اختلاف عضوي يرجع في الحقيقة إلى اختلاف الأبدان»<sup>(4)</sup>، أما حقيقة التعليم الغربي المستورد في نظر الندوي ما هي إلا «محاولة عميقة وخفية لإبادة العنصر الإسلامي والقضاء عليه، وانتقل مفكرو الغرب من طريقتهم الممقوتة القديمة التي كانوا

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية، دار الإرشاد، بيروت، ط1، 1388هـ، 1969م، ص26.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، أبحاث حول التعليم والتربية الإسلامية، إعداد: عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1423هـ، 2002م، ص44.

<sup>3</sup>: وللأسف فإن هذه القضية لم يعيها المسؤولون ومن بيدهم قيادة الشعوب الإسلامية، في حين نجد هذا الوعي قد أدركته الدول الاشتراكية والرأسمالية فكل منهما مناهجه الذي يخدم قوميتها وخصائصها وما يتواءم مع تاريخها وحاضرها ومستقبلها، بل وصل الأمر إلى أن يكون لكل بلد منهجه التربوي التعليمي مستقلاً عن الآخر، كفرنسا وإنجلترا اللتين كانتا حليفين في الحروب والصالح، وأمريكا وبريطانيا الذين ساد فيهما المذهب البروتستانتي وما يجمعهما من الدم والنسل. ينظر: المصدر نفسه، ص66،67.

<sup>4</sup>: مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط1، 1423هـ، 2002م، ص81.

يؤثرونها في إبادة الأجيال، والفتك بها إلى هذه الطريقة الجديدة التي قرروا صوغها في قلوبهم، فأسسوا لهذا الغرض مراكز كثيرة باسم الكليات والجامعات»<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: واقع الجامعات في الأقطار الإسلامية

أصبحت قضية الجامعات وما تعانيه من مشكلات وأزمات-فضلاً عن تردّي المستوى الخلفي، والعلمي، والإنساني- القضية الكبرى في الغرب والشرق، وأصبح للجامعات النصيب الأوفر من الاضطراب الفكري والقلق النفسي، والشعور المتزايد لكل طبقة وفرد بما له من حقوق والتهرب من الواجبات والمسؤوليات، ومن جهة أخرى استغلال الأحزاب السياسية، والحركات الثورية حماس الشباب وطموحهم، واندفاعهم لخدمة مصالحها السياسية، فتوزعت بذلك الجامعات بين معسكرين: معسكر رجال الإدارة، وأُسرة التعليم، ومعسكر التلاميذ والشباب، والحرب بينهما قائمة على قدم وساق<sup>(2)</sup>. وقد شخّص الندوي بدوره أسباب المشكلة التي تعاني منها الجامعات وقد لخصها في خمس أسباب رئيسة<sup>(3)</sup>:

أ-عدم الإيمان بقيمة ما تعطيه هذه الجامعات من ثقافة ومعلومات وصلاحية، وعدم إيمان الشباب بحاجتهم إليها، كما آمنوا بضالة الفائدة التي تحصل لهم من هذه الطريق، وبضحالة الثقافة التي تحصّلها هذه الجامعات.

ب-تشكك الشباب في إخلاص المعلمين والعاملين في هذه المراكز الثقافية، ونزاهتهم وسموهم وأنهم على مستوى فوق مستواهم في العلم، والعمل، والخلق، والاستقامة، وفي الذكاء والمواهب، وفي الاجتهاد والجهاد لأداء رسالتهم.

ج-ضعف الصلة بين الأساتذة والتلاميذ، إذا كان هنالك أساتذة وتلاميذ بالمعنى الحقيقي، فقد تحولت الجامعات إلى طبقات متنافسة، لا تتلقى إلا على الأغراض والاستغلال، وصلة المعلم بالتلميذ صلة سطحية مؤقتة لا تتجاوز الفصول والدروس.

د-عدم وجود رسالة يؤمن بها الشباب ويتحمسون لها، ويتفانون في سبيلها، ودعوة تشغلهم وتستحوذ على مشاعرهم تجعلهم بمأمن من وقوعهم فريسة لدعوات أخرى.

<sup>1</sup>: الندوي، نحو التربية الإسلامية الحرة، مصدر سابق، ص34،35.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، أبحاث حول التربية والتعليم، مصدر سابق، ص67.

<sup>3</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص69، 70.

هـ- عدم وجود العاطفة القوية الدافقة، والإيمان الملتهب، وقد عجز العلم في تاريخه عن مقاومة المغريات المادية والنزوات النفسية.

أما العوامل التي أنشأت هذه الأوضاع فيقتصرها الندوي على المادية، والتعليم اللاديني، والنظرة الخاصة إلى التعليم والعلوم والآداب، وتجريد العلم عن الإيمان والعقيدة، والخلق والسيرة، والفصل بين الدين والدنيا<sup>(1)</sup>.

ويشمل الندوي بهذا الواقع كذلك المراكز والجامعات الدينية، فيرى أن طلبتها أصيبوا «بالبلبلّة الفكرية، والقلق النفسي، وعدم إجلال للعلم والعلماء، وفقدان الثقة بهذا العلم وقيّمته، وندر الإخلاص في طلب العلم والاعتكاف عليه إيماناً واحتساباً..، وزاد الطين بلة عدم وجود حياة اجتماعية في دور الإقامة والأروقة، وعدم وجود شخصية قوية مغناطيسية تشرف على هذه الأجنحة من دور الإقامة والأروقة، تهيمن على الشباب وتعرف نفسيته وعقده معرفة دقيقة وتوجههم وتنمي الملكات وتربّيها»<sup>(2)</sup>.

### ثالثاً: آثار التعليم الغربي في العالم الإسلامي

ومن آثار التعليم الغربي أن وقع العالم بين عقليتين متنازعتين<sup>(3)</sup>، وذلك للأسباب التالية<sup>(4)</sup>:

أ- غموض والتباس في مسائل التربية والتعليم، ترتب عليها فوضى تعليمية، وتناقض وصراع بين العقائد والغايات والأهداف الإسلامية وبين نظام التعليم الذي يطبق النظريات الغربية المستوردة.

ب- صراع مستمر بين الفكر الإسلامي والروح الإسلامية من ناحية، وبين نظم التعليم الغربية من ناحية أخرى، و«يتجاوز هذا الصراع الأفراد إلى الحياة الاجتماعية للأمة

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، أبحاث حول التربية والتعليم، مصدر سابق، ص 71.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، نحو التربية الإسلامية الحرة، مصدر سابق، ص 72.

<sup>3</sup>: ويقصد الندوي بالعقليتين المتنازعتين؛ العقلية التي كونتها العقائد والحقائق التي تؤمن بها، والمبادئ والغايات والقيم التي ينميها الإسلام ويدعوا إليها، والعقلية الثانية التي نمت وترعرعت كنف النظام التعليمي الغربي ونظرياته المستوردة.

<sup>4</sup>: ينظر: الندوي، نحو التربية الإسلامية، مصدر السابق، ص 16.

ويتحول الصراع إلى حرب بين القيم والمفاهيم والتصورات والمعتقدات، والأفكار والعقائد، وبين ذلك الجيل المثقف بذلك التعليم، وتلك الثقافة»<sup>(1)</sup>.

ج- شك واضطراب وفوضى فكرية، وتناقض في الأفكار والآراء، وارتياب في الدين واستخفاف بفرائضه وواجباته، وثورة على الآداب والأخلاق، وضعف وانحطاط في السلوك «إلى حد أن عقولهم أصبحت لا تستطيع أن تسيع الإسلام الصحيح، وأصبحوا لا يندمجون في المجتمع الإسلامي أيضا ويصبحون جزءا منه»<sup>(2)</sup>.

د- انقسام النظام التعليمي إلى معسكرين: المعسكر الديني والمعسكر العلماني. والمشكل الأكبر الذي لا يزال قائما هو أن الأقطار الإسلامية «لم تفكر إلى الآن في إخضاع جهاز التربية لرسالتها السماوية»<sup>(3)</sup>، وعقائدها الثابتة وعلومها المعصومة عن الخطأ والضلال، وإزالة جميع العقبات في سبيل هذا الوئام، والتعاون بين العلم والدين»<sup>(4)</sup>، ولا تزال عالية على غيرها فاقدة الشخصية في قضية تعليمها، فهي عالية على الغرب في نظامها التعليمي والتربوي الذي أثبت إخفاقه في تكوين الأخلاق الصالحة، واحترام الإنسانية والعدل مع الأمم والشعوب الضعيفة، إضافة إلى الجذام الخلفي الذي تجلى في الشباب الجامعي في أمريكا، وأوربا، وفي الهند وفي كثير من البلاد الشرقية، مما أكد أن ليس للمناهج الغربية أهداف سامية شريفة<sup>(5)</sup>.

وعموما فقد تضمنت رؤية الندوي للأزمة العلمية، ما طرأ على الحياة العلمية من جمود وتقليد، وإهمال العلوم التجريبية، مع ما صاحب ذلك من ركود العلوم الإسلامية وتخلف الفكر وقصوره في مواكبة الحياة النامية المتطورة، إضافة إلى هذا؛ الآثار التي خلفتها

<sup>1</sup>: الندوي، دور الجامعات الإسلامية، مصدر سابق، ص 9، 10.

<sup>2</sup>: الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، مصدر سابق، ص 181، 182.

<sup>3</sup>: وفي ذلك يرى الندوي أن «الحضارة الغربية اليوم تتقدم فاتحة قدما جنوبيا، وتزعزع قيمنا ومثلنا، وتفكك عرى البلاد الإسلامية وتؤثر على المجتمع الإسلامي، وتعاني الحضارة الإسلامية الاحتضار والانهييار، وأصبح المسلمون فريسة الردة الفكرية والعقلية، في مثل هذه الساعة الحرجة يجري عندنا البحث في مسائل علم الغيب، وبشرية الرسول، وملكيته، وعلمه للغيب، وما كان للمتوقع لدى العقول أن تثار أمثال هذه المسائل في مثل هذه الوقت الحساس». ينظر:

الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 95/1.

<sup>4</sup>: الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، مصدر سابق، ص 186.

<sup>5</sup>: ينظر: الندوي، أبحاث حول التعليم والتربية، مصدر سابق، ص 82.

الحركة العلمية الاستشراقية على الحياة الإسلامية العلمية والفكرية، أما المظهر الأخير من مظاهر الأزمة فيتمثل في فقدان الأقطار الإسلامية استقلاليتها في نظامها التربوي والتعليمي، واتكائها على استيراد الأنظمة الغربية التي لا تتواءم مع هويتها ومبادئها وتصوراتها وأهدافها في الحياة، ما أدى بالوضع إلى ظهور مشكلات على المستوى النفسي والعقلي والسلوكي.



### المبحث الثالث: أزمة الحياة الدينية والاجتماعية في الأمة الإسلامية من خلال فكر الندوي

تناول المبحث أزمتين في فكر الندوي؛ الدينية والاجتماعية، فتضمن بذلك مطلبين؛ الأول في الأزمة الدينية، والثاني في الأزمة الاجتماعية.

#### المطلب الأول: أزمة الحياة الدينية في فكر الندوي

تضمن هذا المطلب الحديث عن الآثار التي خلفتها سياسة الملك العضوض، ثم الأزمة الروحية في العالم الإسلامي، وبعدها الحديث عن الثغرات ونقاط الضعف التي تخللت الحركات الإسلامية. فكان المطلب في ثلاثة فروع؛ الأول في آثار الملك العضوض على الحياة الدينية، والثاني في أسباب الأزمة الروحية وأثر طغيان الفكر المادي، أما الفرع الثالث فتناول ثغرات في الحركات الإسلامية.

#### الفرع الأول: آثار الملك العضوض على الحياة الدينية

لقد خلف انقلاب الخلافة إلى الملك العضوض مجموعة من التحولات تركت أثرا في الحياة الدينية، ويرى الندوي أن من أهمها: (1)

#### أولا: عودة النزعات الجاهلية

إن أول أثر في الحياة الإسلامية عودة النزعات الجاهلية التي قضى عليها الإسلام، وانتشار العصبية والقبلية التي نعاها النبي صلى الله عليه وسلم..، والتي نفاها الإسلام من مراكزه وحواضره، وحدث ذلك إثر نهاية الخلافة الراشدة واستحكام الدولة الأموية-التي كانت بالاختصار دولة عربية أكثر منها دولة إسلامية- فكان هذا الوضع انتقالا جديدا في تاريخ الإسلام، وفرصة انتهزتها الجاهلية التي كانت لا تزال بالمرصاد (2).

ولا شك أن من الأزمتين التي تورثها النزعة الملكية أنها «تحدد مكانة الأفراد في الأمة ومسؤولياتهم طبقا لأصولهم ومكانتهم الاجتماعية ومواقعهم على دوائر الولاء للقوم أو الإقليم أو العشيرة أو الأسرة دون اعتبار لمقاييس الفكر والقدرات الفكرية والولاءات الإسلامية إلا بمقدار ما تمليه الضرورة في تأمين الولاء لأشخاص القيادة واستقرار نفوذهم» (3).

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص122-124.

<sup>2</sup>: الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، 1/ ص61.

<sup>3</sup>: ماجد عرسان الكيلاني، الأمة المسلمة، مفهومها، مقوماتها، إخراجها، مؤسسة الريان، بيروت، ط2، 1421هـ، 2000م، ص165.

## ثانياً: الضلالات والبدع

لا نجد في هذا الأمر أمثلة يعرضها الندوي، فاكتفى بذكر ذلك على وجه العموم، يقول: « وكاد يحجب توحيد الإسلام النقي حجب من الشرك والجهل والضلالة، وطرأت على النظام الديني بدع شغلت مكاناً واسعاً من حياة المسلمين وشغلته عن الدين الصحيح، وعن الدنيا»<sup>(1)</sup>، وأما شأن هذه الضلالات والبدع أن تفقد هذا الدين خصائصه كدين سماوي بسبب ما تعمل فيه عقول الناس وتدخل أعمالهم وأهواءهم ولم يكن له على سابق الأديان التي حرفها أهلها ونسجتها أيديهم ميزة أو فضل إلا بالفقر الذي بقي ما فيه من الوحي محفوظاً، كما يفقد ضمانه لسعادة الدنيا والآخرة، ولم يكن ديناً خالصاً تخضع له العقول وينجذب إليه الناس<sup>(2)</sup>.

## ثالثاً: اضطراب العلاقة بين رجال الفكر والدين ورجال السلطة

بعد هيمنة القوة السياسية وفرض إرادتها تحقيقاً لمآربها أصبحت الفكرة الدينية غير فاعلة في الحياة وتغيرت الموازين، ومن ذلك حدثت مفاصد كبيرة أبرزها توتر العلاقة بين رجال الفقه والملوك، ولما « غلب على كثير من ولاة الأمور إرادة المال والشرف صاروا بمعزل عن حقيقة الإيمان في ولايتهم...، وكذلك لما غلب على أهل الدين العجز عن تكميل الدين والجزع لما قد يصيبهم في إقامته من البلاء، استضعف طريقتهم واستدلها من رأى أنه لا تقوم مصلحته ومصلحة غيره بها، فأصبح الدين عند هؤلاء في محل الذل الرحمة، لا في محل العلو والعز»<sup>(3)</sup>. ومن هنا نشأ سبيلين فاسدين؛ سبيل من انتسب إلى الدين ولم يكمله بما يحتاج إليه من السلطان والجهاد والمال، وسبيل من أقبل على السلطان والمال والحرب ولم يقصد بذلك إقامة الدين، وهما سبيل المغضوب عليهم والضالين<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup>: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص124.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص124،

<sup>3</sup>: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، كتاب الجهاد، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد، السعودية، ط1، 1416هـ/1995م، 28/394، 395.

<sup>4</sup>: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، كتاب الجهاد، مرجع سابق، 28/295.

أدى اضطراب العلاقة بين رجال الفكر والدين ورجال السلطة، وانفصال الدين عن السياسة إلى انقسام رجال الدين فيما بينهم إلى أصناف<sup>(1)</sup> منهم: صنف معارض للخلافة وخارج عليها، وصنف حائد منعزل اشتغل بخاصة نفسه وأغمض العين عما يقع ويجري حوله، يأنس من الإصلاح، وصنف منتقد يتلهف ويتنفس الصعداء مما يرى ولا يملك من الأمر شيء، وصنف متعاون مع الحكومة لمصلحة دينية أو شخصية<sup>(2)</sup>، ولكل مانوى. و«حينئذ انفصل الدين والسياسة»<sup>(3)</sup>، وعادا كما كانا قبل عهد الخلافة الراشدة، أصبح الدين مقصوص الجناح مكتوف الأيدي، وأصبحت السياسة مطلقة اليد حرة التصرف نافذة الكلمة صاحبة الأمر والنهي، ومن ثم أصبح رجال العلم والدين طبقة متميزة، ورجال الدنيا طبقة متميزة، والشقة بينهما شاسعة، وفي بعض الأحيان بينهما عداً وتنافس<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص122.

<sup>2</sup>: ولعل الندوي قصد هنا ما وظفه الفقهاء في السياسة الشرعية، حينما يتسوا من إقامة الشرعية السياسية على مبادئ الدين، فسوغوا ولاية المستبد المغتصب، فلم يكن عمل الفقهاء هنا كما يقول مالك بن نبي: «سوى محاولة للتوفيق بين واقع الأمر المتخلف عن (صفيين) وبين ما جاء به الإسلام، ولقد جهدت مدارس الفقه لتحقيق هذا التوفيق، ووقف الأئمة في وجه الحكم الملكي -غير الإسلامي- المتعصب المستبد. حتى إننا نرى أن الحضارة الإسلامية آنذاك لم تنشأ عن مبادئ الإسلام، بل هذه المبادئ هي التي توافقت مع سلطة زمنية قاهرة». ينظر: مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص62.

إن حقيقة الأزمة التي لا تزال قائمة لا تكمن فيما قدمه فقهاؤنا من فقه أو تبريرات سايروا بها الواقع السياسي وبعض الانحرافات المترتبة عن ذلك، فلا شك أن ذلك كان اجتهادا عن حسن نية حفاظا منهم على كيان الأمة من الفرقة والتشتت ولو تحت سقف الاستبداد السياسي، وإنما تكمن أزمتنا في اعتمادنا على اجتهادهم الذي أضفينا عليه صبغة "الصحة مع الصلاحية"، "فحتى لو افترضنا أن ما طرحه فقهاؤنا من تنظير سياسي كان صحيحا في عصره، فهو لم يعد صالحا في عصرنا؛ لأن صلاحيته انتهت، ثم إننا بموقفنا هذا نكون قد أفقدنا الوحي سمته المطلقة والقدرة على تجاوز حركة الزمان والمكان، وقيدناه بحقب زمنية تختلف عن زماننا اختلافا كبيرا إن لم يكن جذريا.. ينظر: محمد المختار الشنقيطي، الازمة الدستورية في الحضارة الإسلامية، من الفتنة الكبرى إلى الربيع العربي، منتدى العلاقات العربية والدولية، قطر، ط1، 2018م، ص75.

<sup>3</sup>: لابن تيمية كلاما في هذا الوضع وأسبابه يقول فيه: «.. ولم يكن معهم من العلم كافيا في السياسة العادلة: احتاجوا حينئذ إلى وضع ولاية المظالم وجعلوا ولاية حرب غير ولاية شرع وتعاضم الأمر في كثير من أمصار المسلمين حتى صار يقال: الشرع والسياسة وهذا يدعو خصمه إلى الشرع وهذا يدعو إلى السياسة سوغ حاكما أن يحكم بالشرع والآخر بالسياسة. والسبب في ذلك أن الذين انتسبوا إلى الشرع قصرُوا في معرفة السنة فصارت أمور كثيرة إذا حكموا ضيعوا الحقوق وعطلوا الحدود حتى تسفك الدماء وتؤخذ الأموال وتستباح المحرمات؟ والذين انتسبوا إلى السياسة صاروا يسوسون بنوع من الرأي من غير اعتصام بالكتاب والسنة». ابن تيمية، الفتاوى، مرجع سابق، ج20، ص392، 393.

<sup>4</sup>: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص122.

#### رابعاً: تراجع منزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يرى الندوي أن رقابة الدين والأخلاق والحسبة زالتا، ففقدت حركة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سلطانها، لأنها لا تسند إلى قوة، ولا تحميها حكومة، إنما يقوم بها متطوعون لا قوة لديهم ولا عقاب، والدواعي إلى خلافها متوافرة قوية<sup>(1)</sup>، وبما أن حركة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي أساس تقييم أفعال العباد وسلوكاتهم -سواء حكاما أو محكومين- وتقويمها على ميزان الشرع ومتطلبات الدين، وهي التي تضمن سير الأمة القويم وتحفظه من الانحراف، فإن غياب هذا الدور الفعال من شأنه أن يبعث على الفوضى الخلقية، وتمزق الروابط الاجتماعية التي تشد أعضاء المجتمع بعضه إلى بعض.

وعلى كل فجملة ما حصل يلخصه الندوي في قوله: «أسس ملوك المسلمين بعد الخلافة الراشدة دولهم على مبدأ الجباية والسياسة، وأهملوا الدعوة إلى الله وإلى دار السلام وعطلوا الحدود وأبطلوا الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، ولم تعد مراكز الإسلام مدرسة الدين ومرآة لمدينته، بل أصبحت تغرس الشك والنفاق في قلوب الوافدين وتزعزع عقيدتهم وثقتهم بالدين وأهله، وأصبح القاصدون من مختلف أنحاء العالم الإسلامي يكتسبون منها استخفافا بشعائر الإسلام ورقة في الدين ووهنا في العمل وسوء ظن بمتلى الإسلام، ورجعوا يحتجون بالأوضاع الفاسدة في مراكز الإسلام وبالفوضى الدينية، فكانت داهية عظيمة على رجال الإصلاح والدعوة في الأقطار الإسلامية وفتنة كبيرة»<sup>(2)</sup>.

#### الفرع الثاني: أسباب الأزمة الروحية في العالم الإسلامي وأثر طغيان الفكر المادي

كان للأزمة الروحية مجموعة أسباب في نظر الندوي منها:

##### أولاً: أزمة التصوف في الحياة الإسلامية

يولي الندوي التصوف مكانة بالغة الأهمية في مشروعه النهضوي، ويرى أن الأسباب التي أدت إلى تدهور الجانب الروحي ضياع التصوف في حياة الأمة، مما وُلد فراغا روحيا كبيرا.

<sup>1</sup>: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر ساب، ص123.

<sup>2</sup>: الندوي، بين الجباية والهداية، مكتبة الإسلام، الهند، (د، ط)، (د، ت)، ص15، 16.

وأبرز ما قدمه الندوي في هذا الموضوع كتابه المشهور "ريانية لا رهبانية" وقد كان من دوافع الكتابة فيه أن غاب هذا العلم دراسة وممارسة وأصبح ثغرة في حياتنا وأخلاقنا، فلذلك رأى ضرورة ملء هذا الفراغ، وإلى جنب هذا الدافع سعى للدفاع عن جماعة اشتدت حولها الخصومة في هذا العصر، وسبب ذلك أن معظم من يخوض فيها ويتحمس لنقدها لا يعرفها معرفة شخصية عميقة ولا يتعب نفسه في دراستها<sup>(1)</sup>.

### أ-أحوال الناس ومواقفهم من التصوف<sup>(2)</sup>

#### 1-الدجالون والمحترفون

جنى على هذه الحقيقة دجالون ومحترفون، وباطنيون وملحدون اتخذوها وسيلة لتحريف الدين، وإضلال المسلمين، وإفساد المجتمع، ونشر الإباحية، وتزعموا هذا الفن، وحملوا لواءه.

ومما أحدثه نشاط المحترفين بالتصوف والناقصون في نشر شطحاتهم وإلهاماتهم أن «قويت رغبة العامة والدهماء في الأمور الغريبة، والخوارق العجيبة، والأخبار الغيبية، وكثر المتطفلون والأدعياء وهياؤوا العقول والنفوس لكل أمر غريب، وشيء جديد، ولكل دعوة طريفة وحديث خرافة»<sup>(3)</sup>.

#### 2-المتصوفة غير المحققين

وطائفة أخرى من غير المحققين لم يعرفوا روح هذه الشعبة وغايتها، ولم يميزوا بين الغاية والوسائل فخلطوا بينها، وضيعوا الغاية، وأدخلوا ما ليس من هذا الفن في صميمه، وعدّوه من الكمالات..، ويرجع الندوي سبب ذلك نقص هذه الطائفة في العلم والتفكير، أو الخطأ في العمل والتطبيق.

#### 3-طائفة زاهدة فيه

وزهد فيه أهل الغيرة الدينية والمحافظون على الشريعة الإسلامية ونفروا منه، بل وقد تتجاوز هذا الزهد إلى التهجم على هذا الركن البريء، ومن الأسباب التي يرجعها الندوي في هذا التهجم جنائية المصطلحات والأسماء الشائعة بين الناس على الحقائق ومن ذلك

<sup>1</sup>:ينظر: الندوي، ريانية لا رهبانية، دار القلم دمشق، ط1، 1421هـ، 2000م، ص10.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، ص20-29.

<sup>3</sup>: الندوي، القادياني والقاديانية، دراسة وتحليل، الدار السعودية للنشر، جدة، ط3، 1387هـ، 1967م، ص20.

يرى أن كلمة التصوف قد جنت الكثير على هذا الريانية البريئة، وقد اقترنت مع هذه الكلمة -"التصوف"- معان ومدلولات خاصة، وملابسات وتجارب، وعلى إثر ذكر الطائفة الزاهدة في التصوف يحمل الندوي المتحمسين في نقد هؤلاء الدعاة والمنكرين عليهم مسؤولية تصدر القيام بهذا الركن العظيم وسدّ هذا الفراغ الذي سده هؤلاء المنكر عليهم. مع تمثيله التمثيل الصحيح.

ومن أبرز الشخصيات الدينية والفكرية التي توجهت إلى إصدار بعض الأحكام على التصوف أبو الأعلى المودودي<sup>(1)</sup>، ما أدى بالندوي إلى رد هذه الأحكام وتقنيدها بضرب أمثلة ونماذج من المتصوفة حملت صورة مشرقة<sup>(2)</sup> تثبت عكس هذه الأحكام<sup>(3)</sup>.

ويرجع الندوي أيضا ضياع هذا العلم الجليل من حياة الأمة إلى تغافل الخلفاء الذين اقتصرُوا على الجباية والفتوح، وأخذوا البيعة لأنفسهم وأولادهم، فضيعت روح الخلافة وأمانة النبوة، وأصبحت ملكا وسياسة، وإدارة وجباية، أما العلماء فقد عجزوا عن ذلك فاشتغلوا بالفتوى والوعظ، والتدريس والعلم والتأليف، ولم يخضع لهم العامة لأنهم لا يرون فيهم الإخلاص والزهد وأثر الخلافة النبوية<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup>: وقد نسب إلى هذه الجماعة «البطالة، والاستسلام، والفرار عن معترك الحياة...، والانسحاب عن ميدان الكفاح والنضال، والتراجع عن معركة الحق والباطل، بل التفاهم مع القوى الباطلة وممالاتها، فضلا عن الاستسلام والخضوع لها، وكلاهما يستلزم أحدهما الآخر، لا يفترقان أبدا» و كذلك في قوله: «هل هناك دليل واقعي في الكتابات الصوفية على أن هؤلاء الشيوخ -الذين تنمى إليهم هذه المناهج الصوفية- كانوا يضعون في اعتبارهم "إقامة الدين" بأوسع معانيها، وهل هناك دليل على أنهم اتخذوا هذه المناهج من أجل تخريج الرجال لهذا الغرض، وهل قام الرجال المتخرجون فيها -ولو مرة- بهذا العمل؟ ولئن قاموا فهل أسعفتهم هذه المناهج في هذا العمل»، التفسير السياسي للإسلام في مرآة كتابات الأستاذ أبي الأعلى المودودي، والشهيد سيد قطب، دار آفاق الغد، (د، ط) (د، ت)، ص112، 113.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي التفسير السياسي، مصدر سابق، ص113-131.

<sup>3</sup>: والمودودي قصد بهذه الأحكام التصوف المنحرف الذي لا يتقيد بالشريعة وتعاليمها. وقد تبين ذلك من قوله: «..ولكن ما يدمي القلب ويبيكي العين، أنه لما أصيبت العلوم والأخلاق بالزوال والانحطاط في الأزمان الأخيرة، وحدث بزوالها ما حدث من المفاسد والسيئات، فذرت عين التصوف الصافية أيضا، وتعلم المسلمون كثيرا من الفلسفات غير الإسلامية من الأمم الضالّة، وادخلوها في الإسلام باسم التصوف، وأطلقوا اسم التصوف على كثير من العقائد والطرق الأجنبية التي لا أصل لها في الكتاب والسنة ثم تدرج هؤلاء الناس في تحرير أنفسهم عن قيود الإسلام». أبو الأعلى المودودي، مبادئ الإسلام، ترجمة: محمد عاصم الحداد، مكتبة الشباب المسلم، دمشق، ط3، 1381هـ، 1961م، ص116. والندوي يرى أن هذه الأحكام تتمثل في الشواذ من المسلمين والخائنين -الذين مالوا بعض الحكومات الأجنبية وخدموها- الذين لا يحكم بهم على القوم. ينظر: الندوي، ربانية لا رهبانية، مصدر سابق، ص111.

<sup>4</sup>: المصدر نفسه، ص39، 40.

ومن نتائج ذلك أن ضعف «الشعور في العامة وحتى في كثير من الخاصة والمتعلمين...، وأصبحوا أحرارا في تصرفاتهم، جامحين عاتين في شهواتهم، هملا وقطعانا لا يضبطهم راع وضعت في كثيرهم الرغبة في الطاعات وبلوغ درجة الإحسان، والحصول على نور اليقين وبشاشة الإيمان، وتفاصرت الهمم، وخدمت النفوس وأقبل الناس -إلا من عصم ربك- على اللذات والشهوات بنهامة وشره»<sup>(1)</sup>.

والمتطلع على كتابات الندوي باللغة الأردية يجد حبه وشغفه بالأولياء والمربين والمشايخ الصوفيين أصحاب الطرق الصوفية خاصة عند ترجمته لهم ويتبين ذلك في الكثير مما ذكره من كرامات الأحياء منهم الذين لازمهم والأموات الذين سمع من أخبارهم وما نقله من كلام أساتذته ومشايخه، وتناؤه على الطرق الصوفية يدرك أن الندوي ينطلق من نزعة صوفية في دفاعه عن عنها وهذا ما برز خاصة في كتبه باللغة الأردية<sup>(2)</sup>.

وما يجب أن ينبه عليه أن ميل الندوي للصوفية وكونه من أتباعها ودفاعه عليها وحتى التغاضي عن أخطائها وعن بعض انحرافاتهما أنه ولد في أسرة ورثت التصوف - أو التزكية كما يحب أن يسميه- أبا عن جدّ، كما أنه كان محاطا ببيئة كلها تصوف سواء من أساتذته ومشايخه أو أصدقائه وتلاميذه، والهند ككل بلد معروف بهذه النزعة الصوفية على نوعيها الغالية المنحرفة والوسطية المعتدلة، وما يجب أن نؤاخذ عليه الندوي أنه لم ينبه القارئ على أخطاء التجربة الصوفية بشيء من التفصيل وعلى أخطائه في كذلك، أما كونه من الصوفية أو من أتباع طرقها فهذا لا لوم عليه لأن ما يراه وما يتذوقه في سلوكه يجعله ثابتا عليها، بل ويرى أنها طريق النجاة، وعلى العموم أن شخص الندوي قد شهد له العامة والخاصة من العلماء الربانيين الذين ظهرت عليهم صبغة الزهد والإخلاص في القول والعمل ولم يثبت في شخصه الانحراف والغلو. بل ويرى أن التصوف هو الحل الوحيد للأزمة الروحية في الأقطار الإسلامية.

<sup>1</sup>: الندوي، ربانية لا رهبانية، مصدر سابق، ص39، 40.

<sup>2</sup>: ينظر الباب الثالث من كتاب صلاح الدين مقبول أحمد، الأستاذ أبو الحسن الندوي الوجه الآخر من كتاباته، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1422هـ، 2001م 381-511.

### ثانياً: أسباب أخرى للأزمة الروحية في الأقطار الإسلامية

يضيف الندوي للأزمة الروحية -إضافة إلى أزمة التصوف- جملة من أسباب أخرى تجلت في<sup>(1)</sup>:

أ- ضعف سلطان الدعوة إلى الله، والربانية وتزكية النفوس، وندرة الدعاة إلى الله وتجديد الصلة بالله وإصلاح الباطن.

ب- تأثير نفوذ الحضارة الغربية بسبب القرب من مركزها أو بفعل عوامل أخرى..، فأصبحت الشعوب والدهماء فريسة المادية، والأمراض الاجتماعية والخلقية، والطبقة المثقفة -الثقافة الدينية أو المدنية- فريسة الحرص على الجاه والمنصب والأمراض الباطنية من حسد وشح ورياء وكبر وأنانية وحب الظهور، ونفاق ومداهنة، وخضوع للمادة والقوة.

ج- سيادة الأغراض على الحركات الاجتماعية والسياسية وعدم تربية النفس تربية صالحة، إضافة إلى الخلاف والشقاق، وقلة الشعور بالمسؤولية، والتفكير الزائد في المادة وزيادة الرواتب.

د- ضعف سلطان العلماء مع اهتمامهم الزائد بالمظاهر وخوفهم الزائد من الفقر وسخط الخاصة والعامة، واعتيادهم الزائد للحياة الرخية الناعمة.

وقد أدت هذه الأسباب إلى أزمة عالمية إنسانية تمثلت في فقدان القدوة الصالحة على مستوى الشعوب والأمم، فقد أصبحت الأمم قطعاناً من الغنم لا راعي لها، وهو الفراغ الموجود على مستوى العالم الإسلامي بأكمله.

### ثالثاً: أثر طغيان الفكر المادي على الحياة الإسلامية

من الآثار التي خلفها الفكر المادي على النفوس أن سرى الشك وسوء الظن في الأوساط الدينية والبيوت العريقة في الدين والعلم بتأثير التعاليم الإفرنجية، وضعفت الثقة بالله وبصفاته وبمواعيده، وتسبب الخوف من المستقبل في الزهد عن الدين وتعلم علومه والانصراف إلى تعلم العلوم المعاشية واللغات الإفرنجية<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، ربانية لا رهبانية، مصدر سابق، ص 23، 24.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص 211.



ومن أخطر عواقب طغيان المادة على حساب الروح أن يفقد المسلم الحاسة الدينية<sup>(1)</sup> فيصبح كما يقول الندوي: «جاحدا للغيب ومكابرا فيما هو وراء الطبيعة، ومعاندا في المعاني الدينية، وقاسيا على الرقائق والقوارع التي تهز النفوس، وترفق القلوب، وتذرف العيون»<sup>(2)</sup>. ومن مصداقيات هذا التحول الذي طرأ على شخصية المسلم أن صارت أسئلة غاية الوجود ومصيره وحقائق الآخرة قد «فقدت سلطانها على القلوب والأفكار..، وأصبحت هذه الاستفسارات لا تحيك في صدر الإنسان، ولا تشغله كما كانت تشغل آباءه، وتحيك في صدورهم»<sup>(3)</sup>.

ومن مظاهر هذا التحول أن استبدلت الأسئلة الجوهرية المصيرية بأسئلة مادية أهم في أعين أبناء القرن التاسع عشر والعشرين، فصرف النظر عن الأولى، ولم تشغل الحياة الآخرة مصيره وباله، وأصبح لا تعنيه هذه المباحث التي تحدد مصيره..، ولا يزال يزداد هذا الضرب من الناس في كل أمة وبلاد بتأثير الحضارة الغربية<sup>(4)</sup>.

فأدى هذا الوضع إلى اختلال توازن العلاقة بين الروح والمادة مما شكّل أكبر معيقات أمام الدعوة إلى الله، وأصبحت النظرة المادية طاغية على كل التصوّرات والسلوكيات ما أنتج هو الآخر مشاكل اجتماعية ونفسية وخلقية، وأبسط ما خلفه هذا الوضع تراجع فاعلية الإيمان في الحياة<sup>(5)</sup> وأصبحت المادة هي محرك العلاقات الاجتماعية، وتبنى عليها جميع التعاملات.

<sup>1</sup>: ويعتبر الندوي أن زوال الحاسة الدينية وانحصار تصوّر الإنسان في المرثيات والمحسوسات فقط من أكبر العقبات التي واجهتها دعوة الأنبياء، والدعاة الدينيين، فأصبحت النفوس والقلوب في حجب عن تعاليم النبوة ووحى السماء ﴿ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا نَقُولُ ﴾ [هود: 91]، ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكْتَمَةٍ مِّمَّا نَدْعُونَ بِآيِهِ وَفِيْءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا مِنْهُمْ عِزْلُونَ ﴾ [سورة فصلت: 5]. ينظر: الندوي، مقالات إسلامية، مصدر سابق، ص 287.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، 287/1.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، 288/1.

<sup>4</sup>: ينظر: المصدر نفسه، 288/1، 289.

<sup>5</sup>: وليس هذا بمعنى أن المسلم قد تخلى فقدد الإيمان كله بل لا يزال مؤمنا مدينا بهذا الدين، إلا أن «عقيدته تجردت من فاعليتها، لأنها فقدت إشعاعها الاجتماعي فأصبحت جذبية فردية، وصار الإيمان إيمان فرد متحلل من صلاته بوسطه الاجتماعي». مالك بن نبي، وجهة العالم، مرجع سابق، ص 54.

### الفرع الثالث: ثغرات في الحركات الإسلامية

تناول الندوي مجموعة من التيارات الإسلامية بالنقد لما يراه من الواجب العلمي وأداء للأمانة، وإقامة الشهادة لله، وقد اختلف هذا النقد حسب مقاصد كل جماعة وأهدافها، فكان منها الجماعة المنحرفة الضالة التي تسعى لهدم أسس الإسلام، ومنها الصادقة النية المخلصة.

#### أولاً: الحركات الضالة (المدعية الانتساب إلى الإسلام)

##### القاديانية وفتنة استمرار النبوة

سبق ظهور القاديانية حركات عديدة، من بينها حركة "ذكري" التي كان مؤسسها "ملاً أحمد"، و"الروشنائية" التي أسسها "بايزيد الانصاري" وكان يقال له: "بير روشان"، و"المهدوية" التي أنشأها "محمد بن يوسف الجونبوري"، وكلا هذه الحركات دارت أفكارها الضالة إما حول استمرار النبوة وادعائها، أو حول ادعاء المهدوية<sup>(1)</sup>.

تعدّ القاديانية من أبرز الحركات الهدامة في القرن التاسع عشر، ظهرت في البنجاب بالهند<sup>(2)</sup>، مؤسسها "ميرزا غلام أحمد القادياني"، وقد اشتهرت هذه الحركة بفعل الاستعمار البريطاني وتشجيعاً منه لها، ومما ساعدها على الظهور والانتشار وجود جوّ سادته الاضطراب الفكري، والإلحاد والتردد في العقائد، والثورات على التعاليم الإسلامية، إضافة إلى المنازعات بين الفرق الإسلامية، والصراع بين الديانة المسيحية والإسلامية، وقد صاحب هذا الوضع وطأة الاستعمار الثقافي والسياسي الإنجليزي، فكانت هذه الأوضاع مهينة لكل دعوة فكرية جديدة متطرفة<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>: الندوي، مقالات إسلامية، مصدر سابق، 418/1-423.

<sup>2</sup>: وانتشرت في باكستان بعد تقسيم الهند وكادت تستولي عليها ببلوغ أتباعها أماكن حساسة في الحكومة، ويؤكد الندوي على أن العلماء أطبقوا على تضليل القاديانيين وتكفيرهم وأصبح ذلك كلمة إجماع لم يشذ منها إلا شاذ، وأفتوا وأقوا في ذلك مؤلفات كثيرة، وأصدرت مراكز الفتوى فتاوى صريحة بكفرهم وارتدادهم عن دين الإسلام.. فزعت الجماعة الإسلامية بقيادة المودودي، مع كثير من الأحزاب والشخصيات الدينية، وطلبوا من الحكومة أن تجعل القاديانيين أقلية غير مسلمة لها حقوقها وبعض الفرص من الحكومة، مما أضعف القاديانية وأقصاها عن الحياة العامة والمجتمع الإسلامي. الندوي، القادياني والقاديانية، مصدر سابق، ص 10، 11.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، ص 20، 21.

وقد جند الكثير من العلماء أقلامهم في الرد على هذه الخطر العظيم الذي يعد ثورة دينية جديدة منافسة للإسلام، والندوي كغيره من هؤلاء قد أدرك خطر هذه الحركة على الدين وأثرها على شتات الفكر، وقد انتشرت في باكستان بعد تقسيم الهند كما ظهرت في العراق وسوريا واندونيسيا، فقام بتحصيل المكتبة القاديانية بجميع كتبها باللغة الأردية وبعض كتابات أتباعها بالعربية، مما ساعده على تأليف كتابه "القادياني والقاديانية - دراسة وتحليل" - .

ويرفض الندوي أن ننظر إلى القاديانية كعقيدة شاذة من عقائد المسلمين، ونعاملها كطائفة إسلامية، بل يرى أنها كانت دين - أو شبه ديانة مستقلة - سعت لمزاحمة الإسلام الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادت أن تحل محله في العقيدة والفكر والطاعة والعاطفة، وتكسب نصيباً من الحب والاحترام والتقدير<sup>(1)</sup>.

قامت دعوى القاديانية على نفي ختم النبوة وإثبات استمرارها الأمة، فأثبت القادياني استمرار النبوة لينتبه لنفسه النبوة ويجعلها خاتمتها به، وقد أقام حجته في ذلك أن قوة محمد صلى الله عليه وسلم الروحية تستطيع أن تخلق الأنبياء، إلا أنه يقتصر بهذه الدعوى على نفسه فقط<sup>(2)</sup>، وليبرر أكثر لنبوءته ويجد لها مخرجاً دينياً ادعى أنه المسيح الموعود ونصب نفسه نبياً مرسلًا سنة 1891م<sup>(3)</sup>، ركز فكره وكرس علمه وقلمه<sup>(4)</sup> على موضوع واحد وعلى قضية واحدة وهي "رفع المسيح ونزوله"<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup>: الندوي، القادياني والقاديانية، مصدر سابق، ص 119، 120.

<sup>2</sup>: وجملته هذه دعاوى والإلهامات مبنوثة في كتابه "براهين أحمديّة"، ينظر: الندوي القادياني والقاديانية، مصدر سابق، ص 43-47.

<sup>3</sup>: الندوي، مقالات إسلامية، مصدر سابق، 351/1.

<sup>4</sup>: ويعترف الندوي لأحمد القادياني بسيلان القلم وطول النفس في الكتابة والمناقشة التي أبداها في كتابه "براهين أحمديّة، ومما يخوله كما يعتقد الندوي أن يكون مناظراً قوي العارضة أكثر إزاء المسيحيين، والآريين ويكون باحثاً جدلياً ويرفعه إلى صف المناظرين البارعين في الهند. وهذا ما عزز ثقته بنفسه وإعجابه بشخصيته وكانت هذا الحال نقطة تحول في شخصه حتى أدى به الوضع إلى دعوة المسلمين إلى مناظرته وتحديدهم. ينظر: الندوي، القادياني والقاديانية، مصدر سابق، ص 42، 43، 49. وينظر كذلك ما تحدث به عن دور الجماعة الأحمديّة (القاديانية) في مضمار التأليف والدعوة وخاصة بالانجليزية، وعلى رأسها نشاط محمد علي اللاهوري أحد رؤساء الجماعة القاديانية المنشق عنها في لاهور بباكستان. الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، مصدر سابق، ص 36.

<sup>5</sup>: الندوي، القادياني والقاديانية، ص 165.

أما عقيدة القاديانية<sup>(1)</sup> فقامت على الاستهانة بمقام الذات العلية بأقبح الصفات، وإضافة إلى هذا الادعاء الخطير الذي يتزعم مكانة النبي الموحى إليه، فإنه تفضي على نفسه القداسة التي تفوق مكانة الأنبياء والمرسلين<sup>(2)</sup>، مع ما صاحب ذلك من النيل من أصحاب رسول الله الأخيار والحط من منزلتهم، وتكفير عامة المسلمين الذين كفروا بنبوءتها، وإجراء الأحكام المغالية في حقهم.

أما العوامل التي ساعدت القاديانية على نفوذها هي دعم الاستعمار الإنجليزي، ولذلك أقر القادياني بولائه مع عائلته وقومه للمستعمر، وهذا مما حمله على تعطيل الجهاد ضدها، وحمل الناس على طاعتها وترسيخ الولاء للمستعمر<sup>(3)</sup>، فكانت القاديانية غرس بريطانيا وصنيع الانجليز وهي أخطر المؤامرات التي أنجزتها اليهودية العالمية داخل الأوساط الدينية، وهي أصعب الفتن التي تواجه الدعوة الإسلامية.

### ثانياً: الحركات الإسلامية

تعد الحركات الإسلامية ثروة كبيرة في ميدان الإصلاح ومحاولة العودة بالأمة إلى مكانتها كأمة قرآنية تحمل صفة الوسطية والشهادة، وقد أسهمت بشكل مباشر أو غير مباشر في مواجهة الغزو الغربي وأهدافه والتقليل من خطورته، كما أسهمت في الصحو الإسلامية، إلا أن فقدانها خاصية التكامل في مشروعها الإصلاحية على المستوى المطلوب شكّل عقبات في طريق تحقيقها لأهدافها، و على هذا نجد الندوي في هذا الصدد قد وجه جملة من الانتقادات لما رآه من ثغرات في حركتها، رغم ما يعترف به من فضل لها.

**أ- جماعة الدعوة والتبليغ:** سبق الذكر أن مؤسس هذه الجماعة -محمد الياس الكاندهلوي- كان نقطة تحول في حياة الندوي، إلا أن ذلك لا ينفي توجيهه النقد لها، وإبداء ما تحويه من ثغرات في مبادئها، وعلى فهو يرى أنها تفتقد إلى الإلمام بنفسية الشباب المثقف الجدد، ومراعاة فهمهم وتقديرهم، ومراعاة أساليب تفكيرهم، وأن نطاق

<sup>1</sup>: احساني ظهير، القاديانية، دراسات وتحليل، إدارة ترجمان السنة، باكستان، ط16، 1404هـ، 1983م، ص34-94، 123.

<sup>2</sup>: الندوي، القادياني والقاديانية، مصدر سابق، ص75-79.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 350/1، 351.

العمل لديها محدود يفتقد إلى الشمولية، كما يغفل أصحابها تثقيف العقول وتهيئة الشباب والجيل والتأثير في المتعلمين المثقفين وفي القادة<sup>(1)</sup>، كما لفت أنظار مسؤوليها إلى هذه الناحية في حكمة وتواضع، وذكرهم أن عمل الدعوة الإسلامية يحتاج إلى اجتهاد في الفكر<sup>(2)</sup>، وأنيبني الداعية أحسن أسلوب وأفضل منهج وفق كل ضرورة متجددة، وحسب كل مجتمع جديد، ولكنه لم يرى منهم استجابة له، ومع ذلك فقد ظل متعاوناً لهم، ولم يتظاهر لهم بخلاف أو شقاق<sup>(3)</sup>.

**ب- الإخوان المسلمون:** يرى الندوي أن من أهم سلبياتها طغيان الجانب السياسي العملي على رجال هذه الدعوة في جهة ومحاربة القوات المتجهة إلى "العلمانية" و"الاشتراكية" لها في جهة أخرى، وقد حرمت العالم العربي والعالم الإسلامي ثمرات هذه الحركة الواسعة القوية التي كانت أقوى انتفاضة دينية وثورة إسلامية في العصر الحاضر<sup>(4)</sup>.

ويؤكد الندوي على أن اتخاذ الجماعة السعي إلى السلطة من أهم مبادئها كان مما تأسف عليه الحسن البنا ذاته في أواخر حياته، كما تألم على اضطراره للدخول في المجال السياسي قبل أوانه، وتمنى بعد هذا أن يعود إلى العمل الدعوي التربوي الخالص، ويجد فرصة كافية لإعداد الجماعة، وتربية المسلمين..، ومن آثار تورطها في السياسة العملية أن ارتكب أعداؤها جريمة قتل الحسن البنا، وبذلك حرم الشرق العربي من الانتفاع بصحة دينية إصلاحية شاملة وانتفاضة إسلامية<sup>(5)</sup>.

وفيما قدمه الندوي من وجهات نظر في الجماعة فإنه يجعل السعي في الدعوة إلى الله والالتزام بالتربية والأخلاق الأمر الأساس لكل حركة، أما الحكومة والسلطة فإنما هي ثمرة الدعوة، والخطر الذي يراه الندوي من وراء حب الحركات الإسلامية للحكومة والسعي لها

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، نصائح وتوجيهات، مصدر سابق، ص 54.

<sup>2</sup>: تعتمد جماعة التبليغ على تحريك الإيمان في الأمة والدعوة إلى الأخلاق، وأبرز نقاط ضعفها غياب إدراكها حقيقة المخاطر التي تحوم حول الشباب، كما يغيب عندها القدر الكافي -على الأقل- من العلم للقيام بدعوة تشمل شتى المستويات.

<sup>3</sup>: ينظر: محمد أكرم الندوي، أبو الحسن الندوي العالم المرابي والداعية الحكيم، دار القلم، دمشق، ط1، 1428هـ، 2006م، ص 684.

<sup>4</sup>: ينظر: الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، مصدر سابق، ص 138، 139.

<sup>5</sup>: ينظر: الندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 234/1، 235.

أن تقعد عن الجهاد في سبيل الدعوة، أو تتحرف وتزيغ عن قصد، لأن أساليب الوصول إلى الحكومة تخالف أساليب الدعوة<sup>(1)</sup>.

إلا أن تركيز الندوي على أن الحكومة ثمرة من ثمار الدعوة ونتيجة من نتائجها كسنة جارية فاعلة لا يمكن التسليم به، فليس ذلك وعد مقطوع، ولا حادث على كل أطوار التاريخ. ومع ذلك نتوافق مع رأي الندوي في تقديمه أولوية الدعوة والتربية والأخلاق على السعي إلى الحكومة والسلطة، لأن فقدان الحلقة الأولى لا شك أنه يبقي ثغرات كبيرة تعيق حركة الجماعة وتأتي بنتائج معكوسة أغلب الأحيان.

### ج- الجماعة الإسلامية

تعد الجماعة الإسلامية من أكبر الجماعات الإسلامية في باكستان، وقد كان الندوي عضواً ممثلاً لها في الهند، واستقال بعد ذلك عنها لعدم موافقته لبعض أفكارها، وقد توجه الندوي بعد ذلك إلى توجيه النقد لبعض الأفكار التي دونها مؤسسها أبو الأعلى المودودي<sup>(2)</sup>، والتي خشي أن تنشئ طبقة من الشباب المنقف - وقد بدت طلائع ذلك في حديثهم وكتاباتهم - تعتمد على أفكاره ولا تتعداها إلى شاملة الفكر الإسلامي، ومن ذلك تندرج تحت منهج يختلف عن المنهج الإسلامي الأول في الروح والدوافع النفسية والعقلية، وتكون بذلك تنظيم جماعي يسعى للحصول على الحكم والسلطان، وقد يكون هذا تحولاً خطيراً لا رجعة بعده إلى الأصل وعلى هذا رأى الندوي من الأمانة والحب توجيه النصح والتحذير<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 32/1.

<sup>2</sup>: لقد تفاعل الندوي إيجابياً مع هذا التحدي فبين المحاذير بكل صراحة رغم ما بينه وبين مؤسس الجماعة الإسلامية وقيادتها من المحبة والتقدير، ورغم ما قد تثيره من ردات فعل، من طرف أعضاء وأتباع المودودي، إلا أن الغيرة الدينية، وتقديم أولوية مصلحة الدين عن الأشخاص، أبت إلا القيام بهذا الواجب الديني وبيان الحق كما يراه ويعتقده، والحق أن الندوي يعد من أوائل من فتح باب النقد للإسلام السياسي، وتبعه فيما بعد آخرون، ولعل الحاجة لا تزال ماسة لتعميق هذا البحث في ظل التجاذبات الفكرية المعاصرة بشأن "الإسلام السياسي"، أو حتى الحركات الجهادية بدءاً بـ: "التكفير والهجرة"، وانتهاء بدعوى "إقامة الدولة الإسلامية" في العراق والشام "داعش". الأشراف جمال، أبو الحسن الندوي وبناء علم الكلام الجديد، رسالة دكتوراه في العلوم الإسلامية، تخصص عقيدة، إشراف الدكتور: عبد المالك بن عباس، قسم العقيدة ومقارنة الأديان، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1440هـ/2019م، ص260.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي، التفسير السياسي للإسلام، مصدر سابق، ص18، 20.

وجملة الأفكار التي انتقد الندوي فيها المودودي<sup>(1)</sup> هي:

- 1- غياب حقيقة المصطلحات الأربعة الإله والرّب والدين والعبادة بعد انتهاء عهد النبوة.
  - 2- التصوير القائم للعالم الإسلامي والتاريخ الإسلامي. مما يشكك الشباب المسلم المثقف في خلود الرسالة الإسلامية.
  - 3- الاقتصار على حاكمية الإله والرّب، حيث جعل أصل حقيقة الإله والرّب هي السلطة العليا، وحصر صلة العبد بربه في علاقة حاكم بمحكوم، وعلى هذه الشاكلة شارك سيد قطب فكرة المودودي ووافقها توافقا تاما.
  - 4- جعل الأركان الأربعة الصلاة والزكاة والصوم والحج وسائل وذرائع إلى إقامة الحكومة الإلهية التي هي الأصل من بين أسماء الله الحسنى.
  - 5- غاية دعوة الأنبياء عليهم السلام إقامة حاكمية الله.
- و فكرة "الحاكمية" والدعوة إليها هي المحور الأساسي الذي يدور حوله مشروعه الإصلاحية. وهي "الصياغة الجديدة للفكر الإسلامي" أو "الصياغة الجديدة للإلهيات الإسلامية" كما يسميها الندوي- وعلى أساسها تدور معظم أفكار المودودي، وجملة المخاطر التي تفضي إليها أفكار المودودي أربع مآلات خطيرة، تكمن في التهديد في مقاومة شرك العبادة والألوهية باعتبارها شركيات بدائية، وتهوين الشعائر باعتبارها وسائل للمشروع السياسي، والجور على المطالب العلمية والدعوية والتربوية والإيمانية والثقافية لصالح التورم السياسي، وسوء الظن بفقهاء السلف بأنهم لم يفهموا غرض القرآن<sup>(2)</sup>.
- وإضافة إلى جملة هذه الانتقادات يرى الندوي أن الجماعة الإسلامية قد طغى عليها كذلك الجانب السياسي، ونشأ عن ذلك صراعات بينها وبين الحكومة حتى سجن المودودي مرات عدة وكاد ينفذ عليه حكم الإعدام<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>: وقد ناقش الندوي هذه الأفكار والمسائل ونقدها بالأدلة العلمية، في كتابه التفسير السياسي الإسلامي بين كتابات ..، كما يجب أن ننبه على أن بعض الكتابات سبقت الندوي في نقد أفكار المودودي منها كتاب خطأ في التفسير لوحيد الدين خان، وكتاب دعاة لا قضاة لمرشد الإخوان حسن الهضيبي.

<sup>2</sup>: ينظر: إبراهيم بن عمر السكران، الماجريات، دار الحضارة، الرياض، ط2، 1436هـ، 2015م، ص179.

<sup>3</sup>: «خاضت - الجماعة الإسلامية التي أسسها أبو الأعلى المودودي في باكستان - في السياسة واكتوت بناها وأباحت لنفسها استخدام الأساليب والمناهج السياسية والجمهورية للوصول إلى الحكم...، وهناك دبّ الخلاف في صفوف الجماعة وانشق عنها بعض كبار المسؤولين والذين كانوا في طليعة الدعوة وفي مركز التوجيه، ناقمين في القيادة أنها

د- الشيعة الإمامية

ألف الندوي في نقد الشيعة الإمامية كتابه: "صورتان متضادتان عند أهل السنة والشيعة الإمامية"<sup>(1)</sup> وناقش فيها الندوي ما ولدته الخصومة التاريخية، وقد دارت انتقاداته حول محورين أساسيين:

أولها؛ الصورة المشوهة المظلمة لعهد الإسلام المثالي والجيل الإسلامي الأول، وهي تثبت الإخفاق لمجهودات الرسول صلى الله عليه وسلم التربوية، وتثبت «صورة كالحة لجهود النعمة والجفاء والغدر، وإخفاق الحق، وعبادة النفس، وحب الجاه، واستخدام كل نوع من المساعي والمؤامرات، والتحريفات والافتراءات، وتبريرها لتحقيق أغراضها الخسيسة، والخطر الذي تبعته هذه الصورة يأس النفوس من مصير الجهود الإسلامية والتربوية، وتبث اليأس كذلك من صلاحية الإنسانية جمعاء ومصيرها ومستقبلها»<sup>(2)</sup>.

أما المحور الثاني الذي ركزت عليه انتقادات الندوي فيمكن في بعض عقائدهم، وخاصة في الأئمة الأطهار، وكان أكثر حديثه في عرض آراء الإمام الخميني ونقدها، ومما تضمنته من أفكار عن الإمامة والأئمة، ولا ينكر الندوي تقصير بعض علماء أهل السنة في التتويه بفضل أهل البيت وما لهم من حقوق على المسلمين، إلا أن الأكبر من ذلك أنه خشي أن يتحول الحب والحماسة الدينية والعاطفة الفياضة التي أحاطت بهذا المركز الروحي -أهل البيت- ومنحته هالات التقديس إلى أن تكون الإمامة منافسة للنبوة أو مشاركة لها في كثير من الصفات أو أن يكون قد أخذ الشيء الكثير من حق النبوة وينمو على حساب الصلة العميقة بين المسلم ونبيه صلى الله عليه وسلم، وقد لمس الندوي هذا الأثر في الفرق بين الشعر الذي قيل في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وفي مناقب

=سياسية متقلبة أكثر منها دينية راسخة، وأنها تتناول مبادئ الإسلام وتعاليمه بتفسير جديد خاضع. للسياسة والمصالح، ولم تنزل الجماعة تحتك بالسياسة وتخوض في معركة الانتخابات حتى أصبحت حزبا سياسيا منافسا للحكومة يوزن في ميزان السياسة والأحزاب، ويخضع للأحداث والتطورات، حتى انضم أخيرا إلى الجبهة الموحدة التي رشحت امرأة للرئاسة واستدلت بالنصوص الدينية واحتدمت المعركة واشتد حولها الجدل وكثر فيها القيل والقال. وغلب الطابع السياسي على الطابع الديني». الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية، مصدر سابق، ص114، 115.

<sup>1</sup>: العنوان الكامل للكتاب ورد بـ: "صورتان متضادتان عند أهل السنة والشيعة الإمامية لنتائج جهود الرسول صلى الله عليه وسلم الدعوية والتربوية وسيرة أصحابه رضي الله عنهم".

<sup>2</sup>: الندوي، صورتان متضادتان عند أهل السنة والشيعة الإمامية، دار البشير، السعودية، ط1، 1410هـ، 1990م، ص51.



أهل البيت، ففاق الثاني الأول في قوة العاطفة والتعبير عن القلب..، وكذا ما ورد في كتب السيرة النبوية ومناقب أهل البيت<sup>(1)</sup>.

### هـ- الجماعة السلفية الوهابية

لا نجد أن الندوي قد وجه انتقادات لمحمد بن عبد الوهاب أو جماعته، سوى بعض الإشارات إلى وجود بعض مخالقات الناس لأفكاره وآرائه وأسلوبه في عرض الدعوة ومنهجه، ولم يوافقوه مئة في المئة؛ ومع هذا فقد أكد أنه لا يمكن إنكار تأثير هذه الدعوة وفائدتها<sup>(2)</sup>.

كما يلاحظ بعض التلميحات التي تعد كنفذ لشخص محمد بن عبد الوهاب بطريقة غير مباشرة وذلك ما اتضح من خلال مقارنة إنجازاته العلمية مع الإمام الدهلوي<sup>(3)</sup>، فيرى الندوي «أن دائرة أعمال الدهلوي الإصلاحية والتجديدية أوسع من دائرة محمد بن عبد الوهاب فهي تضم إحياء العلوم الإسلامية وتجديد الفكر الإسلامي والكشف عن أسرار الشريعة ومقاصدها، والمأثرة العلمية لعرض التعاليم الدينية والشريعة الإسلامية في صورة متناسقة شاملة، ومقاومة الجمود والتحجر العلمي والعصبية الشديدة للمذاهب الفقهية، والعمل الاجتهادي للتطبيق بين العقل والنقل والتوفيق بين المذاهب الفقهية الأربعة، والمحاولة الجادة للحفاظ على السلطة الإسلامية في الهند، وكذلك الدراسة العميقة التي تميز بها الدهلوي للأحاديث النبوية الشريفة والجهود التجديدية لنشرها وتعميمها، والدعوة إليها، والدعوة إلى تزكية النفوس وإصلاح القلوب، والوصول إلى درجة الإحسان وتعليم طرقها ومناهجها، وتربية الأجيال الأكفاء»<sup>(4)</sup> إضافة إلى هذا فالإمام الدهلوي يتميز بركة وحنان، وقوة وعاطفة<sup>(5)</sup>.

ولعل ما يستمد من هذه الأوصاف التي ذكرها في سياق حديثه عن الشخصيتين أن محمد بن عبد الوهاب لم يتسم بجملة هذه الصفات أو على الأقل لم يكن بمستوى الدهلوي.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، اسمعيات (اسمعي يا إيران)، إعداد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1423هـ، 2002م، ص65،66.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، 724/4.

<sup>3</sup>: ينظر: امحمدي بوزينة خيرة، الإصلاح في فكر الندوي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص عقيدة، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان، إشراف: د. صديق شافية، سنة 1431هـ، 1432هـ/ 2010، 2011م، ص79.

<sup>4</sup>: ينظر: الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، 725/4.

<sup>5</sup>: المصدر نفسه، 725/4.

على الرغم من الدور البالغ الأهمية الذي إذ أسهمت به الجماعات الإسلامية في تحقيق صحة إسلامية كانت سدًا منيعًا في وجه نفوذ الأفكار الغربية في الحياة الإسلامية، كما كانت توخر ضمير الأمة من الحين لآخر، إلا أن هذه الصحة تخفت أصواتها ويضعف إشعاعها من الحين لآخر، ويرجع ذلك لأسباب أسهمت في إضعاف قوتها. فحصول رأي الندوي في حديثه عن الحركات الإسلامية يتمثل في أنها عرضة للمدّ والجزر والاشتعال والبرودة في حماسها الدينية وعاطفة الكفاح والتضحية، وقد «وقعت على مرّ الزمن فريسة الجمود والركود اللذين نشأت لمحاربتهما، وأصبحت أسيرة منهجها الأول الذي كان مطابقاً لوضع العصر الذي نشأت فيه، محققاً لمتطلبات حركة إصلاحية في إطار خاص محدود، وتمسكت بالخطوط والحدود التي رسمها قادة هذه الحركة في الماضي عن إخلاص ووعي، إجابة لنداء العصر..، وتمسكت بهذه الخطوط والحدود، تمسك الناس بالمنصوص القطعي الذي لا يقبل حذفاً ولا زيادة، ولا مرونة ولا توسعاً، وسيطر على العاملين في مجال هذه الدعوة والحركة الركود الفكري والتطرف في بعض الأحيان، وألحوا علمنهم كنصوص الشريعة القطعية، والآيات القرآنية»<sup>(1)</sup>، والسبب في ذلك أن هذه «الحركة قد فقدت عنصر النمو والقدرة على استعراض المحيط، وطبيعة العصر وقضاياها الطريفة المتجددة، والقدرة على التطبيق بين المنهج الإصلاحي وواقع الحياة ومتطلباته»<sup>(2)</sup>.

تتلخص الأزمة الدينية في فكر الندوي في مجموع الآثار التي خلفها الملك العضوض، من النزعات الجاهلية والعصبيات، واضطراب العلاقة بين رجال الحكم والعلماء ما أدى بهذا الأخير إلى الانقسام إلى أصناف مختلفة، والأمر الذي زاد الأمر تعقيداً ومأساة للحياة الدينية، تراجع منزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو انحصاره في جوانب هامشية في الحياة، وإضافة إلى هذه الآثار تأزم الحياة الروحية في الأمة بسبب طغيان الفكر المادي على حساب الغيب والروح، وضياح جانب التزكية وعلم الباطن من المسلمين، وتلا هذا الأمر الثغرات التي تخللت مسيرة الحركات الإسلامية مما أوقعت الأمة هي الأخرى في أزمت لا تزال تعاني منها.

<sup>1</sup>: الندوي، ترشيد الصحة الإسلامية، دار السلام، القاهرة، ط3، 1414هـ، 1993م، ص23.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، ص24.

### المطلب الثاني: الأزمة الاجتماعية في الأمة الإسلامية من خلال فكر الندوي

تضمن هذا المطلب الحديث عن الأزمة الاجتماعية في فكر الندوي ضمن ثلاثة فروع، الأول في فساد الأخلاق وانحراف القيم وأثرهما على الحياة الاجتماعية، والثاني أثر الواقع الاقتصادي في الحياة الاجتماعية، والثالث في أوضاع الأقليات المسلمة في الهند والاتحاد السوفياتي.

#### الفرع الأول: فساد الأخلاق وانحراف القيم وأثرهما على الحياة الاجتماعية

خضع الوضع الاجتماعي للانحراف كغيره، وإن صعب تمييز الوضع الاجتماعي وميادينه لتداخل الأوضاع وتأثير بعضها على بعض ابتداء من تأثير الانحراف السياسي على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية، إلا أننا نقف على بعض صور الأزمة ومظاهرها التي أوردها الندوي في ذلك.

#### أولاً: صور من فساد الأخلاق وانحراف القيم بعد الخلافة الراشدة

##### أ- عامل الترف وأثره في فساد النفوس

يعد الترف العامل الأكبر لهدم الحكومات، وانقراض المدنيات، وسقوط المجتمعات، وهو من أقوى العوامل الحضارية، والنفسية، والخلقية التي قضت على الحكومات المسنة الطويلة، وعلى المدنيات المزدهرة<sup>(1)</sup>، وهو الداء الذي ذمّه القرآن الكريم في حياة الأممو ربط هلاك أي أمة بظهور الترف في حياتها ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [سورة الإسراء:16].

وعلى إثر انقلاب الخلافة الراشدة إلى ملك عضوض يرى الندوي أن الناس أخلدوا إلى «الترف والنعيم وإلى الملاهي والملاعب، وانغمسوا في الملذات والشهوات واستهتروا استهتاراً، ونظرة في كتاب الأغاني<sup>(2)</sup> وكتاب الحيوان للجاحظ ثريك ما كان هنالك من رغبة جامحة إلى اللهو، وتهافت على الملاهي والملذات، ونهمة للحياة الدنيا وأسبابها»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 199/1.

<sup>2</sup>: نجد الندوي في عرضه لهذا الواقع يعتمد على كتاب الأغاني لأبي فرج الأصبهاني (356هـ)، وقد لا يعد البعض روايات كتابه ذات القيمة الموثوق بها، لأنه اتهم بالنيل من الملوك والسلطين من غير أحقية، واعتمد الصورة القائمة المبالغ فيها أيما مبالغة، كما وجهت له انتقادات كثيرة، ينظر في ذلك المثال: "السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني" وليد الأعظمي.

<sup>3</sup>: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص123.

وقد كانت «الحياة فيه تدور حول فرد واحد-وهو شخص الخليفة أو الملك- أو حول حفنة من الرجال -هم الوزراء وأبناء الملك- وكانت البلاد تعتبر ملكاً شخصياً لذلك الفرد السعيد والأمة كلها فوجاً من المماليك والعبيد، ويتحكم في أموالهم وأملاكهم ونفوسهم وأغراضهم، ولم تكن الأمة التي كانت يحكم عليها إلا ظلاً لشخصه ولم تكن حياته إلا امتداداً لحياته»<sup>(1)</sup>.

وكانت الحياة كذلك تدور حول هذا الفرد بتاريخها وعلومها وآدابها وشعرها وإنتاجها، فإذا استعرض أحد تاريخ هذا العهد أو أدب تلك الفترة من الزمان وجد هذه الشخصية تسيطر على الأمة أو المجتمع..، كذلك تضمحل هذه الأمة في شخص هذا الفرد وتذوب فيه وتصبح أمة هزيلة لا شخصية لها ولا إرادة، ولا حرية لها ولا كرامة..، وكان هذا الفرد هو الذي تدور لأجله عجلة الحياة، فلأجله يتعب الفلاح ويشغل التاجر ويجتهد الصانع، ويؤلف المؤلف وينظم الشاعر، ولأجله تلد الأمهات، وفي سبيله يموت الرجال وتقاتل الجيوش، بل ولأجله تلفظ الأرض خزائنها ويقذف البحر نفائسه وتستخرج كنوز الأرض خيراتها.

وكانت الأمة -وهي صاحبة الإنتاج وصاحبة الفضل في هذه الرفاهية كلها- تعيش عيش الصعاليك، أو الأرقاء المماليك، وقد تسعد بفتات مائدة الملك وبما يفضل عن حاشيته فتشكر، وقد تُحرم ذلك أيضاً فتصبر، وقد تموت فيها الإنسانية فلا تتكر شيئاً بل تتسابق في التزلف وانتهاز الفرص<sup>(2)</sup>.

ويعتبر الندوي أن هذا العهد الذي ازدهر في الشرق طويلاً هو الذي ترك رواسب في حياة هذه الأمة ونفوسها وفي أدبها وشعرها، وأخلاقها واجتماعاتها، وخلف آثاراً باقية في المكتبة العربية، ومن هذه الآثار الناطقة كتاب (ألف ليلة وليلة) الذي يصور ذلك العهد تصويراً بارعاً، يوم كان الخليفة في بغداد أو الملك في دمشق أو القاهرة، هو كل شيء، وبطل رواية الحياة ومركز الدائرة إن هذا العهد الذي يمثله كتاب (ألف ليلة وليلة) بأساطيره وقصصه، وكتاب الأغاني بتاريخه وأدبه، لم يكن عهداً إسلامياً، ولا عهداً طبيعياً معقولاً، فلا يرضاه الإسلام ولا يفزّه العقل، بل إنما جاء الإسلام بهدمه والقضاء

<sup>1</sup>: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص248.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص248.

عليه، فقد كان هذا هو العهد الذي بعث فيه محمد صلى الله عليه وسلم فسماه الجاهلية ونعى عليه وأنكر على ملوكه - ككسرى وقيصر - وعلى أثرتهم وترفهم أشد الإنكار<sup>(1)</sup>. أما بيت المال الذي كان ملكا للأمة، فقد أصبح ملكا لفرد واحد، خاضعا لشهواته وتصرفاته، وأصبح المبدأ المسيطر في هذا العهد في حق مال الله: "تؤخذ من فقرائهم وترد على أغنيائهم وأمرائهم وشعرائهم" وأحاطت بالخليفة هالة من الشعراء المحترفين، والندماء المتزلفين المتملقين، تتفق عليهم أموال الصدقات بسخاء<sup>(2)</sup>، وأصبحت دعوة الأغنياء وإكرامهم، وطرد الفقراء وإهانتهم عادة فاشية وسنة متبعة، وبينما كان الفاسق يقصى ويجفى، أصبح يكرم ويدنى، لشعره أو لغنائه<sup>(3)</sup> في السياسة أو مصالح الدولة<sup>(4)</sup>.

### ب- الغناء ومجالس اللهو والطرب

أما الغناء فشاع في العهد الأموي شيوعا عظيما، وعظم الشغف به في حواضر الدولة الإسلامية حتى يزور مغن مثل "حنين" المدينة ويجتمع الناس في منزل من منازل البلد، ويزدحمون على السطح ويكثرون ليعلموه، فيسقط الرواق على من تحته، ويموت المغني تحت الهدم، وإلى غير ذلك من الظواهر التي تدل على تحول المجتمع الإسلامي وفساد طبيعته بظهور نزعات الجديدة<sup>(5)</sup>، فكان خلفاء بني أمية يستمعون في أوقات فراغهم للغناء وكانوا يستترون عن الندماء حتى لا يطلع الندماء على ما يحدثونه إذا طربوا، لأنه قد تأخذ نشوة الطرب بلبه فيقوم بحركات لا يطالع عليها إلا خواص جواريه.. وبعضهم كان يظهرون للندماء والمغنيين، وكان يزيد بن عبد الملك يباليغ في المجون بحضرة الندماء.. وأذن للندماء في الكلام والضحك والهزل في مجلسه، فلم يتورعوا في الرد عليه، وحذا حذوه في ذلك الوليد بن يزيد<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup>: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص249.

<sup>2</sup>: الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، 63، 64/1.

<sup>3</sup>: ينظر: قصة مدح الشاعر جرير لعبد الملك بن مروان والعتاء الوفير الذي حظي به، ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، 260/9.

<sup>4</sup>: ينظر: الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، 64/1.

<sup>5</sup>: ينظر: المصدر نفسه، 64/1.

<sup>6</sup>: حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، ط14، 1416هـ، 1996م، 434/2.

وعلى هذا المنوال كان المجتمع الإسلامي كذلك عهد الدولة العباسية «التي سرت فيها روح العجمية وعبوبها، واتسعت الدولة اتساعا عظيما، وامتدت على مساحة واسعة من آسيا وأفريقية؛ حتى روي أن هارون الرشيد مرت به قطعة من سحاب فخاطبها وقال: «أمطري حيث شئتني، فسيأتيني خراجك»<sup>(1)</sup>. فكانت بغداد مصب أموال المملكة الواسعة الغنية، وسوق الطرائف والخيرات والمنتجات، كما كانت منتجع أصحاب المجون والمغنين الكبار والشعراء ونوابغ كل فن جديد وهزل وحق وباطل، وقد أثرت هذه الأموال المغدقة، إضافة إلى الاختلاط بالعجم، وازدحام الجوارى والرقيق من كل جنس ومن كل بلد، وفي الأخلاق والميول والعادات، وأغرق الناس في هذه المدنية التي هي مزيج من مدنيات مختلفة، وأقبلوا على اللهو والبذخ، ومن ذلك عرض الندوي صفة عرس المأمون الخليفة العباسي من "بوران بنت الحسن" وما جرى من مفاصد عظيمة للأموال<sup>(2)</sup> ما ينبئ عن مدى انحراف النفوس.

والذي يعقد مقارنة بين روح النبوة التي كانت تسري في أعمال الخلفاء الراشدين مع جملة هؤلاء الملوك لأدرك المستوى الحقيقي الذي آلت إليه النفوس.

### ج- كثرة القتل وإزهاق الأرواح

يعد قتل النفس في الإسلام من أكبر الكبائر، ولذلك وردت آيات كثيرة ترهب من زهق الأرواح والأنفس بغير حق، وعلى منوال القرآن الكريم تتابعت الأحاديث النبوية في ذلك، وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك في حجة الوداع وأوصى أن لا نرجع من بعده كفارا يضرب بعضنا رقاب بعض.

وليجعل القرآن والنبوة حاجزا للمرء من ارتكاب هذا الجرم نهى ارتكاب حتى أصغر الذنوب في حق المسلم، من الغيبة والنميمة، والشتم، والطعن في العرض، وحتى سوء الظن به. إلا أن ما وقع في حياة الأمة كان خلاف لذلك، فوقعت الجرائم بين المسلمين، وزهقت الأرواح وقطعت الرؤوس، ومثّل بالأجساد، ومورست عليها ألوانا من العذاب، ما لا يصدق أن هذه الأمة وصفت بالخيرية من قبل وهي حاملة لواء الدعوة والوصاية على الأمم. اتسمت بالوسطية والاعتدال العدل واحترام الإنسانية من أجل أهدافها.

<sup>1</sup>: الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، 1/112.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، 1/113.

ولا نجد تفصيلا في هذا الأمر وضربا من الأمثلة لدى الندوي، سوى إكتفائه بضرب نموذج شخصية الحجاج بن يوسف في سفكه الدماء وجرأته على الله عند الأمويين معلومة، وليس هذا الأمر مقتصر على الدولة الأموية بل تتابع هذا الترهيب الاجتماعي عبر التاريخ الإسلامي كله.

#### د- النفاق في الأعمال

أما واقع القرن الثاني فالندوي يستعرض حالة المجتمع الإسلامي استنادا على رأي الحسن البصري رضي الله عنه وذكائه وفطنته الدينية، الذي نزل في أعماق المجتمع، وضرب على الوتر الحساس ووصف أمراضه، وانتقده انتقاد الحكيم الرفيق، والناصح الشفيق<sup>(1)</sup>.

أما الحسن البصري فشخص الداء الذي سرى في النفوس وفي أعمالهم وأثبت النفاق فيهم، حين سئل اليوم نفاق يا أبا سعيد؟ قال: «لو خرجوا من أزقة البصرة لاستوحشتم فيها»<sup>(2)</sup>. وقال: «وأما المنافق فهنا وههنا في الحجر والبيوت والطرق نعوذ بالله، والله ما عرفوا ربهم بل عرفوا إنكارهم لربهم بأعمالهم الخبيثة ظهر الجفا وقل العلم وتركت السنة إنا لله وإنا إليه راجعون، حيارى سكارى ليسوا بيهود ولا نصارى ولا مجوس فيعذروا.. يا سبحان الله! ما لقيت هذه الأمة من منافق قهرها واستأثر عليها»<sup>(3)</sup>.

ولعل هذا ما أوضحه عمر رضي الله عنه: «يقول إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم قيل وكيف يكون المنافق العليم قال عالم اللسان جاهل القلب والعمل»<sup>(4)</sup>.

#### ثانيا: صور من انحراف الحكومات وأثرها في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية

إن الكثير من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي يعيشها العالم الإسلامي اليوم ما هي إلا انعكاسات الوضع المتردي للمؤسسات السياسية وسوء إدارتها للبلاد، لأن أكثرها لا تحمل المؤهلات القيادية ولا تملك رؤية حضارية واضحة تسوق البلاد إليها.

<sup>1</sup>: ينظر الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، 1/110.

<sup>2</sup>: أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي، صفة النفاق وذم المنافقين تحقيق: أبو عبد الرحمن المصري الأثري دار الصحابة للتراث، مصر ط1، 1408هـ، 1988م، ص144.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، ص91.

<sup>4</sup>: ابن كثير، مسند الفاروق عمر بن الخطاب، تحقيق: عبد المعطي قلجعي، دار الوفاء، المنصورة، ط1، 1411هـ. 1991م، 1/660.

والأدهى من ذلك أن تتحول هذه القيادات السياسات إلى نفوس خائنة للبلاد ناهية للخيرات، ويرجع الندوي حقيقة الأزمة السياسية إلى أزمة نفسية<sup>(1)</sup>، فأصل البلاء في رجال السياسة هو عبادة النفس، وهذه العقلية هي التي تسيطر على العالم كله وكل ما نعاني من فساد الأوضاع مرده إلى فساد هذه النفوس وهيمنة هذه العقلية الخاضعة للمادة الخادمة للمصلحة، المستأثرة الأنانية<sup>(2)</sup>.

وثمره هذه الأمراض النفسية المريضة أن نشأت حكومات الجباية -على حساب حكومات الهداية- التي تقوم سياستها على «تضخم الميزانية وكثرة الدخل والإيراد، ورفاهية رجال الحكومة واحتفال الحضارة وزهو المدنية، وان كان ذلك بامتصاص دماء الفقراء، وشقاء الفلاحين والعمل، والضرائب المجحفة والمكوس المرهقة، فلا يعني هذا الضرب من الحكومة إلا بما يزيد في مواردها وماليتها، وبما يهيب لها أسباب الفخار والزينة والأبهة، بما يهيب للأمرء والوزراء، وأبنائهم وأبناء أبنائهم، والمتصلين بهم ورجال الحكومة وأسرههم وخدمهم أسباب الترف والتتعم والبذخ، وبما يبنون به قصورا فاخرة، ويشترون به أملاكا واسعة، في داخل البلاد وخارجها»<sup>(3)</sup>.

كما «تغفل هذه الحكومة تربية الجمهور الدينية والخلقية، وتعطل الحسبة والرقابة على الأخلاق والنزعات، وتتغافل عن كل ما ليس بسبيلها، وما لا يجر عليها فائدة مالية أو قوة سياسية، وقد تبيح منكرا أو محرما إذا كانت تجني منه نفعا، وتحرم مباحا إذا كانت تخاف منه خطرا سياسيا أو خسارة مالية، ولا يزال الجشع والنهامة للمال تدفعها وتزين لها خطتها، حتى تفرض ضرائب على العبادات، وعلى الموت والحياة، وهكذا تتحول من حكومة ساهرة على مصالح الجمهور وراحتهم ومن مربية وحارسة للأمة، إلى شركة تجارية كبيرة لا يهملها إلا جمع الأموال وزيادة الأرباح»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup>: يقول ملك بن نبي في هذا الصدد: إن التغيرات التي نشاهد نتائجها بعد مدة طويلة في عالم الاقتصاد، أحيانا هي في جوهرها تغيرات حضارية تعترى القيم والأذواق والأخلاق في منعطفات التاريخ، فتغير معالم الحياة بتحول الإنسان نفسه في إرادته واتجاهه عندما يدرك معنى جديد الوجوده في الكون... ولو تدبروا أيضاً بعض الدراسات المتعمقة في البحث عن جذور الاقتصاد، لوصلوا إلى النتيجة النظرية نفسها، أي أن الاقتصاد ليس قضية إنشاء بنك وتشديد مصانع فحسب، بل هو قبل ذلك تشييد الإنسان وإنشاء سلوكه الجديد أمام كل المشكلات. مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، دار الفكر - دمشق، 1420 هـ - 2000 م، ص 59.

<sup>2</sup>: الندوي، إلى الإسلام من جديد، دار القلم، دمشق، ط 1، 1370 هـ، 1951 م، ص 159.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، ص 107.

<sup>4</sup>: المصدر نفسه، ص 107، 108.



إن هذا الوضع لا يقره عقل، ومن الذي يسوّغ أن يتخّم فرد أو بضعة أفراد بأنواع الطعام والشراب ويموت آلاف جوعاً ومسبغة، ومن الذي يسوّغ أن يعبث ملك أو أبناء ملك بالمال عبث المجانين، والناس لا يجدون من القوت ما يقيم صلبهم ومن الكسوة ما يستر جسمهم، ومن الذي يسوّغ أن يكون حظ طبقة - وهي الكثرة - الإنتاج وحده والكدح في الحياة والعمل المضني الذي لا نهاية له، وحظطبقة - وهي لا تتجاوز عدد الأصابع - إلا التلهي بثمرات تعب الطبقة الأولى من غير شكر وتقدير وفي غير عقل ووعي، ومن الذي يسوّغ أن يشقى أهل الصناعة وأهل الذكاء وأهل الاجتهاد وأهل المواهب وأهل الصلاح، وينعم رجال لا يحسنون غير التبذير ولا يعرفون صناعة غير صناعة الفجور وشرب الخمر؟! ومن الذي يسوّغ أن تُجفى أهل الكفاية وأهل النبوغ وأهلا الأمانة ويقصوا كالمنبوذين ويجتمع حول ملك أو أمير فوج من خساس النفوس وسخفاء العقول وفاقد الضمائر ممن لا همّ لهم إلا ابتزاز الأموال وإرضاء الشهوات<sup>(1)</sup>، ولا يحسنون فناً من فنون الدنيا غير التملق والإطراء والمؤامرة ضد الأبرياء، ولا يتصفون بشيء غير فقدان الشعور وقلة الحياء<sup>(2)</sup>.

كما تتسبب هذه القيادات المريضة في تهميش للكفاءات المخلصة للبلاد وتسعى بشتى الأشكال لمنعها من الأخذ بزمام أمور البلاد إلى ما يصلحها، عن طريق إصلاح النظام الاقتصادي والاجتماعي وإرساء الوعي، وفي مقابل ذلك فهي تفتح للشركات الأجنبية الاستثمار في خيرات البلاد واستنزاف طاقاتها وثرواتها، وتبقى البلاد بهذه السلوكات السياسية في انتكاسة اقتصادية واجتماعية، وتبعية.

<sup>1</sup>: وفي هذا الصدد يعرض الندوي نموذجاً من هذا الواقع المنحط، فقدم شخصية الدكتور "سوكار نو" رئيس جمهورية اندونيسيا وسلوكاته أثناء إقامته في طوكيو، حيث أنفق خمسة آلاف جنيه يومياً وكان يرافقه ستة ضباط، وكانت المومسات والبغايا والفتيات الأخرى يجلبن إلى فندقه الذي كان يكلفه 55 جنيه يومياً، وكان 50 من الحراس منزعجين لكثرة تردد المومسات والبغايا الزائرات في هذا الفندق كما يذكر بالسفارات المسلمة والعربية التي «لا دين لها ولا حشمة ولا حدود خلقية، التي تقيم مآذب فاخرة وحفلات الكوكيتيل وتصب فيها أموال الفقراء والطبقة الوسطى كالماء الجاري، وتقدم الخمر في عامة الأحوال، ولحم الخنزير أيضاً في بعض الأحيان وبعض المناسبات..» ينظر: الندوي، الصراع بين الفكر الإسلامية والفكرة الغربية، مصدر سابق، ص 170.

<sup>2</sup>: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، 249، 250.

## الفرع الثاني: أثر الواقع الاقتصادي في الحياة الاجتماعية

للأزمة الاقتصادية هي الأخرى تأثيرا بالغا على الحياة الاجتماعية، فتدهور الوضع الاقتصادي في الأمة الإسلامية له أثر كبير بلا شك في الحياة الاجتماعية، وقد ذكر الندوي بعض من هذا التأثير.

## أولا: أوضاع بعض البلدان الإسلامية الاقتصادية والاجتماعية

يشهد الندوي -لكثرة رحلاته للأقطار الإسلامية- بأن الحالة الاقتصادية في الدول المسلمة سيئة بوجه عام، ومفتقرة إلى الدول الأخرى وعالة عليها، حتى في حاجات الحياة، وإن مستوى حياة شعوبها منحط خافض بوجه خاص، سيما البلاد التي عدد سكانها هائل فإن مستوى معيشتها وحالتها الاقتصادية أخط بكثير مما عليه البلاد الأخرى<sup>(1)</sup>.

ويرى الندوي أن البلاد الإسلامية أصبحت كبقرة حلوب للقوى الكبرى التي تقوم باستيراد المواد الخام منها واستيراد البترول، أما الدول الإسلامية فلا تتال منها مقابل ذلك كله إلا مساعدة مزعومة لدى الحروب لمقاومة الأعداء، إذ أضحت كحطب لمطبخ الدول الكبرى أو كوقود لتورها<sup>(2)</sup>.

ولكي تحقق الحكومات الإسلامية مشاريعها العمرانية، أو لقضاء مآرب رجالها فقد تلجأ إلى الاستدانة من الدول الأجنبية، التي رحبت بذلك ورصدت لها بعض المال بشروط تجارية، وامتيازات سياسية، وأقبلت على البلاد الإسلامية تحلب ضروعها، وتستخرج الذهب الوهاج، وماء حياة الصناعة والتجارة (البترول) من بطونها، ويتهافت الفقراء الذين أجهدتهم الضرائب وتكاليف الحياة على أجورها وخدمتها..، وهكذا أصبحت بلاد الإسلام بين خطر من الإلحاد والاحتلال الأجنبي<sup>(3)</sup>.

إضافة إلى هذا الوضع يضيف الندوي زيادة اختراق البضائع الغربية -التي تعد طلائع السيادة الغربية وسيطرتها السياسية- لأسواق الشرق الإسلامي، وتنافس تجار الغرب بدافع من حب الغنى والثروة، واحتكار الأموال في الصناعة والإنتاج، وفي إنتاج دقائق المدنية،

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، مصدر سابق، ص 168.

<sup>2</sup>: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 93/1.

<sup>3</sup>: الندوي، مقالات إسلامية، مصدر سابق، 109/1، 110.

وفضول الصنائع، وكماليات الحياة، وصبوها على الشرق صبا، واستهلكوا في ترويجها كل ذكاء، وأدب وفلسفة، وسياسة، واستغلوا سذاجة الشرق وحبه للدعاية والفخر، فما إن لبثت هذه الدقائق والكماليات أن دخلت في أصول المعاش ولوازم الحياة في الشرق حتى امتصت أموال الشرقي فأصبح كل ما يكسبه -بوجه مشروع أو غير مشروع- ينتقل إلى البلاد الأجنبية<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: آثار هذا الواقع على الحياة الإسلامية

وعلى هذا الواقع يرى الندوي أن المدينة الغربية والتجارة الغربية «أفسدت طبائع أهل الشرق وأذواقهم على اختلاف أجناسهم وأوطانهم، ألانت منهم القناة، وأطفأت فيهم جمرة الحياة، وأذهبت منهم التعمد العربي، والتجلد العجمي، وأحدثت فيهم التخنث والتأنث الأوربي، وأصبحت الفروسية العربية، والنخوة التركية، والفتوة الفارسية، والبطولة الهندية، والغيرة الأفغانية، حديثاً من أحاديث التاريخ، وأصبحت الحياة في حواضر الشرق، بل وفي بواديه نسخة قاصرة ممسوخة من الحياة الغربية المصطنعة، لها ضراؤها، وليست لها سراؤها، ولها الغرم دون الغنم»<sup>(2)</sup>.

كما يرى أن الإسلام قد جرّد من مدنيته نتيجة مؤامرة خطيرة نسجها الغرب..، فقرر أن يجردهم من مدنيته، ويسلخهم من نظامهم الاجتماعي، ويحملهم على قبول مدينة أخرى أجنبية، ويعتقد الندوي أن أوربا قد كسبت في ذلك نجاحاً باهراً<sup>(3)</sup>.

ونجده قد انطلق في نظريته للأسباب الحقيقية لكارثة فلسطين من هذه الأوضاع، حيث عدّ أن هجوم الأمم الأوربية النصرانية الجاهلية على العالم الإسلامي في القرن الثامن عشر والتاسع عشر كان أشد تأثيراً وأعمق أثراً، وأبعد مدى من الهجوم الشرقي ( المغولي والتتاري)، وقد ترك هذا الأمر مشكلتين نفسييتين؛ الأولى: الشك وضعف اليقين، والثانية الذل النفسي والهوان، وكانت نتيجة هذا الهجوم أن «ظهر جيل في المسلمين متتور الذهن ولكنه مظلم الروح، أجوف القلب، ضعيف اليقين، قليل الدين، قليل الصبر، والجلد، ضعيف الإرادة، والخلق، يبيع دينه بدنياه، وأجله بعاجله، ويبيع أمته، وبلادته بمنافعه

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، مقالات إسلامية، مصدر سابق، 109/1، 108.

<sup>2</sup>: ينظر المصدر نفسه، 108/1، 109.

<sup>3</sup>: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 99/1، 100.

الشخصية، وبجاه وعزة وهمية، ضعيف الثقة بنفسه وأمته، عظيم الاتكال، كثير الاستناد إلى غيره»<sup>(1)</sup>.

ويرى كذلك أن حقيقة النكبة الفلسطينية تعود لتراكمات تاريخية، وفي هذا الصدد يقول الندوي: «إن أسباب نكبتنا أعمق، وأبعد مدى من الأسباب التي يشير إليها الباحثون في هذا الموضوع، وأطول عمرا من قضية فلسطين نفسها، فقد سبقت تلك الأسباب هذه القضية بكثير، وبدأت تفعل فعلها في كيان الأمة من زمن بعيد، وقد تم مفعولها في قضية فلسطين، والذي انتبه لهذه العوامل الهدامة من قبل؛ لم يفاجأ بالنتائج، ولم يستغربها»<sup>(2)</sup>. وتتخلص هذه الأسباب في نظر الندوي في ثلاثة وجوه<sup>(3)</sup>:

أ- ضعف الدافع النفسي، والباعث الداخلي إلى الاستماتة، والتفاني في سبيل العقيدة، والمبدأ

ب- طغيان العقل على العاطفة، والحذر من المغامرة، واقتحام الأخطار.

ج- فقدان الشخصية المركزية؛ التي تملك القضية عليها مشاعرهما، وتفكيرها، وتصبح همها الشاغل، وتستولي عليها استيلاء كاملا.

وأدت هذه الأسباب إلى ضياع حقيقة الإسلام من حياة الأمة فأصبح نصيب الصورة أكثر من نصيب الحقيقة، وذلك موضع الضعف في حياتنا، وسر شقائنا ومصائبنا..، وما كان في تاريخ المسلمين من هزيمة وانكسار في ميادين القتال إلا انخزال الصورة وفضيحتها لا غير<sup>(4)</sup>.

ولذا يعتبر الندوي أن تقدم سبع دول عربية لمواجهة الصهيونية في فلسطين، ما كانت إلا تقدم صورة الإسلام لا حقيقة الإسلام، فكانت هذه الدول العربية عليلة الروح، قد أطفأت المادية الأوربية جمرة القلوب وشعلة الجهاد في سبيل الله، وحبب إليها الحياة واللذات..، فكانت الحرب بين العرب المسلمين واليهود الصهيونيين صراعا بين صورة الإسلام وحقيقة القوة والتنظيم والحماسة، فكانت نتيجة هذه الحرب نتيجة كل صراع بين الصورة والقوة<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup>: الندوي، المسلمون وقضية فلسطين، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1429هـ، 2008م، ص16، 17.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، ص22.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، ص23.

<sup>4</sup>: ينظر: الندوي، بين الصورة والحقيقة، المجمع الإسلامي العلمي، الهند، ط3، 1400هـ، 1980م، ص12، 13.

<sup>5</sup>: المصدر نفسه، ص16.

## ثالثاً: النهامة في تحصيل الأموال والترفيه

ركّز الندوي في حديثه عن خطر هذا الوضع وعواقب حب الثراء والترفيه على كثير من البلدان الإسلامية وعلى أساسها شبه الجزيرة العربية التي هي منبع الإيمان ومركز الدعوة الإسلامية التي ينبغي أن تحافظ على شخصيتها الدينية، ولذلك فقد حذرنا من خطرين؛ خارجي وداخلي<sup>(1)</sup>، تمثل الأول في الشيوعية الزاحفة من عدة اتجاهات قصد الاستحواذ على ثروة النفط، أما العدو الداخلي الذي يعده الندوي أخطر من الخارجي فهو منحصر في موجتين عارمتين، إحداها: النهامة بالمال واستثماره والزيادة فيه، والوصول إليه من كل طريق شرعي وغير شرعي، نسيت وتناست معها جميع القيم الدينية والخلقية واحترام الإنسانية، ومصالح المقيمين والوافدين من أنحاء العالم الإسلامي، وقد أثر الندوي أن يصطلح عليها بـ: "هستيريا المادية والتكاثر" التي نشأت عنها مشكلات طريفة معقدة أصبحت منها البلاد في خطر، أما الموجة الأخرى فهي الشغف الزائد بطرق التسلية والمتعة، فالبلاد تسيح اليوم في فيض من الأغاني وأنواع اللهو والتمتع، والتهرب من كل ما يشق على النفس ويطلب الصبر وعلة الهمة، وبذلك يتجرد المسلم الذي عرف في التاريخ بالتقشف والبساطة والفروسية.

ومما تخوف الندوي وقوعه -إن استمرت هذه الحال- أن ينشأ جيل مائع رقيق متخنت لا يستطيع أن يقاوم أي تحد من الخارج أو الداخل، ويحفظ سلامة البلاد فضلاً عن أن يبلغ رسالة الإسلام، ويكون قدوة صالحة وأستاذاً موجهاً لمن يفد إلى هذه البلاد للحج من جميع أنحاء العالم الإسلامي<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز وشبه جزيرة العرب، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1423هـ، 2002م، ص59، 60.

<sup>2</sup>: يعتبر الندوي أن مثل هذه الطبقة كانت دائماً تشكل الخطر على الحكومات وهي التي قادت الثورات والانقلابات لما أصابها من البطر ونكران الجميل، والحب الزائد للمال، والحصول على وسائله وطرقه، والجرأة على الله، وتجرد القلوب عن خشيته، والإخلاق إلى الراحة ونعيم الدنيا، والحرمان من الخلق الكريم، وهي تجربة تكررت في التاريخ بحيث لم تدع مجالاً للثقة بهذه الطبقة، والزيادة في أسباب ترفيها وإرضاء رغبتها في التسلية والمتعة الرخيصة وهي الغلطة التي ارتكبتها حكومة بني أمية وحكومة بني العباس، نرى آثارها ومظاهرها في روايات "الأغاني" و"كتاب الحيوان" و"ألف ليلة وليلة". ينظر: الندوي، كيف ينظر المسلمون، مصدر سابق، ص60.

## رابعاً: الأنظمة الغربية المستوردة وخطرها

برزت الكثير من المظاهر الدخيلة على المجتمعات الإسلامية، مما يدلي بنجاح الهيمنة الغربية عليها، ويؤكد الندوي على قابلية المجتمعات الإسلامية لذلك، كما تتبى محاكاة المسلم لأوروبا في لباسها وعاداتها وأسلوب حياتها عن «أنه يؤثر المدنية الأوربية، مهما كانت دعواه التي يعلنها، وإنه لمن المستحيل عملياً أن تقلد مدنية أجنبية في مقاصدها العقلية والبدعية من غير إعجاب بروحها، وإنه لمن المستحيل أن تعجب بروح مدنية مناهضة للتوجيه المدني وتبقى مع ذلك مسلماً صحيحاً..، ولكن العالم الإسلامي، وبه ميل متزايد إلى محاكاة أوربة وإلى اقتباس الآراء والمثل العليا الغربية، يقطع بالتدرج تلك الصلات التي تربطه بماضيه، وهو من أجل ذلك لا يفقد شيئاً من مركزه الثقافي فحسب، بل من مركزه الروحي أيضاً»<sup>(1)</sup>.

يرى الندوي أن الأنظمة الغربية الاقتصادية ما هي إلا محل للأثرة المنظمة التي نراها في أوربا وأمريكا وفي روسيا، فهي في أوربا أثرة حزب من الأحزاب، وفي أمريكا أثرة الرأسماليين، وفي روسيا قلة آمنت بالشيوعية المتطرفة وفرضت نفسها على الكثرة وهي تعامل العمال والمعتقلين بقسوة نادرة ووحشية.

فإذا قام أي مجتمع على الاشتراكية -المساواة- وانتقلت كل مسؤولية وكل تبعه إلى الحكومات، وعلى الجهاز الإداري، وإلى القوانين والعقوبات، فالحكومة هي التي تأخذ وتعطي، وتهيئ لكل فرد حاجته وتتكفل بذلك فإن أهله يفقدون لذة المواساة لبني الجنس، والعطف على الإنسانية، والرقعة للضعفاء والفقراء..، ويصبحون كلهم تجاراً متنافسين، وأعداء متباغضين، لا يثق أحد بأحد، ولا يتنازل أحد لأحد، بعضهم يتجسس على بعض..، وكانت نتيجة هذا الوضع أن فقد الناس الشعور بالمسؤولية، والنهوض بالتبعات الذي فيه الشرف الإنساني، وتخلوا عن كل عهدة ومسؤولية، وأصبحوا هملاً وسوائم، لا هم لها إلا العلف والرتع، والشبع المفرط، ولا معنى للسخاء والإيثار<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup>: محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، مصدر سابق، ص 86.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، الأركان الأربعة في ضوء الكتاب والسنة، مصدر سابق، ص 157.

## خامساً: وجود التفاوت المعيشي الكبير بين طبقات المجتمع

يصف الندوي واقع العرب والمسلمين الذي شاهده عن قرب وكثب، فاعتاد العرب - لأسباب كثيرة وبتأثير الحضارة الغربية- حياة الترف والدعة والاعتداد الزائد بالكماليات وفضول الحياة والإسراف والتبذير، والاستهانة بمال الله في سبيل اللذة والشهوة والفخر والزينة.

وبجانب هذا الترف والنعيم وحياة البذخ والتبذير، جوع وعري وفقير فاضح، يرى الناظر مناظرة الشائنة في عواصم البلاد العربية فتدمع العين ويحزن القلب وينتكس الرأس حياءً وخجلاً، فبينما هنالك رجل عنده فضول الثياب وزائدة الطعام والشراب لا يعرف كيف يستهلكه، إذ ببديوي لا يجد قوت يومه وكسوة جسمه، وبينما أمراء العرب وأغنياؤهم على سيارات تباري الريح وتثير النقع، إذا بفوج من النساء والأطفال عليه ثياب سوداء قد أصبحت خيوطاً من طول اللبس يعدو لأجل فلس أو قرص، فما دامت المدن العربية تجمع بين القصور الشامخة والسيارات الفاخرة، وبين الأكواخ الحقيرة والبيوت المتداعية الضيقة المظلمة، وما دامت التخمة والجوع يزخران في مدينة واحدة، فالباب مفتوح على مصراعيه للشيوعية والثورات والاضطراب والقلق، وإذا لم يسد النظام الإسلامي في بلاده بجماله واعتداله ويحل محله نظام جائر بعسفه وقهره عقاباً من الله كرد فعل عنيف<sup>(1)</sup>.

وأكد الندوي على أن وجود هذا التفاوت في درجات المعيشة والمدنية والثقافة في شعب واحد وفي مسافة قريبة-بل تلاحظه في مدينة واحدة بل في حي من أحياء البلد- خطر عظيم على الأمة والبلاد، وهو الذي يمهد الأرض ويفتح الطريق لثورات اقتصادية وموجات شيوعية<sup>(2)</sup>.

## الفرع الثالث: أوضاع الأقليات المسلمة في الهند والإتحاد السوفياتي

تعد الأقليات المسلمة مجتمعا مصغرا في بلد غير مسلم، مستقل في شخصيته وخاصة الدينية وما يندرج تحتها من جوانب اجتماعية واقتصادية، ويسعى دائما للحفاظ على أحواله الشخصية التي تبقّي تميزه واستقلالته من الانحلال داخل المجتمع الكبير الذي له خصائصه وهويته المستقلة هو الآخر.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص248.

<sup>2</sup>: الندوي، مذكرات سائح في الشرق العربي، مصدر سابق، ص48.

ولا تزال تعيش الأقليات والجاليات المسلمة في البلاد غير الإسلامية مشاكل كبيرة تهدد كيانها، ومخاطر تحقق بخصائصها الإسلامية<sup>(1)</sup>.

### أولاً: الأقلية المسلمة في الهند

نجد الندوي كفرد من الأقليات المسلمة في الهند قد عايش الكثير من المشكلات الاجتماعية التي تعرض لها المسلمون. نذكر منها:

#### أ- الأحوال الشخصية

تدهورت أوضاع المسلمون في الهند بعد نشوب المعركة السياسية بين المسلمين ومواطنيهم، وانفصلت على إثرها الطائفتين وانقسمت الهند إلى جمهوريتين؛ الهندية والباكستانية، وقد خلف هذا الوضع مرارة في القلوب وشكا في قلب كل طائفة، فأدى هذا الوضع من قمع نشاطات الدعوة والأمر بتحديد النسل لمنع زيادة المسلمين في الهند، ونشأت معارك سياسية وحروب طائفية بين الشعب الهندي وبين المسلمين.

والأخطر من ذلك أن لجأت الحكومة الهندية العلمانية بتأثير الطائفية إلى محاولات لمحو شخصية المسلمين، عن طريق فرض قانون مدني موحد ينطبق على جميع الطبقات، وعلى رغم الصعوبات التي واجهتها من طرف المسلمين، فإنها أصدرت أحكاماً من حين لآخر تتعلق بالأسرة<sup>(2)</sup>.

#### ب- التنمية الاقتصادية

أما في المجال الاقتصادي فنجد أن المسلمين محرومون حرماناً تاماً من الاشتراك في التنمية الاقتصادية، وقد كان ذلك نتيجة دهاء الانكليز من تقريب الهندوس ونصب العداء للمسلمين، «فقد كان الإسلام يقلق مضاجعهم، ومما فعلوه اقتصادياً بالهند أنهم قبل التقسيم ركزوا الصناعات والمدارس والجامعات وعمليات إنشاء الطرق والسكك الحديدية في المناطق التي يقل بها المسلمون وأهملوا المناطق التي بها أكثرية مسلمة مثل السند والبنجاب وبلوختان والبنغال الشرقية»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>: ذكرنا الهند والاتحاد السوفياتي كنموذجين للأقليات المسلمة لأننا لم نجد غيرهما عند الندوي.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، المسلمون في الهند، مصدر سابق، 208.

<sup>3</sup>: ينظر: أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، 355/8.



وعلى هذا فقد كان للأزمة الاقتصادية التأثير العميق في حال المسلمين في الهند، بالفقر والحرمان الذي خلفته هذه الوقائع كان من شأنها أن تنزل وضع المسلمين من «مستوى الشعوب الراقية الذكية الطامحة إلى مستوى الشعوب المنحطة الخاملة وطبقة المنبوذين»<sup>(1)</sup>، وعن حال الحرمان فيما يخص تقلد مناصب ووظائف في الحكومة فيصف لنا الندوي ذلك في قوله: «.. ومن اطع على أعداد المنتخبين للوظائف خصوصا في الجيش والشرطة والوظائف الرئيسية التي تطلع الصحف بين حين وآخر، وقارن بينها وبين أعداد الموظفين قبل التقسيم-تقسيم الهند وباكستان- اعتقد أن المسلمين قد غادروا هذه البلاد ولم يبق منهم إلا الأميون الذين لا يستحقون هذه الوظائف، واستطاع أن يتنبأ بأن المسلمين سيقصون عن الجهاز الإداري مدة قليلة»<sup>(2)</sup>.

ولا تزال الأقلية المسلمة في الهند تتعرض للظلم والاعتداء من طرف الهندوس وخاصة الزعماء المتطرفين الذين تدفعهم الشائعات الملفقة والنشاطات المهيجة، وبذلك يحملون الحقد على المسلمين فينتهزون كل فرصة لنزاع أو أزمة اجتماعية للهجوم على المسلمين..، وتشترك في هذه التهم والشبهات والكرهية ضد المسلمين صحف الأغلبية وتعد اجتماعات سرية يشترك فيها المتطرفون ويهيجون فيها الأعصاب ضد المسلمين، وتنظم عصابات مدربة على أعمال القتل والنهب للهجوم على المساجد والمنازل والمحلات التجارية، والمارة بصورة منظمة، وما يزيد الأمر تأزما؛ محايدة أجهزة الأمن فلا تتخذ أدنى إجراء لتوقيف هذه الأعمال الإجرامية التي تهدد حياة المسلمين في الهند<sup>(3)</sup>.

فكل هذه النكبات التي تعرض لها المسلمون في الهند لا تزال المعاناة من آثارها فهي تزداد من حين لآخر خاصة بسبب اعتناق الطبقة المنبوذة من الهندوس الإسلام، ويعود ذلك للتأثير الذي تركه عدل الإسلام في الحقوق والواجبات واحترام الإنسان وتكريمه، في حين تجد هذه الطبقة -المنبوذة- الذلّ والهوان والحرمان في أدنى الحريات والحقوق من قبل الهندوس.

<sup>1</sup>: أبو الحسن الندوي، المسلمون في الهند، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1420هـ، 1999م. ص224.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، ص224.

<sup>3</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص222.

## ثانيا: المسلمون في الاتحاد السوفياتي

تناول الندوي الحديث عن معاناة الأقلية في الاتحاد السوفياتي وكان الدافع في ذلك تقديمه لكتاب "المسلمين في عهد زار" والثورة الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي<sup>(1)</sup>.

## أ- أخطار تواجه الهوية الإسلامية في الاتحاد السوفياتي

يعاني المسلمون في الاتحاد السوفياتي منذ أمد بعيد كثيرا من المخططات التي دبرتها الحكومات الروسية اتجاه الوعي القومي والإسلامي التي رأت أنه خطر يهدد الحياة القومية للمملكة الروسية بفضل حفاظ المسلمين على تعاليم الإسلام واستحسان بعض الطبقات السوية لنظام الإسلام.

ومن بين جملة المخططات السعي لتحقيق "إنسان سوفياتي جديد"، وقد حملت هذه الخطة المدبرة ظاهرا حضاريا يتمثل في إقامة نظام موحد تضحل فيه جميع القوميات، إلا أن الندوي قد اعتبر أن الهدف الأصيل من هذه النظرية هو القضاء على ثقافة الأقلية حتى تنمو الثقافة الروسية وتكون المهيمنة عليها، كما يرمي هذا المنهج أيضا إلى إحداث عراقيل وعوائق في سبيل نشوء الشعور القومي والوعي الإسلامي في أقليات آسيا الوسطى.

ثانيا: أساليب الحكومة الروسية في القضاء على الوعي الإسلامي لدى الأقلية المسلمة اتخذت روسيا جملة من الأساليب والمخططات لإماتة الشعور والوعي القومي والإسلامي، وإرغام الشعوب الآسيوية على الهجرة إلى المناطق الأخرى، واستيطان رجال السلالة السلافية في آسيا الوسطى، والتقسيم السياسي لآسيا الوسطى على أساس القبائل، وفرض الخط الروسي، وتشويه تاريخ القوميات السلالية المختلفة، وبث الشعور بنفعية السلطة الروسية لها، وفرض القيود على العادات الدينية، والجامعات، والمجامع القومية، ووسائل المتعة، ومراكز التسلية، ولاستئصال شأفة الأخوة الإسلامية اخترعت قوميات صناعية من "أزبيك" و"تاجك" و"تركمان" و"قزاق" و"خراكيذ" وصودرت الأوقاف، وهدمت ثمانية آلاف كتاب، وألوف من المساجد سنة 1917م، وقد تمت تصفية جيل المفكرين

<sup>1</sup>: للكاتب الهندي البروفيسور "تواري (tiwari)، ويحتوي كتابه على وثائق ومعلومات عن الحكام الروس السابقين والاشتراكيين إزاء المسلمين مستمدة من مصادر رسمية، ويقدم صورة لصمود المسلمين في وجه التحديات والمخططات للقضاء على شخصيتهم الإسلامية والقومية، ينظر: الندوي، مقالات إسلامية، مصدر سابق، 470/1.

الإسلاميين بأسره لإقصاء كل عنصر من مواضع النفوذ إلا العنصر الروسي، وإذا أسند منصب رئيسي من دون الروس في الجمهوريات الإسلامية يعين معه نائب روسي، أو مساعدا لمراقبته..، فكل هذه الأساليب والإجراءات تسترت من وراء شعار توحيد المجموعات السلالية، والدينية، والقوميات المختلفة، لإرغام الأقليات على الانصهار في بوتقة اللغة الروسية والثقافة الروسية.

وبناء على هذه المشاكل وغيرها التي عايشها الندوي في الهند ولا حظها عن كثب ومشاهدتها إثر رحلاته إلى البلاد الأوربية، ووقوفه على المعاناة التي تعترى الأقليات المسلمة في الحفاظ على هويتها الإسلامية وتميزها فيما يفرضه عليها دينها الإسلامي فقد تخوف من مآلات هذه المشاكل وعواقبها وجملة المؤامرات والمخططات التي تحاك حول المسلمين في هذه الأقطار؛ وأبرز هذه المآلات التي أولاها الندوي أهمية التي لها الأثر البالغ على بقاء حقيقة الإسلام هي نشوء إسلام أمريكي أوربي إقليمي وذلك يتم عن طريق فقدان الوعي بالمسؤولية وانقطاع الصلة بين المسلمين ومصادر الإسلام الحقيقية، وتنشأ مجتمعات للمسلمين تختلف أذواقها، ومثلها وقيمها، وموازين الأشياء فيها. وهو الخطر الكبير الذي يرى أولوية مواجهته قبل استفحاله وظهور نتائجه<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup>: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 471/2، 472.

و**خلاصة الفصل** فإن مظاهر أزمة الأمة الإسلامية في فكر الندوي ابتدأت بالأزمة السياسية على اختلاف مراحلها التاريخية، وما انجر عن ذلك من مآسي تاريخية ومعاصرة، لا تزال الأمة تعاني من آثارها على شتى ميادين الحياة، كما كان ذلك عائقا حقيقيا في سبيل تحقيق خاصية الأمة القائدة وفقدانها القيادة كأمة أخرجت للناس كلفت بهداية البشرية والوصاية على الإنسانية.

أما المظهر الثاني من الأزمة فقد كان على المستوى الثقافي، فتعرض الجانب الفكري والعلمي للأمة الإسلامية إلى نكبات أفقدها خاصية من خاصيتها الحضارية التي تتجلى في خاصية الحركة العلمية والفكرية التي قادتها حقبة من الزمن وكانت من أكبر مناراتها المنيرة في حياتها.

والمظهر الثالث كان في الأزمة الروحية والاجتماعية وما ترتب عنها من ضياع لأهم مقومات الأمة كمفهوم قرآني يعتمد الدين كمحور أساس في التمايز بينها وبين المفهومات الغربية الأخرى، فإذا ما تم انحرافها عن حقيقة الدين القويم وروحه وجوهره فقد فقدت الأمة جل خصائصها وأصبحت تشبه سابقتها من الأمم وحياتها، وتفقد نظامها الاجتماعي و شبكة علاقاته التي يغذيها الدين ويحرص على دعمها وتميئتها، ويضيع وعاء المجتمع الذي تنمى فيه قدرات الفرد والجماعة ويصبح المجتمع محدود القدرات لا يرتقي لأن يكون النموذج الذي تعرضه الأمة الإسلامية للمجتمعات الإنسانية.

## الفصل الثالث:

### عوامل النهضة في فكر الندوي

المبحث الأول: العامل الثقافي للنهضة في فكر الندوي

المبحث الثاني: العامل السياسي للنهضة في فكر الندوي

المبحث الثالث: العامل الديني والاجتماعي للنهضة في فكر الندوي

### الفصل الثالث: عوامل النهضة في فكر الندوي

تناول هذا الفصل جملة عوامل النهضة في فكر الندوي في ثلاثة مباحث؛ الأول في العامل الثقافي للنهضة، والثاني: العامل السياسي، والمبحث الثالث تضمن الحديث عن العامل الديني والاجتماعي للنهضة في فكر الندوي.

**المبحث الأول: العامل الثقافي للنهضة في فكر الندوي**

تضمن المبحث ثلاثة مطالب؛ تناول الأول الحديث عن النهضة العلمية، من بناء المنظومة التربوية التعليمية وصياغة نظم التعليم صياغة إسلامية، و تحقيق الاجتهاد والاكتفاء في البحث والتأليف، بينما انصب الحديث في المطلب الثاني عن النهضة الفكرية من ناحية أهمية الإصلاح والتجديد وضرورة استمرارها في الحياة الإسلامية، ثم الحديث عن الحضارة الغربية وتأثيرها، والتصميم الحضاري، أما المطلب الثالث فتناول إسهامات الندوي في البحث والتأليف ومنهجه في ذلك.

#### المطلب الأول: المجال العلمي

تناول هذا المطلب ثلاثة فروع؛ الأول في بناء المنظومة التربوية والتعليمية، والثاني في ضرورة صياغة نظام التربية والتعليم صياغة إسلامية، أما الفرع الثالث فتناول ضرورة تحقيق الاجتهاد والاكتفاء الذاتي في البحث والتأليف.

#### الفرع الأول: بناء المنظومة التربوية والتعليمية

##### أولاً: أهمية نظام التربية والتعليم في حياة الأمة الإسلامية

يولي الندوي نظام التربية والتعليم أهمية خاصة والثقافي عامة في فكره النهضوي، إذ يعدّه المقوم الأهم والأول، والعامل الأبرز الذي تركز عليه جميع المقومات الأخرى، فمتى غاب دور هذا المقوم لم تؤت باقي المقومات أكلها على الوجه الكامل، كما رأى أن مصير الأجيال المسلمة اللاحقة وبقائها على الإسلام، منوط بالميدان التعليمي الثقافي

وليس بالميدان السياسي<sup>(1)</sup>. واستنادا على رؤية الندوي هذه؛ وترتيباً للأوليات آثرنا أن نبتدئ في هذا الفصل بالنظام التربوي والتعليمي.

### ثانياً: مكانة العلم في الدين الإسلامي

كان شأن العلم ومكانته في الدين الإسلامي على غير شاكلة الأديان الأخرى التي أقرّ واقعها المحرّف بوجود الفجوة والصدع والقطيعة بينهما، حتى أصبح أحدهما العدو اللدود للآخر، وهذا ما أكدّه الواقع المسيحي وتجلت مصداقيته على أيادي رجال الكنيسة. في حين أن واقع الدين الإسلامي نجدّه قد نبذ هذه القطيعة، وحاربها فكان القرآن المصدر المقدس للدين قد أولى للعلم أهمية كبرى؛ حتّى عليه، وتوجيهها له، ورسمها منه لغاياته وبيانا لفضله. وبهذا يصحح الدين الإسلامي مسار العلم ويقوم سبيله دون أن يتركه يسير اعتباطاً فاقدًا للغايات السامية في مسيرته. وقد برزت مكانة العلم في الدين الإسلامي في النقاط التالية:

#### أ- تفخيم شأن العلم ودوره

إنّ الدين الإسلامي على غير شاكلة الأديان السابقة التي حرفت على أيادي البشر، إذ نجد أن الدين الخاتم المهيمن على الديانات السابقة والمكمل لها، قد نبذ هذه القطيعة فكان القرآن المصدر المقدس للدين قد أولى للعلم أهمية كبرى، حتّى عليه، وتوجيهها له رسماً منه لغاياته وبيانا لفضله. لذا فعّل الدين الإسلامي آليات العلم ودعا إلى إعمال العقل والانتفاع به، وإلى التفكير والاستنتاج، وربط المسببات بالأسباب، والنتائج بالمقدمات، والاعتبار والآثار، ودم تعطيل ما وهب الله به الإنسان، من صلاحية التأمل فيما حوله، والإعراض عن آيات الله في الأنفس والآفاق، والبلاد والأمم<sup>(2)</sup>، وأمر بتشغيل الحواس والانتفاع بها وصولاً إلى ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [سورة آل عمران: 191].

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، أسبوعان في المغرب الأقصى، مصدر سابق، ص 99.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، الإسلام أثره في الحضارة، مصدر سابق، ص 79، 80.

### ثالثاً: إيجاد الرباط المقدس بين الدين والعلم

تعد هذه التجربة فريدة -ترابط العلم بالدين- في تاريخ الديانات التي انقطع فيها العلم بالرب، فجاء هذا الدين ليربط هذا العلم باسم الرب، وينشئ صلة لا تنقطع، ..، وقد نبّه الوحي الإلهي أن طبيعة هذا الدين لن تفارق العلم، لأن الرسالة الأولى التي وجهته إلى البشرية تأمر بالقراءة..، فرفع من قيمة القلم ، وربط عصارة كل علم وثقافة بالتكريم الإلهي لهذا الإنسان<sup>(1)</sup> ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ﴾ [سورة العلق: 5].

كانت هذه المأثرة من جملة إنجازات النبوة الخالدة حيث أوجدت هذا الرباط المقدس الدائم بين الدين والعلم وربط مصير أحدهما بالآخر، وتقخيم شأن العلم والحث عليه. وجاء الوحي الذي كان اتصال السماء بالأرض ليجعل افتتاح رسالته بالعلم الذي تجلى في فعل القراءة "اقرأ". وبذلك فتح أفقا جديدا يتسم بقيام دولة العلم وبدء عهد زاهر باقتران الدين بالعلم وتزافهما وتعاونهما في الصياغة الإنسانية الجديدة<sup>(2)</sup>. فكان هذا النشاط الفكري العالمي في مجال من مجالات العلوم والصنائع والمدنية، ظهر أثره في العالم كله، فبرع العرب أو ممن كانوا ضمنهم من غير العرب، في شتى المعارف من الفلسفة، والفلك، والكيمياء، والطب، والعلوم الروحية، فأصبحوا سادة الفكر مبدعين ومخترعين<sup>(3)</sup>.. حتى

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، دور الجامعات الإسلامية المطلوب، مصدر سابق، ص23،24.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، الإسلام أثره في الحضارة، مصدر سابق، ص79.

<sup>3</sup>: وقد برز على مسرح التاريخ أئمة العلوم من المسلمين منهم:

\* الخوارزمي(226هـ/850م) أول من ألف كتابا عن الجغرافية العالمية، وأول من أضاف الصفر في العدد، وقام بتعيين الأعداد، وهو الذي اخترع الجبر.

\* أبو بكر محمد الرازي (311هـ/937م) الذي دعاه الغرب بـ: "ريز" فكان أكبر طبيب، بالإضافة إلى أنه كان فيلسوفا عظيما، وكيمياويا أريبا، وقدم كتابه الشهير: "الحاوي" استعراضا للطب اليوناني، والمصري، والعربي القديم، والهندي.

\* البتاني (317هـ/929م) الذي سماه الغرب بالبتياني، أو الباطنيوس كان بارعا في الفلكيات، وهو الذي قام بتقدير عوج الخسوف تقديرا صحيحا، وقام باكتشاف مدة السنة الشمسية، والفوارق في الموسم، ومحور الشمس الأوسط، ورفض اعتقاد بطليموس أن محور الشمس لا يتحرك.

\* أبو علي ابن سينا (428هـ/1037م) الذي عرفه الغرب بـ: آوى سينا ألف على موضوع الفلسفة كتابه "النجاة" و"الشفاء"، وعلى موضوع الطب كتابه: "القانون في الطب" وعلى علم النفس "وقد اشتهر بمئتين وواحد وثلاثين كتابا، ويقال: إن مئة وعشرة كتب أخرى تنسب إلى غيره هي من تأليفه، وتقدر مكانته في الطب أن كتابه في الطب ظلّ كتابا منقطع النظير مدة خمسة قرون، أي: إلى أواخر القرن السابع عشر للميلاد، وكان حجة في موضوعه.



شهد لهم غيرهم أنهم أصحاب قاعدة التجربة والملاحظة والمنطق الاستقرائي، وغيرها من أصول البحث العلمي الحديث، التي كان لهم قصب السبق في ابتكارها<sup>(1)</sup>. وعلى ضوء تأملات الندوي في سورة العلق، تستلهم مقومات الصورة التي يستلزم أن يكون عليها العلم، منها<sup>(2)</sup>؛ ضرورة "اصطبغ فن القراءة والعلم باسم الرب"، فيكون اسم الله منه المنطلق واليه المرد، فلا يجب أن يغيب عن العلم الهدف الأسمى وهو معرفة الله تعالى فهو الحق المطلوب، ولهذا نجد أن القرآن الكريم أرفد بعد الأمر بالقراءة اسم الرب ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾، وقد أثر سبحانه أن يكون التعريف به عن طريق الخلق، وصفته ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾، ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾، أما غاية التذكير بالطور الأول من خلق الإنسان فعلى وجه التعريف بحقيقة الإنسان وضعفه، وحاجته الدائمة، إلى قوة خالقه ورعايته له ولطفه به، فلا يجب أن ينساها فيغتر بفتوحه في مجال العلم والعقل والصناعة وأسباب تسخير الكون.

وأن مصدر كل ما توصل إليه الإنسان من العلوم والمعارف هو الله سبحانه الذي أودع الإنسان الصلاحية والقابلية للتعلم فهيأه لاكتشاف المجهول والبحث عن المفقود ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمَ﴾.

\* ابن الهيثم (431هـ/1039م) حوالي مئتي كتاب، سبعة وأربعون منها ألفت حول موضوع العلم الرياضي، وثمانية وخمسون عن الهندسة، وهو أول من قدم اقتراحا لبناء سد أسوان، واكتشف اكتشافات مفيدة في علم البصارة، وعرض كتابه: المناظر: "نظرية عن الإدراك البصري، فقال إن البصارة تنحصر على الأشعة التي تعود بعد الاصطدام بها". \* ولمع من الشخصيات أبو ریحان البيروني (443هـ/1005م)، فكانت له اليد الطولى في الطبيعة وما بعد الطبيعة، والأدوية، والكيمياء، والجغرافية، والتاريخ، بصفة خاصة، ويعد مع ابن الهيثم أساس البحوث العلمية لأوروبا المعاصرة. \* محمد بن محمد الإدريسي (560هـ/1135م) الذي بين في كتابه الممالك والمسالك الطرق التجارية للعالم الإسلامي مع عرض خريطتها الجغرافية.

\* وكانت لابن البيطار (646هـ/1248م) اليد الطولى في الأدوية في عصره، وذكر في كتابه "المغني في الأدوية" و"الجامع لمفردات الأدوية" علامات للأمراض المختلفة، وذكر أربعمئة من الحيوانات، والنباتات والمعادن، بإطناب وتفصيل من قبل نفسه، أو على أساس مشاهدة 150 من البارعين.

\* دور ابن خلدون (808هـ/1406م) أكبر عالم للعلوم الاجتماعية، والذي لفت الانتباه إلى البحث عن القوانين التي توجه الإنسانية، ولفت الاهتمام إلى العلوم الاجتماعية قبل الفيلسوف الغربي "كومتى" بخمسين عام.

ينظر: الندوي: محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 367/3، 368.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، الإسلام أثره في الحضارة، مصدر سابق، ص 93، 94.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص 79، 80.

## رابعاً: شقاء الإنسانية في انقطاع العلم عن الدين

لم يكن الغرض من إبراز علاقة العلم باسم "الرب" مجرد الوقوف على الحدث العظيم الذي أحدثه الإسلام في تاريخ الإنسانية، على قدر ما هو ضرورة حضارية ماسة في حياة الإنسانية ومقوماً يجب الحفاظ عليه، وعلى هذا نجد الندوي يحمل العلماء والباحثين تحقيق هذه المسؤولية، لأنه يرى أن انفصال العلم عن الاسم الرباني، والتوجيه الإلهي، وعن الغايات السامية منه، يعدّ مصدراً للفساد والانحراف، هذا ما ينطبق على هذا العصر وما يتعرض له من مشاكل متنوعة وأخطار رهيبة رغم انتشار العلوم وتنوعها، وتطورها، وازدهارها، ورغم الاختراعات الجديدة النادرة، والانتاجات البديعة الفائقة، ذلك لأن العلم وحده والمعرفة وحدها، لا تضمن هداية الإنسانية، بل من شأن ذلك إحداث الثورة على القيم الخلقية، وإلى الدمار والفساد، وينمي روح الانتهازية والاستغلال والحب للمادة وإنكار للغيب، ويسير بالمجتمعات إلى الشهوانية الجامحة، والخلاعة، والفجور، كما نشاهد اليوم في البيئات الأوربية، والأمريكية، والمجتمعات التي قطعت صلة علمها عن اسم الرب. وتحولت الدنيا إلى ساحة قتال، ومجزرة للإنسانية، وتسعى فيها كل دول الاستكبار للسيطرة على كامل الشعوب واستعبادها وسلب سيادتها وإهانتها<sup>(1)</sup>. وهي الحقائق التي دفعت بالحركات الاستعمارية والحريين العالميتين الأولى والثانية إلى روح الاستكبار وحب الهيمنة والاستعلاء، ولا تزال تبعث بذلك في الدول التي ملكت زمام التطور العلمي روح الاستكبار وحب الهيمنة والاستعلاء.

## خامساً: التأكيد على وحدة العلوم وتكاملها وربطها ببعضها

يعتبر الندوي أن الربط بين الوحدات العلمية المفرقة من أعظم المنن التي أوجدها الإسلام على يد النبوة المحمدية، فقد كان العلم عبارة عن معلومات مفرقة، بل كانت أجزاء مضادة متباينة، كان علم الطبيعة يحارب علم الدين، وكان الأطباء والرياضيون يأتون بنتائج سلبية إحادية في بعض الأحيان<sup>(2)</sup>.

فكانت «تبدو الوحدات الكونية - من الظواهر والحوادث والتغيرات - متناقضة مضادة، توقع الإنسان في حيرة واضطراب، وقد تؤدي إلى الكفر والإلحاد - كما كان الشأن في

<sup>1</sup>: الندوي: محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 370/3-372.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، أبحاث حول التعليم والتربية، مصدر سابق، ص 207.

اليونان، وكما كان في أوساط الفلسفة اليونانية ومدارسها في الشرق الإسلامي، وكما هو الغرب اليوم- والطعن والاعتراض على الخالق»<sup>(1)</sup>.

فدلاً العلم الإنساني المؤسس على الإيمان والقرآن، على الوحدة التي تجمع بين هذه الوحدات الكونية<sup>(2)</sup>، فلما كانت بداية رحلته العلمية الصحيحة قد ارتبطت باسم الرب،

كانت كفيلة بضمان الهداية في النهاية ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ﴾.

ولا يمكن فهم علاقة الدين بالعلم بعيداً عن الإنسان الذي يعدّ المحور الأساس الذي تدور حوله كل تعاليم الدين الإسلامي وشريعته، ومن ذلك يمكن الوقوف على الغاية الحقيقية التي يحققها من خلال توجيه الدين للعلوم، والتي تتجلى في "صناعة الإنسان الخليفة" وذلك من خلال تحقيق نموذج قويم من علاقات الإنسان؛ علاقة الإنسان بخالقه وتمثلها علاقة عبودية، علاقة الإنسان بالكون وتمثلها علاقة تسخير، علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان، وتشتمل على المساواة والعدل والرحمة والإحسان، أما علاقة الإنسان بالحياة فهي علاقة ابتلاء وتمحيص، ثم علاقة بالآخرة وهي حصيلة كل العلاقات وتمثلها علاقة الجزاء.

### الفرع الثاني: صياغة نظام التربية والتعليم صياغة إسلامية

أكد الندوي كثيراً على أهمية نظام التربية والتعليم في الحياة الإسلامية، وقد نال قسطاً وافراً في نظريته لنهضة الأمة الإسلامية وتجاوز أزماتها، بل إنه أرجع حال الأمة وضعفه شخصيتها إلى ضعف نظامها التربوي والتعليمي، واعتمادها الأنظمة الغربية كنموذج أمثل لنهضتها ومواكبتها التطور. وعلى هذا أبرز الندوي خطر هذا الأمر، وبيان أهمية استقلال الأمة في نظامها التربوي والتعليمي، مبرزاً الغايات التي يجب على النظام التربوي والتعليمي تحقيقها ومذكراً بالمواد الأساسية التي يجب مراعاتها فيه.

<sup>1</sup>: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 3/344.

<sup>2</sup>: وانطلاقاً من هذا فإن الندوي بدوره يرى بوحدة العلم وتكامله ويرفض تقسيمه بين قديم وجديد وشرقي وغربي، وعملي ونظري، كما لا يؤمن بتقسيم العلم إلى ديني ودينيوي، وفي مقابل ذلك يؤكد على أن العلم وحدة لا تتجزأ لا تقبل التوزيع ولا التصنيف، وهو الحقيقة أو التجربة التي لا تملكها أمة دون أمة ولا بلد دون بلد. ينظر: الندوي محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 3/258.

## أولاً: ضرورة استقلالية الأمة الإسلامية في منظومتها التربوية والتعليمية

يرى الندوي أن من أهم الواجبات على الأمة الإسلامية أن تستقل بنظام تربوي تعليمي إسلامي، يحفظ شخصيتها من الاضمحلال والنوبان في شخصية الغرب وثقافته، ويحفظها من مركب النقص، وأن يصاغ نظامها «صوغاً جديداً يلائم عقائدها ومقومات حياتها، ويخرج من مواده روح المادية والتمرد على الله، والأفكار النائرة على القيم الروحية، وينفخ فيه روح التقوى وتقدير الآخرة، والعطف على الإنسانية كلها، ويشمل ذلك جميع الميادين من اللغة والأدب إلى الفلسفة وعلم النفس، إلى العلوم العمرانية وعلوم الاقتصاد والسياسة»<sup>(1)</sup>.

وفي تصوّر الندوي أن نظام التربية لباس يجب أن يفصل على قامة كل البلد، أو على الأمة وملامحها الخاصة، وعقائدها العزيزة، وآدابها المفضلة، وأهدافها التي تعيش لها، وتموت في سبيلها، ويجب أن ينسجم مع أجوائها، وبيئتها، وتاريخها، وقيمها ومثلها العليا<sup>(2)</sup>. وبذلك يكون النظام التربوي والتعليمي يحمل رسالة تلك الأمة ويعبر عن شكلها وجوهرها.

ولا يعتبر الندوي أن هذا العمل سهل ميسور القيام، بل يعدّه مشروعاً ضخماً، يتطلب ثورة في التفكير، ومغامرة في المساعي والجهود، ومثابرة تنهك القوى، وتستنفد المجهود، ولكنه عمل تجديدي من أعمال الإصلاح والتربية، وأكبر خدمة للإسلام والمسلمين في هذا العصر، والذي يقوم به يستحق شكر الأجيال القادمة<sup>(3)</sup>.

## ثانياً: مفهوم التربية والتعليم وغايتها في فكر الندوي

## أ- مفهوم التربية عند الندوي

يتلخص معنى التربية عند الندوي في: إعادة الثقة إلى نفوس الجيل الناشئ الجديد بصلاحية أمته، ورسالته، وتراثه، فكل تربية تضعف ثقة الجيل الجديد بالعقائد التي آمن

<sup>1</sup>: الندوي، الصراع بين الفكر الإسلامية والفكرة الغربية، مصدر سابق، ص 182.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، أبحاث حول التربية والتعليم، مصدر سابق، ص 44.

<sup>3</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص 38، 44.

بها آباؤه وسلفه، وتضعف الثقة بترائه الذي ورثه<sup>(1)</sup>، فهي تربية تسيء إلى هذا الجيل أكثر مما تحسن<sup>(2)</sup>.

### ب- غايات التربية والتعليم في فكر الندوي

لنظام التربية والتعليم مجموعة من الأهداف والغايات يعتبرها الندوي معياراً نقيس به مدى نجاحنا وفشلنا، فمقياس النجاح في ميدان التربية والتعليم لا يقتصر عنده على توفر الجامعات والمعاهد وكثرتها، أو لمجرد التعليم والتنقيف، والتأهيل لشغل الوظائف والمناصب، فمهمة التعليم في البلاد الإسلامية «هو إنشاء جيل جديد إنشاءً فكرياً خلقياً ممتازاً، وذلك لا يتم بترجمة الكتب وجلب الأساتذة من الخارج وإنشاء عدد كبير من الكليات والجامعات، وإرسال بعثات من الطلبة إلى أوروبا وأمريكا، إنما يحتاج إلى شيء كثير من النبوغ والابتكار، وشيء كثير من التأليف والإنتاج»<sup>(3)</sup>.

وعلى هذا يرى أن نجاح مهمة التعليم مرهونة بمدى قدرة نظامنا التربوي والتعليمي على تحقيق الغايات السامية. التي تتمثل في<sup>(4)</sup>:

- 1- تأكيد إيمان الأمة بالعقائد والأفكار التي تؤمن بها، والحضارة التي تحتضنها، والدعوة والرسالة التي تتبناها، والخصائص والمزايا التي تحملها، حتى يطمئن القلب والعقل معاً.
- 2- الربط بين الأمة وبين تراث آبائها وأسلافها، وينقل هذا التراث إلى الأجيال القادمة والنشء الجديد، ذلك التراث الذي أفرغ عليه سلفها خير قواهم ومواهبهم، ومواهبهم.
- وتلي مرحلة نقل التراث إلى النشء مرحلة تعميقه في القلوب والأذهان، ويجعل القلوب تسيغها، وتتذوقه ويصبح مألوفاً محبوباً عندها.

<sup>1</sup>: نريد أن نوضح هنا قضية التراث أو كما قال الندوي العقائد التي آمن بها الآباء والسلف، فمما لا شك فيه أن التراث يحمل في طياته السلب والإيجاب، والمطلوب منا التنقية والتصفية وأخذ ما صفا وترك ما كدر، فليس كل التراث معصوم من الزلل، وليس كله جدير بالثقة، فهو في الأخير تجربة بشرية تحمل الصواب والخطأ. ويبقى إبراز الأصلح منه والسقيم على عاتق الأمانة العلمية.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، أبحاث حول التربية والتعليم، مصدر سابق، ص111.

<sup>3</sup>: الندوي، نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية، دار الإرشاد، بيروت، ط1، 1388هـ، 1969م، ص8.

<sup>4</sup>: ينظر: الندوي، دور الجامعات، مصدر سابق، ص8، 9، 12، 35.

3- تربية السلوك والسيرة، حتى يكون المتخرجون فيها قدوة للعلماء والدعاة<sup>(1)</sup> فضلا عن أفراد الأمة وآحاد الناس.

4- إيجاد طبقة مثقفة تثبت تميزها واختصاصها في علم من العلوم وفي مجال من مجالات البحث والتحقيق، وتقف حياتها للبحث والتحقيق، ونشر العلم والثقافة، وتنقيف الأمة والشعب. لأن القيمة في وجود أصحاب تفوق واختصاص وشهرة عالمية، في علوم وآداب، ومجالات علمية، وبحوث واكتشافات جديدة.

وفي ختام هذه المتطلبات التي تجمع بين التربية المعنوية الروحية والتعليمية المعرفية فقد جمعها الندوي في قوله: «غذاء يشبع العقل والقلب معا، وضوءا ينير لهما الطريق في وقت واحد»<sup>(2)</sup>.

توحي نظرة الندوي من خلال هذه الغايات إلى أنه يعتبر التربية والتعليم وسيلة إلى بناء الشخصية الإسلامية المتكاملة الجامعة بين القيم الإسلامية وبين العلوم والمعارف.

#### الفرع الثالث: تحقيق الاجتهاد والاكتفاء الذاتي في البحث والتأليف

يؤكد الندوي على ضرورة الاجتهاد، وتحقيق القدر الكافي من البحث والتأليف مع توفر الاجتهاد، ما يسد الحاجة، ويغني عن الاعتماد على كتب المستشرقين.

#### أولا: الحاجة إلى تدوين الفقه الإسلامي من جديد

##### أ- التطور صفة الزمان الدائمة

يعتبر الندوي أن التغيير والتطور من صفة الزمان الملازمة له، وأن الحاجة إلى الاجتهاد في المسائل الشرعية والمستحدثات العصرية حقيقة لا غبار عليها، ولا مجال للجدال فيها، والحقيقة المؤسفة التي أكد عليها الندوي أن أصول الفقه قد أصبح منذ زمن طويل تاريخا يدرس، لم يعرف منه سوى طرق المجتهدين الأوائل في استنباط المسائل لا أقل ولا أكثر، والأمر المعلوم الذي ينبه عليه كذلك أن سير الزمان واستمرار مستحدثاته لا يمكن إرجاعه إلى الماضي، والإسلام الآن دين شعوب ومجتمعات تعاصر هذه القضايا وتواجهها وجها لوجه<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>: بحيث يكونوا رجالا مثقفين لا يرضون أن يبيعوا ضمائرهم بأي قيمة مهما كانت رفيعة غالية، فلا تستطيع فلسفة هادمة، أو دعوة منحرفة، أو حكومة ذات سياسة خاطئة، أو قوة مدمرة أن تشتريهم بأي ثمن. يقفون حياتهم لخدمة الأمة، ويستعدون للتضحية والفداء. ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 3/ 269.

<sup>2</sup>: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 3/ 270.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي، الاجتهاد ونشأة المذاهب الفقهية، المجمع الإسلامي العلمي، الهند، (نط)، 1403هـ، 1983م، ص 26.

وإثباتا لصلاحية الدين ومصداقية مواكبته للحياة وقيادتها - لاسيما وقد تقدمت في المدنية والصناعة والتجارة تقدما لم يكن يخطر على البال، فحدثت أساليب جديدة ومعاملات تجارية- فقد نيط بالفقهاء والمؤسسات الدينية إيجاد أحكاما فقهية مبنية على الأصول الإسلامية وأصول الفقه، ومقاصد الشريعة الإسلامية<sup>(1)</sup>.

### ب- آلية الاجتهاد في نظر الندوي

يستحسن الندوي أن يكون الاجتهاد جماعيا بدل الفردي (إلا إذا اقتضت الضرورة) وأن يكون مجمعا "أكاديميا"، وعن تبادل الرأي في أهل الاختصاص والتأمل الطويل ونخل القضية وغربلتها في ضوء الكتاب والسنة واستعراض الثروة الفقهية والأصولية استعراضا كاملا حتى لا يكون في ذلك أفتيات أو مؤامرة، أو خضوع لقوة سياسية أو حكومة أنانية<sup>(2)</sup>. ولا تكون هناك تشريعات مجحفة، وقيود مرهقة من تحريم ما أحل الله، وتضييق ما وسع الله فيه- تكدر صفو الحياة، وتعقد الدين وتجعله عبئا ثقيلا لا يطاق حمله، فتخالف سمات الشريعة المحمدية التي جاءت لتزيل القيود والأغلال، فتكون تشريعات تتسم بالسهولة واليسر توافق الفطرة المستقيمة والعقول السليمة في كل زمان<sup>(3)</sup>. كما أكد الندوي على تجنب الصراع من أجل الخلافات الفقهية في المسائل الفرعية، فمحاربة مذهب فقهي من المذاهب وجعله عرضة للحملات الجائرة جهاد في غير جهاد ونضال في غير عدو، فكل هذا إهدار للطاقات والجهود التي ينبغي أن توجه إلى قضايا المسلمين ومشاكلهم، ومواجهة التحديات إزالة العقبات<sup>(4)</sup>.

أما عن صفات المجتهد فيرى الندوي أن يكون: «واسع الصدر، رحب الذراع ميّالا إلى جمع كلمة المسلمين ولمّ شتاتهم، ويقصر الفجوة بين المذاهب وأهلها، حسن الظن بالأئمة المجتهدين والسلف المتقدمين، كارها بعيدا عن توسيع الفجوة بين طوائف هذه الأمة وطبقاتها، وبين الماضي والحاضر، غير مثير للضغائن والأحقاد القديمة، والأمة لا تطيق

<sup>1</sup>: ينظر: ينظر: الندوي، الاجتهاد، مصدر سابق، ص24.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص28.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي، النبوة والأنبياء، مصدر سابق، ص123، 124..

<sup>4</sup>: ينظر: الندوي، أضواء على الحركات والدعوات الدينية والإصلاحية، ومدارسها الفكرية، ومراكزها التعليمية والتربوية في الهند، المجمع الإسلامي، (د، ط)، 1416هـ، 1995م، ص56.

اختلافاً جديداً وإثارةً للدفاعن وما عفاه الدهر»<sup>(1)</sup>. مهتماً بـ «فلسفة التشريع الإسلامي وحكم الشريعة وأسرارها ومقاصدها على أساس يخلو من التقليد والتطرف - على منوال حجة الله البالغة للإمام الدهلوي- مع مراعاة تطور العصر الحديث وما جدّ فيه من نظريات وفلسفات واتساع دائرة البحث والتفكير فيه»<sup>(2)</sup>.

أما شأن تدريس المذاهب فيرى الندوي أن يتحلى بروح التسامح والميل للتوفيق واتساع أفق الفكر وحسن التعليل للمذاهب الأخرى<sup>(3)</sup>.

### ج- التحذير من التسرع في التعبير عن الآراء وإحداث الفوضى

ينبه الندوي على قضية العجلة والتسرع في إطلاق الأحكام وإبداء الآراء الخاطئة، ويرى أن المشكلة لا تكمن في الوقوع في الخطأ فالكمل معرض لذلك، وللاإنسان أن يتراجع عن أخطائه تأدية للواجب واعترافاً للحق، وإنما يوقفنا الندوي على أن المشكلة تكمن في عواقب تلك الأخطاء من غير تصحيح، وخاصة إذا غادر أصحابها الحياة وتركوا أفكاراً منحرفة، ولاسيما إذا تعلقّت هذه الآراء بالعقيدة والدين، وهنا ممكن الفوضى، فتجنباً لهذه المعضلة ينصح الندوي بعدم التسرع في التعبير عن الآراء وخاصة بالنسبة لعالم الدين، وأن نفكر فيها طويلاً مع عرضها على أهل الخبرة، ونصطبر على حكمهم عليها، ليتيح نشرها<sup>(4)</sup>. ولعل الذي يجب أن ننوه عليه في هذا الشأن خاصة، قضية الإفتاء في قضايا الأمة الإسلامية -كقضية جهاد الحكومات ونشر الفتن والفوضى-، فلا يجب التسرع في ذلك دون الروية والتؤدة ومناقشة قضاياها في إطار مجعني تفاديا للمخاطر والمآلات للفتاوى التي تصدر من أفراد على عجلة، دون مراعاة لمصلحة الأمة والنفع العام. أما شأن الندوي في هذا مع قدرته على الإفتاء، وقد اتسم فكره بالإحاطة بواقع الأمة الإسلامي المتأزم ورؤيته لخطوط النهوض بهذا الواقع، فإننا لا نجد منه صدور أي فتوى في شؤون الأمة الإسلامية؛ إلا ما تعلق بالقضية الفلسطينية التي تضمن نصها تحريم التنازل عن أي جزء من فلسطين<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup>: الندوي، نحو التربية الإسلامية الحرة، مصدر سابق، ص 91، 92.

<sup>2</sup>: الندوي، المصدر نفسه، ص 93.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، ص 93.

<sup>4</sup>: ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 192/3.

<sup>5</sup>: ينظر: صورة لنص الفتوى بخط الندوي، محمد أكرم الندوي، أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية المربي. مرجع سابق، ص 487.



#### د-توسيع دائرة الدراسة وتنوع البحث العلمي

يعتبر الندوي أنه من الخطأ التركيز على لون واحد من الكتابات الإسلامية، وعلى طراز واحد من الكتب، كما لا يجب اعتبار شخصية ما هي النموذج الكامل الذي لا يحتاج إلى غيرها، وليس من وراء هذه النظرة إلا السطحية وقصر النظر وضيق تفكير، ويشترط أن يكون الباحث على مستوى يمكنه من تمييز الصالح من الفاسد من الكتب والمؤلفات<sup>(1)</sup>.

#### ثانياً: الإقبال على البحث والتأليف وتحقيق الاكتفاء العلمي

##### أ- منهج البحث والتأليف في مواجهة كتابات المستشرقين

أداء للأمانة العلمية وسدا لتأثير كتب المستشرقين وإصلاحاً لهذا الوضع، يرى الندوي أنه من واجب «علماء الإسلام ورجال البحث والتفكير بالكتابة حول الموضوعات العلمية، ويقدموا للعالم الإسلامي المعلومات المؤكدة، ووجهة نظر الإسلام الصحيحة، مع مراعاة الجوانب المحمودة من حيث أصالة التحقيق وسعة الدراسة وعمق النظر، وتؤكد المصادر وصحتها، واستدلالاتها القوي، وأن تكون حاملة لجميع نواحي الإتقان والصحة، بعيدة عن الأخطاء والنقائص العلمية..» مع الإفادة من جملة المواد التي لم ينتبه الباحثون إلى قيمتها، وكتب ومظان لم يتبادر إليها الذهن، وليست في صميم الموضوع ولا من المصادر الرسمية..، كل ذلك مع تحرر للدقة والوجازة، والبعد عن التتميق والاستطراد، وبين المحاسبة العلمية النزيهة، وكلام وقور رزين، ولفظ موزون، بعيد عن التهكم والتكيت، والتجني والافتراض»<sup>(2)</sup>.

كما ينبه الندوي بأن المنهج التربوي المتزن السليم هو الاطلاع على وجهات النظر والمدارس الفكرية المختلفة، مرفقا ذلك بتوجيه الأساتذة الراسخين في العلم والدين، إلى مناقشتها وعرضها على المحك العلمي والديني وتقرير الصحيح، وتزييف الزائف، وذلك مما يتفق عليه خبراء التربية وأصحاب التجربة والاختصاص في علم النفس وعلم الاجتماع<sup>(3)</sup>. والغاية في ذلك سد الثغرات التي يستغلها المستشرقون وينفذون من خلالها، ويجدونها مادة ثرية للخوض فيها وإظهار الضعف والقصور في التراث الإسلامي.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 245/3.

<sup>2</sup>: الندوي، الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، مصدر سابق، ص 20، 21.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي، دور الجامعات، مصدر سابق، ص 16.

أما شأن الكفاءات العلمية التي تتكون في دول الغرب فإن الندوي لم يغفل حالهم وبيئتهم، وخطر الحضارة الغربية، إذ يتواجدون في مركزها، فقد انتخب لهم نموذجين من خريجي المدرسة الغربية لكنهما كانا رمزين للصمود في وجه الغزو الحضاري الغربي، وهما؛ محمد إقبال، ومحمد علي جوهر<sup>(1)</sup> اللذان عاشا في محيط الحضارة الغربية الفاسد المفسد، الهادم للأخلاق والمروءة والعفاف، وعادا منها حانقين عليها، ناقمين منها، ثائرين عليها، محتفظين بشخصيتهم الإسلامية، وبتقنتهم بالذات<sup>(2)</sup>.

### ب- أهمية اللغات في مجال البحث والتأليف

تعد معرفة اللغة العربية وعلومها والإحاطة بها بقدر معتبر منها في نظر الندوي من أهم المؤهلات التي تساعد الباحث على خوض غمار البحث والتأليف والتحقيق في الدراسات الإسلامية، فمن لم يكن على درجة من الكفاءة في معرفتها كان عرضة لارتكاب أخطاء فظيعة عندما يكتب عن القرآن، والحديث، والدراسات الإسلامية، لأن اللغة العربية وعلومها يعد مفتاح الكثير من أسرار العلوم والمعارف الإسلامية<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>: مولانا محمد علي جوهر كان بين المقاتلين المتحمسين لاستقلال الهند الذين ناضلوا ضد الإستخراب البريطاني ولد في 10 ديسمبر عام 1878م في رامبور ولاية أوتار براديش بالهند لعائلة ثرية يرجع نسبها للبشتون. وهو واحد من بين ثلاثة أخوة وهم (شوكت علي وعلى ذو الفقار). وعلى الرغم من وفاة والده المبكرة، تمكنت والدته بالجهد والتضحية على أن يحصلوا على درجات علمية عالية حتى رهننت تقريبا جميع ممتلكاتها وأرسلتهم إلى الكليات. فتخرج محمد علي من جامعة الجارج الإسلامية في عام 1898 م وأظهر تألقا بها و لم يكتفي بهذا الكم بل أكمل تعليمه بكلية لينكولن بأكسفورد حتى حصل على درجة الشرف في "التاريخ الحديث"، وكرس نفسه لدراسة التاريخ الإسلام. عاد من بريطانيا بعد تخرجه، عام 1911م فتولي منصب مدير التعليم في ولاية رامبور وبعدها التحق بالخدمة المدنية في بارودا، وتميز في تلك الفترة في براعته في الخطابة والكتابة فكتب مقالات في صحف مختلفة مثل "تايمز" و"الأوبزرفر" "مانشستر جارديان" فضلا عن غيرها من الصحف الإنكليزية والهندية الكبرى، باللغة الإنكليزية والأوردو، وأصدر جريدة أسبوعية باسم الرفيق (كومريد) و كانت تصدر باللغة الإنكليزية من كال كوتا وكان أول عدد في 14 يناير 1911م و كان كاتبها الوحيد حتى اشتهرت و انتشرت. وبعد عشرين شهرا من إنشائها انتقل إلى دلهي في عام 1913م نشر جريدة باللغة الأردية باسم هامدا رد اليومية. وفي عام 1915م ألقى القبض عليه و احتجز في السجن السياسي حتى ديسمبر 1919م حيث إطلاق سراحه. وهو أحد مؤسسي الجامعة الإسلامية في ميليا عام 1920م ، وكان من بين مؤسسي (الاتحاد الهندي الإسلامي ) في «دكا» عام 1906م شغل منصب رئيس الإتحاد في عام 1918م وظل نشطا في الإتحاد حتى عام 1928م. ينظر: مؤسس جمعية الخلافة: مولانا محمد علي جوهر - رحمه الله - (1878-1931)، رجال المجد الضائع، صفحة تاريخية علمية بإدارة فريق من المتخصصين:

[/https://menoflostglory.wordpress.com/2015/03/02/](https://menoflostglory.wordpress.com/2015/03/02/)

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 1/ 139.

<sup>3</sup>: ينظر: المصدر نفسه، 191/3.

ولم يهمل الندوي التنويه على أهمية اللغات الأجنبية، وفي مقدمتها الإنجليزية والفرنسية والألمانية والهولندية التي عدّها الندوي اللغات التي كثرت فيها المؤلفات والبحوث في الموضوعات الإسلامية<sup>(1)</sup>. وقد أثنى على بعض كتابات الهنود المسلمين الممتازة باللغة الإنجليزية.

ولما كان الندوي ملماً بأهم اللغات - أولها العربية، والانجليزية، والأردية، والفارسية - وقف على أهمية اللغات وضرورتها وأكد عليها في البحث العلمي والتعمق في الدراسات. وعلى كل هذا؛ يلخص الندوي نظرتة للنهضة العلمية في قوله: «.. إذا أراد العالم الإسلامي أن يستأنف حياته ويتحرر من رق غيره وإذا كان يطمح إلى القيادة، فلا بد إذن من الاستقلال التعليمي، بل لا بد من الزعامة العلمية وما هي بالأمر الهين، إنها تحتاج إلى تفكير عميق، وحركة التدوين والتأليف الواسعة، وخبرة إلى درجة التحقيق والنقد بعلموم العصر مع التشبع بروح الإسلام والإيمان الراسخ بأصوله وتعاليمه..، والتوفيق بين حقائق الدين التي لا تتبدل وبين العلوم العصرية النافعة والتجربة والاختبار..، ما يستخرجون به كنوز أرضهم وينتفعون بخيرات بلادهم»<sup>(2)</sup>.

إذا يتمثل أول عامل من عوامل النهضة في فكر الندوي في النظام التربوي والتعليمي، الذي يرى ضرورة أن يستقل بذاته عن الأنظمة الغربية سواء في كثيرها أو قليلها، وأن يبنى على أساس ينسجم مع الأمة ورسالتها، فيجمع بين القيم الإسلامية وبين تحصيل العلوم والمعارف وإحراز التميز في ذلك، منبها على أهم الغايات المرجوة منه، وعلى أهمية تحصيل اللغات المعينة على البحث والتحقيق.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، مصدر سابق، ص 23.

<sup>2</sup>: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص 239.

### المطلب الثاني: المجال الفكري

يتضمن هذا المطلب ثلاثة فروع؛ الأول في أهمية تاريخ الإصلاح والتجديد في الحياة الإسلامية، والثاني في التصميم الحضاري ومتطلباته، والفرع الثالث في مقومات التصميم الحضاري.

#### الفرع الأول: أهمية تاريخ الإصلاح والتجديد في الحياة الإسلامية

أولى الندوي سلسلة الإصلاح والتجديد أهمية كبيرة في رؤيته النهضوية، لما قدمته من صيانة الأمة من الانحراف والتحريف في مسيرتها التاريخية وعبر حقب مختلفة، وقد عدّ الندوي وجود مثل هذه الخصيصة في الأمة الإسلامية من فضل دين الإسلام الذي يعتبر مصدرها التي تستمد منه استمرارها في الأمة الإسلامية.

#### أولاً: مرافقة الدين للحياة وتوجيهه لها

تتسم الحياة بالحركة والتطور والتجدد، ويصاحب هذا كله عراقيل ومشاكل في طريق الأمة الإسلامية وتواجه الفكر الإسلامي من حين لآخر. أما الدين فيرى الندوي أنه على جناحين؛ جناح ثابت يتمثل في عقائده وحقائقه الخالدة، وجناح متغير تتمثل في مرونته وقدرته على مسايرة الحياة، وهو في ذلك ليس بالمساير المائع ولا المراقب الجامد، بل منكر للانحراف محارب له، مشيد للاستقامة<sup>(1)</sup>.

#### ثانياً: الدين الإسلامي المصدر الوحيد لظهور رجال الإصلاح والتجديد

أوجدت هذه الصبغة الإلهية التي يتسم بها الدين رجال أحياء أودعت فيهم كوامن القوة للثورة والتمرد على الأوضاع الفاسدة، والمجتمع الزائغ، والأخلاق المنحلة، والسياسة المستبدة، والحكم الجائر، والتترف المسرف، ويفرض عليهم إنكار المنكر، وكلمة حق عند سلطان جائر، ويحرم عليهم الاستقامة إلى الأوضاع الفاسدة، والرضا بالحياة الدنيا، وبيع الضمائر<sup>(2)</sup>.

وعلى إثر رؤية الندوي بالتأكيد على هذا الأمر؛ نجده قد خلف تراثاً يشتمل على ذكر مآثر بعض رجال الإصلاح والتجديد، ومناهضتهم للأوضاع الفاسدة والبيئات المنحرفة، وقد كانوا نوابغ عصرهم، حكمة وعلماً وخلقاً، وجاهدوا في سبيل الحق رغم افتقارهم

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، 39/1، 40.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، 42/1.

لأسباب النصر المادية التي اعتمدها أعداؤهم في محاربتهم بها. وقد اختلفت جهودهم ومآثرهم حسب مشاكل بيئاتهم وأمراض مجتمعاتهم.

ولهذا حثّ الندوي على ضرورة الاهتمام بسلسلة رجال الإصلاح واستمرارها، والتأليف فيها، إبرازا لمواقفها وأعمالها، ووقفا على الخدمة التي قدمتها للأمة الإسلامية. التي يعتبرها السمة التي تميز بها الإسلام عن باقي الديانات، فلم توجد على مرّ التاريخ الإسلامي ثغرة في جهود الإصلاح والتجديد، ولم توجد فترة فقدت فيها شخصية من شخصيات الإصلاح والتجديد.

وعلى إثر فكرة الندوي هذه؛ آثرنا أن نستلهم الفكرة التي قامت عليها بعض الشخصيات التي عرضها الندوي ونركز عليها -وهو الأمر الذي قام عليه منهج الندوي في كتاباته حول شخصيات الإصلاح والتجديد- لكي لا يتشتت جهد القارئ فيصرف من الفكرة الأهم والأولى والأصلح لخدمة الأمة ويركز جهوده على الشخص والانتصار له فيجعل بذلك من التراث أطلالا تحيى حولها المشاعر كلما ذكرت.

### ثالثا: التركيز على النبوة سبيلا للمعرفة الصحيحة والهداية الكاملة

بعد عرض الندوي لأزمات الفكر الإسلامي الذي تمثل في سعي كل من تجربة العقل والروح -الفلسفة والاشراق- في الإجابة على جملة التساؤلات المصيرية التي تتعلق بالخالق سبحانه، وصفاته، والحياة الآخرة، ومحل الإنسان منهما، وما تلا ذلك من وجهة نظر نقدية لكلا التجريبتين، فإنه عرض بديلا عنهما للإجابة على جملة تلك الأسئلة، وقد تجلّى في طريق الأنبياء حيث عدّهم «هم الأدلاء على ذات الله وصفاته الحقيقية، وهم الوسيلة الوحيدة لمعرفة الله تعالى المعرفة الصحيحة؛ التي لا يشوبها جهل ولا ضلال، ولا سوء فهم ولا سوء تعبير، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا ما كان عن طريقهم، التي لا يستقل بها العقل، ولا يغني فيها الذكاء، ولا تكفي سلامة الفطرة وحده الذهن والإغراق في القياس، والغنى في التجارب»<sup>(1)</sup>.

وإن كان الندوي قد أولى هذه الفكرة أهمية بالتذكير بها، والتركيز عليها مقابل مساعي الفلاسفة والإشراقين ونتائج جهودهم الروحية والعقلية، فإنه قد عزاها إلى ابن تيمية وجعلها مآثرته الكبرى الرئيسية التي نال بها مكانته التجديدية ومنزلته بين أقرانه، وعلى سبيل التوارد العلمي والالتقاء الفكري العقائدي أيضا فقد اشترك معه في هذه المآثرة الإمام

<sup>1</sup>: الندوي، النبوة والأنبياء، مصدر سابق، ص 20.

السرهندي<sup>(1)</sup> الذي أثبت عجز العقل والكشف وإخفاقهما في إدراك حقائق ما وراء الطبيعة، فأثبت بطلان وجود العقل الخالص والعقل المجرد، وكذلك الكشف الخالص والكشف المجرد، وعلى هذا فلا سبيل إلى المعرفة الحقيقية لله ولعالم الغيب إلا ما جاء عن طريق النبوة ولا يمكن أن تستغني الحياة في عصر من العصور عن تعاليمها<sup>(2)</sup>. ولا يعني هذا أن الندوي يلغي فعل الفلسفة في الحياة ومدى إسهامها في تأسيس ثقافة التغيير والإصلاح وبعث روح التجديد والإحياء في الأمة الإسلامية، إلا أنه يرى أن تنتهج سبيلا آخر غير الخوض في النقاشات التي عثرت بالأمة، وربما استلهم هذا الأمر من تجربة محمد إقبال في الفلسفة والحكمة، الذي يرى «أن الفلسفة التي تقتصر على الدراسات والبحوث العلمية، وتنتهي بالمناقشات اللفظية ومباحث ما بعد الطبيعة ولا تدخل في صميم الحياة ولا تتعرض للمجتمع، وتعيش في العزلة عن العالم، إنما هي فلسفة منهارة لا تستطيع أن تعيش. يقول في بيت: "إن الفلسفة التي لم تكتب بدم القلب فلسفة ميتة أو محتضرة"<sup>(3)</sup>.

#### رابعا: أهمية الحرية الفكرية والعقدية وتوثيق الصلة بالإسلام

نظرا لتعرض الأمة من حين إلى آخر لانحرافات من داخلها ممن امتلك سلطان الحكم والقوة وغير مسارها على حساب ضمان مكانته، فإن الأمر يقتضي وجود الشخصيات القوية التي تحفظ شخصية الأمة وتصحح مسارها التاريخي. وتواجه في ذلك كل المحن والابتلاءات التي تعترضها في سبيل تحقيق هذه الأهداف السامية. وتحقق بموقفها أحقية الحرية الفكرية، وتكسر عصا الإكراه والقمع وحمل الناس على فكرة واحدة بالقوة من دون ارتضاء لها.

<sup>1</sup>: أحمد بن عبد الاحد بن زين العابدين الفاروقي السرهندي، (971 - 1034 هـ، 1563 - 1625 م)، من علماء الهند، الداعين إلى نبذ البدع، ويلقب بمجدد الألف الثاني.نسبته إلى (سرهند) ومعناها غابة الأسد، بين دهلي ولاهور، ومولده ووفاته فيها. تفقه وحج، واشتغل بالتدريس، وحبسه السلطان (جهانگیر) قيل: لامتناعه عن السجود تعظيما له. من مؤلفاته: "الرسالة التهليلية"، "إثبات النبوة"، المبدأ والمعاد"، "المكاشفات الغيبية"، "آداب المريدين"، و"المعارف اللدنية"، و "رد الشيعة"، و "تعليقات العوارف"، "المكتوبات الربانية". الزركلي، الأعلام، مرجع سابق، 1/143. ولإحاطة أكثر بأعماله العلمية والعملية، ينظر: "الإمام السرهندي حياته وأعماله"، للندوي.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، النبوة هي الوسيلة الوحيدة للمعرفة الصحيحة والهداية الكاملة، المجمع الإسلامي العلمي، الهند، دط، 1408هـ، 1988م، ص27، 11، 10.

<sup>3</sup>: الندوي، روائع إقبال، مصدر سابق، ص47.

وعلى هذا النحو فإن الندوي يشيد بالموقف الذي حققته شخصية "أحمد بن حنبل" إذ كان دوره السد المنيع في وجه التفكير الفلسفي المنهول، أو بالأصح الوقوف في وجه الإكراه، الذي يرى أنه لو سيطر على الأمة لقطع صلتها تدريجياً عن منابع الدين الأولى، وعن النبوة المحمدية، وأخضعت هذه الأمة للفلسفات، وأصبحت فريسة للآراء، وانتصرت الحكومة على الشعب، والسياسة على الدين، وأسلبت حرية الرأي والعقيدة<sup>(1)</sup>.

وعلى إثر ما قدمه الندوي في إحياء هذه الفكرة، نستلهم كذلك من موقف "أحمد بن حنبل" ضرورة وجود الشخصية القوية التي تتحمل المحن من أجل تحقيق حرية الرأي والفكر والاعتقاد، ومجابهة كل مساعي الاستبداد الفكري الذي يختزل سعة روح الإسلام - والخصائص التي يحملها في سبيل التنوع الفكري وفي إطار السلم والتعايش داخله - في رؤية واحدة، أو فكرة واحدة، وينتصر لفكرة يعتقد أنها على حساب قهر وقمع حرية الأفكار الأخرى.

#### خامساً: أهمية تفعيل العقل وتجديد علم الكلام والقدرة على التوفيق بين العقل والنقل

للعقل أهمية بالغة في الوجود الإنساني، وهو سبيل التمايز بين الإنسان وغيره من المخلوقات، وهو آلة الإدراك، كما لا يستغنى عنه في البحث والتتقيب عن غاية الخلق، والوجود وبملازمته وفهم معاني كلام الله ومراده في كتابه، وعلى هذا نجد القرآن الكريم قد حثّ على تفعيل العقل وذلك ما نلمسه من إثارته توظيف صيغ الفعل<sup>(2)</sup> في الحديث عن العقل دون الصيغة الاسمية له.

رغم ما عاب عليه الندوي المعتزلة من طغيان العقل وإخراج وظيفته عن حدود مجاله الذي وجب أن يشتغل فيه، إلا أنه لا ينكر أهميته ووظيفته ودوره الذي يجب أن يؤديه في تنفيذ الآراء والدعاوى بإقامة الحجج والبراهين العقلية دفاعاً عن العقائد الإسلامية وحتى الخوض في المسائل والمباحث المستجدة التي أحدثتها العقول ليبرز مدى صحتها وغلطها. وهذا هو موضوع علم الكلام<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، مج 1/180.

<sup>2</sup>: كصيغة: "عقلوه"، "تعقل"، "يعقلها"، "يعقلون"، و"تعقلون".

<sup>3</sup>: يتضمّن علم الكلام إقامة الحجج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرّد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة. ينظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من =

وقد قدم الندوي أبو الحسن الأشعري، والغزالي، وجلال الدين الرومي، كنماذج للتجديد في هذا العلم.

لا يتمثل حقيقة الدور الذي أدّاه أبو الحسن الأشعري في رأي الندوي، فيما قدمه من دفاع على عقيدة أهل السنة، كما يعتقد الكثير<sup>(1)</sup>، وإنما يكمن حقيقة دوره في اتخاذه الطريق الوسط بين العقل والنقل، الذي تمثل في الطرفين المعتزلة وأهل الحديث، فلم يذهب كما ذهب المعتزلة إلى تمجيد العقل، والإيمان بأن له سلطة لا تحد، وأن له الحكم على الذات وما يتصل بالصفات وما وراء الطبيعيات، ولم يرى أيضا كما رأى كثير من أهل الحديث أن الانتصار للدين والدفاع عن العقيدة الإسلامية يستلزمان إنكار العقل وقوته وازدراءه، وأن السكوت عن المباحث المثارة الناتجة عن تطور العصر أولى وأفضل<sup>(2)</sup>.

ويلي قوة شخصية الأشعري أبو منصور الماتريدي الذي كان من أشهر أئمة المتكلمين المدافعين عن العقيدة، الذي قام دوره في حق علم الكلام على حذف الزوائد والالتزامات التي كانت في عمل الأشاعرة التي يصعب إثباتها وإقامة الدليل عليها، وكانت تستدعي التكلف والتأويل، فنقح علم الكلام وهذبه؛ حتى أصبح أكثر توسطا واعتدالا، وبذلك كان

---

=ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحاتة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1408هـ، 1988م، 580/1. أما عن فضله فيقول الغزالي: "ألقي الله تعالى إلى عباده على لسان رسوله عقيدة هي الحق، على ما فيه صلاح دينهم وديانهم، كما نطق بمعرفته القرآن والأخبار. ثم ألقى الشيطان في وساوس المبتدعة أمورا مخالفة للسنة، فلهجوا بها، وكادوا يشوشون عقيدة الحق على أهلها. فأنشأ الله تعالى طائفة المتكلمين، وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب، يكشف تلبيسات أهل البدعة المحدثه، على خلاف السنة المأثورة؛ فمنه نشأ علم الكلام وأهله، ولقد قام طائفة منهم بما ندبهم الله تعالى إليه فأحسنا الذب عن السنة والنضال عن العقيدة المتلقاة بالقبول من النبوة، والتغيير في وجه ما أحدث من البدعة.. ينظر: الغزالي، المنقذ من الضلال، المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، تحقيق: جميل صليبا، وكامل عياد، دار الأندلس، بيروت، ط7، 1967م، ص72، 73.

<sup>1</sup>: امتلك أبو الحسن الأشعري مواهب عقلية وعلو المرتبة في العلم، وقد قام بالرد على المعتزلة، إلا أن الذي يجب أن ينبه عليه أن الفضل في نبذه هذا المستوى العقلي ونبوغه فيه إنما يرجع لفضل الاعتزال ذاته، وهي الصفة التي تميز بها المعتزلة وفاقوا بها خصومهم. كما لا يجب أن يظن أن الأشعري إنما ما قام به من الرد على المعتزلة كان بمعزل عن أساليب المعتزلة في علم الكلام. وهذا ما يوقفنا عليه كلام الندوي في قوله: "وقد اكتسب أبو الحسن ملكة قوية ومرانا على البحث والاستدلال، بحكم اشتغاله بالبحث في علم الكلام، والدفاع عن المعتزلة وكان صاحب موهبة وقريحة في المناظرة والاستدلال شديد المعارضة قوي الحجة". لذا لم يصل غيره هذا المستوى من الملكة في إقامة الحجج والبراهين القوية ضد المعتزلة. ينظر: الندوي: رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، مج1/189.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، مج1/190، 191.



الخلافاً بينه وبين الأشعري جزئياً ومحدوداً، واشتملت المسائل المختلف فيها بينهما على أربعين مسألة<sup>(1)</sup>.

وأما الغزالي فإن دوره كان في بيان جملة الأخطاء والتناقضات والانحرافات التي وقع فيها الفلاسفة والباطنية والمتكلمون، وهم التي الذين لجأ إليها بحثاً عن الهداية والحق اليقيني، وقد انتهى به الأمر إلى أن علم الكلام علاج مؤقت يوصف لمن نشأ عنده الشكوك والشبهات، ولا حاجة للطبائع والعقول السليمة إليه. ويصرف ثمرة جهده في تفضيل أسلوب القرآن لعموم نفعه وشاملية فائدته، فهو الغذاء الذي يحتاجه كل الناس على غرار علم الكلام الذي يجعله كالدواء الذي ينفع البعض ويضر البعض<sup>(2)</sup>.

إن الدور البالغ الذي أدّاه جلال الدين الرومي كان في الثورة على الوضع الذي آل إليه علم الكلام من فقدته للجدة والقوة، ونقد الفلسفة في اتجاهاتها ومنهجها، وتجاوزها الحدود في تقديس العقل. ويوضح الندوي أن الدافع الذي أدى بالرومي إلى هذا الدور اتجاه الفلاسفة والمتكلمين هو ما انجلى له من الكشوفات، والفيوضات الرحمانية، وانتقاله من أرباب الأقوال إلى أرباب الأحوال، وهو الواقع الذي كشف له مواضع غلطهم في الاستدلال والقياس والاعتماد على الحواس والعقل. وبضاعتهم المزجاة في المباحث الإلهية والحقائق الغيبية من الألوهية، والنبوة، وأحكامها، والغيب والوحي، والجنة والنار وغيرها، ولم ينحصر دوره في هذا فحسب بل تعداه إلى أن يتناول مجموعة المباحث الكلامية في أسلوب بديع، من غير تعقيد فيها ولا غموض مفضيا عليها خواطره وأفكاره، وهو ما تجسد في كتابه "المتنوي" الذي عدّه الندوي «مصدر إيمان جديد..» ويجد فيه كثير من القراء حلاً لمعضلاتهم، وشفاء لدائهم، وهو من هذه الناحية مؤسس علم كلام جديد. وإذا كان لا بدّ من مصطلح الفلسفة فهو مؤسس فلسفة جديدة، وهو في ذلك إمام مجتهد من أئمة الكلام، لا يقلد ولا يتبع إلا القرآن الحكيم، ولا يستوحي إلا فطرته السليمة<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي: رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، مج 1/197.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، مج 1/262.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، مج 1/383-390.

أما جملة المباحث الكلامية التي تناولها جلال الدين الرومي -كما عرضها الندوي-(<sup>1</sup>) فهي: "وجود الفاطر الحكيم ودلائله"، "غاية الخلق"، "النبوة والأنبياء"، "النبوة معجزة كاملة وبرهان على نبوته"، "بين النبي صلى الله عليه وسلم وضمير الأمة مناسبة وصلة"، "الحكمة في المعاد وحشر الأجساد"، "لا داعي إلى الإشفاق من الموت"، "الجبر والاختيار"، "عقيدة الاختيار في الإنسان والحيوان"، "العلة والمعلول"، "الأسباب حقيقية، ولكن خالقها لم يعزل ولم يعطل"، "الأسباب الباطنة وسبب الأسباب"، "وثنية الأسباب ومحاربة الأنبياء لها"، "لا رهبانية ولا بطالة"، "دعوة إلى الكدح والجهاد"، "ما هي الدنيا المذمومة؟"، "إن تعطل الصالحين مهد لسيادة الفساق والظالمين". فهذه جملة المباحث التي جدد فيها جلال الدين الرومي وأبدع في منظور الندوي.

والأمر اللافت من كلام الندوي سابقاً وإن لم يشر إليه، ويصرح به، أن عمل الرومي جمع بين الجانب العقلي الفلسفي والجانب الروحي الكشفي والإشراقي، فكان بذلك قد توسط الطريقين. فأبدع حينما أصبغ المباحث الكلامية نوقاً روحياً كشفياً. وهو الحلّ الوسط التكاملي لتجنب الإفراط والتفريط سواء على مستوى النزعة العقلية أو الروحية.

### الفرع الثاني: التصميم الحضاري في فكر الندوي

إن من بين القضايا التي يركز عليها الندوي تصحيح المفاهيم، ومن ذلك التأكيد على الفهم العميق والصحيح للدين والحضارة وضرورة استحضار الدين في مفهوم الحضارة، وما ذلك إلا ليؤكد على غياب هذا التلازم في الحضارة الغربية، وغياب فعالية الدين في نظرتهم للحضارة والحياة، بل إقصاء الدين وحصره في حريات فردية، ويصل الندوي بعدها إلى أهمية التنظير لمخطط حضاري، والوقوف على أهم مقوماته، ورسم للأمة الإسلامية طريق النهضة من عثرتها واستئنافها للمسؤولية تجاه الإنسانية، مستفيدة مما عند الغرب ما تعضد به السير في تبليغ رسالتها.

### أولاً: مفهوم الحضارة عند الندوي

قبل أن نقدم على بيان منهج الندوي في التعامل مع الحضارة الغربية، فإنه من الأهمية أن نستوضح ماهية الحضارة في فكره، لنقف على الخطوط الرئيسية التي بنى عليها منهجه في التعامل مع الحضارة الغربية.

<sup>1</sup>: ينظر: هذه المباحث الكلامية وتفصيلها ووجه الجدة فيها من المصدر نفسه، مج 1/390، 404.

عند الحديث عن مفهوم الحضارة عند الندوي فإننا نجد أنه لا يحدد لها مفهوماً بمنأى عن الدين، إذ يتركز جوهر مفهومه لها في اصطباغ الحياة بالدين، وبروز ثماره، وإن كان حقيقة مفهوم الحضارة لا ينفك عن دور الإنسان وما يصدر عنه من سلوك فعلي، فإننا كذلك نجد الندوي يركز على أن الإسلام يبني "الإنسان" الذي يؤسس الحضارة في إطار ترجمة سلوكية لتعاليم الدين.

ومن هذا فالندوي يعطي الصياغة الحقيقية للحضارة "الإسلامية" التي يرى أن تصطبغ بصبغة الإلهية، ولم يعط مفهوم للحضارة استناداً للإنتاج الإنساني الفاقد للتوجيه الإلهي. والقيم الروحية التي ينميها الدين في الحياة الإنسانية.

#### أ- مفهوم الدين عند الندوي

قبل أن يقدم الندوي على تأسيس مفهوم "الحضارة" فإنه يعرج أولاً على إعطاء النظرة الكاملة لمفهوم الدين، فأوضح أن الكثير ممن لم يتعمقوا في دراسة علم النفس الإنسانية والفلسفة الاجتماعية، وتاريخ الحضارات والمدنيات، حصروا الدين في إطار العقيدة والعبادة، وهي النظرة المسيحية للدين، أما نظرة الندوي لحقيقة الدين فيراها أكبر من أن تنحصر في العبادة والعقيدة<sup>(1)</sup>. فيعتبر الندوي كلمة "الصبغة" التي أطلقت على الدين ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ هي التي تعطي للدين مفهومه الخاص، فالإسلام ليس شيئاً ينقل حرفياً فقط، بل هو «منهج تفكير خاص، وذوق خاص يحكم على الأشياء، فهو عقيدة، وعمل، وسلوك، وخلق، وعاطفة، وشعور، وذوق يستولي على الإنسان، وعلى هذا وصف بالصبغة، التي تدل على الشمول والكمال»<sup>(2)</sup>.

#### ب- الدين والحضارة عند الندوي

يرى الندوي أن الدين متصل بالحياة لا ينقطع عنها، ولا يستغنى عنه في مسيرها، وهو المسيطر عليها وهي ظله والامتداد لعقيدته، وتطبيقاً لتفسيره لهذا الكون، ومن ثم فهو وثيق الصلة بالحضارة، والحضارة هي انسجام الإنسان وتجاوبه بين ما يعتقد ويؤمن به، وبين الحياة التي يعيشها. فيما أن الدين هو صبغة الله التي تصطبغ حياة الإنسان

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، أهمية الحضارة في تاريخ الديانات وحياة أصحابها، مكتبة العلامة عبد الحي الحسن، الهند، ط1، 1402هـ، ص12، 13.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 2/ 466.

وأسلوب فكره، وموازن القيم عنده، فالحضارة الإسلامية ليست إلا صورة لهذا التوافق والانسجام، وما هي إلا نتاج الإنسان المصطبغ بصبغة الدين. وعلى هذا المنطلق يربط الندوي الحضارة بالإسلام، ويعدّه مركز الثقل في مفهومها، لما يؤديه من سبك للحياة، فهو ينتج حضارة زاهية زاهرة، حضارة حكيمة عادلة، حضارة مؤسسة على التوحيد والإيمان، وذكر الله واستحضار قدرته، واستحضار الآخرة، ومؤسسة على العدل الاجتماعي، وعلى احترام الإنسانية، والرحمة بها، وعلى الجمع بين الواجبات والحقوق، والإفادة والاستفادة، والاعتراف بقيمة الإنسان أيًا كان<sup>(1)</sup> فلإسلام حضارته الخاصة ومدنيته الخاصة.

### ثانياً: الحضارة الغربية ومنهج التعامل معها في فكر الندوي

#### أ- خصائص الحضارة الغربية

قبل أن يؤكد الندوي على خطر تأثير الحضارة الغربية على الحياة الإسلامية، وحتى لا يكون من المندفعين المتحمسين من غير انتران، فقد كان على بينة ومعرفة عميقة لطبيعة الحضارة الغربية وتطورها، وما شمله تاريخها من أحداث، وعقائد وانحرافات، ومراحل ذلك، إلى أن ظهرت في صبغتها الأخيرة في هذا العصر، ومن ذلك جاز أن يعطي أحكاماً كانت قائمة على دراسة مشاهدة ومعايشة، وقد اجتمعت عناصر تركيبها من ثلاثة عناصر: "مسيحية محرفة"، و"يهودية ثائرة"، و"عقلية يونانية مادية"<sup>(2)</sup>.

وقد حملت هذه العناصر الكثير من الصفات التي تشكل مهددات لمصير الإنسانية، وأبرزها، إنكار عالم الغيب، حب الاستعلاء وإنكار حق المساواة بين بني البشر، السعي إلى امتلاك أسباب القوة، الثورة على القيم والأخلاق<sup>(3)</sup>، فكل هذه الصفات هي التي أسست لمفهوم الأمة في الرؤية الغربية.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، أهمية الحضارة، مصدر سابق، ص14.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، المسلمون تجاه الحضارة الغربية، مصدر سابق، ص19.

<sup>3</sup>: تقوم رؤية الحضارة الغربية على الأساس المادي ذاته الذي قامت عليه رؤيتها للكون والحياة والإنسان، فالأخلاق المعتربة هي التي تحقق منفعة، فكل الأخلاق التي لا تظهر فائدها لا تحظ بالإحترام والقبول، وبذلك ينقلب سلم الأولويات فتقدم المنافع على المبادئ والمصالح على الأخلاق والقيم. ينظر: الأشراف جمال، أبو الحسن الندوي وبناء علم الكلام الجديد، مرجع سابق، ص298.

وعلى حدّ تصور الندوي أن هذه العناصر التي تركبت منها الحضارة الغربية لا يمكن أن تكون لها رسالة للإنسانية، ولا أن تقود البشرية، وهي عاجزة عن التوجيه. ولا ينطلق الندوي في نقده للغرب باعتباره رمزا للتقدم والاختراع وما توصل إليه من العلم والصناعة، بل إن الغرب في نظره حضارة، وواقع الأمة الإسلامية بالنسبة للغرب أوسع من اقتباسات الآلات، والمخترعات، والتجارب المفيدة في الحياة العامة، بل هي أمام مشكلة اقتباس من حضارة تشتمل الأفكار، والقيم، والمفاهيم، وتخطيط مدني شامل، وأساليب حياة لا تتفق مع تعاليم الإسلام ومعاييرها في الطهارة، والنظافة، والاعتدال<sup>(1)</sup>.

كما لا يلغي الاستفادة من الغرب مما يعود على الأمة الإسلامية بالنفع والفائدة، وعليه فقد أبرز الغايات من الصناعات والمخترعات وما لها من ميزة في «التغلب على العقبات والصعوبات في سير الحياة، والانتفاع بقوى الطبيعة المودعة في الكون، وخيراتها وخزائنها المبتوثة فيها، واستخدامها لمقاصد صحيحة من غير علو في الأرض ولا فساد»<sup>(2)</sup>. والعلوم والصناعات والاكتشافات لا ذنب لها، فهي خاضعة لإرادة الإنسان وعقليته وأخلاقه، وأغراضه.

أول خطوة يتطلبها التصميم الحضاري في فكر الندوي؛ تصحيح المفهوم لمعنى الحضارة الإسلامية، وما يقتضيه من استحضار فعالية الدين فيها، والأمر الثاني السعي الحثيث في كشف دجل الحضارة الغربية ومخططاتها، وأساليبها لإخضاع العالم الإسلامي، والهيمنة عليه تحقيقا لرغباتها ومصالحها وتكريسا لسيادة الاستعلاء والاستكبار العالمي. وبيان خطر كل ذلك على الأمة الإسلامية.

### ب- رؤية الندوي في التعامل مع الحضارة الغربية

ينطلق الندوي في التعامل مع الحضارة الغربية من إرساء مقومات الثبات يقول: «ليكن موقفنا موقف عملاق معتد بكرامته، معتر بشخصيته ورسالته، مستخدم لعقله ومواهبه، حرّ في رفضه وقبوله، مقتبس منها ما ينفعه ولا يضرّه، ويطابق أهدافه ومثله، ولا ينافيها، ويضفي عليها قوة جديدة، ولا يوهن هيكله، وينخره، لا موقف قزم فقد الثقة»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، مقالات إسلامية، مصدر سابق، 1/ 273.

<sup>2</sup>: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص 188.

<sup>3</sup>: الندوي، مقالات إسلامية، مصدر سابق، 1/ 245.

ويرى الندوي أنه من الأمر الميسور الجمع بين التسهيلات المدنية والاستفادة من المخترعات وما وصل إليه العلم الحديث، وبين ما تمتاز به الحضارة الإسلامية من جمال، وبساطة وطهارة، والحياة السوية المتوازنة، ولكن الأمر يقع في مدى تأهب الحكومات الإسلامية واستعداد المجتمعات الإسلامية للتخطيط المدني المستقل، البعيد عن التقليد للغرب، والارتجالية ومركب النقص، مع توافر الذكاء، والأصالة، والإيمان بفضل التعاليم الإسلامية والحضارة الإسلامية التي تنبثق عنها وتقوم عليها، والاعتداد بشخصيتها، ويشرف على هذا التخطيط في الأقطار الإسلامية قادة الفكر، ورواد العلم<sup>(1)</sup>.

### الفرع الثالث: مقومات التصميم الحضاري

تستدعي الانطلاقة الحضارية للأمة الإسلامية مجموعة مقومات تتطلب السعي في تحقيقها، ونجد الندوي سعى ل طرحها في إطار ما تؤهله قدراته العلمية والفكرية، سعياً لتخطيط حضاري لإخراج الأمة من انتكاستها الحضارية.

### أولاً: التفكير العميق الواعي

أول مقوم يعتبره الندوي من أهم مقومات النهضة الحضارية هو التفكير العميق الواعي، وهو أبرز خطوة للتخطيط الحضاري السليم، والتفكير في شتى الجوانب ومحاولة تشخيص الأزمات القائمة وإيجاد الحلول الرشيد التي تقع مسؤوليتها على الفكر الإسلامي المعاصر، إلا أننا نجد الندوي قد ركّز ذلك في الجانب النفسي أكثر من الوقوف على المشكلات الخارجية، وقد تجلّى في إعادة الثقة بالنفس، والتخلص من دهشة الفتح الذي أصيب بها المسلمون اتجاه الحضارة الغربية، ومركب النقص الذي هيمن على النفسية والعقلية والتفكير، ومن النظر إلى أنفسنا كمجموعات بشرية موزعة، مقادة، خاضعة للغرب مؤمنة بسيادته، فلم نفكر في معارضته، ومناقشة سيادته، وجدارته للسيادة، ومن ثمّ أصبحنا نعيش على هامش الحياة، كما أصبحنا نوازن قيمتنا بالغرب ومنتجاته، ومن ثمّ هيمنت على تفكيرنا فلسفة الأسباب<sup>(2)</sup>.

وقد ركّز الندوي من خلال هذا التفكير على ما تملكه الشخصية المسلمة من مؤهلات من القوة المعنوية الإيمانية التي تستمدّها من دينها، وهي الحاجة الأساسية التي

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، مقالات إسلامية، مصدر سابق، 274/1.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، إلى الإسلام من جديد، مصدر سابق، ص93.

تتقد الحضارة الغربية، ومن هنا لا ينفي الندوي قضية الاقتباس من الغرب، بل يعتبر المشكل القائم في فقدان الثقة بالنفس، وتناسي الأسباب النفسية والقوة الروحية التي تجلب التمكين.

فمن بعد الخطوة الأولى من ضرورة بيان حقيقة الحضارة الغربية، وفقدانها لقيادة ركب البشرية إلى السعادة، يأتي دور التهيئة الفكرية والاستعداد للانطلاق الحضارية للأمة وإعادة بناء الثقة بنفسها، والاعتزاز بما تشتمله من رسالة سماوية تضمن سعادة البشرية.

### ثانياً: القيادة القدوة والشخصية الكاملة الراشدة

رغم ما اعترف به الندوي من سهولة التوفيق بين الجوانب العلمية والمخترعات والصناعات وبين روح الأمة الإسلامية وما تدين به الله من الشرائع الإسلامية، فإن هذا الأمر يبقى مرهونا بمدى وجود القيادة الراشدة التي تجمع بين الفكر الثاقب النير وبين العبقريّة، وقوة الإرادة، وفقه الدين، وبين الكفاءة في قيادة الأمة الإسلامية وبناء شخصيتها النموذج الذي تنتعش الإنسانية إلى ظهوره على أرض الواقع، وقد آثر الندوي أن يصطلح على هذه الشخصية الفذة المخلصة بـ: "العبقري العصامي"، وقد عدّ غياب هذه الشخصية الكاملة يشكل فراغاً أكبراً ومحنة ذكاء تواجه الأمة الإسلامية.

أما دور هذه الشخصية فهو قائم على مواجهة الحضارة الغربية بشجاعة، وإيمان وذكاء، ويشق طريقاً بين مناهجها ومذاهبها، وبين فضائلها وذنائبها، ويرسم طريقاً يترفع فيها عن التقليد والمحاكاة، وعن التطرف والمغالاة، غير خاضع فيها للأشكال والمظاهر، والمفاهيم السطحية، معاملاً الحضارة الغربية بعلمها ونظرياتها واكتشافاتها كمواد خام، ثم يصوغها صياغة قوية عصرية مؤسسة على الإيمان، والأخلاق، والتقوى، والرحمة، والعدل<sup>(1)</sup>.

نجد في حديث الندوي عن العبقري العصامي الذي يمثل غيابه الفراغ الأكبر في الأمة الإسلامية أنه قد خصّه عند الذكر بصيغة التفرّد، ولا ندري أقصد الندوي الحاجة إلى شخصية نموذجية كاملة تنصدر لهذا العمل الضخم وتبيري له بمفردها، أم قصد به جماعة تتكامل جهودها في ذلك؟، وعلى كل، فلا شك أن كلا الأمرين مطلوب توفرهما في الأمة، فمثل هذا العمل الكبير يستدعي تكامل المساعي بين هذه الشخصية والجماعة،

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، مقالات إسلامية، مصدر سابق، 278/2.

كما أننا لا نظن أن الندوي قد أغفل هذا الأمر فلذا نجده قد ألحَّ على ضرورة تواجد "الفريق المطلوب للبعث الإسلامي الجديد"، يتجرد عن المطامع ويخلص للدعوة ويبتعد عن حب المادة، واستغلال الحكومة لنفسه وعشيرته وحزبه، يحلّ العقد النفسية والعقلية التي أحدثتها الثقافة الغربية وأخطاء "رجال الدين" وسوء فهمهم له، يتسم بالحيوية العلمية والفكرية بمقابلاتهم وصدقاته ومحادثاته، ومراسلاته، ورحلاته، وإنتاجه من أدب إسلامي صالح مؤثر، وعلو أخلاقه وقوة شخصيته، وزهده وعزفه عن الشهوات، وتمثيله لأخلاق الأنبياء وخلفائهم<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً: طبيعة العلاقة بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية في نظر الندوي

سعى الندوي في نقد الحضارة الغربية وبيان إفلاسها في قيادة الإنسانية وإسعادها، فقد نال الشرق أيضاً حقه من النقد لما أصيب به من دهشة الفتوحات الصناعية والعلمية، فلم يستطع أن يماثل الغرب في تطوراتهِ وإنتاجه العلمي، ولا أن يحافظ على شخصيته الإسلامية.

وبعد أن أكّد كذلك على الدور السلبي للاستشراق وما أسهم من توسعة الفجوة بين الشرق والغرب، وما أحدثته جهوده العلمية والفكرية من تهميش الدين باعتباره القوة المحركة للشرق والباعثة على النهضة الحضارية، ففي المقابل جعلوا من الغرب النموذج الحضاري للإنسانية.

وعلى كلّ، فقد اعتبر أن الأسرة الإنسانية ظلت منذ زمن طويل مشتتة بين الشرق والغرب الذين ظلّوا منفصلين عن بعضهما لا يلتقيان إلا تحت نفع الشبهات والظنون، والإحن والأحقاد، فلا يلتقيان لصالح الإنسانية المشترك، ولبناء المدنية المثلى، ولا يتبادلان ما يختصان بهما من مواهب إلهية وعلوم مكتسبة، واستعدادات فطرية، وما أنتجاه وما أبدعاه على مرّ الدهور والعصور، من علم وفلسفة، وأدب، وحكمة، إلا نادراً وفي دائرة محدودة<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، ردة ولا أبا بكر لها، مصدر سابق، ص 25.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، حديث مع الغرب، مصدر سابق، ص 20.



ويتخذ الندوي بديلاً لشملة الأسرة الإنسانية، "لتجاوز ما أسماه الانفصام النكد بين الشرق والغرب، والعلم والإيمان، والوسائل والغايات، وهو ما تمثل في التلاقح بين الحضارتين، وتجلى هذا البديل في بعث روح الإنسانية، أو ما سمّاه بـ: "رسالة الإنسانية" وهي الحل الأمثل البديل عن الطريق المادي الخالص الذي سلكه الغرب، وعن طريق المسلمين الذين أساءوا إساءتين؛ فما استطاعوا إيصال رسالة الإسلام وجوهره إلى الغرب، ولا استطاعوا النجاح في الاكتشافات العلمية والصناعية. وأكدّ الندوي أن شقاء الإنسانية في انفصال الغرب عن الشرق، وفي انفصال العلم عن الإيمان، وفي انفصال المؤسسات عن الأخلاق والغايات الصالحة، ولا تكون سعادة الأسرة الإنسانية إلا في اجتماع الإيمان الذي تضخم في الشرق قديماً مع العلم الذي تضخم في الغرب حديثاً. ولا يزال الإيمان ينتظر مرافقة العلم.

ورغم ما قدمه الندوي من رسم منهاج يبني علاقة ترابطية تلاقحية بين المؤهلات الروحية والمادية بين الحضارتين، فإننا نجد أن هذا المخطط يبقى أملاً مرجواً أو مستحيلاً، استناداً إلى ما يراه الندوي من أن الغرب لا تصح نيته ولا تصلح طويته -أبداً- إزاء العالم الإسلامي، لأن الحروب الصليبية ورجال الكنيسة ودعاة النصرانية والمؤلفون في أوروبا الذين كانت تهيم عليهم النزعة الدينية والعاطفية أكثر من العلمية، أسهموا في إبعاد أوروبا عن الدين الإسلامي، وعن صاحب رسالته صلى الله عليه وسلم، وقدموه في صور ملؤها الخرافة والأساطير والتزييف، وأحاطوها بسياج من قصص وأمثال وأقوال حالت دون فهم شخصيته الإنسانية العالمية، والأمر الثاني؛ هو الخلفية التي تركها العثمانيون، الذين نظرت أوروبا إلى الإسلام من خلالهم باعتبارهم غزاة غايتهم الاستيلاء على كثير من بلادها..، ويقرّ الندوي رغم ما كان للعثمانيين من دور إلا أنهم أساءوا حقيقة قيادة العالم، ولا أن يقودوا النهضة الجديدة التي كانت تجيش في الغرب كما<sup>(1)</sup>، لأسباب ذكرناها من قبل. ويقول: «مع الأسف إذا أراد الغرب أن يقبل على هذا القلب وينتفع به، ويوجه به الإنسانية لم يستطع، ولا يجد إلى ذلك سبيلاً؛ لأنه فقد المفتاح الذي يفتح به هذا القفل، والقفل لا يفتح بغير مفتاحه، وعجزت صناعته الدقيقة ومصانعه الهائلة، ونوابغه العباقرة

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، حديث مع الغرب، مصدر سابق، ص41، 42.

عن أن يصنعوا له المفتاح الجديد، أو يكسروا له هذا القفل العنيد، لأنه قفل الإنسانية، لا قفل البنوك والمصانع، ولا قفلا لصناديق والخزانات، لا يفتح إلا بمفتاح الإيمان، ومفتاح الإيمان الذي أتحت بهالنبوة الإنسانية في الزمن القديم، مفقود أو مطمور في الغرب تحت ركاب المدنية، أو أنقاض المعابد من قديم»<sup>(1)</sup>.

ولم يكن نقد الندوي للحضارة الغربية وماديتها نتيجة الانفعال أو كرد مقابل عمل الاستشراق، ولا تحديداً لـ: "الأنا" والدفاع عليها، وجعله النموذج المتعالي كما يطغى هذا الفكر على الكثير من المسلمين السطحيين، -وقد ثبت أن الندوي قد أقرّ بفشل المسلم في كلا الجانبين المادي والروحي- ولا الحطّ من "الآخر" باعتباره المفلس روحياً.

لعل منطلق رفض الغرب لفكرة الإيمان أو الغيب التي يركز عليها الدين الإسلامي في حياة الإنسان بسبب صورة الشرق الذي تكونت في مخيال الغرب، وما رسخته الأحداث التاريخية من فعل رجال الدين بالعلم والحياة، وفكرة رفض الغرب للخضوع للفكرة الغيبية وضرورة تلازم سير العلم في ركاب الإيمان. وهو ما دفع بالندوي إلى ضرورة مبادرة الشرق لسد هذه الثغرة التي ترسخت في مخيال الغرب، واعتباره الأمل الوحيد لإنقاذ الإنسانية وقيادتها نحو عالم الغيب بسير سليم. فهو لاشك مؤئل الإنسانية ليس لأنه بلغ منزلة إنسان الحضارة أو النموذج المخلص؛ بل لأن مصادر دينه لا تزال أصيلة تستمد منها القوة الدافعة للتغيير والإصلاح والنهضة الحضارية.

ومن ثمّ يطرح الندوي فكرته لحل الأزمة العالمية في قوله: "انتقال القيادة العالمية من الغرب إلى العالم الإسلامي"، ولم يقصد الندوي العالم الإسلامي بوضعه المتردي المفلس لأنه يرى أن العالم الإسلامي وعواصمه الآن أصبح حليفاً للجاهلية الأوربية وجنوداً متطوعاً لها<sup>(2)</sup>، وعلى هذا فإنه يقصد بالقيادة "الكاملة المثالية" التي تتولى قيادة ركب

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، الصراع بين الفكر الإسلامية، مصدر سابق، ص 247.

<sup>2</sup>: أحسن الندوي إذ انتبه لهذا الحال بقوله: "جندياً متطوعاً لها" فقد تجاوز الغرب وعلى رأسه أمريكا مرحلة استعمال القوة والهيمنة العسكرية والتسلط على البلدان الضعيفة تحقيقاً لمصالحه وخدمة لمآربه، إلى مرحلة عادت عليه بما هو أفضل وأضمن لمصالحه دون إضاعة الجهد وتجنباً للخسائر المادية وللنفوس وقد تمثلت في إدارة الكثير البلدان العربية والإسلامية الموالية له المؤمنة بسيادته والخاضعة لقوته -باعتباره ممثل السلام العالمي- واستعمالها كأدوات لتحقيق الأغراض السياسية والمصالح المادية.

الإنسانية بفهم حقيقي للدين وجوهره، وتفهم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم. ومؤهلات العالم الإسلامي للقيادة العالمية، فهي تقتضي الاستعداد الروحي من جديد، والاستعداد الصناعي والحربي، وتبوء الزعامة في العلم والتحقيق<sup>(1)</sup>.

ومن هنا يسعى الندوي -برؤية وسطية بعيدة عن التطرف والغلو- إلى تحقيق الوحدة بين أعضاء الأسرة الإنسانية، من منطلق رسالة الأنبياء التي تتجه إلى إنقاذ "الإنسان" والرحمة به والعطف عليه، من غير تمييز بين -الأنا والآخر- وإحداث الصدع بين الأسرة الإنسانية. وإن اقتضى هذا الأمر مبادرة الشرق وسبقه في إحراز هذا العمل الحضاري الإنساني.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص228-238.

### المطلب الثالث: إسهامات الندوي في مجال البحث والتأليف

حوى هذا المطلب الثالث ثلاثة فروع؛ الأول في إسهامات الندوي في إعداد المناهج الدراسية، والثاني في إسهاماته في مجال الأدب، أما الفرع الثالث ففي الحديث عن جهوده في الأدب الإسلامي.

#### الفرع الأول: إسهامات الندوي في إعداد المناهج الدراسية

رحل الندوي وخلف من ورائه تراثاً علمياً ضخماً يتسم بالتنوع في مضامينه وقضاياها، فتوزعت بين العلمية والفكرية، ولكنها اشتركت جميعها في مقصد سام جليل يصب في خدمة الأمة وحمل همومها ومشاكلها، والسعي الحثيث المتواصل في سبيل نهضتها والعودة إلى انطلاقتها الحضارية من جديد هذا ما تميزت به شخصية الندوي كعالم وداعية مربى ومفكر.

#### أولاً: المرحلة الابتدائية

تعد مرحلة التنشئة الأولى للأطفال من أهم المراحل التي يجب التركيز عليها وإعطائها الأولوية، لما تتميز به الناشئة من سلامة الفطرة وصفاء النفس، وذلك يتم بالتركيز على أهم الكتب التي تتواءم مع مزاجهم ونفسياتهم.

وعلى هذا فنجد الندوي قد سعى في إنشاء سلسلة من الكتب الدراسية منها:

أ- "القراءة الراشدة": كان الدافع لتأليف هذا الكتاب وضع مناهج دراسية يواجه المناهج اللادينية من ناحية السهولة وتوفير الوقت ومراعاة نفسية الصغار، ويتميز عنها في الجانب التربوي والخلقي والديني، وتهذيب النفس، ملماً في ذلك بالمعارف الكونية والشؤون التاريخية والمواد العامة، مبني على أحدث مبادئ التعليم واختياراته.

وقد عرض الندوي منهجه في هذه السلسلة وغايته منه، كالاتي<sup>(1)</sup>:

1- أن تكون اللغة أدبية دينية عليها مسحة من جمال أدب الكتاب والسنة.

2- استعمال الكلمات المستحدثة التي لها أصل عربي واشتقاق صحيح لموضوعات عصرية حتى لا يلجأ الطالب في استعمال الكلمات العجمية أو الدخيلة، أو يكون له لسان أخرس في المناسبات العصرية.

3- تكرار المفردات العربية حتى يتمرن عليها الطالب.

<sup>1</sup> ينظر: الندوي، القراءة الراشدة لتعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية، اليمامة للطباعة والنشر، بيروت، 1421هـ،

4-تنوع الموضوعات والمواد لينشط الطالب وينتقل فيها من فائدة علمية إلى حديث ممتع وحوار لذيذ، ومن درس علمي إلى حكاية تاريخية، ومن نثر إلى شعر أو نشيد.

5- نقل الحكايات الواردة في الحديث إلى لغة تتشأ على أسلوب الحكايات الموضوعة للأطفال.

6-دروس خلقية تهذيبية تعلم الآداب الإسلامية في مختلف نواحي الحياة.

7-تضمين الدروس الأدعية الماثورة والآداب الدينية؛ بحيث لا يشعر الطالب بأنها تلقى عليه إلقاء، بل يحفظها عفويا في ثنايا الدروس والحكايات.

8-الروح الديني الساري في الكتاب بحيث لا يمكن تجريد الكتاب منه ويعم ذلك الدروس الدينية ودروس المعلومات الكونية والطبيعية والحيوانية والنباتية وعن الاختراعات الحديثة.

#### ب-قصص النبيين للأطفال"

تعد القصة من أبرز الوسائل التربوية لما لها قوة في التأثير النفسي وعمق في إيصال الفكرة وترسيخها وتقويم الناشئة خلقيا وسلوكيا، ولا أعلى من الذكر الحكيم الذي اختار أسلوب القصة وتصوير الأحداث في صورة بيانية تستميل النفوس وتقودها إلى القيم والمثل العليا<sup>(1)</sup>.

وقد التزم الندوي في مؤلفه هذا أمورا أربعة هي:

1-أن تكون ثروة الألفاظ فيه أقل قليل، ولكنها تنفث في ذهن الطالب بكثرة التكرار والإعادة.

2-أن يكون الكتاب في لغة القرآن، وتوضع الآيات الكريمة في محالها كالفص الخاتم.

3-أن يشتمل على تعليم العقائد الأساسية (التوحيد، والرسالة، والمعاد) وتلقينها للطلاب بطريقة عفوية.

4- أن تبسط القصص وتزود الأطفال بما يكره أليهم الكفر والشرك والمعاصي، وتحبب إليهم الإيمان والعلم، وترسخ فيهم الاعتقاد بعظمة الأنبياء وجلالة مكانتهم، وكل ذلك بطريق لا يشعر الطالب بثقله وأنه يلقي عليه ضمنا وعفوا لينسجم معه.

<sup>1</sup>: وقد كانت هذه السلسلة أيضا كبدل عن كتاب "حكايات الأطفال" لكامل كيلاني المقرر في الهند والذي نال رواجاً في البلاد العربية، وقد التمس فيه الندوي انصرافه عن الدين وعلمانيته، وملؤه بالصور وقصص الحيوانات.

### ج- قصص من التاريخ الإسلامي

اعتبر الندوي أن الناشئة المسلمة وأطفالها "أحوج من كل ناشئة إلى قصص وحكايات تغرس فيهم حب الخير والفضيلة، والبطولة والتضحية، والجهاد والشهادة في سبيل الله، وإيثار الآخرة على الدنيا، والعزوف عن سفساف الأمور وفضول الحياة، والحب لله وللرسول، ولأصحابه وأتباعه، والتاريخ الإسلامي أغنى ثروة التي تمدنا بقصص مثالية<sup>(1)</sup> ونماذج إنسانية رفيعة المستوى<sup>(2)</sup>. فكانت مدرسة للأطفال يتعلمون فيها المبادئ والأخلاق الفاضلة، والدوافع النبيلة، والمشاعر الكريمة الرقيقة، من غير أن تثقل عليهم، ومن غير سامة وملل<sup>(3)</sup>.

### ثانيا: مرحلة المتوسط والثانوي

وفيها قدم الندوي كتابه "سيرة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم" الذي اعتمد في تأليفه على تلخيص السيرة النبوية لإبن هشام مستندا إلى بعض المراجع القديمة وكتب الصحاح مع تجنب الإحالة إليها مواءمة لسن القارئ، فاقصره على النصوص والروايات، ولم يمزجها بالبحوث العلمية والتعليقات الفلسفية والشهادات الأجنبية، تجنباً لما قد يشغل القارئ عن التشبع بروح السيرة والتدوق بجمالها، ولما كان موجهاً لتلاميذ المدارس الثانوية وما شاكلها، فرأى لزاماً شرح المفردات الغربية.

فكان الكتاب وسطاً بين كتب السيرة المؤلفة للكبار، وبين ما ألف للصغار<sup>(4)</sup>.

### ثالثاً: مرحلة الجامعة

#### أ- سيرة السيد احمد الشهيد

في هذه المرحلة أقبل الندوي على تأليف كتاب "سيرة السيد أحمد الشهيد" وقد كان مخصصاً لطلبة اليسانس في جامعة عليكره، كما ألف كتاب "مختارات من الأدب

<sup>1</sup>: للاطلاع على أسلوب الندوي في عرض القصة للناشئة ينظر: رابطة الأدب الإسلامي العالمية، الشيخ أبو الحسن الندوي، بحوث ودراسات، الفصل السادس، ملامح قصة الأطفال الموجهة في مجموعة (قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال) لأبي الحسن الندوي، سعد الله أبو الرضا، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1426هـ، 2005م، ص127.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، الهند، ط1، 1411هـ، 1991م، ص6.

<sup>3</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص3.

<sup>4</sup>: ينظر: الندوي، سيرة خاتم النبيين للأطفال، مؤسسة الرسالة، ط9، 1405هـ، 1985م، ص4-6.

العربي" الذي ضمن فيه روايات حديثة على لسان الصحابة والصحابيات رضي الله عنهم، وما تحمله من وقائع وحوادث في حياتهم، أو تفاصيل لرحلاتهم وأسفارهم، أو بعض الوقائع المهمة التي تتعلق بحياتهم، في أسلوب مرسل طبيعي بعيد عن الكلفة والصنعة، وقد شملت هذه المقاطع التعبير الصادق عن المشاعر والعواطف، والتصوير الصحيح الدقيق لحالات النفس الإنسانية في جمال وروعة<sup>(1)</sup>.

ب- "مقالات قرآنية": جاء هذا الكتاب في شكله النهائي بعد أن كان عبارة عن مقالات حول القرآن، ومما دفع الندوي إلى هذا العمل أثناء تدريسه مادة التفسير ما أحسّ به من واقع الطلبة، وجهلهم لكثير من الأصول والأسس والمبادئ لمطالعة القرآن الكريم ودراسته والاستفادة منه، ولأجل ذلك لا يطلعون على مطالب القرآن وتعاليمه، ورسالته، وروحه وإعجازه بصورة دقيقة، أو تكون لهم في الغالب معرفة بدائية سطحية، وتضمنت هذه المقالات مجموعة عناوين:

"القرآن يتحدث عن نفسه"، "شروط الاستفادة وموانعها من القرآن الكريم"، "إعجاز القرآن"، "الموضوع الأساسي في القرآن الكريم"، "تبوءات القرآن الكريم ونبوءة غلبة الروم"، كما تناول العقائد الأساسية فيه: "التوحيد"، و"الرسالة"، و"المعاد"، و"الأركان الأربعة" (الصلاة والزكاة والصوم والحج). وصدرت هذه المقالات فيما بعد في شكل كتابين: المدخل إلى الدراسات القرآنية، والأركان الأربعة (الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج) في ضوء الكتاب والسنة.

#### الفرع الثاني: إسهامات الندوي في أدب السير والتراجم

عرف الندوي في العام الإسلامي بجهوده في الأدب وتنوع إسهاماته فشملت؛ أدب السير والتراجم، وأدب الرحلة، وأدب التقديرات، كما رسم شروطا التي لزم بها نفسه في مؤلفاته.

#### أولا: في أدب السير والتراجم

يعد أدب السير والتراجم من أغنى الميادين التي تزخر به المكتبة الإسلامية، وهو السجل الحافل الذي حفظ تراث الرجال وبطولاتهم، وكثير من تفاصيل حياتهم وإنجازاتهم.

<sup>1</sup>: ينظر: في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 142/1.

ويعتبر الندوي أن هذا الفن ليس من السهولة والافتقار بمكان كما يتصوره كثير من الناس، وبناء على هذه النظرة القاصرة، فقد فطر الناس على حبّ السهولة والتقادي من التعب المضني والسير المرهق، فيكتفون بما نقله الأولون ويعتمدون على ما عرضه واختاره الأقدمون، ولم يدركوا أن التاريخ وموضوع السير والتراجم لا يزال ينتظر السائح المغامر والغوّاص المخاطر قوي الهمة بعيد النظر<sup>(1)</sup>.

كما نجده يحمل المؤرخين والمؤلفين التبعة الكبيرة لما آثروه من أسلوبهم التاريخي والتراجمي وذكر مناقب الرجال ومآثرهم، وفي تاريخ الفرق والطوائف، والدراسات المقارنة، فاعتمدوا في الغالب على ما كتب قديما وما ورد في كتب الأولين من غير بحث حرّ وموسع في المصادر القديمة التي قد لا تعتبر مراجع الموضوع المباشرة<sup>(2)</sup>.

#### أ- شروط الكتابة في التراجم والسير

ولاستيفاء حق هذا الفن وتحمل الأمانة العلمية اتجاهه، يقدم الندوي جملة من المؤهلات الضرورية للباحث منها<sup>(3)</sup>:

**1-** المعرفة الشخصية الواعية الناقدة، وإذا تمت عن طريق المعاشرة والصحبة فهي من أفضل المؤهلات وأقواها، وإلا فعن طريق الدراسة الأمنية وتتبع الأخبار، وأن تقوم بينهما صلة من الصلات التي تحث على تتبع الأخبار والتعرف على الخصائص.

**2-** الاقتدار على البيان والتعبير بامتلاك ثروة لغوية وكلمات مميزة فاصلة.

**3-** الدقة والأمانة والشعور بالمسؤولية، والقدرة على تفصيل اللباس على قامة المترجم له والمعرف به، فلا يكسوه لباسا سابغا فضفاضا يبدو فيه قزما حقيرا، وبنم هذا اللباس عن أنه لباس لغير هذا الإنسان وقامة أطول من قامته، وللرجال قامات وقيم، وقد تكون الجناية على القيمة أشنع من الجناية على القامة.

**4-** أن يكون دافع الترجمة نبیلا نابعا من القلب، لتجاوب مع فكرة، أو استجابة لنداء الضمير، أو دفاع عن كرامة مهضومة، وحق سليب، أو رد لاعتبار، أو وفاء بفضل، أو

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، المرتضى، مصدر سابق، ص7.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص6.

<sup>3</sup>: الندوي، شخصيات وكتب، مصدر سابق، ص5-8.



إعجاب بجمال أو كمال، فإن تجردت عنه هذه العوامل، لم توف حق هذا الفن، بل سنتساق إلى الريح المادي والغرض التجاري ليس إلا.

5- القدرة على تمييز الألفاظ ووضعها في مكانها المناسب، فلا يسخر بكلمة تعطي صورة هائلة من العظمة والكمال، أو النبوغ والذكاء لشخصية لا تستحق سوى كلمات تحمل التوسط والاقتصاد، إضافة إلى تحديد تخصصه وتميزه في أحد العلوم، وإن تعسر ذلك فعن طريق الاطلاع الكامل لمؤلفاته جميعها وآراء معاصريه وحكمهم عليه.

#### ب- منهج الندوي في أدب التراجم والسير

تجمع شخصية الندوي بين الأصالة والمعاصرة، بين الشريعة والفكر، وقد كان لهذه الصبغة الأثر التجديدي في أدب التراجم والسير عنده، فنهج الندوي نهجا جديدا يختلف عن الأساليب القديمة، ليلائم بذلك الفكر المعاصر، ويخاطب العقلية الحاضرة ويؤدي الوظيفة والغاية التي أنشئ من أجلها، دون المساس بعناصر الأصالة، فلم يقف في التراجم عند التعريف بالعلماء والأشخاص الذين تحدث عنهم عند حدود الأسماء والألقاب وذكر النسب ومكان الازدياد وسنة الوفاة، وذكر آراء معاصريه فيه فقط، بل تجاوز ذلك ليصيب الأسمى من ذلك، فقام جهده على التركيز على نوع الخدمة الجليلة التي قدمتها للأمة الإسلامية في عصره، لذا فهو يعتني أكثر بالانجاز العلمي والديني، وبالأخلاق والصفات، والمركز الإشعاعي في المجتمع، ومقدار أعماله ومآثره، وتضحياته وجهاده في سبيل الإسلام، فيحلل هذه العناصر تحليلا وافيا، يجعل القارئ يزداد حبا بهذه الشخصية، وعرفانا بخدمتها للإسلام والمسلمين، والوقوف على العمل الجبار الذي أنجزه في عصره ومجتمعه، ثم يربط ذلك بأحداث العصر وقضايا الأمة الإسلامية التي ينجذب إليها القارئ، وبذلك يخرج الشخصية من مجرد مستوى التعريف والسطحية إلى مستوى القدوة والنموذج المثالي، مستلهما من مواقفها منهاجا لمواجهة الأزمات والنكبات، وهنا نقف على الخدمة التي يقدمها الندوي في فلسفة التاريخ وكيف يوظف ويستثمر حياة الرجال بحيث لا يبقون أسرى الأوراق والحبر في رفوف المكتبات<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر: رابطة الأدب الإسلامي، أبو الحسن الندوي - بحوث ودراسات-، (الحسين العربي رحمون، منهج التراجم ومعالج التجديد عند الشيخ أبي الحسن الندوي)، مصدر سابق، ص 433-436.

## ج- بعض نماذج من إسهامات الندوي في التراجم والسير

## 1- "السيرة النبوية" وشخصية سيدنا الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم

تعدّ شخصية سيدنا الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم من أعظم الشخصيات التي لا يجب أن تتقطع حولها الدراسات والتأملات، فما زالت البعثة النبوية تدر على البشرية بالمنن والفضائل وتثير للبشرية الدرب وتقوم لها الطريق.

وعلى هذا نجد أن الندوي لم يكن أسير التقليد والجمود في خدمة للأمة الإسلامية ولجيل عصره ومراعاة للتطور الطارئ الذي يوجب أن تصاغ الكتابة في السيرة صياغة توائم الجيل الجديد وتبعث فيه الصلة وتوثقها بخاتم الأنبياء كل ذلك في أسلوب عصري، ولذا كان من أهم ما راعاه الندوي في كتابه السيرة النبوية<sup>(1)</sup> عقلية «الجيل الجديد وذوقه ومستوى فهمه ونفسيته، وما وجد من طلبات وحاجات وأسلوب كتابي ومنهج علمي، فكل عصر أسلوبه ولغته، ومقادير وترتيبات في الأدوية والأغذية، وذلك من غير إخضاع السيرة النبوية للأهواء والأغراض وللنظريات العلمية التي تتغير صباح ومساءً، والشبه والاعتراضات التي يدفع إليها التعصب الديني أو الجهل العلمي أو الغرض السياسي»<sup>(2)</sup>.

وعلى ذكر منهج الندوي في التراجم والسير فإننا نقف على أهم المواطن التي يبرز فيها عند كتابته السيرة، فالمتأمل في أول ما ابتدأ به الندوي في كتابه من ذكر حالة العصر الجاهلي<sup>(3)</sup> الذي لا يقتصره الندوي على جزيرة العرب -كحال الكثير من كتب السيرة- بل يتجاوزها إلى ما جاوره من الإمبراطورية الرومانية الشرقية والإمبراطورية الفارسية والهند وأوربا، وهو الشأن كذلك الذي سار على دربه الندوي في كتابه "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين"، فنجد قد مهدّ بمقدمات طويلة وصفا لحالة العالم قبل البعثة وهو الذي آثر أن يلخصه في: "الإنسانية في الاحتضار"، ليوقف القارئ بعد ذلك على أهم صنيع معجز تمّ

<sup>1</sup>: وقد أشاد الندوي بما ألفه سليمان الندوي في السيرة النبوية، وما حواه الكتاب من جمال التعبير، وبث حلاوة الإيمان، وتوثيقاً للصلة بذات النبي صلى الله عليه وسلم، والكتاب عصاره لمكتبة في السيرة النبوية، وهو هدية تمينه للمسلمين وغيرهم، بل لكل الباحثين عن الحق، للتعريف بالإسلام، ولعرض سيرة النبي بإيجاز وأسلوب مقنع مؤثر، وقد صدرت عدة ترجمات إنجليزية له، وأحدثها الطبعة التي أصدرها المجمع الإسلامي العلمي، لكهنؤ، الهند، باسم: (Muhammad the Ideal Prophet)، ينظر: الندوي، شخصيات وكتب، مصدر سابق، ص56.

<sup>2</sup>: الندوي، السيرة النبوية، دار الشروق، جدة، ط8، 1409هـ، 1989م، ص18.

<sup>3</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص23-61.

على يد النبوة وهو ما عبّر عنه بـ: "كيف حوّل الرسول خامات الجاهلية إلى عجائب الإنسانية"<sup>(1)</sup>.

والمحور الأساس الذي يركز عليه منهج الندوي في كتابة السيرة النبوية، هو إبراز مدى الانقلاب الذي أحدثته بعثته في تغيير النفوس، والارتقاء بهم إلى مصاف النماذج في السيرة والخلق والسلوك المنقذة للإنسانية.

## 2- "سيرة المرتضى سيدنا علي كرم الله وجهه

كان الدافع لتأليف هذا الكتاب ما لمسّه الندوي من عدم استيفاء شخصية سيدنا علي رضي الله عنه حقها من المكتبة الإسلامية، فبقيت شخصية مظلومة مهضومة حقها، وبقي ذكرها مطمورا في ركام التاريخ، واسمها مغمورا في قائمة الأسماء اللامعة -لأسباب خاصة- وأحاطت بهم هالات من الأساطير والمبالغات والتفاصيل الجانبية التي لا تلقي ضوءا على شخصيتها المميزة، ولا تحدد مكانتها في التاريخ<sup>(2)</sup>. وقد تحول بينها وبين فهمها الصحيح والإنصاف لها، خلافاً مذهبية، وحوادث تاريخية، ومصالح سياسية، ونقول تقليدية، فتحجبها عن الأنظار، أو تجعلها ملكا لطائفة خاصة أو فرقة معينة، ولما آل الوضع إلى هذه الحال فقد اعتبر الندوي أن الخروج عن هذا الوضع والاعتراف بالفضل، والنظر إليها كثروة مشاعة للبشرية وهبة إلهية ومعجزة من معجزات الرسول الأعظم، ودليل على صدق الإسلام وقدرة إنجابه للعظماء وأهل الكمال، انحرافا عن الدائرة التقليدية، وشذوذا مذهبيا يتحاشاه المتدين المتحمس<sup>(3)</sup>.

ولما شعر الندوي بشدة فراغ مثير للاستغراب والدهشة -كما يقول- في المكتبة الإسلامية العالمية فيما يختص بموضوع سيرة سيدنا علي رضي الله عنه، سيرة مؤسسة على دراسة تاريخية جديدة واسعة، يتخطى فيها المؤلف الحدود المرسومة التي قيّد فيها المؤلفون كتاباتهم، ولا يكون عيالا على ما كتب وألف، ولا على مصادر التاريخ المعدودة العرفية

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص 102-104.

<sup>2</sup>: يعترف الندوي بما قدمه الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد بما كتبه في حق سيدنا علي رضي الله عنه وأتى ذلك بـ: "عبقرية الإمام" والذي نشر في موسوعته: "العبقريات الإسلامية" إلا أن هذا البحث يغلب عليه التحليل والنفسي المقارن أكثر منه سيرة مفصلة، وعلى كل فقد أفاد منه الندوي وأحال إليه. ينظر: الندوي، المرتضى، مصدر سابق، ص 9.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي، المرتضى، مصدر سابق، ص 5، 6.

المعينة التي يستقي منها المؤلفون معلوماتهم في الغالب، وتسمو همته إلى دراسة واسعة متنوعة، ومن ثمّ فقد سعى الندوي بهذه الدراسة إلى سدّ الثغرة المتواجدة في المكتبة الإسلامية، وقدم الجديد الذي يعطي هذه الشخصية العملاقة الوزن اللائق بها، ملتزماً في هذه الدراسة بالاستعراض المحايد الأمين الدقيق لعصرها «الذي نبغت فيه والأحداث التي عاشتها، والمجتمع ورجاله وقادته الذين عاصرتهم وتعاونت معهم، والمعضلات والمصاعب التي واجهتها، والقيم والمثل التي تمسكت بها أشدّ التمسك، والخطة السياسية والإدارية التي آثرتها، ولم يبحث عن أسبابها ونتائجها، ولم تقارن بنقيضها وضدّها ونتائجها»<sup>(1)</sup>. وسيرتها العطرة الزاهدة النادرة، وما أكرمها الله به من مزايا وخصائص..، وتضم الدراسة أيضاً الحديث عن السبطين العظيمين الكريمين، ودورهما في قيادة المسلمين، ومواجهة الأمر الواقع وإيفاء الظروف والمتطلبات حقها من الجدّ والإخلاص والعزم والحماس. لينتقل الحديث إلى أخلافهم وذريتهم وعن سيرتهم العطرة المثالية التي تليق بالذرية النبوية وآل الرسول، والتي لا تزال حافزة على الأخلاق الإسلامية المثالية، ونمط الحياة المثلى، ثم أتى الحديث عن جهودهم ومساعدتهم لإقامة الحكم الصالح، وتغيير الأوضاع، وقيادة حركات الجهاد، وتحرير البلاد في أزمنة مختلفة، وما لها من قيمة وفضل في تاريخ الإسلام المبدئي والخلقي والإصلاحي، وجهودهم في الحفاظ على الدعوة الإسلامية، وتربية النفوس وتزكيتها، ونشر الإسلام الصحيح..، وذلك مما قلّ أن تعرض له المؤلفون في سيرة سيدنا علي -كرم الله وجهه- وذريته على ندرتهم وقلة عددهم<sup>(2)</sup>.

والصنيع المستحسن في جهد الندوي هذا أن أخرج مقام آل بيت النبوة من فعل التاريخ والخلافات المذهبية والطائفية التي خلفت الحجب الكثيفة عليه، على مدى القرون والأجيال إلى وضعه في مقام يكون ثروة شائعة للأمة الإسلامية وللإنسانية، وقدوة مثالية لها في السيرة والقدوة والقيادة، والتي مثلت الإسلام شاملاً وكاملاً، وهذا مكن التجديد الذي نقف عليه ونستلهمه من عمله التجديدي في هذا المؤلف.

<sup>1</sup>: الندوي، المرتضى، مصدر سابق، ص6.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، المرتضى، مصدر سابق، ص10.

### 3- "السيرة الذاتية"

تعدّ السيرة الذاتية ثروة ضمن الترجمة الشخصية، وتشتمل على دقائق الحياة وتفاصيل الأحداث وتقلب الأحوال، وهي عصارة تجربة حياتية وحقائق عايشتها الشخصية، ووقائع مرت بها استلهمت منها العضات والعبر، كما لا تخلو من أسلوب شيق في التعبير عن مكنونات الذات، وتصوير الرغبات والتفاعل والانفعال والتأثير والتأثر، ولا سيما إن كانت شخصية مشحونة بالعلم والمعرفة، وكثرة الترحال، وتعدد اللقاءات والمساجلات، وتلاقح الأفكار والتجارب والمناقشات العلمية الحافلة مع أهل كل بلد ومصر من المفكرين والمتقنين، وقد رأى الندوي أنه من باب النفع للقراء ودفعاً لعلو الهمة والطموح، وتعليق الرجاء بالله وحسن الظن به، أن يكتب قصة حياته، ويبث بها الكثير من الأحداث والوقائع، والحديث عن الحركات والجماعات، وتصوير البيئة والأعراف، ونظام التربية السائد في البيوتات، وتصوير حالة المجتمعات وأزماته، ومعاناته والوقوف على مشكلاته. وإن كان الندوي قبيل دخول غمار هذه التجربة الطويلة كان التردد غالباً عليه، فإن عمل الكثير من أساتذته وأصدقائه<sup>(1)</sup> في هذا الشأن قد أعطاه جرعة الجرأة والدفعة القوية إليه<sup>(2)</sup>. والفائدة الجليلة التي تضيفها "السيرة الذاتية أو الشخصية" أنها أحسن ما يعود إليه في التعريف بالشخصية والوقوف على المؤثرات البيئية والنفسية، والعوامل التي تعطينا المفاتيح الأساسية للوقوف على الكثير من توجهات الشخصية وآراءها الفكرية والعلمية، والحكم على مواقفها.

### ثانياً: منهج الكتابة في تاريخ الإصلاح والتجديد

ينطلق الندوي من رؤية نقدية لمنهج المؤرخين والمؤلفين، بسبب ما أحدثته كتب التاريخ الإسلامي من ثغرات تشعر بغياب دور رجال الإصلاح والتجديد، ما جعل كثير من الناس يعتقدون أن تاريخ الإصلاح والتجديد متقطع في تاريخ الإسلام تتخلله فجوات، ولم يظهر على ساحة التاريخ إلا المندفعين مع التيار المستسلمين للفساد، وأقزاماً في

<sup>1</sup>: منهم: أحمد أمين "حياتي" وعلي طنطاوي "ذكريات" حسين أحمد المدني "نقش حياة"، محمد زكرياء الكاندهلوي في سبع مجلدات" وعبد الماجد الدرابادي)، وغيرهم كالزعيم غاندي "البحث عن الحق"، والدكتور طه حسين في: "الأيام"، والأستاذ عباس محمود العقاد في: "أنا"، للأستاذ عباس محمود العقاد، ومذكرات محمد كرد علي.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 20/1، 23.

العقل والتفكير والعلم والإنتاج، والمتمتعين بحماية البلاط وإلى السلطة التي تستند إلى القوة والمال<sup>(1)</sup>.

ويرى الندوي أنه من الخطأ في منهج التأليف في الإصلاح والتجديد الاعتماد على كتب التاريخ وإهمال الكتب التي لا تحمل اسم التاريخ ولا توجد في ركنه من المكتبات، وهذه الكتب يعدّها الندوي من المصادر ذات المادة الواسعة في التاريخ، ومصادر قيمة من مصادره، والمتمثلة في كتب الأدب وكتب الدين والكتب التي دون فيها بعض العظماء اعترافاتهم وسجلوا حوادث حياتهم وتجاربهم، والكتب التي حفظ فيها بعض التلاميذ وأصحاب الشيوخ كلمات شيوخهم أو مواظهم، أو ما دار في مجلسهم من حديث أو حوار، وكذا مجاميع الرسائل والخطب التي تدل على روح أصحابها وفكرتهم، أو الكتب التي ألفت في الحسبة وفي انتقاد المجتمع وإنكار البدع والمنكرات<sup>(2)</sup>.

أما منهج التعامل مع هذه المصادر المهجورة -في نظر الندوي- فوجب على الدارس أن لا يمر على هذه المصادر ومؤلفات هذه الشخصيات العظيمة ومنتجاتها العلمي مرورا سريعا في دراسته التاريخية، بل يجب أن يمكث في كتبها ومؤلفاتها وأفكارها طويلا، ويتدوّق أدبها وفكرتها، ويتنسم طيبها، ويحاول أن ينتقل من جوّه إلى جوّها، ومن عصرها إلى عصرهم، حتى يعرف روادها على حقيقتهم، ويصورهم في حقيقتهم ويشعر القارئ أنه انتقل إلى عصرهم وعرفهم معرفة شخصية، وعاش معهم مدة من الزمان.

#### أ- منهج الندوي في سلسلة "رجال الفكر والدعوة"

قام منهج الندوي في ترجمته لرجال الإصلاح والتجديد وبسط سيرتهم على إبراز منظومة قيم ومعايير استلهم منها الكثير في سبيل معالجة أزمت الأمة الإسلامية المعاصرة. والتي تمثلت في<sup>(3)</sup>:

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، مج1/53.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 58/1.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي، المصدر نفسه، 57 / 1، 58.

- 1-المساهمة في إقامة حكم على منهاج الخلافة الراشدة ومحاربة الجاهلية.
- 2-إيجاد الثقة بالدين ومصادره وتعبيراته، وردّ هجمات الفلاسفات الأجنبية.
- 3-الدفاع عن الفكرة الأصيلة وعصمة الأمة من فتن هددتها.
- 4-التدوين للحديث والفقهاء، وفتح باب الاجتهاد، ومنح الأمة ثروة واسعة في التشريع وقانوننا منظما للحياة والمجتمع<sup>(1)</sup>.
- 5-محاسبة المجتمع وإنكار انحرافه عن مثل الإسلام ونظمه، والدعوة إلى الإسلام.
- 6-القدرة على الإقناع العلمي في عصر كثرت فيه الشكوك، واضطربت فيع العقائد، ووضع لعصره كلاما جديدا.
- 7-القيام بالدعوة والتذكير، والإنذار والتبشير، وتحريك الإيمان في الشعوب، والوقوف في وجه المادية بالزهد والورع.
- 8-الحفاظ على الأمة وقوتها السياسية من الانهيار، ومن أن تكون فريسة للغارات.
- 9-امتلاك الأدب القوي والشعر البليغ وبعث الثقة ونفخ الروح في الأجيال.

#### ب- "شخصيات وكتب"

شمل هذا الكتاب جملة من الشخصيات التي عاصرها الندوي، وقد عدّها من أهم الشخصيات التي كان لها دور خاص في تكوين ذوقه، وعقليته وأسلوب تفكيره، كما شمل ذكر بعض الكتب التي تثبت عبقرية أصحابها وروحهم الفياضة، فيكون الكتاب أحسن صورة تعرف بصاحبها، وبذلك يعتبر الندوي أن هذا الكتاب أصبح «حديقة واسعة زاهرة

<sup>1</sup>: وإن كان الندوي عرض من كل هذه الجهود نمونجا مثل واحدة من هذه القيم، إلا أن غياب شخصية تجديدية مهمة كان من المنتظر أن ينفلت ذكرها والتنويه على العمل الجبار الذي قدمته للأمة فيما يخص فتح باب الاجتهاد، والتجديد في علم المقاصد والاهتمام به على نحو لم يسبقه إليه من أقرانه، ولعل جهده يعتبر آخر اللمسات التجديدية التي أغلق باب الاجتهاد من ورائها، وهذا الدور المهم الذي أنجزته شخصية الإمام الشاطبي في كتابه "الموافقات".

وكان لها من الشهادات والاعترافات ما يضعها ضمن الشخصيات التجديدية الكبيرة التي لم تحظ بالذكر في كتابات الندوي، ومن أهم هذه الشهادات رأي رشيد رضا الذي يعدّ كتاب الموافقات للشاطبي نظيرا لابن خلدون في المقدمة، فكلاهما ابتدع من التأليف ما لم يسبق إليه، كما أنهما انتهيا إلى وضع واحد هو أن الأمة الإسلامية التي ابتدع لها هذان العبقريان كتابيهما، أو علميهما الجديدين، لم تقبل على إبداعهما العجيب، ولم تنتفع به" ينظر: أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات، تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار ابن عفان، السعودية، ط1، 1417هـ، 1997م، ص29. ويعد أهم من نبه إلى قيمة الموافقات الشيخ محمد عبده رحمه الله وجعل له من أعمال التي لا تتقطع.

ينتقل فيها القارئ من داعية قائد، إلى عالم مرب، ومن مخلص رباني إلى نموذج إنساني عال، ومن مجاهد مناضل إلى مؤلف ومحقق، ومن كتاب في الملحمة الإسلامية وغزوات الصحابة وفتوحهم، إلى كتاب في السيرة النبوية، إلى كتاب في وصف وضع المسلمين الحالي وإثارة الشعور والغيرة فيهم والإشادة بماضي المسلمين، إلى كتاب في سيرة الربانيين من العلماء والمربين، إلى كتاب في سيرة شخصية إسلامية مثالية كسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إلى كتب في الأدب الرفيع والشعر الرقيق والتاريخ الزاخر بالمعلومات والعبر، إلى مقالات ورسائل مثيرة للفكر ومغذية للعلم، وحاملة على الدعوة والكفاح، ودراسة القرآن الكريم دراسة تأمل واعتبار وتطبيق<sup>(1)</sup>. وبهذا يكون الكتاب تأكيداً على استمرارية حركة الإصلاح والتجديد وسدا للثغرة التي قد تحدث في مسيرة الأمة الإسلامية. وامتداد لسلسلة الإصلاح والتجديد.

### ثالثاً: أدب الرحلة

كان غرض الندوي من رحلاته العالم الإسلامي عموماً وإلى العالم العربي خصوصاً أن يدرس وضع هذه الأقطار الديني والعلمي والاجتماعي، ويتعرف برجالاتها، وقادة الفكر فيها ويتذاكر معهم في الشؤون الدينية والعلمية، والقضايا الإسلامية، والمناهج الإصلاحية، والمشاريع التعليمية، ويعرفهم ببلادهم شبه القارة الهندية التي أسدلت عليها حجب كثيفة، وأثير حولها نقع كثير، وعاشت في عزلة عن العالم العربي منذ فترة طويلة<sup>(2)</sup>.

كما قصد من هذه الرحلة أن يستفيد ممّا جدّ في العالم العربي والإسلامي من آراء ونظريات، ونشأ من حركات ودعوات، ونبغ من رجال وشخصيات وقام من مدارس فكرية ومؤسسات، وظهر من أساليب، وثار من مشاكل، وقد أراد الله أن ينشأ نشأة دينية، علمية أدبية، مثقفا ثقافة متنوعة ركبت شخصيته بعدة عناصر؛ يتذوق الأدب والشعر، والتاريخ والاجتماع، والحضارة وفلسفة الحياة، ومارس الحياة العلمية، وعمل في حقل الإصلاح والدعوة، وعالج الكتابة والتأليف، وعرف الأساليب الأدبية، والمدارس الفكرية، والاتجاهات

<sup>1</sup>: الندوي، شخصيات وكتب، مصدر سابق، ص11.

<sup>2</sup>: ينظر: أبو الحسن الندوي، مذكرات سائح في الشرق العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1398هـ، 1978م، ص6.



المتعارضة..، وذلك ما يفسر قدرة نفوذه في المجتمعات الإسلامية، فورد كل مشروع ونهل من كل مورد، وزار كل طبقة من الرجال، وخاض في كل موضوع، وشارك في كل بحث<sup>(1)</sup>.

وألزم الندوي نفسه تحرى الصدق والأمانة والدقة في تدوين لقاءاته وإبداء آرائه وملاحظاته، عند كل مقابلة، أو زيارة، أو حديث أو مشهد، وما أحدثه ذلك من رد فعل، أو أثر نفسي، ويسجل كل ذلك في أسلوب صريح مكشوف، بعيد عن غموض وتحفظ، وعن كل مجاملة وتكلف، أو تصنع وتملق<sup>(2)</sup>، وما يزيد رحلاته قيمة أنه أحب البلدان الإسلامية وارتبط بماضيها، وحاضرها، ومستقبلها، واعتبر نفسه عضواً من أعضائها، شاركها آلامها وآمالها، وشاطرها في شقائها وسعادتها، وجعل من الدين وقيمه مقياساً يقيس به الأعمال والأخلاق، ويزن على أساسه الرجال، فكان الكتاب أحسن صورة تمثل لك بيئة تلك المجتمعات، وما يجيش فيها من صراع نفسي، واصطراع فكري، واضطراب اجتماعي، وقلق وتذمر، وثورة، وما كان تتمخض به من حوادث..، وهو أخيراً مجموع صور ناطقة يستطيع القارئ أن يعيش فيها، ويستفيد من تجربتها<sup>(3)</sup>.

وهذه الخصيصة التي ميزت رحلات الندوي، إذ خرجت عن معهود الكثير من الرحلات التي اقتصرت على تصوير واقع المجتمعات، كما غلب عليها التأثير بالجانب الجغرافي، والمشاهد والآثار، ولا تصور في الغالب إلا جانباً من جوانب الحياة والمدنية والاجتماع، مع ما يتلاءم مع أذواق أصحابها، ويتجاوب مع غرض رحلته وهدفها، فكان ترجمة لنفسية أصحابها، ولم تكن في مواضع منها إلا مجالاً تفرغ فيه النفس حظوظها وتوافق أهواها.

والنقطة التي أكد على أهميتها وضرورة حضورها وملازمتها في تصوير الأحداث ووصف الوقائع، أن لا يؤدي فيها المدونون لرحلاتهم دوره كآلة تصوير، أو أداة التسجيل؛ من غير تعليق على ما يشاهدون، أو يكن لذلك صدى في النفوس لما يسمعون، فلا يسمع القارئ من خلال كتاباتهم دقات قلوبهم، وهمسات ضمائرهم، ولا يحس أن المؤلف لا

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، مذكرات سائح، مصدر سابق، ص6.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص6.

<sup>3</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص7.

يتصل بهذا المجتمع بثقافة أو نسب، ولا يلتقي معه على عقيدة أو ديانة، ولا يرتبط به بعاطفة أو وجدان فلا يتغير شيء، واعتبر أيضا أن غياب الأثر النفسي والوجداني في طيات الرحلة وفقراتها-ولئن اعتبر بعض الناس ذلك فضيلة وكمالاً مراعاة للموضوعية العلمية- عيبا ونقصا بالنسبة لأدب الرحلة عند جمهور علماء الأدب، فالكتابة التي لا يستطيع القارئ أن يحدد زمانها وبيئتها، ولا يهتدي إلى عقيدة مؤلفها وفكره، والقيم والمثل التي يحبها وينتصر لها، ولا يشعر فيها بمرارة ألم وحزن، وحلاوة إعجاب ورضا، كتابة مصطنعة لا تؤثر في النفس ولا تصلح للبقاء<sup>(1)</sup>.

وعلى سبيل الندوي ومنهجه في كتابة رحلاته على هذا النمط، ندرك مدى أهمية أدب الرحلة في شخصية المفكر، إذ تكون بمثابة كشاف للوقوف على حقيقة أزمت الأمة الإسلامية ومعاناة شعوبها، إضافة إلى ما تسهم من تبادل وجهات النظر في مجال الإصلاح والدور النهضوي التي تسهم فيه شتى الأطياف من العلماء المربين والمفكرين. فيكون القائم على عمل الإصلاح والنهضة ذا نظرة شاملة متكاملة في الرؤية.

#### رابعا: أدب التقديمات

وهو الفن الذي لم يسقط من اهتمامات الندوي، لما له من أهمية تزيد من قيمة الكتاب المقدم له، وعادة ما تشتمل على بيان قيمة الجهد الذي أفرغه المؤلف في كتابه. ولم يكتف الندوي بمجرد التقديم<sup>(2)</sup> دون أن يقدم لنا تصوّره -الذي يعد منهجا للترمه في مجموع تقديماته- للتقديم والشروط التي ينبغي أن يلتزم بها المقدم، وتمثلت هذه الشروط في<sup>(3)</sup>:

1- أن لا يكون التقديم عملا تقليديا دافعه المجاملة، أو تحقيقا لرغبة المؤلف أو الناشر وإرضائه.

<sup>1</sup>: الندوي، مذكرات سائح، مصدر سابق، ص5.

<sup>2</sup>: قدم الندوي لمجموعة من الكتب منها: "إظهار الحق" لرحمة الله بن خليل الرحمن، "الهند في العهد الإسلامي" لعبد الحي الحسني، "حجة النبي صلى الله عليه وسلم وعمراته" محمد زكريا الكاندهلوي، "حياة الصحابة" لمحمد يوسف الكاندهلوي، "الإسلام الممتحن" محمد الحسني، "ماهي النصرانية" محمد تقي العثماني، "باقة الأزهار" لمحمد ناظم الندوي، العلامة السيد صديق حسن القنوجي "محمد اجتباء الحسيني الندوي.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي، شخصيات وكتب، مصدر سابق، ص9، 10.

2- التزام الأمانة في التقديم لأنه بمثابة شهادة تزكية التي لها أحكامها، وآدابها ومسئوليتها. حتى لا يتحول التقديم من شهادة بالحق وتقويم للكتاب تقويماً علمياً، وبيان مكانته في ما موضوعه، ومدى مجهود المؤلف ونجاحه فيه، إلى سمسة تجارية أو قصيدة مدح وإطراء من شعراء المديح، فيفقد قيمته العلمية والأدبية ويتجرد من الحياة والروح.

3- زيادة المعلومات في موضوع الكتاب مع إلقاء أضواء على موضوع الكتاب ومقاصده، وعلى حياة المؤلف ومكانته بين العلماء المعاصرين في عصره ومصره، وعلى تكوينه العقلي ونشوئه العلمي والدوافع الذي دفعته إلى التأليف في هذا الموضوع رغم وجود مكتبة واسعة في موضوعه أو مجموعة من الكتب التي ألفت في موضوعه.

4- أن لا يكون التقديم مجموعة كلمات تقريظ ومدح يمكن أن يحل به جيد أي كتاب إذا غير اسمه واسم مؤلفه.

5- أن تكون بين المقدم للكتاب وموضوعه صلة علمية أو ذوقية أو دراسة وافية للموضوع وما ألفت فيه، وارتباط وثيق بينه وبين مؤلفه، ومدى إخلاصه لموضوعه واختصاصه وتفانيه فيه ورسوخه في العلم والدين.

6- أن يكون التقديم عن اندفاع وتجاوب وتحقيق لرغبة نشأت في نفس المقدم بعد الاطلاع الكامل على الكتاب، مما تولد فيه القيام بواجب التقديم، بحيث يعتبر نفسه مقصراً في أداء حق وجب تأديته إذا امتنع وأخفى شهادة كان عليه لزاماً قولها.

### الفرع الثالث: جهود الندوي في خدمة الأدب الإسلامي

يعد الأدب أداة للتعبير عن مكنونات النفس ومشاعرها، وما يتشكل في داخلها من أفكار وتصورات للأشياء الخارجية وما يؤثر فيها كذلك، فيصبح الأدب بذلك وسيلة تتخذها النفس لتترجم عن مكنوناتها وما تحمله من توجهات ورؤى للحياة ولما يحيط بها. وقد اشتملت جهود الندوي على الناحيتين؛ التنظير والتطبيق، أما التنظير فقد تجلت في آرائه النقدية في عدة قضايا منها:

#### أولاً: في تأسيس للمفهوم

يؤسس الندوي لمفهوم الأدب فيجعل الإسلام هو الذي يضفي عليه مجموعة الصفات التي ترفعه إلى مصاف الحضارة، لذا ينبّه الندوي على أن لغة الإسلام هي التي منحت لكلمة الأدب معاني الحضارة، والثقافة والخلق النبيل، والقيم الإنسانية

الرفيعة وقد نفى هذا عن أي لغة غير إسلامية وبذلك يقول: «وأنا أعتقد أنه لا يوجد في لغة غير إسلامية كلمة للأدب، تحتوي على معاني الحضارة والثقافة، والخلق النبيل، والقيم الإنسانية الرفيعة»<sup>(1)</sup>.

أما عن ماهيته فهو: «تعبير بليغ يحرك النفوس، ويثير الإعجاب، ويوسع آفاق الفكر ويغري بالتقليد، ويبعث في النفس الثقة»<sup>(2)</sup>. ثم ينطلق ليعطيه تصورا ذا أبعاد تأسيسية من خلال وصفه له ب: «كائنا حيّا له قلب حنون، وله ضمير واع، وله نفس مرهفة الحس، وله عقيدة جازمة، وله هدف معين، يتألم لما يسبب الألم، ويفرح لما يثير السرور فإذا لم يكن الأدب كذلك فانه أدب خشيب جامد، أدب ميت خامد»<sup>(3)</sup>.

إن المتأمل للمفهومين السابقين للأدب الإسلامي يجد أن الندوي يربطه بمزايا الإسلام وخصائص رسالته العالمية من أخلاق وإيمان، فهو يحمل كل معاني الرحمة وكل قيم الإسلام العالمية من الحنان والوعي والنفس المرهفة الحس، والعقيدة الجازمة، وفعالية التأثير والتأثير عن طريق التألم لما يسبب الألم، والفرح لما يثير السرور.

وعليه فعناصر الأدب الإسلامي عند الندوي قائمة على مبادئ واضحة أهمها<sup>(4)</sup>:

- بلاغة الأسلوب.

- الهدف البناء.

- المبادئ الإسلامية والإنسانية.

- البعد العقدي الإيماني.

#### ثانياً: مصادر الأدب الإسلامي عند الندوي

يبتدئ الندوي نقده لمؤرخي الأدب الصناعي -ضيق تفكيرهم وقصور نظرهم- الذين لم ينوّهوا عن المصادر التي تحوي الأدب الطبيعي الأصيل، الذي يعتبره الندوي أسبق من الأدب الصناعي، ويتجه بعد ذلك ليعتبر أن كتب الحديث والسيرة هما المصدران الرئيسيان للأدب العربي الطبيعي، يقول الندوي في هذا الصدد: «فكتب

<sup>1</sup>: الندوي: في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 36/3، 37.

<sup>2</sup>: الندوي: نظرات في الأدب. دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1411هـ، 1990م، ص22.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، ص105.

<sup>4</sup>: عبد الله صالح، جهود أبي الحسن الندوي في تأصيل منهج الأدب الإسلامي، مرجع سابق، ص75.

الحديث تسدّ هذا الفراغ الواقع في تاريخ الأدب العربي وتنقل إلينا هذا الذخر الأدبي الذي أعتقد أنه قد ضاع، وتمتاز أنها قد اتصل سندها وصحت روايتها فهي أوثق مصدر للغة العربية البليغة التي كانت سائدة في عهدها الذهبي الأول، ولالأدب الذي كان منتشرًا في جزيرة العرب»<sup>(1)</sup>، أما كتب السيرة «فقد حفظت لنا جزءًا كبيرًا من كلام العرب الأقحاح، ومثلت تلك اللغة البليغة التي كانت في عصور العربية الأولى التي هدّبها الإسلام ورققها، واشتملت على قطع أدبية لا يوجد لها نظير في المكتبة العربية المتأخرة»<sup>(2)</sup>. وهذا الأدب الذي تمّ حفظه عن طريق كتب الحديث والسيرة هو عبارة عن «أمثلة جميلة للغة العرب العراء التي كانوا يتكلمون بها ويعبرون فيها عن ضمائرهم وخواطرهم، ويجد دارس الأدب فيها من البلاغة العربية، والقدرة البيانية، والوصف الدقيق، والتعبير الرقيق، وعدم التكلف والصناعة ما يقف أمامه خاشعًا معترفًا للرواة بالبلاغة والتحري في صحة النقل والرواية، للغة العربية بالسعة والجمال»<sup>(3)</sup> فهذه الصفات قد اتسمت بها الروايات القصيرة في كتب الحديث أما شأن الروايات الطويلة «فهي ثروة أدبية ذات قيمة فنية عظيمة، وهي التي تجلت فيها بلاغة الراوي العربي واقتداره على الوصف والتعبير والتصوير، وهي التي يطول فيها نفسه فيحكي حكاية يعبر فيها عن معان كثيرة وأحاسيس دقيقة، ومناظر متنوعة فلا يخذله اللسان، ولا يخونه البيان، ولا يتخلف عنه مدد اللغة، وكأنها لوحة فنية منسجمة متناسقة قد أبدع فيها الفنان، أو صورة متناسبة قد أحسن فيها المصور كل الإحسان»<sup>(4)</sup>.

ويلي هذين المصدرين في الأهمية كتب التاريخ والتراجم، والرحلات، و«الكتب التي ألفت في الإصلاح والدين والأخلاق، والاجتماع، وفي بحوث علمية ودينية، وفي كتب الوعظ والتصوف، وفي الكتب التي سجل فيها المؤلفون خواطرهم وتجارب حياتهم، وملاحظاتهم وانطباعاتهم وروو فيها قصة حياتهم...، فإنها لا تزال مجهولة تحتاج إلى

<sup>1</sup>: الندوي، نظرات في الأدب، مصدر سابق، ص 23.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، ص 27.

<sup>3</sup>: المصدر سابق، ص 22.

<sup>4</sup>: المصدر نفسه، ص 23.

اكتشافات ومغامرات، إنها لا تزال بكرًا جديدة تعطي الجديد وتفتحاً بالغريب المجهول، إنها لا تزال فيها ثروة دفيئة تنتظر من يحفرها ويثيرها»<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً: خصائص الأدب الإسلامي عند الندوي

#### أ- الإخلاص والصدق والواقعية

من أهم العناصر التي تميز بها هذا الأدب في نظر الندوي "الإخلاص" و"الصدق" وهما اللذان ظل يتغافل عنهما معظم نقاد الأدب، وهما العنصران الأساسيان اللذان يهبان الأدب روحاً وقوة وحيوية ويجعلانه حقيقة أبدية خالدة<sup>(2)</sup>، أما إن كان الأدب لا يرضى إلا بالمظاهر المتصنعة المتكلفة، متجرداً من العاطفة القوية، كان محاكاة أو مضاهاة، وكان أشبه بمسرحية تمثّل ودور تقليدي يعمل، فقوة العاطفة هي التي تضيء على الأدب القوة والخلود وصلاحية الانتشار، والخلول في قرارة النفس، والأديب إذا لم تكن عنده العاطفة فإنه أشبه بممثل.

#### ب- البعد عن التكلف والصنعة

ويرى الندوي أن التكلف والتصنع هما ما ينزع عن للأدب جماله وجماليته، فلقد مرّ على هذا الأدب زمان فقد فيه روحه، وضاع جوهره وذهب جماله الذي كان حليّه الثمين، والذي استمدّه من اللغة العربية الأصيلة. أما سبب هذه الخسارة فيرجعها الندوي إلى دور المتكلمين المقلدين للعجم، حيث نبغ هؤلاء في العواصم العربية واخترعوا أسلوباً للكتابة والإنشاء وغلب عليهم السجع والبديع، وغلو في ذلك غلوا أذهب بهاء اللغة ورواءها وقيد الأدب بسلاسل وأغلال أفقدته حريته وانطلاقه وخفة روحه وجماله<sup>(3)</sup>.

إن من أكبر الأسباب التي تخوّف منها الندوي، التي من شأنها تضييع هذا الأدب الجميل، هي أن توجه الكتاب وقصدهم الأدب كأدب يقول: «وأخاف لو أنهم قصدوا الأدب وتكلفوا الإنشاء لفسدت كتاباتهم، وفقدت ذلك الرونق وتلك العذوبة التي تمتاز

<sup>1</sup>: الندوي، نظرات في الأدب، مصدر سابق، ص34.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص36.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، ص30.

بها، وخسرنا هذه القطع الجميلة المليئة بالحياة»<sup>(1)</sup>، فقد التصقت بالأدب شروط وصفات وتقاليد هي المفسدة له، الطامسة لنوره، حتى أصبح لابد فيه من السجع والصناعة ولا بد فيه من البديع والمحسنات اللفظية ولا بد من تقليد من يعدّ في الطبقة الأولى من الأدباء<sup>(2)</sup>!.  
**ج- الوظيفة الدينية والحضارية**

حصيلة ما يراه الندوي في وظيفة الأدب في الإصلاح والنهضة هي البعد الإصلاحي الذي وظفه محمد إقبال في الكثير من المواطن في تراثه الشعري ونظرته الفلسفية الإصلاحية، ومنها وجب على الأدب أن «يحدث به صاحبه انقلابا في المجتمع؛ وثورة فكرية، يضرب به الأوضاع الفاسدة الضرية القاضية، ويشعل القلوب حماسا وغضبا، ويشعل البلاد نارا وثورة، ويملاً النفوس قلقا واضطرابا، وتدمرا من الشر، وتطلعا إلى الخير»<sup>(3)</sup>.

ويؤكد الندوي في ظل الواقع المتأزم على الضرورة الملحة إلى وجود «منظمات علمية تهدف إلى إنتاج الأدب الإسلامي القوي الجديد، الذي يعيد الشباب المثقف إلى الإسلام بمعناه الواسع من جديد ويحررهم من رق الفلسفات الغربية التي آمن بها كثير منهم

<sup>1</sup>: يتوجه الندوي ليقدم لنا نماذج من التكلف لمن ضرب بهم المثل وشهد لهم القاصي والداني بالدرجة العلية من التفوق في الكتابات فيرى أن أحدهم إذا تناول موضوعا أدبيا وتكلف الإنشاء، تدلّى، وأسف، وتعسف، وتكلف، ولم يأت بخير، وإذا استرسل في الكلام وكتب في موضوع علمي أو ديني أحسن وأجاد، فكان أن الزمخشري مثلا: متكلفا مقلدا في "أطواق الذهب" وكتبا موقفا بليغا في مقدمة "المفصل" وفي مواضع من تفسيره "الكشاف"، ونجد ابن الجوزي غير موفق في كتابه "المدهش" وكتبا مترسلا بليغا في كتابه "صيد الخاطر" وقد يعتبر "أثريهما الأدبيين" "أطواق الذهب" و"المدهش" من أفضل كتاباتهما الأدبية التي يعتمدان عليها ويفخران بها، ولعلّ عصرهما صفق لهذين الكتابين - "الأطواق" و"المدهش" - أكثر مما صفق لكتابتهما العلمية والأدبية والدينية. ولا يعتبر الندوي أن الجمال الأدبي الذي حوته هذه الكتابات التاريخية إنما يكمن في تحررها من السجع والبديع وترسلها فحسب، بل "السبب الأكبر هو أن هذه الكتابات قد كتبت عن عقيدة وعاطفة وعن فكرة واقتناع وعن حماسة وعزم، وعلى غير هذا نجد اللون الكتابات الأخرى من الأدب فاقدة لذلك لأن "غالبا يكتب بالافتراح من ملك أو وزير أو صديق أو لإرضاء شهوة الأدب أو لتحقيق رغبة المجتمع أو حباً للظهور والتفوق، وهذه كلها دوافع سطحية لا تمنح الكتابة القوة والروح ولا تسبغ عليها لباس البقاء والخلود ولا تعطيهما التأثير في النفوس والقلوب. ينظر: المصدر نفسه، ص 30-32.

<sup>2</sup>: الندوي، نظرات في الأدب، مصدر سابق، ص 31.

<sup>3</sup>: الندوي، روائع إقبال، مصدر سابق، ص 46.

بوعي ودراسة، وأكثرهم بتقليد وتسليم، ويقوم في عقولهم أسس الإسلام من جديد، ويغذي عقولهم وقلوبهم»<sup>(1)</sup>.

#### د- اسهامات الندوي الأدبية

قدم الندوي في الجانب التطبيقي مجموعة كتابات أدبية منها: "الحضارة الغربية الوافدة وأثرها في الجيل المثقف" وهي عبارة عن تعليقات للندوي على مجموعة مقاطع شعرية السيد أكبر حسين الإله آبادي<sup>(2)</sup>، و"مختارات من أدب العرب" في جزأين، و"قصص الصالحين للأطفال"، و"قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال"، و"قصص النبيين للأطفال"، "روائع إقبال"، "نظرات في الأدب النبوي"، "سيرة خاتم النبيين للأطفال"، "شاعر الإسلام محمد إقبال".

وإضافة إلى هذا قدم الندوي خدمة أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها، فاحتضانه فكرة تأسيس الرابطة العالمية للأدب الإسلامي ورعايته لها مدة خمسة عشر عاماً، مع الجهود في تعزيزها ونجاحها وتنميتها من ناحية التفاف الأدباء والشعراء والكتاب وإنتاج الجديد النافع والمثمر في ميدان الأدب الإسلامي كان من آماله التي تحققت<sup>(3)</sup>.

تتلخص النهضة العلمية والفكرية عند الندوي في ضرورة بناء منظومة تربوية تعليمية يراعى فيها المبادئ والقيم الإسلامية التي تبني شخصية النشء المسلم وتنمي فكره تنمية مستقلة عن تأثير الرؤية الغربية للحياة والكون، وتكون كمقوم يوطد العلاقة بين الأمة الإسلامية وتراثها والاعتزاز به، كما أكد على ضرورة الإمام بتطلعات العصر وحاجاته الثقافية والعلمية ولا تكون بمعزل عن تطوراتها. قصد تكوين إطارات وكفاءات مؤهلة لخوض مجال البحث والتحقيق والكشوفات العلمية الجديدة وتقود الحركة العلمية

<sup>1</sup>: الندوي، إلى الإسلام من جديد، مصدر سابق، ص186، 187.

<sup>2</sup>: ولد سنة 1263هـ، 1846م، في "باره" إله آباد، أبوه السيد تفضل حسين، تولى وظائف عدة في منها القضاء، وفيها لقب بـ: "خان بهار"، وعند الشعب الهندي بـ: "لسان العصر". ينظر: الندوي، الحضارة الغربية الوافدة وأثرها في الجيل المثقف، دار الصحوة، القاهرة، ط1، 1405هـ، 1985م، ص11.

<sup>3</sup>: ينظر: محمد واضح رشيد الندوي، المسحة الأدبية في كتابات أبي الحسن الندوي، رابطة الأدب الإسلامي، الهند، ط1، 1425هـ، 2004م، ص107-114.



قيادة صحيحة تعمل على تلبية حاجات الإنسان المادية من غير أن تغفل الجانب الروحي، فتعطي بذلك نظرة تصحيحية للوجود وللكون وخالفه.

في حين قامت نظرتة للنهضة الفكرية عن طريق استحضار التاريخ بنظرة فلسفية يستلهم من خلالها العبر ويوظف المواقف الإصلاحية والتجديدية التي تجلت في عمل الشخصيات الفكرية والدعوية والتي لا تزال من أهم العوامل التي تثير الحمية على نصررة الدين والوقوف في وجه الانحراف والتحريف. لينتقل بعدها ليقف على خطر الحضارة الغربية وأفكارها النافذة إلى الحياة الإسلامية، وواقع الأمة الإسلامية الضعيف الخاضع لها، مصححا في ذلك مفهوم الحضارة ليؤسس بعدة حقيقة العلاقة بين الحضارتين الغربية والإسلامية وسمات كل منهما وما ينبغي أن يكون بينهما من ترابط وتكامل لخدمة حاجة الإنسانية الدنيوية والأخروية. واصفا الشروط التي يجب أن تتحقق في ذلك من وجود القيادة الإسلامية والقوة التي تستطيع أن ترسم مخططا حضاريا ينطلق من الاعتزاز بالذات والقدرات جامعا بين الاستفادة من الغرب وبين الغايات السامية وبين الفهم الحقيقي للدين وممتلكا لمقومات الحضارة من العلم والقوة المادية.

من خلال هذا التنظير للنهضة العلمية والفكرية نقف على إسهامات الندوي في البحث والتأليف مع وضع الشروط والالتزام بها وهذا ما تمثل في: أدب التراجم والسير، وأدب التقديمات، وأدب الرحلة، الأدب الإسلامي.

## المبحث الثاني: العامل السياسي للنهضة في فكر الندوي

يبرز هذا المبحث أسس العمل السياسي ومقوماته في فكر الندوي في ثلاثة مطالب؛ المطالب الأول في الجهود الإصلاحية السياسية من القراءة التاريخية العابرة إلى التنظير القيمي، والمطلب الثاني في الحديث عن فكرة التغيير السياسي عند الندوي، أما المطلب الثالث فتناول جهود الندوي في النهضة السياسية.

## المطلب الأول: الجهود الإصلاحية السياسية من القراءة التاريخية العابرة إلى التنظير القيمي

تضمن هذا المطلب ثلاثة فروع؛ الفرع الأول في القيم الإسلامية القيم الإسلامية في عمل الصحابة والتابعين، أما الفرع الثاني فتناول الجهود العملية المباشرة وغير المباشرة وأهميتها في الإصلاح السياسي، في حين كان الفرع الثالث في جهود العلماء المخلصين في إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

## الفرع الأول: القيم الإسلامية في عمل الصحابة والتابعين

من بين الجهود التي قام عليها الندوي إرساء مقومات للنهضة بالجانب السياسي؛ من خلال استقراء أحداث التاريخ ووقائعه، بنظرة يستلهم من خلالها العضات والعبر، ويستخلص منها مقومات للعمل السياسي، وهذا ما نلمسه في فلسفته لقراءة عمل بعض الصحابة والتابعين.

## أولاً: القيم الإسلامية في عمل السبطين (الحسن والحسين رضي الله عنهما)

قد حامت حول عمل الحسن والحسين آراء كثيرة ونقاشات متضاربة، فمنهم من قامت نظرتهم على إقامة المفارقة بين عمل الأخوين رضي الله عنهما وعلى أنهما يحملان التناقض، دون مراعاة البيئات والظروف والربط بين الجوهر الجامع بينهما، ومن دون مراعاة لمقام الشخصيتين التربوية والعلمية والدينية، لتتجه بعد ذلك حدة النقاش حول عمل الحسين رضي الله عنه وخروجه على يزيد بن معاوية، فمنهم من انطلق في تقويمه لهذا الصنيع من مقارنته بعمل أخيه الحسن رضي الله عنهما حينما سلم الخلافة لمعاوية -عام الجماعة- فرأوا أن ذلك تضارب في العملين، إذ حملوا الأول على التحسين، وحملوا الثاني على الاندفاع والتهور. بينما تخطى جانب آخر كل هذه الحدود في تفسير عمل

الحسين ليقرر أن عمله مخالف لشرع جدّه صلى الله عليه وسلم، وكان استنادهم في ذلك على الإقرار بشرعية حكم يزيد، فاعتبروا ذلك خروجاً على الحاكم الشرعي. وفي مقابل هذا الطرف قام طرف آخر بآراء تعاكس هذه الرؤى، مدافعة على فعل الحسين وعدّه من أسمى الأعمال التي حمت الأمة من الانحراف. فمنطلق القيم عندها هي القاعدة التي صاحبت رؤيتها ووجهت فلسفتها في تفسير الأحداث. وهو الصنف الذي نجد الندوي من رواده ومؤيديه.

كانت للندوي نظرتة الخاصة به في الرؤية القيمية لعمل السبطين، فكانت خدمة الأمة الإسلامية وسيرها في ركاب الدين الصحيح أهم معيار فسّر على أساسه العاملين، وهو من بين الشروط التي ألزم بها نفسه في إعداد سلسلة الإصلاح والتجديد.

أ- عمل الحسن رضي الله عنه

### 1- التنازل عن الخلافة

استشهد سيدنا علي رضي الله عنه وترك تعيين الخليفة بعده على عاتق الأمة، فقال: «فإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم»<sup>(1)</sup>. فبايع الناس ابنه الحسن بن علي.

وبعد حدوث فتن داخل معسكر الحسن أثناء سيره إلى الشام لمقاتلة معاوية، طعن في حينها ونزل القصر الأبيض بالمدائن وهو جريح، فبايع معاوية على الصلح واشترط شروطاً في ذلك لتستوفي الخلافة في ذلك الثلاثين سنة<sup>(2)</sup>.

### 2- القيمة الإسلامية في عمل الحسن رضي الله عنه

تعدّ الوحدة الإسلامية من أهم الأعمال التي أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم صرحها وحارب كل ما يسبب انهيارها، لكي لا تقع الأمة فريسة الشقاق والاختلاف والفرقة. فنبت العصبية والتفاخر بالأباء والاعتزاز بالأنساب، وحذر من كل الأمراض التي تمس بعلاقة المسلم بأخيه، وحذر الأمة من بعده من التباغض والتناحر، والنقائل، حفاظاً على هذا المقوم الذي أصبح من مساعي الفكر الإسلامي وسعيها لتحقيقه.

<sup>1</sup>: ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، 14/8.

<sup>2</sup>: المرجع نفسه، 16/8.

وعلى هذا؛ فقد كان عمل الحسن استمراراً لعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن رحمه، فالحفاظ على وحدة الأمة الإسلامية وعلى وعائها من التصدع، والسعي في حقن دماء المسلمين وحفظ النفس من أهم الكليات التي قام عمل الحسن على حمايتها، ثم إن حفظ وحدة الأمة لا يقل أهمية عن هدايتها ولا ينفك عنها، وهما متلازمان متكاملان، فلا تتحقق هداية للأمة في ظل تحولها إلى شذمات وتحزبات متعادية، وهذا ما نلمسه في قوله في خطبته رضي الله عنه عند التنازل عن الخلافة: «إن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا»<sup>(1)</sup>، وقام عمله في سبيل تحقيق قيمة وحدة الأمة عن طريق صفة الرحمة بالمسلمين وتجلت سعة هذه الصفة فيه في قوله: «لست بمذل المسلمين، ولكني كرهت أن أقتلهم على الملك»<sup>(2)</sup>. فكفّ عن قتال المسلمين لما آلت وجهتهم إلى الملك لا لتحصيل القيم الإسلامية وتقديم مصالح الأمة عن المصالح الفردية.

وبهذا ينال سيدنا الحسن بصنيعه منزلة السيادة على لسان النبوة: «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»<sup>(3)</sup>.

### ب- عمل الحسين رضي الله عنه

#### 1- ولاية يزيد بن معاوية

كان معاوية قد عهد للحسن بن علي بالأمر من بعده، وقد أشار عليه بعض عماله لاستخلاف يزيد، ولما استشهد الحسن قوي أمر استخلاف يزيد عند معاوية، ورآه لذلك أهلاً، وذلك شدة محبة الوالد لولده، فدعا الناس إلى البيعة لابنه سنة ست وخمسين<sup>(4)</sup>. وفي هذا الحدث المنعطف يقدم الندوي بعده على ذكر سيرة يزيد بن معاوية التي تنبئ عن حجم التحول الواقع في سيرة الأمة، من شرب الخمر، والإقبال على الشهوات، وترك بعض الصلوات، وإماتتها في غالب الأوقات، واشتهاره بالغناء فحاكم على الأمة بهذه الصفات الذميمة يعتبره الندوي حدث كبير في عهد قريب من الخلافة الراشدة، وخاصة

<sup>1</sup>: ابن كثير، البداية والنهاية، 18/8.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، 19/8.

<sup>3</sup>: رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما. (3746).

<sup>4</sup>: ينظر: الندوي، المرتضى، مصدر سابق، ص 205.

في حضرة عدد كبير من أجلة الصحابة والتابعين لهم بإحسان وفيهم من كان أولى بالخلافة والوصاية على المسلمين وقيادتهم، وتحقيق الغايات التي جاء لها الإسلام، ونزل بها القرآن، وشرعت لها الخلافة بدرجات كثيرة، لذلك كان طبيعياً أن يحسب لذلك حساباً لم يكن ليحسب إذا حدث هذا الحدث في زمن متأخر، كما كان فعلاً<sup>(1)</sup>.

## 2- القيمة الإسلامية في عمل الحسين رضي الله عنه

كان الكثير من الصحابة رافضين لبيعة يزيد بن معاوية وذلك لسيرته التي سبق ذكرها، فكان في مقدمتهم الحسين بن علي الذي يعتبر الندوي أن يزيد ورجال حكومته حسبوا له حساباً لم يحسبوه لغيره من الممتنعين عن البيعة كعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير وغيرهم، وذلك لمكانته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما اقترن به من تاريخ والده العظيم، ومواقفه من حكومة معاوية ولكنه لم يلبس ولم يستكن، ولم يحد عن موقفه الذي آثره عن اقتناع وبصيرة<sup>(2)</sup>.

ويستمر الندوي في سرد الأحداث وخروج الحسين رضي الله عنه إلى العراق، إلى أن يأتي إلى ذكر حادثة كربلاء في اعتذار إلى القراء الغيارى على الإسلام العارفين لفضل آل البيت الرسول وعترته الكرام. لشناعة الموقف وفضاعته، ثم حادثة استشهاد الحسين وأصحابه. ليصل إلى إبداء رأيه في يزيد بواسطة تبني انتقاء جملة شهادات الأعلام من السلف<sup>(3)</sup> في أفعال يزيد وقواده -كعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد وشمر ذي الجوشن- وتوصيفها بشتى التقبيح والتشنيع. وهذا ما يوحى إلى موقفه الواضح من يزيد وأفعاله<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، المرتضى، مصدر سابق، ص 206، 207.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص 207.

<sup>3</sup>: من جملة هذه الشهادات التي تطعن في يزيد شهادة أحمد بن حنبل لابنه: " وهل يحب يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر؟، وشهادة ابن تيمية: أما من قتل الحسين أو أعان على قتله، أو رضي بذلك، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً"، وشهادة أحمد بن عبد الأحد السرهندي: " إن يزيد الذي حرم السعادة والتوفيق من زمرة الفساق، أما التوقف في لعنه فهو على أساس أهل السنة...، وليس ذلك أنه ليس جديراً باللعن..". وقول الشيخ عبد الحق البخاري الدهلوي: "وبالجملة فإن يزيد من كبار المبغوضين عندنا، والفظائع التي ارتكبها هذا الشقي الذي خانته التوفيق في هذه الأمة لم يقترفها أحد في هذه الأمة"، وقول عبد الرحيم الدهلوي: "ودعاة الضلال يزيد بالشام، ومختار بالعراق"، واختتم الندوي جملة هذه الآراء والشهادات السيئة في يزيد برأي عبد العلي نظام الدين الأنصاري اللكنهوي: " ويزيد ابنه كان من أحبب الفساق، وكان بعيداً بمراحل الإمامة، بل الشك في إيمانه، خذله الله تعالى، والصنيعات التي صنعها معروفة من أنواع الخبائث" ينظر: الندوي، المرتضى، مصدر سابق، ص 215، 216.

<sup>4</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص 214، 215.

والذي يهمننا من هذا؛ موقف الندوي من عمل الحسين رضي الله عنه. والذي نجده قد اعتبر أن كلا من السبطين رضي الله عنهما «مثلا دورا مطلوبيا، كان في مصلحة الملة الإسلامية ولاتقا بهما»<sup>(1)</sup>. فلا تتناقض بين الاجتهاديين، أو اختلافا بين الرأيين، لأن الأحكام تتبدل بتبدل الظروف والملابسات، فكان اجتهاد الحسن صوابا لظروفه، وكان اجتهاد الحسين صحيحا لأوضاعه..، وكلاهما أخذًا بالعزيمة، وعملا بالحكمة، ولم يجبن أحد منهما، ولم يستكن، ولم يتخاذل، ويؤكد الندوي على أن الحسن لم يتنازل عن الخلافة من ضعف، أو عن ضغط خارجي، بل كان ذلك قضاء تتبأ به جده صلى الله عليه وسلم: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»<sup>(2)</sup>.

وعلى كل فأهم ما أحرزه عملا السبطين رضوان الله عليهما مجد النبالة الذي هو أعلى مراتب المجد وسبيله بذل النفس بالتعرض للمشاق والأخطار في سبيل نصرته الحق وحفظ النظام الذي يضمن مسير الأمة الإسلامية في المسار القويم ويضمن للحضارة بعدا روحيا قوامه رسالة النبوة.

ولما كان مجد النبالة من أعلى مراتب المجد وأعظمها منزلة فإنه لا يرتقي لإحرازه إلا أصحاب النفوس الكبيرة من مواليد بيوت نادرة حمتها الصدق من عيون الظالمين المذلين، أو من نجباء بيوت ما انقطعت فيها سلسلة المجاهدين وما انقطعت عجائزها عن بكائها<sup>(3)</sup>.

لقد كان لعمل الحسين رضي الله عنهما قيمة عظيمة، ودور فعال في الأمة الإسلامية، حتى وإن اختلفا الأدوار فقد اتفقا في الأهداف، إذ تجلت قيمة عمل الحسن رضي الله عنه في الحفاظ على وعاء الأمة الإسلامية من التشرذم والفرقة فكانت الوحدة من أهم القيم التي حققها دوره، أما قيمة عمل الحسين رضي الله عنه فحققت الحفاظ على روح الأمة الإسلامية الذي يتمثل في الدين الصافي النقي من فعل أهواء رجال السياسة والحكم، ومن هنا تقام حقيقة "الأمة" كما أرادها القرآن، ويتيح لها الترتي بالروح إلى الكمال عن طريق سلم العدل والرحمة والإحسان<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup>: الندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 3 / 133.

<sup>2</sup>: صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم للحسن بن علي رضي الله عنهما. رقم (2704).

<sup>3</sup>: ينظر: عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، دار النفائس، بيروت، ط3، 1427هـ، 2006م، ص74.

<sup>4</sup>: ينظر: عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، مرجع سابق، ص142.

## ج- عمل خالد بن الوليد رضي الله عنه

والتضحية الأخرى التي يوقفنا عليها الندوي -والتي تمثل نموذجا رائعا في صغارة النفس وأغراضها أمام الأمة الإسلامية ومصلحتها- هي موقف خالد بن الوليد مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما حينما عزله عن قيادة الجيش وخلف مكانه عبيدة، فأثبت صدقه في خدمة الأمة ولم يؤثر العزل في نفسه واستمر في ثقة وعزيمة.

فالمأمل في عمل خالد يجد أن لا وجود لـ: "أنا المنفعية" واقع وأثر، «وبوسعنا أن نتخيل ما كان يمكن أن يحدث في مجتمع مريض لو أن خليفة من طراز عمر بن الخطاب أراد أن يعزل رجلا كخالد بن الوليد من قيادة جيش الشام، إن محاولة كهذه كفيلة بزلزلة العالم الإسلامي أو أنها حدثت بعد ذلك بقرنين أو ثلاث قرون فحسب ولكن (الأنا) الإسلامية كانت في العهد الأول سليمة سوية فكان (فعل) عمر دون عقدة، وكان (فعل) خالد دون عقدة أيضا، لأن علاقتهما كانت علاقة سوية منزهة»<sup>(1)</sup>.

فالإخلاص والصدق في خدمة الأمة الإسلامية من أهم ما يستلهم من موقف خالد رضي الله عنه.

## د- عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه هو الشخصية الأخرى التي أعطت نموذجا فريدا يمثل منعظا في الواقع السياسي الذي عهد الانحراف بعد الخلافة الراشدة، ولا يعتبر الندوي أن النقطة المفصلية التي صنعتها شخصيته انتقال من كونه أعظم أموي ترفها وتملكا إلى الشخصية الورعة الزاهدة، رغم أن هذا التحول ليس بالبساطة ولا بالأمر الهين، وقد هيئت له كل أسباب الترف والرفاهية، والانحراف الخلقي والسري وراء كل لهو لذيد، كما كانت سيرة من قبله، وإنما إحرار المعالي في عمله، تجلى فيما امتاز به من نظرة إلى الحكومة حاكت نظرة الخلفاء الراشدين، فعلى نظرة الندوي أن شخصية عمر قامت على الثورة على النفسية المقصورة على جباية الأموال، فلا صلة لها بأخلاق الجمهور وعقائده

<sup>1</sup>: مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق. ط3،

وأخلاق الناس، ف خلف رسول الله عصابة من جباة الأموال يقيسون كل قضية في هذه الدولة بالمقياس المالي، ولا ينظرون إلى شيء إلا بالناحية المالية<sup>(1)</sup>.  
ثم أن إيمانه القوي بالله وخشيته لله، من أهم الدوافع التي باركت أعماله، فكثرت إصلاحاته وهي النقطة المركزية والأساسية التي تميز بها عن غيره.  
فبعد أن كان عمر بن عبد العزيز الكثير من القيم التي فكان واجبا على العاملين في الجانب السياسي الساعين للتغيير بصدق، استلهم السمات النفسية والروحية التي تسدد الأفعال، وتقوم الآراء، وتبعث على التجديد والإصلاح، وتضمن العدالة الاجتماعية.  
وختام هذه السيرة الحسنة التي أوقفنا عليها وسعة الإصلاحات الجذرية في نظام الحكومة، وفي أذواق المجتمع وأخلاقه، فإن الندوي يعيدنا إلى حقيقة الواقع المتأزم حينها، والصراع القائم بين الحق والباطل، فلذلك لم تطل مدة هذه الشخصية التي كانت فلتة من فلتات الدهر، ودلت القرائن - كما يقول - أن عمر سمّ، وعلى كل فقد كانت بصمته في تاريخ إصلاح الأوضاع وإعادة الأمة إلى مسارها، فبمقدار ما سعدت به الأمة والمجتمع الإسلامي من ذلك، شقي بنو أمية الذين كانوا ينظرون إلى الخلافة كقطعة أو ملك شخصي<sup>(2)</sup>.

ومن هذا المنطلق، فالندوي يتجه إلى وقائع التاريخ وبطولات المصلحين ليستلهم منها القيم الإسلامية التي ينتخبها كمقومات لا يجب أن تغيب في العمل السياسي، وفي المشاريع المتطلعة لنهضة سياسية مثلى تقيم عرى الإسلام بفهم عميق يقيم الثوابت منه ويواكب التطورات والتغيرات.

كان حفظ كيان الأمة الإسلامية من الفرقة والشقاق وإقامة الوحدة الإسلامية، والحفاظ على أصالة الدين والوقوف في وجه الاستبداد والظلم والانتصار للحرية وتصحيح مسار الأمة الإسلامية، والصدق في خدمة الأمة وإيثار مصالحها على المصالح الشخصية؛ من أبرز القيم التي عرضها الندوي كشرط أساسية في النهضة السياسية.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، 73/1.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز، المختار الإسلامي، القاهرة، ط2، 1393هـ، 1973م، ص45.



### الفرع الثاني: الجهود العملية المباشرة وغير المباشرة في الإصلاح السياسي

أسهمت الكثير من الجهود في تاريخ الأمة في الإصلاح السياسي، سواء من وجه مباشر أو غير مباشر.

#### أولاً: الجهود العملية المباشرة لإعادة الخلافة

يشيد الندوي على جملة الجهود الإصلاحية التي لم تتقطع لقلب الحكم، وإعادة الخلافة إلى نصابها، والقضاء على الاحتكار الأموي والعباسي للخلافة والحكم. «فلم يكن لأحد أن يقوم في وجه الخليفة الأموي والعباسي، ويطمح في النجاح إلا إذا كان حائزاً على شرف النسب وعلو البيت متمتعاً بعصبية قوية واسعة، حتى يقرع الحديد بالحديد، ويقابل الريح بالإعصار؛ لذلك قام كل من خرج على الدولة الأموية والعباسية، ورفع راية الجهاد، من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ومن العلويين، لأن إمكاناتهم كانت ألمع وأظهر، والمسلمون إليهم أميل، وأيدهم أهل الصلاح ومحبو الإصلاح في عصرهم، والذين كانوا يتألمون بمشاهدة فساد الأوضاع، وضياع الخلافة، وضياع أموال المسلمين في الشهوات والنزعات الجامحة العاتية إلى الترف والعادات الجاهلية»<sup>(1)</sup>. ومن جملة هذه النماذج:

#### أ- زيد بن علي بن الحسين

قام حفيد الحسين رضي الله عنه زيد بن علي بالخروج على هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي، وقتل وصلب سنة 122هـ، وقد أرسل إليه الإمام أبو حنيفة بعشرة آلاف درهم واعتذر عن عدم حضوره<sup>(2)</sup>.

#### ب- محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي "ذو النفس الزكية"

قام في المدينة، وأخوه إبراهيم في الكوفة باتفاق منهما، وكان أبو حنيفة ومالك من أنصار ذي النفس الزكية، وقد انتصر له أبو حنيفة علانية، وأرسل إليه ببعض المال، ونهى قائد المنصور والحسن بن قحطبة، عن محاربتة فاعتذر من المنصور، وكان هذا هو السبب الحقيقي لما وقع من المنصور مع أبي حنيفة بحياته<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، مج1/123.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، مج1/123.

<sup>3</sup>: ينظر: محمد أبو زهرة، أبو حنيفة، حياته وعصره، آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، ط2، 1319هـ، 1942م، ص44، 45.

وقد استفتى الناس مالك ابن أنس في الخروج مع محمد، وقالوا: إن في أعناقنا بيعة لأبي جعفر، فقال: «إنما بايعتم مكرهين، وليس على مكره يمين، فأسرع الناس إلى محمد، ولزم مالك بيته»<sup>(1)</sup>.

وقتل محمد سنة 145هـ في المدينة في شهر رمضان، وقتل أخوه إبراهيم في ذي القعدة من ذلك العام.

إن المتأمل في بسط بطولات هذه النماذج وتضحياتها في سبيل إقامة الحكم الصالح وإعادة الخلافة على نهج النبوة يجد أن الندوي قد أبدا موقفه في هذه الجهود معرضا عن الولوج في مناقشات مسألة الخروج عن الحاكم المستبد والحديث عن أي المصلحة أولى، فالندوي في هذا الأمر يعرض الأعمال على ميزان القيم الإسلامية ومدى خدمتها للأمة وحفظها للدين وثباتها عن الفكرة الأصيلة. فمتى أصابت هذه الأعمال هذه المعايير كانت عند الندوي هي الأصح والأسلم والأولى، ومتى انحرفت عنها لم تجد حظا في جرة قلمه وفيض لسانه.

فبالرغم من فشل هذه الجهود في تحقيق مرادها وإخفاقها فإنها تخلو من قيمة عند الندوي من ناحية خدمتها للإسلام من حيث حفظ شرف تاريخ الإسلام وكرامته، فيرى الندوي أن لولاها لكان التاريخ قصة متصلة للأنانية والنفعية، قصة الملوك الذين يتسلطون، وقصة أصحاب الأغراض والأطماع الذين يخضعون، فحفظوا بذلك الجانب المشرق من التاريخ الإسلامي، وتركوا تراثا مجيدا يعتز به الإسلام، وثروة غالية تتجمل بها الأجيال وسلسلة متصلة من المجاهدين تبعث على الثقة والإيمان واليقين، وتلهم بالفروسية الإسلامية الصادقة والثورة على الأوضاع الفاسدة، والغضب لنظام الإسلام المظلوم، ولكرامته المهذرة<sup>(2)</sup>.

### ثانيا: الجهود العملية غير المباشرة

سبق التنويه على الفساد الذي هيمن على الحياة الأموية وانحراف المجتمع وذيوع المعاصي والانصراف عن الدين، فقد «أثرت سياسة الدولة وحياة رجال الحكم المترفة تأثيرها الطبيعي في ميول الناس ومقاييسهم للسعادة والشرف، ونشأت طبقة مترفة تشبه

<sup>1</sup>: ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، 90/10.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، المرتضى، مصدر سابق، 216، 217.

المترفين في الأمم القديمة في أخلاقها وسلوكها ورغباتها، ولا تمتاز عنهم إلا ببعض العقائد والعبادات، وبالبقية الباقية من الإسلام، وهي بقية لها قيمة لا تنكر، وقد دلّ كل شيء في هذا المجتمع على أنه تدلى تدليا عظيما، وعلى أن الجاهلية -النائرة الموتورة- قد نهضت تنتصف من منافسها -الإسلام- وهي حريصة كل الحرص أن لا تفوتها الفرصة»<sup>(1)</sup>.

#### أ- وجود الطبقة التي تحمي الدين وتقاوم الاستبداد

حتى لا يأخذنا هذا الواقع المؤسف -الذي صورته الندوي وأفاضت به كتب التاريخ والأدب- مأخذ اليأس والتشاؤم من تلك القرون فإنه لم يغفل الندوي أن يضع أصبع القارئ على ومضات الأمل، والصفحات النيرة من أعلام الدين التي أعادت الأمل وبعثت على الثقة من جديد، بمكافحتها الفساد وبقائها على الوفاء للإسلام وروحه النقية وعلى هذا يقول الندوي: « ولكن يجب ألا ننسى أن الدين كان ولا يزال له السلطان الروحي والمكانة الأولى في قلوب الناس حتى في هذا العصر، وكان الجمهور من الناس لا يقرّون هذه المنكرات وهذا الإسفاف، وكانوا لا يزالون ينظرون إلى الخلفاء والأمراء وحاشيتهم ومن سار سيرتهم، وبنظرة فيها الانتقاد وفيها الازدراء وفيها السخط»<sup>(2)</sup>.

ونجد الندوي قد حصر هذا الفساد ونفوذ هوى الخلفاء والأمراء في الدائرة السياسية ومن والها ممن تغيرت نفسيته، أما خارج هذه الدائرة وما عدا هذا الوسط، فكان يسود أهل الصلاح والعلم، وأهل الزهد والتقوى، والصالحون والعلماء من أبناء الصحابة، والسادة من أهل البيت النبوي، فكان مقابل التكتل السياسي هناك تكتل قوادها سادات التابعين وأهل العلم والدين<sup>(3)</sup>.

#### ب- نماذج من المصلحين

وفي مقابل الطرف الذي أقام فريضة الجهاد والفروسية الأصيلة الصادقة، أحيا الندوي ذكر الطرف الآخر من سادة أهل البيت وأولاد علي الذين أحيوا حقيقة الدين ومثلوه

<sup>1</sup>: الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، مج1/64، 65.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، مج1/65.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، مج1/65، 66.

عمليا في سلوكهم وجهودهم في تربية الأمة التربوية الإيمانية والخلقية، وأحيوا فريضة الدعوة إلى الله وتعليم الناس وتهذيب النفوس.

وعدّهم مدرسة خلقية مثالية، يتلقى فيها أبناء كل جيل دروس مكارم الأخلاق وروائع المروءة والسماحة، والإحسان، فبعد أن «انتهت كارثة كربلاء بمخازيها وعارها على الحكومة القائمة، ومن شايعها، وعادت الحياة إلى ما كانت عليه، عاد أولاد علي والحسن والحسين إلى سيرتهم الأولى، من الطهر والعفاف، والاشتغال بالعبادة، وضرب المثل العملي من الإقبال على الآخرة والزهد في الدنيا، والاشتغال بخاصة النفس والريانية الإسلامية الصادقة، وعزة النفس وسموّها، والنصح للإسلام والمسلمين، السيرة التي تليق بأولاد الرسول صلى الله عليه وسلم وعترته، وخلفاء الرسل»<sup>(1)</sup>.

وقد ضرب نماذج مثالية من ذرية أهل البيت. فكان منهم علي بن الحسين المعروف بـ"زين العابدين"<sup>(2)</sup>، ولإبراز المكانة التي أحرزوها في الأمة يعرض الندوي قصته مع هشام بن عبد الملك، فحينما حجّ في أيام أبيه، وطاف وجهد أن يصل إلى الحجر ليستلمه، ولم يقدر عليه لكثرة الزحام، نصب له منبر وجلس عليه ينظر إلى الناس، ومعه جماعة من أعيان أهل الشام، فبينما هو كذلك إذ أقبل زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وكان من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم أرجاً، فطاف بالبيت، فلما انتهى إلى الحجر تتحى له الناس حتى استلم، فقال رجل من أهل الشام: من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيئة فقال هشام: لا أعرفه، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام، وكان الفرزدق حاضراً فقال: أنا أعرفه، فقال الشامي: من هذا يا أبا فراس فقال قصيدته السائرة التي مطلعها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته \*\*\* والبيت يعرفه والحلّ والحرم

ثم تتوالى النماذج من أبناء هذه المدرسة من محمد الباقر وابنه جعفر الصادق، وابنه موسى ابن جعفر الكاظم، وابنه علي الرضا، ومن آل الحسن بن علي؛ الحسن بن الحسن

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، المرتضى، مصدر سابق، 223.

<sup>2</sup>: ينظر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1419هـ، 1998م، 401/41. وابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د ط)، 1900م، 95/6.

بن علي المثنى، وعبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي المحض. الذين أفاض الندوي بذكر فضائلهم الحسنة الجمّة وشهادة ممن عاصرهم، ويعتبر أخيراً أن ما ذكره كان من قبيل النزر اليسير من الوفير الكثير والبحر الغزير<sup>(1)</sup>.

إن أبرز ما قدمته هذه النماذج المثالية في الأسوة والقُدوة والسلوك والتضحية في سبيل الدين أنها أقامت مؤثلاً تهوي إليه النفوس فكانت ملجأً ومنجى من انحراف السياسة والترف وفساد حاشيتها وتملقها، ومن المظالم والانحرافات التي طالت يدها ليقع بطشها على المجتمع.

فأعظم قيمة تقتبس من هذه النماذج المنيرة هي أهمية وجود طبقة العلماء والمربين الأتقياء التي تخلق جوّاً يكون متنفساً يصطبر الناس فيه أنفسهم ويحفظون دينهم. فإن بقاء أصل الدين على نقاوته من أهم العوامل التي تصنع الشخصيات المخلصة المصلحة التي تجابه كل منابع الفساد وأشكاله، لذا كلما كانت الحكومات والسياسات مستبدة ظالمة كانت طبقة أهل الفضل والدين المخلصين الذين لا يقبلون الخنوع والركون لأهوائها أهم عقبة في تحقيق مآربها، ومن أكبر أعدائها التي تقع عليها المظالم.

### ج- علاقة هذه الجهود بالواقع السياسي

بعد ذكر هذه الإنجازات التي قدمتها هذه النماذج وغيرها، التي خدمت الدين وحفظت الجانب التربوي والخلقي للمجتمع، فإننا نقف على العمل الذي أدته من طريق غير مباشر فيما يخص الواقع السياسي، فالطراد المستمر الحادث بين رجال السياسة وطبقة العلماء المخلصين سببه أمرين: إعراض الصفوة من أهل العلم والدين عن دائرة السياسة والحكم، وذلك لمعرفتهم الكاملة بطبيعة النفوس المالكة والحاكمة التي لا تنقاد لكامل الدين فتأخذ منه ما يتمشى مع ما تمليه أهواؤها، وما يتفق مع مصالحها وما يرسخ قدم الملك والحكم، فمن هذه الجهة وكذا التخوف من وقوع تحريف الدين وتغلب سلطان الحكم على سلطان الشريعة والدين وما ينجر عن ذلك من مفاصد في الحياة الإسلامية التي تنتامي وتربو إلى أن تصبح نكبة يصعب تداركها بالعلاج والتصحيح. نجد أن حمى الدين قام أساسه بتلك الجهود والمساعي من العلماء والدعاة الريانيين والزهاد الورعين، وما كان انتشار الإسلام الصحيح والتعريف الدقيق له والنقل لأصوله والنشر الواسع لحقائقه

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، المرتضى، مصدر سابق، 223-227.

إلا عن طريق هؤلاء، ولو وكلت حماية الإسلام لحكامه لضاع من أمد بعيد، لأن أهل الحكم ما «كان أكثرهم إلا ولاة متغلبين، لم ترشحهم كفاياتهم للمناصب التي نالوها، بل رشحتهم القوى والأهواء، وهيئات أن يخدم مبدأ ما بإتقان وبراعة رجل ليست له قدم راسخة وعرق أصيل»<sup>(1)</sup>. ويصبح الدين بهم مقصوص الجناح مكتوف الأيدي كما يقول الندوي.

وأما سبب فوز هذه الفئة من الأمة بهذه المنزلة في حماية الدين وحفظه ونشره على الوجه الأمثل فهو طبيعة الجو المحيط بعملها؛ فميدان العلم والدين تختفي النزعات والعنصرية، وتبقى الكفاءة والقدرة والرقي هي المعايير الحاكمة، فلا حظ للزعامات وتخطف المناصب على نحو ميدان السياسة<sup>(2)</sup>.

والسؤال الذي يجب أن ننتبه إليه هو: لماذا يقع صراع السلطة السياسية للسلطة العلمية الدينية أكثر من أي جانب آخر؟، وجواب ذلك يتجلى في خوف الطبقة الحاكمة من ما يصنعه أهل العلم والدين الخالص بعلومهم الراسخة -التي لا يغيرها طلب فتات الموائد والتملق على أبواب الملوك والقصور، ولا يمسحها الكذب عن الذات في سبيل تحقيق الملذات- بالنفوس من تنوير العقول ورفع مقام النفوس إلى مستوى وعي وضاح للخير فضاح للشر، فلا تقبل أن تساق، وتحقق بها الأغراض، تعرف أن الحرية أفضل من الحياة، وبهذا المستوى تتفقت هذه النفوس -بعد ترقئها- من يد أهل الحكومات المستبدة التي تعد غنيمة يتخذونها مطية لتحقيق الغايات<sup>(3)</sup>. فمرتکز الحكومات المستبدة عامة الناس الذين لم تتروى نفوسهم من العلم الذي ينير البصائر ويحرر النفوس من كل عبودية.

وقد سلكت حكومات الاستبداد مسلكين في مواجهة سلطان العلم والدين ونفوذه في الناس، المسلك الأول محاولة تقريب تلك النماذج التي كتب لها الله القبول في القلوب وما امتازت به من احترام وإجلال إلى بلاط الحكم والإغداق عليهم بالمناصب تعضيدا بهم لعرش الحكم، وكسب ثقة الأمة عن طريقهم، ويستوثقون بمكانتهم عرى السلطة، أما السبيل

<sup>1</sup>: ينظر: محمد الغزالي، الإسلام والاستبداد الإسلامي، مرجع سابق، ص 119.

<sup>2</sup>: ينظر: المرجع نفسه، ص 196.

<sup>3</sup>: ينظر: الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، مرجع سابق، ص 65-68.

الثاني فتلجأ الحكومات - عندما لا يتحقق لها السبيل الأول ولا يخضع أهل العلم والدين لمرادها - إلى الأذى والإساءة والتهميش والتضييق، ومحاولة التشويه، ومطاردتهم والتكيل بهم، وزهق أرواحهم واستباحة الأعراض، إن دعت الضرورة وتفاقم الخطر على المصالح والأغراض. وكذا الاستغناء عنهم بطبقة من العلماء أقل منهم منزلة من الدين والتقوى؛ يوطدون لهم وثاق الحكومة ويقننوا الآراء ويشرعون النظريات، ويؤسسون لهم فقها مسوغا يضمنون لهم به رسوخ أركان الحكم المستبد.

والحاصل أن هذه الجهود التي عرضها الندوي في قبيل دائرة رجال الحكم والسياسة أسهمت في الحفاظ على الدين والحفاظ على الأمة الإسلامية، وعملت على إقامة نقد عملي باعترالها الملوك والسلاطين والهوم حول قصورهم، ورفضها الميزات والوظائف وتقلد المناصب، وكرائم أموالهم، واختيار سبيل الدعوة إلى الله والقيام على شؤونها ومشاقها، والتربية الصالحة للمجتمع وتقويمه وصيانتته من الانحراف، فبهم تنتور العقول وتتسامى النفوس عن طلب الدنيا مقابل التنازل عن الكثير مما يقوم به أمر الدين.

### الفرع الثالث: جهود العلماء المخلصين في إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم المقومات التي تضع الأمة على الطريق القويم والتي تحفظها من الانحراف، وتضمن مسارها الحضاري والرسالي. فلم تتل الأمة سمة الخيرية إلا عن طريق تحقق هذه الفريضة على المستوى المطلوب. فمن أهم الأهداف التي تسعى لتحقيقها هذه الفريضة الولاء للدين وقيمه لا الولاء للأشخاص وأفعالهم. فمتى غابت هذه الفريضة وانتصر الناس للأشخاص وجادلوا عنها وقلّ السعي لتحقيق متطلبات الدين وجملة شرائعه؛ عمّ الفساد وانحصر الدين في جوانب هامشية حيث يفقد تأثيره في الحياة وتوجيهه لها.

وقد أسهم في ضياع قدسية هذه الفريضة طبقة السوء من العلماء ورجال الدين، فكانت التبعة الكبرى في الفساد الطارئ على واقع الأمة الإسلامية تقع عليهم، لتخليهم الإنكار على الفساد وأهله، وقد أورد الندوي في هذا كلام إذ يقول: «وبالجملة إنما فسدت الرعية بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء، فلولا القضاة السوء والعلماء السوء لقلّ فساد الملوك خوفاً من إنكارهم»<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup>: أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، 152/2.

ويأتي الغزالي على ذكر التحول الذي طرأ على نفوس العلماء وتغير سيرتهم فيقول: «كانت سيرة العلماء وعادتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين لكونهم اتكلوا على فضل الله تعالى أن يحرسهم ورضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة، فلما أخلصوا لله النية أثر كلامهم في القلوب القاسية فليتها وأزال قساوتها، وأما الآن فقد قيّدت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا، وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا، ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا، ففساد الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه، ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل، فكيف على الملوك والأكابر، والله المستعان على كل حال»<sup>(1)</sup>. ومما ذكر الندوي يتبين سبب ضياع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وفي هذا نجد الندوي قد ذكر ثلاث قصص كنماذج ممن قاموا على إحياء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، منها قصة الحسن البصري مع ابن هبيرة الفزاري والي يزيد بن عبد الملك على العراق، وشخصية الفضيل بن عياض مع هارون الرشيد. ورجل عابد مع المنصور<sup>(2)</sup>.

واعتبر الندوي جملة هذه الجهود «جزرا بشرية في بحر المادية يأوي إليها الغرقى، فأقاموا بجانب الحياة المترفة في الدولتين الأموية والعباسية حياة زاهدة تقوم على الإيمان وتقدير القيم الروحية والخلقية، تفوق في سلطانها وقوتها سلطان الحكومات وحاشيتها..، وإذا ما وقع صراع بينهما كان الانتصار لها، ورأيت سلطان السياسة يخضع لسلطان العقيدة ويتضاءل الخليفة والأمير أمام عالم كبير أو محدث جليل»<sup>(3)</sup>.

وخالص الأمر أن الندوي توجه إلى أحداث التاريخ وبطولاته وجملة المواقف الإصلاحية واستلهم منها جملة من القيم والمبادئ التي لها أهمية بالغة في العمل السياسي والتي لا يجب أن تنفك عن أي مشروع أو مخطط سياسي نهضوي يسعى برؤيته السياسية لتصحيح المسار واستدراك أخطاء الماضين ممن تقلدوا الحكم ومناصب السياسة ولم يحققوا الآمال المنشودة ويعطوا لمسة حقيقية تعيد للأمة الإسلامية بعدها الحضاري، وكأمة قرآنية تستوعب في كيانها جميع عناصر قوامتها تتقاسم الأمم والشعوب الأخرى في شكلها وتتمايز عليها في مضمونها وبعدها الرسالي القيمي والحضاري الإنساني.

<sup>1</sup>: الغزالي، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، 357/2.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، رجال الفكر والدعوة، 116/1، 117.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، 116/1.



## المطلب الثاني: منهج التغيير السياسي عند الندوي

إن المتطلع لمنثورات كتابات الندوي حول الواقع السياسي ورسم خارطة للنهوض به، يتبين أن الندوي لم يحمل فكرا سياسيا ومشروعا مستقلا نظيرا للحركات الإسلامية أو الأحزاب السياسية، على قدر ما كان ترشيدا للمساعي والجهود السياسية ورسمًا لطريق أسلم تثمر فيه مجموع الرؤى والتوجهات السياسية، وتحفظ من إحداث الصدام بين الطبقات السياسية الحاكمة وبين الساعية لذلك وما ينجر عنه من أزمات على مستوى الحياة الاجتماعية. مراعيًا في ذلك التنبيه على بعض الآثار السلبية التي تخلفها بعض المفاهيم والسلوكيات السياسية. ولعرض منهج التغيير السياسي عند الندوي ارتأينا أن نتناوله في فرعين؛ الأول في إيجاد الوعي السياسي في الأمة الإسلامية، والثاني في فكرة التغيير السياسي عنده.

## الفرع الأول: إيجاد الوعي السياسي في الأمة الإسلامية

إن من بين القضايا التي تناولها الندوي بالحديث والتركيز عليها باعتبارها من ضرورات الواقع خاصة في العمل السياسي إيجاد "الوعي السياسي" وفي هذا يقول: «إنني لم أكن في فترة من حياتي ممن يقول بفصل الدين عن السياسة وممن يفسر الدين تفسيرًا لا يتصادم مع وضع -مهما انحرف وشدّ عن الإسلام- وينسجم مع كل مجتمع، ولا ممن يعتبر السياسة الشجرة الملعونة في القرآن، بل أنا في مقدمة من يدعو إلى إيجاد الوعي السياسي الصحيح في الشعوب الإسلامية وإيجاد القيادة الصالحة، وممن يعتقد أن المجتمع الديني لا يقوم إلا بالملك الديني الصحيح والحكم الصالح المؤسس على أسس الإسلام، ولا أزال أدعو إلى ذلك حتى ألقى الله، إنما المسألة مسألة تقديم وتأخير، وما تقتضيه حكمة الدين وفقهه، وما تفرضه الأوضاع»<sup>(1)</sup>.

ومن بين الرؤى التي قدمها في سبيل إيجاد وعي سياسي يحقق غايات مثلى في حياة الأمة الإسلامية ما يلي:

<sup>1</sup>: الندوي: إلى الإسلام من جديد، مصدر سابق، ص 187.

### أولاً: التحذير من هيمنة الفكر السياسي على المشاريع الإصلاحية

نبه الندوي مرارا وتكرارا على خطورة هيمنة الفكر السياسي وطغيانه على الفكر الإصلاحي، حتى يصبح هو المحور الرئيس الذي تدور حوله كل الأفكار الإصلاحية، ومن هنا تسلب الجوانب الأخرى أهميته في حياة الأمة، وتكون أمور هامشية خادمة للرؤية السياسية تابعة لها لا غير.

وقد أبرز الندوي بعضا من جوانب هذا الواقع، فيرى أنه ليس من قبيل الوعي السياسي أن تفسر غاية بعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في إطار مصطلحات سياسية - إقامة الحكومة الإلهية-، ولهذا أكد في نصيحته على أن لا تركز كل الجهود وتبذل كل الطاقات في الجانب السياسي فينحصر الإسلام وكل ما يحمله من معاني واسعة للحياة في الحيز السياسي، وقد انتقد هذا الرأي وردده على من رآه، وجاء هذا الأمر تفصيلا في كتابه "التفسير السياسي الإسلامي في مرآة كتابات الأستاذ أبي الأعلى المودودي والشهيد سيد قطب"<sup>(1)</sup> يقول: «إنه لا ينبغي أن يكون تفسير الإسلام خاضعا لمصطلحات سياسية، ولأهداف سياسية فقط، لأنه كتاب محكم، خالد، عام للبشرية، والأساس فيه إرضاء الله

<sup>1</sup>: ولا نعتقد أن الندوي قد وفق إلى حد بعيد في مناقشة قضية الحاكمية عند المودودي من ناحيتين؛ الأولى: من ناحية منهجه في تأصيل المسألة، والثانية: المسحة الشاملة لأرائه، حتى يتأتى لنا الحكم على الرجل بميزان القسط والنقد العلمي النزيه. فما كان جهد الندوي إلا تركيزا على الآثار السلبية لبعض آراء المودودي وعواقبها على الشباب المتحمس الضيق التفكير ذي الثقافة المحدودة. وعلى التيارات المتعصبة له والمندفعين في نصرة الحاكمية مجتزيين في ذلك النصوص والأقوال من كتابات المودودي من غير تودة وأناة ولملمة بتصوراته ونظراته حول فكرة الحاكمية.

في حين نجد أن ما تقدم به مثلا الدكتور محمد عمارة في كتابه "أبو الأعلى المودودي والصحة الإسلامية" من أهم الدراسات التي وقفت على جملة آراء المودودي ونهت على ضرورة استحضار المؤثرات البيئية والظروف السياسية وواقع المجتمع قبل وبعد تقسيم الهند -ونجد هذا مفقودا عند الندوي- وخصوصية الزمان والمكان، فكل هذه العوامل أثرت في فكر المودودي وجعلت الحاكمية الفكرة المحورية المخلصة في مشروعه الإصلاحي.

وخلصت هذه الدراسة إلى التصور الحقيقي للحاكمية عنده، ونفت قضية رفضه للحاكمية البشرية وسلب دورها. فوضعت بذلك تصور المودودي للحاكمية في طريق وسط بين جملة المتعصبين له وضده. فكان رفض الحاكمية البشرية المناقضة للحاكمية الإلهية وتجريدها من أي حق عند المودودي تعبيرا عن فكر سياسي أفرزته ظروف مرحلية عابرة -كان جماع فكره السياسي في فترة كانت الهند تحت وطأة الاستعمار الإنجليزي- فليس للنظرية الإسلامية المعبرة عن أصول الإسلام وثوابته شيء في هذا.

أما قضية تأصيل مسألة الحاكمية من القرآن فقد تولتها دراسة أبو القاسم حاج حمد في كتابه "الحاكمية" حيث خلص إلى أن الحاكمية ثلاثة مستويات: الحاكمية الإلهية وتمثلت في فترة بني إسرائيل، حاكمية الاستخلاف وتمثلت في سيدنا

تبارك وتعالى، وتنفيذ أحكامه والعمل بها، والعمل بأحكام رسوله صلى الله عليه وسلم، ويأتي في نتيجة ذلك الحكم والقوة السياسية، فليس الحكم والقوة السياسية هو الهدف الأول والأساس، بل الهدف الأول والأساس هو طاعة الله تبارك وتعالى وطاعة رسوله»<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: أولوية الاهتمام بالتربية الإيمانية والخلقية قبل السلوك السياسي

أكد الندوي في الكثير من محاضراته أن الأزمة الحقيقية لا تكمن في الأزمة السياسية، وإنما يحصر منبع الأزمات والمشاكل في غياب أثر الإيمان والأخلاق في النفوس. وعلى هذا يؤكد أنه من قصر النظر والعجلة الاعتقاد أن حل المشكلة في زوال حكومة وقيام حكومة ثانية مكانها<sup>(2)</sup>. فالمسألة عنده ليست مسألة أحزاب أو حكومات أو شيئاً من التعديلات، إن المسألة مسألة العقلية والاعتقاد والنفوس والقلوب، فإذا لم يتغير الاعتقاد وإذا لم تتغير النفوس والقلوب فلا فائدة في هذه التغيرات، وإن تبدل حزب بآخر، أو حكومة بأخرى لا يقدم ولا يؤخر، فيرى أن الآفة المفسدة المهيمنة هي الخضوع للمادة والاستئثار وخدمة النفس، فالنفس هنا قد تقصر فتصبح نفساً فردية، وقد تتسع فتصبح نفساً حزبية أو جماعية، وإن هذه العقلية هي التي تسيطر على العالم كله وكل ما نعاني من فساد الأوضاع مرده إلى فساد هذه النفوس وهيمنة هذه العقلية الخاضعة للمادة، الخادمة للمصلحة، المستأثرة الأنانية<sup>(3)</sup>.

وهو السبب الرئيس الذي عدّه الندوي في تاريخ الأزمة، فما أدى بالأمة الإسلامية إلى سلوكها منحرجات أحدثت تحولات كبرى في شخصيتها إلا حينما تولى قيادتها أناس لم تتقى رؤوسهم من التربية القديمة ولم تحظ بالتربية تحت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

=داوود وسليمان عليهما السلام، أما حاكمية البشر فقد كانت تأهيلاً للنفس البشرية وتدرجاً في تكوينها حتى تتيح لها صلاحية الاجتهاد وعلى أساسها تحول الخطاب من قبلي كما في بني إسرائيل إلى عالمي. وبينت أن مكن الخطأ الذي وقع فيه المودودي من حيث أنه لم ينتبه إلى السياق التاريخي للآيات التي تناولت قضية الحاكمية ولم يفرق بين مستوياتها التي تحكمها بيئتها وملابساتها وحيثياتها.

<sup>1</sup>: الندوي: نصائح وتوجيهات للشباب المسلم، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1460هـ، 1990م، ص64.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، إلى الإسلام من جديد، مصدر سابق، 158.

<sup>3</sup>: الندوي: نصائح وتوجيهات للشباب المسلم مصدر سابق، ص3.

## ثانياً: الحكومة ثمرة الدعوة الإسلامية

في معرض هذا الأمر ينبه الندوي على أن أمر إصلاح الحال والنهضة بالأوضاع لا يقتصر على قلب نظام، أو تغيير وضع سياسي بوضع سياسي آخر، إنما الأمر موقوف على الدعوة الدينية والتجديد الإسلامي الذي يشمل العقيدة، والأخلاق، والأعمال، والسياسة، والعبادة، والسلوك، تناول العقل، والقلب، والروح، والجسد، وتغيير عميق في القلب، والنفسية، والعقيدة، والعقلية وتكون مجسدة في حياة الداعي قبل المطالبة بها في حياة المجتمع والأمة وما السياسة إلا جانب من جملة هذه المقومات<sup>(1)</sup>.

وبهذا الكيفية تتكون القدوة التي يوثق بها في الإصلاح وتسلم لها القيادة باطمئنان، لذا فالندوي يرى أن المسألة مسألة غياب القدوة الصالحة والأزمة أزمة رجال<sup>(2)</sup>، فالسياسة العادلة تتحقق بوجود الرجال.

وفي هذا يقدم الندوي أولوية الدعوة على التوجه السياسي ممثلاً في ذلك بدور الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كان داعياً بشيراً ونذيراً، وقد كانت كل الأسباب مهياً ليكون زعيماً وطنياً أو قائداً سياسياً يبذل أمة بأمة ويخرج الناس من حكم الفرس والروم إلى حكم عدنان وقحطان وكذلك لم يتولى الخلفاء الراشدون رضوان الله تعالى عليهم زمام القيادة إلا بعد تربية دينية وخلقية<sup>(3)</sup>، وما كانت الحكومات إلا ثمرة وجزاء للدعوة الإسلامية، ولم تكن العزة والقوة إلا نتيجة ذلك العذاب الذي تحملوه من قريش، وذلك الهوان الذي لقوه في مكة وغيرها<sup>(4)</sup>. فلو لا دعوة الإسلام لما كان للخارطة السياسية أهمية.

ويؤكد الندوي على أهمية الدعوة الإسلامية قبل السعي السياسي، ذلك لأن الخارطة الخلقية والمبدئية هي التي تصنع السياسة التي تتبدل كل حين<sup>(5)</sup>.

وإن كان الندوي قد قدم هذه الرؤية كنصيحة للحركات الإسلامية في مطلعها الجماعة الإسلامية فإن المودودي لم يغفل عنها باعتبار أن المسلمين لو خولوا أن يؤسسوا دولة لهم لما استطاعوا أن يقوموا بإدارة شؤونها وتسيير دفتها وفق المبادئ الإسلامية ولا ليوم

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 28/1، 29.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، إلى الإسلام من جديد، مصدر سابق، ص166.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص121.

<sup>4</sup>: ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 32/1.

<sup>5</sup>: الندوي، أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين، دار الصحوة، القاهرة، ط1، 1405هـ، 1985م، ص76.

واحد، لأنهم لم يعدوا المعدات اللازمة ولا يهيئوا العوامل الكافية لتنشئة الرجال والشباب على طراز مخصوص للتفكير والأخلاق..، فالانقلاب يستدعي حركة و زعامة وعمالا وشعورا اجتماعيا وبيئة خلقية ثلاثمه، وقيام حركة شعبية على أساس النظريات والأحكام القرآنية وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(1)</sup>.

وختما يقدم الندوي نصيحته للعاملين السياسيين، من ضرورة أن لا يطغى حب الحكم على أي جماعة، لأنه إذا قصد الحكومة يتوانى وينقطع عن العمل في سبيل نصره الدين وإقامته إذا لم ينلها<sup>(2)</sup>.

### ثالثا: المحاسبة السياسية

يرى الندوي أن مسألة محاسبة القادة والزعماء أمر لا بد منه ولا يمكن الاستغناء عنه، وهذا لا يعني أن الندوي من دعاة الفتن ونشر الفوضى، فكان من أبعد الناس عن ذلك وقد عرف بليته ووسطيته في النقد والمحاسبة والنصح لكثير من الحكام الذين راسلهم داخل الهند وخارجها من الحكام العرب والمسلمين، بل يرى أن عدم محاسبة الحكومات والطاعة العمياء لها هي السبب الذي يؤدي بنا إلى التدهور. فيقول: «لا يجوز أن نؤمن بقيادة إيماننا كاملا مطلقا. كإيماننا بالله وكإيماننا بالرسول، يجب علينا أن نحاسب القادة والزعماء، يجب علينا أن نحاسب أنفسنا، وأن نحاسب أوضاعنا الاجتماعية، وأوضاعنا الخلقية، وأوضاعنا السياسية، أما الطاعة العمياء لفرد أو جماعة، تقودنا إلى متاهة لا رجعة منها، ولا هدى فيها، وتدفعنا إلى هوة لا قرار لها»<sup>(3)</sup>.

يستند الندوي في هذا الأمر إلى الواقع التاريخي في صدر الإسلام، يقول: «إذا كانت عجز تستطيع أن تحاسب عمر بن الخطاب، فلماذا لا يجوز لأي مسلم ولأي كاتب ومؤرخ، ولأي متألم لهذه الأوضاع أن يحاسب القادة والزعماء، وكان كل مسلم أن يستطيع أن يحاسب عمر بن الخطاب..، وهكذا عاشت الأمة، وقاومت جميع النكبات

<sup>1</sup>: ينظر: المودودي، منهاج الانقلاب الإسلامي، الدار السعودية، جدة، ط3، 1408هـ، 1988م، ص25-29.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 32/1.

<sup>3</sup>: الندوي: تعالوا نحاسب أنفسنا وقادتنا، دار عرفات للدراسة والترجمة والنشر، رائي بريلي، الهند، (د، ط)، (د، ت)، ص18.

والكوارث التي مرت في تاريخها، لأنها كانت أمة واعية، وتقول الحق، وتحكم بالعدل، وتحاسب وتناقش، وهكذا تستطيع هذه الأمة أن تعيش في المستقبل»<sup>(1)</sup>.

ويرى الندوي أن المحاسبة هي التي ينشأ عن طريقها الوعي السياسي بمصلحة العامة وبمصلحة البلاد، وأن هذا الوعي غائب ومفقود بين الأمة في حين نجده حاضرا في ثقافة الدول الغربية لأنها تفضل مصلحة البلاد كلها، فإذا ما رأت انحرافا أو عملا من مسؤول يهدد مصلحة البلاد فإنها تقوم بعزله وانتخاب من تراه أكفأ وأجدر. وبذلك أمنت السياسيين المنحرفين، والقيادة الضعيفة أو الخائنة، وأصبح الزعماء ورجال الحكم حذرين ساهرين يخافون رقابة الأمة وعقابها وبطش الرأي العام<sup>(2)</sup>.

إن جملة ما قدمه الندوي في الشأن السياسي كان عبارة عن إرشادات وتوجيهات أو تصحيحا لبعض المفاهيم حتى يضع الجانب السياسي في مساره الصحيح، ويعطيه قدره الذي يستحقه فلا يطغى على كل الرؤى الإصلاحية والنهضوية. وإن كان أمر النهضة السياسية أمر لا بد منه في المشاريع الإصلاحية والرؤى السياسية.

### الفرع الثاني: فكرة التغيير السياسي عند الندوي

بعد أن كان للندوي اطلاع واسع وعميق على أحوال البلدان العربية والإسلامية التي شاهدها عن كثب، إضافة إلى مجموع لقاءاته الفكرية والدعوية والحوارات في الأزمات التي تعترض الأمة وحلولها، أصبحت لديه رؤية واضحة للتغيير السياسي هي بمثابة منهج واضح المعالم.

فمن خلال أفكار الندوي في الحقل السياسي والإصلاحي يمكننا أن نصنفها على مستويات ثلاث كل حسب واقعها وبيئتها واختلاف أحوالها ومقتضياتها، ومتطلباتها.

### أولا: حالة وقوع البلد تحت مستعمر أجنبي

وقعت الكثير من البلدان العربية والإسلامية تحت نير المستعمرات التي زحفت نحو إستغلال الخيرات والثروات لخدمة لمصالحها، كما إحداث انقلاب كامل في نفسية أهل المستعمرات المحتلة وثقافتهم ومزاجهم لضمان الموالاة لها والخضوع لها.

<sup>1</sup>: الندوي: تعالو نحاسب أنفسنا وقادتنا، مصدر سابق، ص25.

<sup>2</sup>: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص252.

وفي هذا الواقع يرى الندوي ضرورة إقامة فريضة الجهاد والقضاء على التواجد الاستعماري وتحقيق الحكم الإسلامي، وهذا ما نجده على سبيل المثال عقب حديثه عن مآثر شخصية الإمام أحمد بن عرفان الشهيد<sup>(1)</sup> وثناؤه على سيرته الجهادية والنضالية ضد الانجليز وفي سبيل إقامة الخلافة الإسلامية<sup>(2)</sup>.

يقول الندوي في هذا: «.. أن الأمر الذي كان يتوخاه من محاولاته كلها، إنما هو الامتثال للأمر الإلهي وتحقيق الأمر الرباني، ونيل رضا الله، وإدالة الإسلام من الجاهلية، والانتصار للإسلام ولأهله..، وإنقاذ البلاد الإسلامية من الأيدي المغتصبة الخرقاء، وعلى أنه إنما بعثه على هذه الخطوة الجريئة إيمانه بأن إقامة الدين منوطة بالسلطة، وأن تنفيذ الأحكام الشرعية رهين بالحكم والسلطان..، والباعث الأكبر الحقيقي على الجهاد والاجتهاد، والنشاطات والممارسات التي كان يقوم بها هو شعوره الإسلامي بأن جزءا كبيرا من الشريعة الإسلامية والقوانين الإلهية، سيبقى معطلا ملغى، بل يعود غير ممكن التطبيق والإجراء إذا لم تكن حكومة تقف من ورائه وتتولى تطبيقه وتنفيذه»<sup>(3)</sup>.

وغيرها مما ذكر من بطولات المصلحين وتضحياتهم وكفاحهم في ميادين الحرب. كالأمير عبد القادر الجزائري وشيوخ الطريقة النقشبندية، والحركة السنوسية وغيرها من الحركات الجهادية في الهند وخارجها.

<sup>1</sup>: هو أحمد بن عرفان بن نور الشريف الحسني البريلوي، كان من ذرية الأمير بدر الملة المنير شيخ الإسلام قطب الدين بن أحمد المدني، ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ولد في صفر 1201هـ/1786م، ببلدة "رائي بريلي" في زاوية جده علم الله النقشبندي البريلوي.

كان شغوفا بالجهاد ضد الأعداء، قاد حركة إسلامية كبرى في شبه القارة الهندية لم يعرف لها نظير في الشمول وعمق التأثير، ومشابهة الدعوة الإسلامية الأولى، وناضل في سبيل الجهاد ضد الانجليز، وإصلاح المجتمع، وتربية الرجال، والوعظ والإرشاد. توفي سنة 1246هـ/1831م، وقد ألف الندوي في ترجمته، رسالتين، بعنوان: "الإمام الذي لم يوف حقه من الإنصاف والاعتراف"، و"ترجمة السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد"، وكتابه: "إذا هبت ريح الإيمان". ينظر: الندوي، السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد مجدد القرن الثالث عشر، دار عرفات الهند، ط2، 1420هـ، ص18، 20. وينظر: الندوي، إذا هبت ريح الإيمان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط10، 1406هـ، 1985م، ص209-238.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، مج/705، 706.

<sup>3</sup>: الندوي، التفسير السياسي للإسلام، مصدر سابق، ص145، 146.

### ثانياً: تواجد الأقلية المسلمة في بلاد غير إسلامية

إن التزام الأقليات المسلمة وتقيدتها بطبيعة الحكم الذي اختاره أي بلد غير إسلامي من أهم الواجبات التي يضمن تواجدها ويحفظ استقرارها، بحيث أن لا يكون في هذا النظام تحيزاً لفئة على فئة ويضمن حرية الأقليات وحماية ثقافتها ومعتقداتها وممارسة ما تفرضه ديانتها.

ولهذا نجد أن الندوي يقرّ بالعلمانية في الهند، بل ويذهب إلى أن سلامة الهند مضمونة بالعلمانية بشرط توافرها على شرطية "اللاعنف" وتساوي بين شتى الطوائف وتضمن حرياتهما، وهي التي تحفظها من الولايات الكثيرة، ومتى غابت العلمانية وغاب معها "اللاعنف" ابتلعت حياّت التطرف والإرهاب والعصبيات الدينية والطائفية، ولن يبقى شيء<sup>(1)</sup>.

إن اعتراف الندوي بالعلمانية في الهند يحدد نمط سلوكها، إذ أنه قصد العلمانية المعتدلة التي تضمن الحرية والمساواة، وتحقق التعايش، إلا أن واقع العلمانية التي تبنتها الهند كانت في كثير من الأحيان متطرفة، وقد غضت الطرف عن كثير من جرائم الطوائف المتطرفة التي نالت من حريات المسلمين وحقوقها، كحركة الهندوسية المتطرفة العدوانية العنيفة التي قامت على العنف ضد المسلمين، إضافة إلى الكثير من المحاولات للحد من ممارسات الأقلية المسلمة والضغط المستمر للتخلي عن شخصيتها الدينية والحضارية. وخاصة فيما يتعلق بالأحوال الشخصية.

ونلمس توجه الندوي وتبنيه للعلمانية من خلال رسالته لرئيس وزراء الهند "راؤ" إذ يقول: «.. إن الأمر الأول وهو المنهج الوحيد الذي يضمن كرامة البلاد وبقائها، وتقديمها وسلامتها، ويمكنها أن تلعب دورها المتميز اللائق بها في العالم المعاصر والوضع العالمي الخطير المعقد، هو المنهج الذي وضعه قادة البلاد العقلاء الأفاضل، الذين قادوا حركة البلاد بإخلاص، أمثال غاندي، وجواهر لال نهرو، ومولانا أبو الكلام آزاد. إنه منهج العلمانية الصادقة، والديمقراطية السليمة، والوحدة بين الهندوس والمسلمون..، وكل

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 3/131.



طريق آخر يتخذ يؤدي البلاد إلى دمار البلاد... ويعرض البلاد للمشاكل والمسائل المستعصية التي لا نهاية لها»<sup>(1)</sup>. ويرى الندوي أن هذه البلاد لن تبقى موطنًا للتسامح والتعايش بين شتى أطيافها من الهندوس، والمسلمون، والجينيون، والبوذيين، والسيخ، والمسيحيون، ولن تبقى متحدة إلا بفضل هذه المثل الثلاثة من العلمانية والديمقراطية واللاعنف<sup>(2)</sup>.

### ثالثًا: التغيير السياسي في البلدان الإسلامية

للتغيير السياسي في الأقطار الإسلامية في نظر الندوي سبيلان<sup>(3)</sup>:

أ- السبيل الأول: أن يصل أصحاب الحركات السياسية إلى تلك الكراسي ويستولوا على مقاليد الحكم. ويرى الندوي أن في هذا السبيل الكثير من المشاكل والفتن التي تحدث، وتتجر عنه المفاصد الكثيرة، ويزرع العداوة، وخاصة إذا كانت حركات ذات توجه إسلامي ديني، فيحمل على محاربتهم، بل على محاربة الدين نفسه، والتخوف منه، وكرهيته والنفور منه، فيأتي هذا الطريق بنتائج معكوسة، وفي غير موضع يؤكد على هذا المآل، ويقول: «اعترافًا بالحق، وإظهارًا للواقع، واقتضاءً للدقة والأمانة التي ينبغي للمؤرخ أن يراعيها، أجد نفسي مرغمًا على أن أعبر عن اعترافي بهذه الحقيقة. أن من الأسباب والعناصر التي ساعدت على تغيير هذا الوضع وشعور رجال الحكم وواضعي القانون بالتخوف من الحركات الدينية والدعاة إلى النهضة الإسلامية؛ هي تجربتهم بأن كثيرًا من الحركات الدينية التي قامت لإصلاح العقائد والأعمال، والقضاء على الخرافات والأباطيل والدعوة إلى الرجوع إلى الله والإنابة إليه، والتمسك بالشريعة وتطبيقها في الحياة العامة سرعان ما تتحول إلى أحزاب سياسية، وتتدخل في الأمور السياسية والإدارية للبلاد وتحاول الحصول على السلطة والوصول إلى مناصب النفوذ واستلام زمام الأمور في البلاد فيبدأ صدام بينها وبين الطبقة الحاكمة، ويتعامل معها معاملة الأحزاب المعارضة»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 122/3، 123.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، 201/3-203.

<sup>3</sup>: ينظر: المصدر نفسه، 299/3.

<sup>4</sup>: المصدر نفسه، 298/3، 299.

ب-السبيل الثاني: أن يصل الإيمان إلى أصحاب الكراسي، فيقبلوا الدعوة ويتحملوا مسؤولية نشرها ويتحمسوا لتنفيذها وتطبيقها ويساعدهم رجال الدين على ذلك وينصرونهم ويدعون لهم ويشجعونهم على تبنيهم هذه الفكرة. ومن هنا يعيدوا الثقة في الطبقة الحاكمة بصلاحية الإسلام وحله الأمثل لمشاكل البلاد.

ولتفادي أخطار الصدام بين الحركات الإسلامية المتطلعة لنظام حكم إسلامي وبين الحكومات التي بيدها قيادة البلاد وما ينجر عن ذلك من عداوة شديدة تصل إلى حد الاغتيالات والاعتقالات والتنكيل بأعضائها- وقد حمل الندوي هذا التخوف الزائد والحساسية الزائدة رجال الحكم بالدرجة الأولى- فإن الندوي يفضل العمل بالمرونة وتفادي السير في السبيل الأول وعواقبه.

ويؤكد الندوي أن خلفه مع أصحاب التوجه الأول لا يكمن في اختلاف مبدئي، بل الاختلاف يكمن في الأسلوب وفي مراعاة المصلحة والتقديم والتأخير وفي الترجيح<sup>(1)</sup>.

#### رابعاً: أصل فكرة الندوي السياسية

يفضّل الندوي السبيل الثاني الذي استمد فكرته من تجربة الإمام السرهندي الإصلاحية مع حكومة الملك جلال الدين أكبر الذي ارتد عن الإسلام ونصب العدا له لعوامل كثيرة<sup>(2)</sup>، وقد عدّ الندوي أن المحور الأساس الذي تدور حوله أعمال السرهندي التجديدية هو إعادة الثقة بالإيمان إلى قلوب أبناء الأمة الإسلامية بخلود الرسالة المحمدية وحاجة الناس إليها<sup>(3)</sup>.

وقد نهج الناس في الدولة وشؤونها في زمنه طريقتين؛ تتمثل الأولى في اعتزال الدولة والبلاد، والاشتغال بذكر الله والانهماك بالطاعات وانصرفوا إلى التربية والإرشاد. في حين

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، نصائح وتوجيهات للشباب المسلم، مصدر سابق، ص61.

<sup>2</sup>: من بينها : شغفه بمقارنة الأديان مع محدودية ثقافته وقلة علمه، فكان يجمع علماء الطوائف الإسلامية والبوذية والبراهمة والمجوس والمسيحيين، فيثير موضوعاً خلافياً ليتناظرون فيه، فغرست هذه النزاعات الفكرية والعقائدية شكوكاً في الإسلام ما جعله ينسلخ من الإسلام تماماً. أما العامل الثاني فهو محنة وبطانة السوء من علماء البلاط الذين اتصفوا بالطمع وحب المال والجاه والتنافس الشديد في تحصيل ذلك ما رسخ في نفسه هوان الدين وأتباعه. إضافة إلى عامل تأثير زوجاته الهندكيات ينظر: الندوي منهج أفضل..12.10. والإمام السرهندي ص93، 94.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي، في رحاب الدعوة، إعداد: عبد الماجد الغوري، مكتبة الفارابي للمعارف، دمشق، ط1، 1425هـ، 2004م، ص126، 127.

كانت الطريق الثانية تتصب في المواجهة والمعارضة واعتبار الحكومة عدوّ وجب محاربتة ومحاولة إحلال جهاز حكومي مكان جهاز<sup>(1)</sup>.

أما منهج الإمام السرهندي فإنه انصرف إلى طريق آخر تمثل في السعي للتقرب من أعضاء الدولة وأمرائها ممن يظن فيهم الخير والصلاح، وإثارة الحمية الإسلامية فيهم، والعواطف الدينية، وحملهم مسؤولية نصيحة السلطان. وقد أرسل بدوره جملة من الرسائل إلى أمراء الدولة وولاتها<sup>(2)</sup>. وهكذا أحدث ثورة هادئة دون فتنة وإراقة للدماء. وحققت نتائج مأمولة ما كانت للمواجهة والصراع أن يحققها.

وإن كان الندوي يقرّ بتأخر نتائج هذه الطريق وظهور ثمارها، إلا أنها أثبت وأرسخ، وكل شيء يأتي في وقته يكون راسخاً وثابتاً<sup>(3)</sup>.

أما وجه النقد للندوي هنا - كما يرى القرضاوي وغيره - أن رؤيته هذه أقرب للمثالية منها للواقعية، وذلك أن شخصية داعية مثل الإمام السرهندي لا نضمن وجودها أو من يمثلها في حقبة زمنية مختلفة. فحتى إن وجدت فإننا لا نضمن تأثيرها في رجال السلطة والحكومات<sup>(4)</sup>.

وهذا النقد لا يخلو من صحة إلا أننا يجب أن ننبه على أمر أهم ربما يكون عائقاً أكثر مما ذهب إليه القرضاوي هنا، وهو رفض الحركات الإسلامية السياسية هذا الأسلوب ذاته، لأنهم يرون ضرورة أن يكون شخص الحاكم من ضمن جماعتها لضمان تحقيق جميع رؤاها وخارطتها السياسية وضمان مناصب لأعضائها. وهذا أمر لا يمكن تبرئته بحال، ومن هنا يغيب الهدف الأسمى للإصلاح وتصبح الغاية تحقيق الوصول إلى القيادة والسلطة لا المهم أن يتحقق الإصلاح ولا يهم على يد من يتحقق.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، الإمام السرهندي وأعماله، مصدر سابق، 271.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص 273.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي، نصائح وتوجيهات، مصدر سابق، ص 63.

<sup>4</sup>: ينظر: القرضاوي، الندوي كما عرفته، مرجع سابق، ص 138.

كما يجب أن نشير إلى أن الباعث على اعتناق هذا المنهج الذي اختاره الندوي هو البيئة والمكان الذي نشأت فيه شخصية الندوي لأن لذلك أثرا في تكوين الرؤية والأفكار، فقد كان يعيش ضمن أقلية مسلمة في بلاد الهند الذي تسوده الغالبية من غير المسلمين كما سادت فيها كثرة الطوائف والأحزاب والصراعات العرقية والجنسية.

أما المؤثر الثاني فلعله احتكاك الندوي بالداعية محمد إلياس، الذي كان من أبرز الشخصيات المؤثرة في نفسية الندوي وخاصة في منهجه الدعوي، الذي كان أساسه التركيز على الجانب الروحي والإيماني والأخلاقي وإقامة الدعوة وحركتها على نمطية المرحلة المكية، ومن الأصول التي ركّز عليها محمد إلياس تجنب السياسة والخوض فيها حديثا وممارسة، والتركيز على تحصيل الإيمان والأخلاق ودعوة الناس إلى ذلك، وعلى هذا الديدن سار أتباعه.

## المطلب الثالث: جهود الندوي في النهضة السياسية

قدم الندوي جهوداً عملية جليلة، إضافة إلى ما قدمه من رؤية تنظيرية في سبيل النهوض بالجانب السياسي على مستوى الصعيدين الداخلي - في بلاد الهند - والخارجي في الأقطار الإسلامية والعربية. وقد اختار منهج المراسلة لإبداء الآراء والحلول وبذل النصح للحكومات وولاتها وأمراء الدول، وما كان هذا إلا محاولة منه لتحقيق منهج الإمام السرهندي في الإصلاح الذي اختاره كنموذج أمثل وأسلم للعاملين المصلحين. وإبرازاً منه أن هذا السبيل الذي استصعب طريقه الكثير، ممكن التحقق واقعي الحدوث، إذا عدت له العدة، وحصلت له الصفات. وإبراز هذه الجهود تضمن المطلب فرعين؛ الأول في مراسلاته للملوك والرؤساء وقادة البلاد الإسلامية، والثاني في مراسلاته للحكومة الهندية.

## الفرع الأول: مراسلات الندوي الملوك والرؤساء وقادة البلاد الإسلامية

## أولاً: سعود بن عبد العزيز (ولي عهد المملكة العربية السعودية)

عنوان هذه الرسالة "بين الجباية والهداية"، والرسالة عبارة عن جملة من المقومات التي رآها الندوي كضرورة يجب التنبه إليها، والتي تمثلت في بيان الفوارق الجوهرية بين دولة الهداية ودولة الجباية ومنهج كلا منهما، ونتائج كلا منهما في مسرح التاريخ الإسلامي. وحاجة الأمة الإسلامية إلى قيام دولة إسلامية خالصة، وقد كان فيها إشارة إلى ولي العهد من بين الشخصيات التي تعلق عليها الآمال في المبادرة إلى تحقيق هذا الأمر وإحراز سبق فيه، وإحراز العمل التجديدي الذي قام به "عمر بن عبد العزيز" المجدد الكبير والخليفة الراشد الذي غير مجرى الحكومة من الجباية إلى الهداية<sup>(1)</sup>.

## ثانياً: فيصل بن عبد العزيز (ولي المملكة السعودية ورئيس الوزراء سابقاً)

جاءت هذه الرسالة تحت عنوان: "شخصية البلاد المقدسة الفريدة ووجوب الاحتفاظ بها في جميع المخططات المدنية والتربوية والمشاريع التقدمية ووسائل الترفيه والتسلية" وفيها وضح الندوي أن "في إخفاق سياسة إطلاق العنان في الحرية والتمتع، والتسلي والترفيه، وأن الطبقة المؤمنة المستقيمة وحدها جديرة بالثقة والاعتماد". كما نبّه على أهمية إعطاء هذا البلد حرمة وبعده الرسالي والحذر من الانسلاخ من مركزيته

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، خطابات صريحة، مصدر سابق، ص 30.

الإشعاعية والهدائية والتخوف مما تؤول إليه كثرة البذخ والإسراف والتفسخ الخلقي والميوعة، وضعف في الشخصية والتحذير من وقوع في مخططات العدو وعزائمه الخبيثة. فتفقد رسالتها ومسئوليتها. وقد أعطى الحل الذي يتمثل في توجيه التفكير والرأي العام، والصحافة والإذاعة، والأدب والمعارف، وغرس الإيمان في الناشئة والحماس الديني والغيرة الإسلامية وحب الأخلاق والفضيلة<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً: محمد فيصل ابن فيصل بن عبد العزيز

هذه الرسالة كانت عبارة عن كلمة ألقاها الندوي بمحضر محمد فيصل بمناسبة انعقاد المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي 1977م ، وفيها نوّه عن قصر التعليم في تحقيق الغايات المرجوة منه، إضافة إلى ضرورة معالجة المشاكل الاجتماعية وتدارك أزماته من خلال توظيف التعليم، أهمية وجود القدوة الحسنة والصالحة التي تعلق عليها الآمال وتبعث في النفوس الثقة والروح والطموح، والاعتناء بالإعلام الذي أصبح القوة المحركة والمؤثرة في المجتمعات وميولاته، وتوجيه برامجها توجيهاً يخدم رسالة هذا البلد وشخصيته الدينية. كما حذّر من الإسراف في طرق التسلية والترفيه واللهو وتبذير الأموال وفساد أخلاق الشباب وكل ما يسهم في ضعفه. والاهتمام بتعليم الفتاة المسلمة<sup>(2)</sup>.

### ثالثاً: فهد بن عبد العزيز آل سعود (ولي العهد والنائب الأول لمجلس الوزراء)

"الخط الأخير في جبهة الوجود الإسلامي ووجوب حراسته ودرء الأخطار عنه"

وفيها بيّن الندوي الخطر والمرحلة الحساسة التي تمر عليها البلاد؛ فنبه عن الخطر الخارجي وأطماع الدول الغربية في اقتصاد وثروات البلاد، أما الخطر الداخلي فقد منحه القسط الأكبر من التحذير منه ووقوع البلد فريسة له وهو الحرص الأكبر على الكسب المادي والشغف الزائد بالمتعة والترفيه والتهرب من كل سبيل يتطلب الالتزام مما لا يعكس صورة البلد وحرمته، ونصح بضرورة أخذ التنبه والحرص على حماية المقدسات

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، خطابات صريحة، ص35. وينظر أيضاً: الندوي، كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز والجزيرة العربية، مصدر سابق، ص47.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، خطابات صريحة، مصدر سابق، ص100-112.

الإسلامية، وحماية الكرامة والأعراض ومقاومة العدو وتربية طبقة تربية دينية خلقية شيمتها الاستقامة والقناعة والتعفف والحمية والغيرة<sup>(1)</sup>.

رابعاً: الشيخ محمد سرور الصبان (الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ونائب وزير المالية)

جاءت هذه الرسالة بعنوان: "وجوب انسجام التخطيط مع المقاصد التي قام عليها المسجد الحرام، ويهيأ الشعب ليمثل دوره القيادي"

وفيها أبدا الندوي انطباعاته عن الإعلام السعودي وصحافته وسياسة التربية التي من شأنها أن تصوغ المجتمع السعودي صياغة جديدة لا تتسجم مع مبادئ الإسلام وقيمه، ولا تتسجم مع المقاصد التي قام عليها المسجد الحرام، وينشأ جيل يتنكر لهذا الحرم ورسالته وتحدث بينه وبين البلد الحرام والملة الإبراهيمية والرسالة المحمدية فجوة عقلية وقطيعة لا تملؤها القومية العربية، ولا المصالح السياسية. فنذهب بذلك جملة الخصائص والصفات لبيت الله الحرام الذي جعله الله مثابة للناس، واختاره ليكون قياماً للناس وأما فكراً وعقائدياً لهم. ولهذا دعا إلى لزامية انسجام مؤسسات الإعلام والصحافة والتربية المتوائمة مع حرمة هذا البلد الذي احتضن رسالة الإسلام الإنسانية الأخيرة<sup>(2)</sup>.

خامساً: حسن بن عبد الله آل الشيخ (وزير المعارف في المملكة العربية السعودية)

وفيها نبه الندوي على واقعية المعركة بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ولا تستثنى المملكة من هذا الصراع رغم مكانتها الدينية، وقد بدت آثار الفكرة الغربية ونتائجها تبرز على ساحتها، لذا فأهم ما ركز عليه الندوي ضرورة الاهتمام بالمعارف التي لها الدور الفعال في صياغة المملكة صياغة دينية وفكرية وخلقية تليق برسالة البيت وحرمة<sup>(3)</sup>.

سادساً: الشيخ عبد الله السالم الصباح (أمير دولة الكويت)

"مسؤولية أمراء العرب في أطراف الجزيرة والخليج العربي في المحافظة على سلامة البلاد ووحدتها الدينية"

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، كيف ينظر المسلمون، مصدر سابق، ص 60، 61.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، ص 65، 66.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، ص 68، 69.

حوت هذه الرسالة في طياتها مجموعة من المطالب أمل الندوي في تحقيقها، فكان أهمها تشجيع الأمير على ملء الفراغ وإقامة دولة تجمع بين الدين والمبادئ، وبين الوسائل والمادة، وبناء مجتمع متماسك قوامه الجمع بين الإيمان والأخلاق، والاستفادة من كل جديد مفيد ومن كل تجارب عصرية نافعة.. بما أن الفرصة سانحة والمؤهلات وافرة والأمر ميسور سهل التحقق إذا صحت العزيمة وقويت الإرادة<sup>(1)</sup>. ثم التذكير بأن نهضة العرب وحل مشاكلهم مرهونة بمدى عودة العرب إلى الدين وإلى طريق محمد صلى الله عليه وسلم. ثم أتى على ذكر أهمية المعارف وضرورة توجيهها توجيهها إسلامياً مؤسسا على تفكير عميق، وتصميم خاص يتفق مع رسالته، وعقيدته. إلى أن يأتي أخيراً على التحذير من قيام المعابد لغير المسلمين التي من شأنها تجريد الجزيرة من الإسلام والمسلمين وتخوفاً من نشوء مشكلات يعجز العقلاء عن حلها<sup>(2)(3)</sup>.

#### سابعاً: مذكرة قدمت إلى مؤتمر وزارة التربية في الدول العربية

وفيها طرح الندوي ضرورة النهوض بعامل التربية والتعليم ومنحه النصيب الأوفر من الاهتمام لما يؤديه من دور بالغ الأهمية في إعداد جيل واعي رسالي ترتكز عليه الأمة الإسلامية في تجاوزها للمحن والأزمات، كما بين المقاصد والغايات من التربية والتعليم وبعض الرؤى في إصلاح مناهج التربية والتعليم وبعض الخطوات الأساسية لإعادة صياغته صياغة جديدة تحفظ الشخصية الدينية وتثبتها.

**ثامناً: لقاءه بالملك عبد الله بن الشريف حسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية وفيها أثار الندوي أن تكون كلمته عن منهج دولة الهداية وضرورة أن تكون الحكومات على هذا**

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، خطابات صريحة، مصدر سابق، 39، 40.

<sup>2</sup>: وقد سبق ذكر هذه التفاصيل ورؤية الندوي فيه من هذا الفصل من المبحث الأول.

والملاحظ في هذه الرسائل أن معظمها موجهة إلى المملكة العربية السعودية لاهتمام الندوي البالغ بها واعتبارها قلب العالم الإسلامي وكذا لما للمكان القدسية والمركزية التي يحتلها وقد سبق ذكر ذلك في الفصل الأول أهمية بيت الله الحرام ومكانه ومكانته وصلته بالملة الإبراهيمية وعلاقة ذلك بمكونات الأمة الإسلامية التي يرسم القرآن ويضع وزنها الحقيقي بين الأمم والشعوب ودورها المفروض عليها تجاه الإنسانية. لذا فيرى الندوي الأولوية ببدء الإصلاح في قلب العالم الإسلامي و المكان الذي ابتدأت فيه إشعاع الرسالة المحمدية والذي لا يزال موئل المسلمين وآمالهم فيه إن أدركت سياساته المسؤولية العظمى الملقاة على عاتقها ويستدركوا الأخطاء التي ترتكبها كل حين مما يبني غيايب وعيها التام برسالة الإسلام وما تتطلبه من يقظة وبصيرة وبراعة من إتباع سياسات اليهود والولاء لها وقد نبّه الندوي عن هذا الخطر الذي يترصص بهذا البلد منذ أمد بعيد.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي، خطابات صريحة، مصدر سابق، 40، 41.



المنهج إذ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم هاديا ولم يبعث جابيا، وأساس خلاف سيدنا علي مع معاوية في أن تبقى الخلافة على وضعها الصحيح ولا تصير ملوكية<sup>(1)</sup>.

#### تاسعا: مقابلته الملك الحسن الثاني (عاهل المملكة المغربية)

قدم الندوي كلمته له فحوها؛ تعطش العالم الإسلامي إلى قائد عصامي يعلق عليه آماله يتسامى عن الأغراض السياسية والأغراض الشخصية ويكون الشخصية التي تحول مجرى التاريخ بصدقها ووفائها وإخلاصها<sup>(2)</sup>.

عاشرا: لقاءاته بالأمير سلطان محمد القاسمي (حاكم الشارقة)، ومقابلته مع الرئيس عبد الله صالح (رئيس الجمهورية العربية اليمنية) ورئيس وزرائها ووزير الخارجية وعدد من أعضاء البرلمان<sup>(3)</sup>، ولقاؤه للجنرال محمد ضياء الحق (رئيس جمهورية باكستان الإسلامية). ولقاؤه لنجم الدين أربكان (الزعيم التركي ورئيس وزراء تركيا)

#### الفرع الثاني: مراسلات الندوي للحكومة الهندية

عاش الندوي ضمن أقلية هندية التي عانت الكثير من ويلات الحكومة الهندية رغم ما قدمته من تضحيات عظيمة جهادية ضد الانجليز، وأبدت الكثير من إخلاصها لهذا البلد الذي احتضن الإسلام طيلة ثمانية قرون، إلا أن الحكومات التي توالى فيما بعد وخاصة بعد تقسيم الهند زادت من معاناة الأقلية المسلمة من اضطهاد، وحرمان، وظلم، رغم ما ادعته الحكومة من تبني العلمانية كحل يضمن المساواة والتعايش بين شتى الطوائف والأجناس والفرق الكثيرة، إضافة إلى كثرة الاغتيالات والجرائم والتأليب ضد المسلمين والدعاية الكاذبة الذي تتولى كبرها الصحافة والإعلام كل حين.

وعلى كل فقد كان للندوي جهود جبارة في الدفاع عن حقوق الأقلية المسلمة في الهند وضمان أمنها واستقرارها بالرغم أنه لم يكن له أي انتماء سياسي، فأحرزت شخصيته الدينية من النجاح ما لم تحرزه الكثير من الجهود السياسية آنذاك.

سعى الندوي في مراسلاته للحكومة الهندية ورجالها لكسب الود والعطف في حل المشاكل وذلك عن طريق المفاوضات والحوار، وإثارة الضمير الإنساني، والمشاعر النبيلة، وكسب ثقة أصحاب الضمائر الحرة والإنسانية من غير المسلمين لتأييد القضايا

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، مذكرات سائح، مصدر سابق، ص256.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، أسبوعان في المغرب الأقصى، مصدر سابق، ص128، 129.

<sup>3</sup>: ينظر: عبد الماجد الغوري، رحلات العلامة أبي الحسن الندوي، مرجع سابق، ص504.

الإسلامية، كما اتصل برجال الحكم بغض النظر عن انتماءاتهم الحزبية وبالقيادة والزعماء، ومن كبار الكهنة والهندوس، وحتى زعماء الأحزاب المتطرفة<sup>(1)</sup>.

أولاً: كلمة في قاعة باره دري (القصر الأميري السابق) في 6 يناير 1993م

نشرت الكلمة بعنوان: "أخطر مرض للبلاد والمجتمع، الظلم وسفك الدماء"، والكلمة الثانية في 8 نوفمبر 1993م، في مديرية رائي بريلي، وحضر في هذا الاجتماع أكثر من 15 ألف من مختلف الجاليات ومتبعي الأديان، والعاملين. وفيهما قد نصيحتة وألح على ضرورة اقتضاء الحب الصادق، والواقعية، والحق الإنساني الواجب، والتنبيه على خطر الظلم وعواقبه الوخيمة على المجتمعات والدول<sup>(2)</sup>.

ثانياً: رسالته إلى أنديرا غاندي رئيسة الوزراء وصاحبة حزب المؤتمر الوطني 1984م.

حاول الندوي بهذه الرسالة إقناع "أنديرا غاندي" بالخطر الذي يهدد البلاد والمآلات الخطيرة التي سيؤول إليها بسبب التقصير في مبادئ الحزب - التي لزم به نفسه، والتي كسب بها ثقة الكثير من شعب الهند-، والتساهل مع حركة إحياء الهندوسية المتطرفة التي قامت أعمالها بمحاولة إبادة المسلمين، فقامت أول محاولة منها بتحويل المساجد التاريخية الكبيرة إلى معابد هندوسية بدعوى أن أصلها كانت للهندوس فحولها المسلمون أثناء الحكم الإسلامي للهند<sup>(3)</sup>.

كما عالج الندوي أيضاً برسالته مسألة تحديد النسل التي فرضت على البلاد وعلى إثرها قتل الكثير من المسلمين وغيرهم مع اعتقالات الكثير من كبار الزعماء والقادة، بسبب الرفض وإقامة المظاهرات. في حينها وفق الندوي للقاء أنديرا غاندي وسلمها الرسالة التي وعدته بالنظر فيها، وأتت الرسالة نتائجها حينما أرسلت مبعوثها للقاء الندوي والتباحث

<sup>1</sup>: ينظر: محمد واضح الندوي، الشيخ أبو الحسن الندوي، قائداً حكيماً، دار الرشيد، الهند، ط2، 1423هـ، 2012م، ص80-82، وينظر: الندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 3/195.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، 3/193-195.

<sup>3</sup>: منها المسجد البابري التاريخي الذي اقتنع عامة الهندوس أنه مولد الإله "راما" رغم الجهود التي بذلت في إبطال هذه الأكاذيب من ندوة العلماء وبعض المؤرخين الهندوس المنصفين. ينظر: الندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 61/2.

معه حول ظروف البلاد والتطلع إلى الحلول الصائبة<sup>(1)</sup>. كما أتاحت الفرصة للرئيسة أنديرا زيارة الندوي في بيته مع حاشيتها، وأثناءها أقرّ الندوي بمظلوميتها إذ حجب الناس عليها الحقائق والوقائع، فلم تقف على مشاعر الناس والأوضاع القائمة حتى آل الأمر إلى ما هو عليه<sup>(2)</sup>.

### ثالثاً: لقاءه مع حكومة حزب "جنّتا"

تولى هذا الحزب حكومة البلد لمدة سنتين وأشهر (1977-1979م)، وأثناءها زاره رجال هذه الحكومة في مقره في لكهنؤ وفيها أوقفهم الندوي على السبب الحقيقي لفشل هذا الحزب في قيادة البلاد، وزوال ثقة الناس بهم، إذ لم يترفعوا عن الأمور التافهة من المحسوبية، وانتهاز الفرص والصراع على المناصب، والمنافسة في رئاسة الوزراء، فضيعوا الفرصة الذهبية لخدمة البلاد ..، وبعدها قبلوه مرة أخرى<sup>(3)</sup>.

### رابعاً: رسالة إلى راجيف غاندي ابن الرئيسة أنديرا 1986م.

لم يتوقف الندوي عن مساعيه وأمله في إبداء نظريته التي حاول بها تصحيح أخطاء الحكومات وبناء مجتمع متماسك يتسم بالتعايش والسلام والأمان. فراسل بعد اغتيال أنديرا غاندي إبناً راجيف غاندي وذكره بما جرى بينه وبين أمه من مراسلات، وشرح له الظروف العصبية التي تمر بها البلاد ومضامين الحلول التي حوتها الرسالة التي وجهت إلى أمه وموافقته على إصلاح القوانين والأنظمة التي أحدثت اضطراب في البلاد. وبهذا تأثر راجيف وقام بعدة لقاءات مع الندوي عن طريق التفهيم والإقناع والحوار الهادئ وكسب الثقة وأدى هذا إلى حل الكثير من المشاكل أهمها حل قضية المرأة المسلمة المطلقة، وحينها عدّلت القوانين رغم معارضة الأغلبية من حكومة البلاد. ووافق راجيف

<sup>1</sup>: ينظر: واضح الندوي، الندوي قائداً وحكيماً، مرجع سابق، ص84، وينظر: الندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 63-68.

<sup>2</sup>: ينظر: واضح الندوي، الندوي قائداً وحكيماً، 372/3.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 374/3.

على جملة من النقاط التي قدمها الندوي في شكل مذكرة للبرلمان واعترف بأنها "أوسع دائرة وأكثر حفاظا على حقوق المرأة المسلمة المطلقة، وأكثر فائدة لها ونفعا"<sup>(1)</sup>. وعلى عقب هذا العمل الذي قام به راجيف تقدم الندوي سنة 1986 برسالة شكر وتقدير لتجاوبه مع الرسالة والمذكرة التي تخص الأحوال الشخصية<sup>(2)</sup>.

#### خامسا: رسالة إلى "ترسمهاراؤ" رئيس وزراء الهند سنة 1991م

بعد إغتيال "راجيف غاندي" شغل "ترسمهاراؤ" رئيس المؤتمر الوطني وانتخب رئيسا للوزراء، وبعد توليه المنصب استغل الندوي الفرصة مباشرة وأرسل إليه هو الآخر رسالة يوضح له الأخطار التي آل إليها المجتمع الهندي، وما أثمرته حركات العنف والعدوان والظلم من خسائر في الأرواح والممتلكات ونشوب الخوف في المجتمع، ثم التنبيه على الفساد الإداري والخلقي ومآلاته الخطيرة على مستقبل البلاد، أما الأمر الثالث فهو التحذير من خطر حركة إحياء الهندوسية وعناصرها الإرهابية ودعاة العنف، وأعمالها الإجرامية الدموية والتفجيرات التي لا يوجد مثلها في تاريخ الهند، والتي تسعى من خلالها إلى إبادة العنصر الإسلامي من المجتمع وجبره بالضغط والترهيب على هجرة البلاد لتتيح للهندوس وحدهم عمارة البلاد<sup>(3)</sup>. كما لم يغفل تبصيره بخطر الانجليز الذي يغذي هذا الصراع عن طريق المواد التعليمية والتربوية وإحياء أحداث الماضي التي تبتث الفرقة وتبعث على الكراهية والاقتتال.

#### سادسا: لقاءه "أتال بهاري فاجبائي" (رئيس وزراء الهند):

زار الندوي في بيته وهو على فراش مرضه الذي مات فيه سنة 1999م، وعلى إثر هذه الزيارة أوصاه الندوي «بالتزام المبادئ الإنسانية التي تنفع البلاد والجماهير، وتتكفل بتقديم البلاد والعيش في ظل من الأمن والإخاء والسلام للشعب، وقد استمع رئيس الوزراء إلى وصيته، ووعده بأنه لن يقصر في تنفيذها»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر: واضح الندوي، الندوي، قائدا وحكيما، مرجع سابق، ص116.

<sup>2</sup>: ينظر: المرجع نفسه، ص120.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 3/125.

<sup>4</sup>: عبد الماجد الغوري، أبو الحسن الندوي، مرجع سابق، ص324.

من خلال هذه الجهود يتضح سعة الإنجازات والنجاحات التي أحرزها الندوي في سبيل خدمة العامل السياسي والنهوض به، إذ استطاع أن يحقق عمليا وواقعا الكثير مما ذهب إليه في رؤيته السياسية، وخاصة قيامه على تحقيق منهج الإمام السرهندي الذي اعتبره منهج أفضل في الإصلاح للدعاة والعلماء -الذي عدّه الكثير طريق صعبة التحقيق بسبب الاستعجال في رؤية النتيجة- فاستطاع الندوي بفضل شخصيته وكسبه للكثير من المؤهلات الإسلامية والإنسانية تحقيق التأثير في السلوكات السياسية وفي جوانب من أنظمتها. كما نجح في نفوذه إلى القيادات الحاكمة ووفق في إيصال رسالته والتركيز على النقاط المهمة لضمان مجتمع يغمره السلم والأمان وتحفظ فيه الحقوق والحريات، فكان هذا النجاح على كلا من الصعيدين الداخلي في الهند والخارجي في العالم العربي والإسلامي. وختما فإن النهضة السياسية في فكر الندوي تتلخص في ضرورة توفر القيم التي تلازم العمل السياسي لكي تحقق الثمار المرجوة وتضمن سير الرؤية في الطريق القويم، وبهذا اتصف الندوي بمنهج متميز حينما يتوجه إلى ماضي التاريخ وبطولات الرجال والمصلحين وخدمتها في سبيل نقاوة الدين وصفائه وخدمة للأمة الإسلامية -إن لم تحقق في الظاهر نتائج كانت تسعى إليها- ويستمد منها شروطا في العمل السياسي.

ثم يتجه إلى أهم المقومات التي يكون على الحركات الإسلامية وغيرها لزاما السعي لتحقيقها ابتداء من الوعي السياسي، عن طريق إدراك التهيئة التربوية والأخلاقية والإيمانية، والتركيز على الدعوة في الإصلاح قبل السياسة، والتحذير من طغيان الفكر السياسي وإحلاله مكان الجوانب الإصلاحية الأخرى، وضرورة المحاسبة السياسية وأهميتها.

ليأتي بعدها إلى طرح فكرته التغييرية في الواقع السياسي التي تمثلت في منهج الإمام السرهندي ونجاحاته في اتصالاته برجال الحكم وكسب ثقتهم وإقناعهم برؤاه الإصلاحية والركائز الأساسية التي يقوم عليها صلاح المجتمع والبلاد. واقتفاء لخطاه واتباعا للأثر فقد قام الندوي بالسير على منهجه ووفق في تحقيقه عن طريق كسبه مكانة الاحترام والثقة في نفوس غير المسلمين ورجال الحكومات الذين قادوا الهند في حقبة مختلفة، وكذا على مستوى العالم العربي والإسلامي حينما أراد الندوي أن يبعث الثقة بصلاحية الإسلام، وتحميل المسؤولية تجاه إقامة الدين وثوابته.

### المبحث الثالث: العامل الديني والاجتماعي للنهضة في فكر الندوي

تضمن هذا المبحث مطلبين؛ تناول الأول عوامل النهضة بالحياة الدينية في فكر الندوي، بينما تناول الثاني عوامل النهضة الاجتماعية.

#### المطلب الأول: عوامل النهضة بالحياة الدينية

تناول المطلب ثلاثة فروع؛ الأول في العمل بالقرآن الكريم والهدي النبوي، والثاني في: مواجهة الفكر المادي وأخطاره على الحياة الإسلامية، في حين كان الفرع الثالث: في ترشيد الصحوة الإسلامية في فكر الندوي.

#### الفرع الأول: العمل بالقرآن الكريم والهدي النبوي

##### أولاً: العمل بالقرآن الكريم

سبق أن وقفنا على أن القرآن الكريم أول مقوم في بناء الأمة الإسلامية، وقد طرحنا القضايا التي يتضمنها من بناء المفهوم للأمة إلى البناء الحضاري الميداني، إذ يحمل كل المقومات التصورية والنفسية والعملية لبناء الإنسان الحضاري.

فيرى الندوي أن نؤمن بخلود هذا الكتاب العظيم وإعجازه ويكونه المفتاح الرئيسي لأفقال الحياة، وتكون عقيدتنا وهتافنا ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة هود: 56]، ولا نؤمن به مجرد إيمان، بل نتذوقه ونمتلئ بحبه حتى يملك مشاعرنا وتفكيرنا، لأنه الكتاب الوحيد الذي يرافقنا في رحلتنا الطويلة المعقدة، وهو الذي نفتح به كل قفل، ونحل به كل مشكلة، وننتصر به على كل معارضة، وبمقدار تذوقنا والتضلع منه والنزول في أعماقه ومقدار إيماننا وثقتنا به واستحضارنا له نستطيع أن نؤدي مهمتنا ونتغلب على الصعوبات<sup>(1)</sup>.

##### أ- منهج تدبر القرآن الكريم عند الندوي

يعدّ الندوي القرآن الكريم أقوى شيء في تكوين العقول والأخلاق والنفوس، لذا يرى من الضروري أن يكون له القسط الأوفر والنصيب الأكبر في دراستنا، وأن تكون هذه الدراسة مجردة بقدر الإمكان، فيدرس منته درساً لا يغلبه النقاش والبحث ولا يشرح تشريحاً فيحتجب جماله، بل يتذوق القرآن تذوقاً، وتتلذذ بروحه وتمتلئ به نفوسنا، ويشير إلى مواضع العبرة والتفكير.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، نحو التربية الإسلامية الحرة، دار الإرشاد، بيروت، ط1، 1388هـ، 1996م، ص88، 89.

ويقدم الندوي بعد ذلك نصيحته للقارئ التي كانت تجربته مع القرآن فيوضح أنه ينبغي الاشتغال بالقرآن -قدر المستطاع- مباشرة بدون وساطة وتلاوة متته أكثر ما يمكن، والاستمتاع بقراءته، وتذوق وتدبر معانيه..، ومحاولة تلاوة القرآن الكريم، وفهمه وتدبره وتذوقه من دون اعتماد وتعويل على تفسير إنساني، ومراجعة كثيرة لكتب التفسير، والاكتفاء بذلك إلى مدة ما من الزمن..، كما ينصح بتجنب البحوث التفصيلية الخاضعة للاتجاهات العصرية -عدا مواضع الحاجة إلى البحث العلمي أو إزالة شبهة- أو العصبية الجماعية، السياسية أو القيادية، أو التفكير الناشئ من دراسة العلوم الحديثة أو الحضارة الغربية، لأنه قد تغطي أحيانا على ينبوع القرآن النقي الصافي، ظلال العقول والعلوم الإنسانية، والأغراض الجماعية أو القيادية..، فهذا من جانب، ومن جانب آخر يرى الندوي أن التأثير الزائد بتفهم إنسان ألمعي فاضل وبتفسيره أكثر من التأثير بالكلام الإلهي ذاته يكون حاجزا ومانعا لإدراك الجمال الحقيقي للقرآن وإعجازه، لأن ذلك التأثير كَوّن له منظار إنساني لا يستطيع أن يرى إلا من خلاله<sup>(1)</sup>.

### ب\_ شروط الاستفادة من القرآن وموانعها في نظر الندوي

اقتبس الندوي من القرآن ذاته مجموعة المؤيدات التي تتيح للدارس الاستفادة من نور القرآن والهداية إلى أسرار لم تتفق له من قبل، والإرشاد إلى معاني جديدة لم يتنبه لها الكثير من الدارسين، وفي مقابل ذلك أدرج مجموعة من الموانع تحجب العقل والقلب عن فهم أسرار القرآن والتطلع إلى حكمه، والاهتداء بأنواره<sup>(2)</sup>.

فمن المؤيدات التي وقفها عندها الندوي نذكر:

**1- الرغبة والرغبة والإنابة:** وهي من الشروط الأولية الأساسية للاستفادة من القرآن الكريم..، فمن سنن الله تعالى ونواميسه أنه لا يعطي إلا بالرغبة والسؤال، وفي مقابل الرغبة والرغبة التي تستجلب العطاء الإلهي القرآني، يكون الاستغناء والتولي والإعراض سبب الشقاء والحرمان. وهذا ما أبانت عنه آيات القرآن الكريم.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، المدخل إلى الدراسات القرآنية، مصدر سابق، ص 135، 136.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص 117-125.

2- الاستماع والإتباع: وهو ما جاء في قوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ

أَحْسَنَهُ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ ۖ وَتِلْكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۗ﴾ [سورة الزمر: 17، 18].

3- الخشية والرهبنة: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ ۖ

فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۗ﴾ [سورة يس: 11]، وقوله: ﴿سَيَذَكَّرُ مَن يَخْشَى ۗ﴾ [سورة

الأعلى: 10].

4- الإيمان بالغيب: وهو من أكبر الأسباب التي لا بد منها في هداية القرآن للإنسان، إذ

أنه أهم محاور القرآن الجوهرية والكبرى التي يوجه إليها القرآن الإنسان، ولأهمية الغيب

الذي يحوي مصائر الخلق أجمع، كانت جوهر رسالة الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم

وموضوعاتها الرئيسية، وعلى هذا نجد أن المسلك إلى هداية القرآن الإيمان بالغيب، وهي

المسائل الكبرى التي أقام القرآن الكريم صرحها إثباتاً، وحجة.

4- التدبر والتفكير: وهي الصفة التي اتسم بها المؤمنون، وأوردها القرآن من جملة صفاتهم

في مواضع شتى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُخِرُّوا عَلَيْهَا

صُمًا وَعُمْيَانًا ۗ﴾ [سورة الفرقان: 73]. وكان إعمال العقل تدبراً وتفكيراً سبيلاً إلى الهداية قال

تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ

النَّارِ ۗ﴾ [سورة آل عمران: 191].

5- المجاهدة: ومن معانيها تحمل المشاق والمكابدة في سبيل العمل بتعاليمه،

وإرشاداته، وهو طريق لا بد منه في الابتلاء والامتحان والتمحيص والترقي في

المقامات، فلا يمكن فهم القرآن من دون تجربة عملية نعيشها ونحققها في واقع

الحياة، فالتوجه إلى محاولة إدراك معاني القرآن بالطريقة النظرية فقط لا تحصل

الهداية الكاملة، فمعرفة الطريق وحدها لا تقتضي الوصول. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ۗ﴾ [سورة العنكبوت: 69].

6- التأدب والتعظيم والتسليم: وهي الصفة التي تتلازم مع حالة التلقي لدى المؤمنين

لأوامر القرآن ونواهييه، وقد ذكر القرآن مظاهرها: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا



مَثَانِي نَفْسَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿[سورة هود: 23]،

وقوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [سورة البقرة،: 121].

ومن الإمكان أن ندرج مجموع هذه المؤيدات ضمن مصطلح "الطهر" أو "التطهر" لأنها لا شك الكلمة الجامعة لكل هذه المؤيدات وغاية كل هذه المؤيدات الوصول إلى طهارة النفس التي هي المفتاح الحقيقي للوصول إلى مكنونات الكتاب، وأسراره ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [سورة الواقعة: 77-79].

أما عن جملة الموانع التي تحرم الإنسان من هدايات القرآن الكريم فيختصرها الندوي في: الكبر، والمجادلة، والكفر بالآخرة وعبادة المادة.

**7- الكبر:** من أكبر الأمراض النفسية التي تشكل أكبر عائق في الاستفادة من نور القرآن الكريم وهديه، فالإعراض عن الحق لما جاء على يد النبوة لم يكن من منطق التساؤل والبحث عن الحقيقة، هل ما جاء الأنبياء حق أم لا؟ وإنما جاء الإعراض بسبب الكبر وبطر الحق واتباع الهوى، والتمسك بالعزة الكاذبة.

ومظاهر الكبر التي وصفها القرآن كان دافعها الخوف على الجاه والسلطان، أو من دافع العادات الجاهلية وطقوسها، أو الحرمان من الفوائد المادية، وأحيانا يتولون بسبب الفارق الواقع بينهم وبين الأنبياء من القوة والاتباع والحالة المادية، وتارة يتخذون من بشرية الرسول ادعاء لمعارضة رسالته، وتارة أخرى يمنعهم حال أتباع الأنبياء الضعيفة سواء من وجه المادية أو من حسبهم ونسبهم.

**8- المجادلة:** وهي أداة من أدوات التعبير عن مرض الكبر، فلم تكن المجادلة والمرء ومحاولة مغالبة الحق وأهله إلا لرفض النفس الحق أساسا، وقد وردت في ذلك الآيات الكثيرة التي تقطع بأن صفة المجادلة من غير وجه حق مانع من موانع استبصار الحق وسلوك طريقه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ فَاستَعِدَّ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة غافر،: 56].

9- الكفر بالآخرة وعبادة المادة: ونجد الندوي قد ذكرهما مجتمعين، منبها إلى أن الحب الزائد للمادة المنسي للآخرة الذي صار عبادة لها؛ هو سبيل أيضا للكفر بالغيب وما يحويه القرآن من أخبار الآخرة وأحوال الخلق، قال تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّٰ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن اهْتَدَىٰ ﴾ [سورة النجم: 29، 30].

### ج- القرآن الكريم مصدر العقيدة الإسلامية

أهم شيء من العلوم الضرورية التي يجب على المسلم أن يحيط بها إدراكا ودراسة وفهما عميقا هو العقيدة، إذ هي العلاقة المتينة بين العبد وخالقه، فإذا انحرف العبد تقصيرا في فهم صفات خالقه وأسمائه، وتصوره السليم حولهما ولم يقدر معبوده حق قدره. اختلت العلاقة بينه وبين خالقه، ولم يع حقيقة وجوده، ومن هنا لم يحقق خلافة الأرض كما أراد الله سبحانه.

ولأهمية هذا الأمر ومكانته في الحياة الإسلامية، فإن الندوي يرى أن يدرس علم التوحيد وتشرح العقيدة الإسلامية، والبحث في الصفات كما شرحه الرسول صلى الله عليه وسلم وفهمه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، فليس هناك طريقة أفضل وأقرب من إلى الفطرة السليمة وأسهل فهما وأشد تأثيرا في العقول -عقول كل عصر- من طريق القرآن ..، وليس ما يسميه الناس بعلم التوحيد والكلام ووضعوا فيه كتبا طويلا تكونت بها هذه المكتبة العظيمة في علم الكلام أوفى بالمقصود وأوقع في النفوس وأنفى للشك وأدعى إلى اليقين والإيمان وأشرح للصدور من علم العقيدة الذي يتضمنه القرآن ويقرره في أسلوبه السائغ الواضح الذي تقبله الفطر السليمة والعقول المستقيمة في كل عصر وجيل، فيجب أن يجعل القرآن أساسا وقاعدة لشرح العقيدة الإسلامية<sup>(1)</sup>.

وما يجب أن ننوه عليه تعقيا على رأي الندوي، أن العقائد تفرعت واختلفت فيها المذاهب الإسلامية والملل والنحل، وكل تمسك بما آل إليه ودافع عليه، وأقام الحجج عليه -صائبا في ذلك أو مخطئا- وأصبح المسلمون معتقدين لهذه المذاهب والآراء والفرق، وظهرت

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، نحو التربية الإسلامية، مصدر سابق، ص 89، 90.

مسائل كثيرة أوجدتها سجلات وتقابلات علم الكلام مع المسائل المحدثة في العقيدة الإسلامية والتي لم ترد النصوص تصريحاً في تفسيرها. فمن هنا نعتقد أن الندوي لجأ إلى هذا الرأي كحلّ منه للنزاعات والمناحرات في المسائل الفرعية العقيدية التي تحدث بين طوائف المسلمين، ونبذ التشرذمات التي تحدثها هذه الصراعات.

ولا يكمن المشكل حقيقة في التبني للآراء والفرق، على قدر ما يكون المشكل في التعصب لها، واعتبارها هي الحق المطلق الذي لا يحيد عنه إلا من حرم الهداية والتوفيق الإلهي !! وقد أضعف هذا الأمر قوة الأمة في مسيرتها التاريخية، وانصرفت الجهود من الأولى والأهم إلى الانشغال بقضايا بسيطة ما كان ينبغي أن تعثر الأمة وتهدد مسارها الحضاري.

وأخيراً لا يمكن الحديث عن النهضة بواقع الأمة الإسلامية بمعزل عن القرآن الكريم المصدر الأول الذي يجب استحضاره كمعيار للتقويم والتقييم للفعل الإنساني، والاعتبار عن طريق استيعاب الكون ومعرفة السنن والقوانين الفاعلة في الحياة، والإحاطة بقوانين السقوط والنهوض، فالأجوبة عن القضايا الكبرى في مسألة الأزمة والنهضة لا يمكن أن ندركها إلا من خلال معطيات القرآن الحضارية ومحاوره الكبرى التي عالجها عن طريق اهتماماته بالنفس الإنسانية سواء من تشخيص انحرافات أو توصيف مقوماتها. وقد عرض الحلول الكبرى التي جلاها في رسالة الأنبياء وأنموذجية شخصيتهم الكاملة وأتباعهم الصادقين عليهم الصلاة والسلام واعتبارهم النماذج والقوة الأمثل للكمال الإنساني.

#### د-موانع أخرى

وإن كان الندوي أتى على ذكر جملة الموانع والمؤيدات للاستفادة من القرآن الكريم، إلا أننا نريد أن ننبه إلى أمور أخرى، قد تكون العائق كذلك في فهم غايات القرآن الكبرى، وقد تتجلى هذه الأمور في مجملها في النظرة التجزيئية للقرآن الكريم أو التخصصية، وهذا لا شك أنه لا يفي بأحقية مراد الله في القرآن الكريم، ومن هذا المنطلق فلا بد في تدبر القرآن أو الجهد التفسيري أو التأمّلات في معاني القرآن وهداياته؛ بأن نتناول أي قضية في القرآن ضمن سياقه الكلي، وهو ما نصطلح عليه بالوحدة الكلية للقرآن. والأمر الآخر

الذي يضمّن دائرة الموانع؛ هو التهويل والتحذير من التفسير بالرأي - بالرغم من جوازه بالقيود والشروط التي وضعها العلماء - في مقابل إعلاء شأن التفسير الأثري والدندنة حوله، من غير تجاوز له، وقد أورث هذا الشأن واقعا من التوجس والتخوف، وأوجد حاجزا نفسيا كبت القدرات في النظر في القرآن الكريم وتدبره، وانحسبت في التفسير بالمأثور دون غيره، وجعلته مصدرا تعود إليه في كل شاردة وواردة<sup>(1)</sup>. فعلى سبيل التمثيل نعالج معاني القصص القرآني في إطار التفسير بالمأثور ولا نحيد عنه، ونرى استيعابه وتجاوزه إلى مرحلة جديدة تكشف لنا أسرار عالمنا الجديد؛ ضرب من الابتداع في الدين وتجاوزا لإتباع السلف، ومن هنا نقع في تناقض بيّن في ما نطرحه؛ فصلاحيّة الإسلام لكل زمان ومكان تبقى وجها من أوجه قصورنا عن بلوغ تحقيقها لا محالة.

فمثلا؛ هل تبقى قصة سيدنا موسى وهارون عليهما السلام مع السامري أسيرة أحداث حقبة غابرة، وأسيرة تجربة المفسرين الذين عاشوا زمانهم وغاب عنهم زماننا ولم يدركوا التحولات التي لربما تعجز عنها افتراضاتهم وتخيلاتهم عن إدراك البعض منه؟، أم الأجدر بالفكر الإسلامي أن ينتقل بها إلى هذا الزمان التي تمتد فيه النفسية السامرية وفعل التدجيل والتزييف للحقيقة التي تبنتها أمريكا وأعانها وأتباعها من خلال المسميات والشعارات، ومن الضالين السائرين وراء سرايها، الذين فقدوا روح الموسوية والهارونية ونورانيتها الكاشفة لظلمة التضليل.

وما قدمه الندوي في كتابه "الصراع بين الإيمان والمادية" وكشفه لخطر أمريكا وفعل التدجيل والتزييف وربط ذلك بالدجل من أبرز العطاءات التي تحررت من انحسارها في اجترار الماضي من الأقوال والآراء. وسبب هذا الاهتداء لهذا السر القرآني، هو المنهج الذي اتبعه في عدم اعتماد التفاسير - التجربة البشري - كأداة وحيدة في تدبر القرآن وتأمل معانيه، إلا للضرورة كأداة معينة فقط.

ومن هنا فواجب علينا أن نستحضر في تجربتنا مع القرآن هذه الاعتبارات، أولها اعتبار كل ما جاء فيه رموزا تتداول وتتكرر بأشكال مختلفة، وصورا متعددة، تجمع بينهما فكرة

<sup>1</sup>: ينظر: عمر عبيد حسنة، الأعمال الفكرية الكاملة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1432هـ، 2011م، 555/2.

واحدة، وأن في طياته المقومات المشحونة بالعطاءات اللامتناهية، تعطي للبشرية جرعة الدواء المناسبة كما وكيفا.

### ثانيا: العمل بالهدي النبوي

#### أ- السنة النبوية<sup>(1)</sup>

أما شأن السنة النبوية فيوجب الندوي أن تدرس بطريقة تؤمن بقيمتها العملية وتوجيهها للحياة وتنظيم المجتمع الإنساني على أسس إيمانية جديدة، وتكون العناية بنواحيها الخلقية والاجتماعية وتكون السيرة وتربية النفوس ووصلها بالله، وأن نبرز أهميتها في هذه القضايا أكثر من تركيزنا عليها من الناحية الفقهية وأن ينحصر بحثنا في المسائل الخلافية على حساب موضوعها ورسالتها التي تتجلى في تركية النفوس وتهذيب الأخلاق، والإقبال من الآخرة والزهد في حطام الدنيا، والرغبة في العبادة..، وأن نقددي بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم ونتبع سنته في الحياة كلّها لا في قضايا معدودة اختلف فيها الأئمة والمجتهدون واختلفت فيها الأحاديث والروايات<sup>(2)</sup>.

#### ب- السيرة النبوية

يرى الندوي لزاما أن ندرّس السيرة النبوية بوجه من التأثير العميق بها، وأن ندرّسها بطريقة مؤثرة مرققة حيّة، فلا ننقلها إلى الطالب بتلقين جاف خاو، بل ننقل الطلاب إليها وإلى أجوائها حتى يعيش مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في عصره ونمتلئ بشخصيته صلى الله عليه وسلم حبا وإجلالا. وأن نتضلع في دراسة السنة والسيرة النبويتين ونتعمق فيهما ونصد كل موجات التشكيك التي تظهر كل مرة، ونسد كل ثغرة ينفذ من خلالها المشككين من المستشرقين أصحاب النوايا السيئة<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>: نجد الندوي في حديثه لأهمية النبوة في حياة الأمة الإسلامية قد تناول كل من السيرة والسنة على حدة، وعلى الرغم أنه لم يوضح الفرق بينهما، إلا أننا لمسنا ذلك من حديثه في أهمية كل منهما، فالسنة يقصد بها أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وما يختص بالتشريع، أما السيرة فهي تتضمن دراسة حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفصيلها من لحظة ولادته إلى وفاته، وتشتمل على كثرة الروايات والأخبار في ذلك. وبين السنة والسيرة عموم وخصوص.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، نحو التربية الإسلامية، مصدر سابق، ص 91، 92.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي، نحو التربية الإسلامية، مصدر سابق، ص 91، 92.

أما الأهمية الأخرى التي يضيفها الندوي للسيرة النبوية؛ اعتبارها ميزانا عادلا لوزن حياة المسلمين وواقعهم، والحكم عليه في كل عصر، فيستطيع المصلحون في كل عصر أن يزنوا أعمالهم واتجاهاتها، ويعرفوا الانحراف الواقع في سير هذه الأمة، ولا يتأتى الاعتدال الكامل في الأخلاق والأعمال إلا بالجمع بين القرآن وبين السنة، فالحديث هو الذي مثل الحياة المعتدلة الكاملة المتزنة. وحمل توجيهات النبوة الحكيمة<sup>(1)</sup>.

ومن جهة أخرى لا تزال السيرة النبوية زاخرة بالحياة، والقوة، والتأثير الذي لم يزل يبعث على الإصلاح والتجديد، ولم تزل باعثا على محاربة الفساد والبدع، وحسبة المجتمع، ولم تزل بتأثيرها في كل عصر وبلد، من رفع راية الإصلاح والتجديد، ومحاربة البدع والخرافات، والعادات الجاهلية، وداعية إلى الدين الخالص والإسلام الصحيح، لذلك كله كانت السيرة من حاجات هذه الأمة الأساسية، وكان لابد من تقييدها، وتسجيلها، وحفظها، ونشرها<sup>(2)</sup>.

وإضافة إلى هذين المصدرين يضيف الندوي دراسة تاريخ الصحابة الذين عددهم ثمره جهود الرسول صلى الله عليه وسلم، من حيث تاريخ إيمانهم ومحنتهم وزهدهم، وهي الباعث على التضحية والإيثار والتسامي عن المادة والأغراض<sup>(3)</sup>. والأهم في دراسة تاريخ الصحابة أن نتجاوز حالة التغني ببطولاتهم كثرات ماض مجيد إلى إحياء تلك الأنماط من التفاني في حب الرسول الأعظم الخالص، والتضحية في سبيل إقامة الدين. والسعي في إيجاد نماذج عملية كاملة تجمع بين شتى المؤهلات لتكون القدوة والقيادة.

### الفرع الثاني: مواجهة الفكر المادي وأخطاره على الحياة الإسلامية

يولي الندوي أهمية بالغة للقرآن الكريم، ويجعل منه المنزلة الأولى في مقومات بناء "الأمة المسلمة" التي تقوم بوظيفتها الحضارية تجاه الإنسانية، من الرحمة والعدل والمساواة والوسطية، وتأخذ بيد البشرية إلى بر النجاة. ولهذا نجد للندوي الكثير من استحضار

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 574/3.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، مج1/131.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي، نحو التربية الإسلامية، مصدر سابق، ص16.

المضامين القرآنية كحلول للمشاكل والأزمات والأمراض النفسية في الكثير من محاضراته، ولقاءاته، ورسائله الدعوية. ومنها أفرغه في كتاب مستقل، كطرح لمواجهة الفكر المادي وبرز ذلك في النقاط التالية:

أولاً: توظيف الدراسات القرآنية في مواجهة الفكر المادي

أ- تأملات في سورة الكهف

سبق الذكر أن الفكر المادي وهيمنته على النفوس أدى إلى إحداث تغيير بالشخصية المسلمة، إذ تملكها التخوف من المستقبل، وضعف الثقة بالله وصفاته ومواعيده، وأصبحت جاحدة للغيب، مهملة الاشتغال بالمباحث الدينية الغيبية المصيرية فأدى هذا الحال إلى اختلال التوازن بين متطلبات الروح والجسد، فطغى هذا الأخير وغطى جميع مستويات الحياة. حتى مسّ بعلاقات المجتمع، فأصبحت أغلب المعاملات تنمو وتضمحل في جوّ مصلي مادي، ما أفقد المجتمع خصائصه كمجتمع مسلم يسعى نحو الكمال. وقد عدّ الندوي المادية أكبر تحدّ للعصر الحديث، لأنها ظهرت في الميدان بتخطيط مسلح بفلسفات وصور لم تظهر من قبل<sup>(1)</sup>.

ووقوفاً على خطر هذا الفكر وآثاره على الحياة الإسلامية، فقد أولاه الندوي الكثير من الاهتمام في محاضراته ومحاوراته، ولقاءاته، وضمنه في كتبه الفكرية النهضة، ونبه عليه مرارا وتكرارا في كتابه "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين"، و"الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية"، ولم يقف الندوي عند التنبيه على خطره فحسب، وإنما نجده قد عرض الحلّ والعلاج لمواجهة هذا الداء.

فسعياً منه لإحياء أهم مقوم من مقومات بناء الأمة الإسلامية -"القرآن الكريم"- الذي سبق ذكر خصائصه وما تحوي مضامينه من حلول للأزمات والنكبات، فقد توجه الندوي إلى القرآن -باعتباره المصدر الأول الذي يجب أن يبحث فيه عن حلول العقد والمشاكل- تدبراً وتأملاً لإيجاد الحل الأمثل للمشكلة المادية. فنجده قدم لنا ثمرة تأملاته في سورة

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، مقالات إسلامية، مصدر سابق، 218/3.

الكهف في دراسة متميزة لم نتطلع على مثلها في الكثير من كتب التفسير، لما تحمله من لطائف جديدة قد توصل إليها.

آثر الندوي أن يظهر نتيجة تأمله لسورة الكهف في عنوان دراسته: "الصراع بين الإيمان والمادية" وهي الفكرة المحورية التي قامت عليها سورة الكهف وندنت حولها القصص الأربعة فانحصرت في الصراع بين نظرتين؛ "المادية" و"الإيمانية"، فبعد أن دفعه البحث عن السر في علاقة الدجال بهذه السورة، توصل إلى أن السورة بأكملها عالجت مشكلة التفكير المادي وقدمت الحلّ الذي ينجي من فتنته التي تكون في آخر الزمان، وهي الفتنة الرئيسية التي تقوم عليها فتنة الدجال.

وأخيرا اهتدى الندوي إلى أن الإيمان بالله وحضور الآخرة في الحياة الإسلامية، وهيمنتها على المسلم قلبا وسلوكا من غير رهبانية، ومن غير تعطيل للأسباب المادية هو الحل لأزمة الفكر المادي وما ينجّر عنه من مشاكل أخلاقية ونفسية، دينية، واجتماعية، واقتصادية.

والأمر الذي ينبه عليه الندوي أن يكون الإيمان بالآخرة على منهج الأنبياء وسيرتهم، لا على منهج الدعوات الإصلاحية، لا لأن الإيمان غائب في مشاريعها، ولكننا نجده ينبه على أن الإيمان بالآخرة في مشروع الحركات الإصلاحية يتخذ كضرورة أخلاقية، وكحاجة إصلاحية، فيتكلمون عن الآخرة بقدر الضرورة الخلقية، والحاجة الاجتماعية، ويدافع من الإصلاح والتنظيم الخلقى، في حين تكون الآخرة في منهج الأنبياء إيمان ووجدان، وشعور وعاطفة، وعقيدة تملك على الإنسان مشاعره، وتفكيره، وتصرفاته، لا تخضع للمنطق والضرورة والحاجة وللمصالح الاجتماعية<sup>(1)</sup>، ولعل الندوي قصد أن يتراجع الإيمان بالآخرة من كونه غاية كبرى ينبغي أن تسعى إليها الجهود لتحقيقها إلى أن يصير وسيلة فقط. ولكن يبقى غياب ضرب الأمثلة والنماذج على مستوى هذا الطرح يجعلنا في دائرة غير واضحة، فيصعب الحكم على أي جهد إصلاحي بهذا الحكم. أما الوجه الأسلم لنا في الحكم على رأي الندوي هذا، أن نقدم رؤية أخرى من غير إقامة وجه المفارقة بين

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، الصراع بين الإيمان والمادية، مصدر سابق، ص90.



منهج الأنبياء ومنهج الحركات الإصلاحية، وهو ضرورة أن تكون عقيدة الآخرة مهيمنة على نفسية المصلحين، وجليّة في سلوكاتهم.

### ب- دعوة الأنبياء ثورة على عبادة الأسباب وتحذّر للمادية المسرفة

يعد كتاب الندوي "النبوة والأنبياء في ضوء القرآن" من أهم مؤلفات الندوي، وقد نبّه فيه إلى حاجة الأمة الإسلامية إلى النبوة ودراستها من خلال القرآن، ويعدّها السلاح الوحيد لمواجهة الجاهلية التي تكتسح العالم، وقد أوضحنا سالفاً مدى حاجة الأمة الإسلامية إلى القرآن والنبوة لإعادة بناء ذاتها وشخصيتها الدينية<sup>(1)</sup>.

والمهم هنا إبراز الحلول التي قدمتها دعوة الأنبياء في مواجهة المادية، وقد ضمن الندوي هذا الأمر بـ: "بين الإرادة الإلهية والأسباب المادية"، الذي نوضحه في النقاط التالية:

#### 1- صراع بين الأسباب المعنوية والأسباب المادية

إن من الأمور التي يطلع الندوي عليها القارئ في دراسته لحياة الأنبياء في ضوء القرآن؛ التفاوت في الأسباب المادية بين الأنبياء وخصومهم، وهو الشيء المقصود والمطرّد المستمر في القرآن الكريم، فدائماً ما تكون الأسباب المادية من القوة والقهر، والكثرة من المال والخدم نصيب أعداء الأنبياء عليهم السلام، وتضعف هذه الأسباب وتقل في كفة الأنبياء وأتباعهم، ذلك أن سبيل الحق لا يرتكز في قيامه على الأسباب المادية الظاهرية، على قدر ما يرتكز على المؤيدات الغيبية من الإيمان القوي، والإخلاص، واليقين على موعودات الله. والصبر، والثبات. والنتيجة في ذلك ثابتة وسنة جارية، فالغلبة والانتصار من نصيب الأنبياء وأتباعهم، والخسران لأعدائهم، فإما الخضوع وقبول دعوة الحق، وإما هلاكهم<sup>(2)</sup>.

ومن هذا المنطلق، فقد اعتبر الندوي أن النبوة في القرآن واجهت المادية وأسبابها التي كانت أكبر تحدّ لها، وما قصص الأنبياء عليهم السلام إلى صوراً تجسد هذا الصراع<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، النبوة والأنبياء، مصدر سابق، ص12.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص71، 72.

<sup>3</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص74-77.

## 2- قصة إبراهيم عليه السلام

يرى الندوي أن قصة أبينا إبراهيم عليه السلام -على تكرارها في القرآن- تمثل أعظم تحدٍّ لتأثير الأسباب المادية، وأعظم شاهد على الاستخفاف بقوتها، وأكبر دليل على ضعفها، وهي بيان لمدى قوة الإيمان وفعاليتها وانتصاره على قوة الأسباب المادية. فكانت نبوته عليه السلام تقريراً لهذه الحقيقة، وتحقيقاً لقدرة الله المحيطة بكل الأشياء، والمتصرفة التصرف المطلق في الكون، فهي تملك الأشياء وأسبابها، وتفصل الأسباب عن مسبباتها، وتتزع خواص الأشياء متى شاءت، وقد قلب النتائج المسلم بها، وسنتها الماضية فيها. وقد مثل ذلك كله حدثان من أحداث قصته عليه السلام؛ فكان المثال الأول انقلاب خاصية النار وسنتها المودعة فيها وطبيعتها الملازمة لها إلى الضد، إلى برد وسلام، والحادثة الثاني؛ مخالفته عليه السلام للعادة المتبعة، والعرف الشائع، والانقياد للأسباب، وتركه لأهله في مكان يخلو من كل أسباب الحياة -واد غير ذي زرع-، فتعود الأسباب خاضعة لقوة الامتثال لأمر الله وقوة الإيمان واليقين.

## 3- قصة موسى عليه السلام تحدٍّ للفكر المادي

كانت قصة سيدنا موسى هي الأخرى تحدياً للفكر المادي الذي ينظر إلى الأسباب كقوى قاهرة لا تخضع لأي قوة فوقها تعمل فيها إرادتها. فالمتطلع إلى بدايات حياة موسى عليه السلام في ظل البيئة الفرعونية الطاغية المرتكزة على المادة، الظالمة المستبدة، قد يقطع اليأس من بقاء موسى، ولن يأمل في نصيبه من الحياة، لأن كل الدلائل تفضي إلى هذا الحال لا محالة. فإذا بالإرادة الإلهية تفعل فعلها فيها يخالف العادة، وتظهر أن في أسباب الهلاك تكون الحياة، وفي أسباب الاستضعاف تنشأ القوة..، فينشأ موسى في بيئة العدو ورعاية القاتل..، فيفلت بعد اشتداد ساعده من البيئة التي ترعرع فيها..، ليعود بعدها بعزة وثقة حاملاً لواء البعثة والرسالة، مصاحباً بالحجة والبيان، والمعجزة القاهرة، ليهلك فرعون والمخاضمين لموسى ورسالته، وينجو من اتباع وخضع للحق.

#### 4- قصة يوسف عليه السلام مخالفة للمألوف المعروف

وهي القصة التي تثير العجب والدهشة للعقول التي ألقت قياس الأمور بعين المشاهدة، وبالسنن المودعة في عالم الشهادة، وهي تعطي درساً آخرًا في مخالفة المألوف المعروف، ومخالفة جريان الحوادث على طبيعتها، فقد اجتمع على يوسف كل أسباب الضياع والهلاك، من الحسد والكيد، إلى غيابة الجب، ومن الرق إلى الامتحان في العفة والطهر، إلى السجن.

فاجتماع كل هذه الأسباب كفيلاً بأن ترسخ النتائج المؤول إليها، إلا أن الإرادة الإلهية والحكمة تنسج في الغيب مسارات لتعطي نتائج، تحير فيها الأذهان وتدهش لها العقول، ويصبح يوسف سيّداً على مصر يمتلك زمام أمورها يعيش حياة العزّ والكرامة.

#### 5- حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

وأخيراً يقدم الندوي قصة خاتم النبيين وسيد المرسلين التي تختزل حياة الأنبياء جميعهم وتحويها وتعطي النموذج الكامل الخاتم في هذا الشأن، وقد كانت حياته صلى الله عليه وسلم كلها إثباتاً لحياة النبيين من قبله من الابتلاء الشديد العسير، والمشاق في سبيل تبليغ الرسالة، من قلة المتبعين، وخذلان العشيرة، ومعاداة القوم، والمقاطعة والتطويق، والصد والتعذيب، والحصار في الشعاب..، واجتماع قومه على أبلغ أسباب المكر والخداع، والإبادة، والنفاق، وقد ورد ما هو أبلغ من هذا، قوله تعالى مصوراً الحال: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ [سورة الأنفال: 26].

وإن كان أعظم ما واجه دعوة الأنبياء عليهم السلام ودعوة نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم، هي وثن المادية، فإن الندوي يعتبر أن المواجهة لا تزال قائمة، ولا تزال الدعوة المادية هي المنافسة الوحيدة في هذا العصر للدعوة الإسلامية، وهي أنشط من أي وقت مضى، فهي المنافس الأكبر للدين والمعسكر المعادي للإسلام، ولا يمكن أن نؤثر التأثير المطلوب ونخرق الحجاب المادي الصفيق ..، إلا بشخصية دينية مؤثرة وقوة روحية مسخرة<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، مذكرات سائح، مصدر سابق، ص36.

ومن هنا يدعو الندوي إلى إيجاد قدوة مثالية في الحياة، متميزة، تدل على أنهم ورثة الأنبياء وخلفائهم، وتكون حياتهم هي المطلوبة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي تحقيق الواجب الديني، وإحياء السنن، لا يسعون من وراء ذلك لتحقيق غرض شخصي، أو مصلحة ذاتية<sup>(1)</sup>.

ويرى الندوي -خاصة في شبه الجزيرة التي تمثل الملة الابراهيمية ومنبع الرسالة المحمدية- ضرورة الرجوع إلى حياة البساطة، وشيء من النقشف، من غير رهبانية وحرمان النفس من نعم الله، ولا تكون الأمة الإسلامية أسيرة العادات، والهوايات تتصور اللذة في كل شيء، فالإتباع الزائد لشهوات النفس وتلبية رغباتها إلى حد الترف أسقط أمما كانت زاهرة في أوج قوتها<sup>(2)</sup>.

فإن وصلت الأمة إلى حد الترف واللهو، والشهوات، وتتبع كل تسهيلات فإن من شأن ذلك أن يسبب عقبات في الحياة، ويفقد القدرة على مواجهة الشدائد والتحديات<sup>(3)</sup>.

#### ثانيا: التربية الروحية حل لأزمة الفكر المادي

يقدم الندوي التصوف -علم التزكية أو الإحسان كما أثر أن يسميه- الحل الأمثل لسد الفراغ الروحي في الحياة الإسلامية، فليس التصوف عنده أمرا هامشيا تتسلى به النفوس أو سبيلا لملء فراغ وإشباع رغبة تختص بفئة من طوائف الأمة كالصوفية. بل هو ضرورة واجبة لقيام الجانب الروحي وتجديدا لميثاق الإسلام وتحقيقا لصفات الإيمان والإحسان. وهو الحل الأمثل والوحيد لمجابهة الفكر المادي ولآثاره على الحياة الإسلامية. وإن كنا نرى هذا الأمر قد هيمن على فكر الندوي، وكان معيارا أقام عليه المفارقات والمقارنات وخاصة عند تناوله أزمة الأمة الإسلامية في تاريخها الطويل، فكان ينتصر لكل ما كان روحيا أخلاقيا، ناقدا لكل توجه مادي قام على حساب القيم والأخلاق، وعلى حساب مصلحة الدين والأمة الإسلامية.

ولهذا فقد عرض النماذج المثالية وحياتها، ليبرز أهمية التربية الروحية في مواجهة مغريات المادية وزينتها؛ فأتى على ذكر جهود المصلحين من ذرية أهل البيت ونوابغهم،

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 232/3.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، 200/1.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 236/3.

وانصرفهم إلى «تربية الرجال، وتزكية النفوس والدعوة إلى الله، وربط القلوب ربطا قويا محكما، والتسامي على الأغراض المادية، وما لهم من فضل في تاريخ الدعوة الإسلامية، وانتشار الإسلام في أقطار بعيدة، فظهر بذلك أن خلية الإسلام لم تنزل تعسّل، وغصن العترة النبوية لم يزل يورق ويثمر»<sup>(1)</sup>. وقد عدّه «مدرسة خلقية مثالية، يتلقى فيها أبناء كل جيل دروس مكارم الأخلاق وروائع المروءة والسماحة، والإحسان..، والطهر والعفاف، والاشتغال بالعبادة، وضرب المثل العملي من الإقبال على الآخرة والزهد في الدنيا، والاشتغال بخاصة النفس والريانية الإسلامية الصادقة، وعزة النفس وسموها، والنصح للإسلام والمسلمين، والسيرة التي تليق بأولاد الرسول صلى الله عليه وسلم وعترته، وخلفاء الرسل»<sup>(2)</sup>.

وقد ضرب الندوي مثلا من ذرية البيت الشريف، فكانت شخصية "عبد القادر الجيلاني" التي قامت في بغداد في أوج قوتها المادية المترفة، وقد تزامنت هذا الحين مع جملة من الشخصيات الكبيرة التي نبغت في العلم والتأليف، كالعلامة أبو إسحاق الشيرازي (ت476هـ)، وحجة الإسلام الغزالي (ت505هـ)، وأبو الوفاء ابن عقيل (ت513هـ)، وعبد القادر الجرجاني (ت471هـ)، وأبو زكريا التبريزي (ت502هـ)، وأبو القاسم الحريري (ت516هـ)، وجار الله الزمخشري (ت538هـ)، والقاضي عياض المالكي (ت544هـ)، وكانت هذه الشخصيات بمثابة مدارس أدبية علمية سيطرت على العقول والاتجاهات.

ورغم ذلك فقد ظلت بغداد تحتاج إلى «مصلح ديني ومجدد إسلامي، يحارب الجاهلية التي تسربت للإسلام، في عاصمتها وفي أوجها، وينفخ روحا إيمانية جديدة في هذا العالم المنهار»<sup>(3)</sup>. ولم تقتصر دعوته على محاربة أوثان الجاهلية وآلهتها، وعلى عبّاد الأصنام ومشركي الملل في عصره فحسب؛ بل تعدى ذلك إلى الآلهة الجديدة التي حلت في النفوس محل الآلهة القديمة، وقامت لها دولة في قلب بلاد الإسلام، وهي "المال" و"الثروة" و"القوة" و"السلطان" و"الحيل والحرف" و"الأسباب والوسائل" وحارب هذه الآلهة حربا لا

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، المرتضى، مصدر سابق، ص10.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، ص223.

<sup>3</sup>: الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، مج1/295.

هوادة فيها ولا رفق<sup>(1)</sup>. وقام بزم الدنيا ونقد الخلفاء والأمراء في عصره والتعريض بعلماء السوء من البلاط.

### الفرع الثالث: ترشيد الصحوة الإسلامية في فكر الندوي

قدم الندوي جملة من الشروط يرى ضرورة توافرها لسلامة الصحوة الإسلامية، حتى تؤتي أكلها، وتسلم من الانحراف ولا تقع فريسة المؤامرات والمكائد، ولا يستغل حماسها في أغراض خسيصة؛ ومن أهم هذه الشروط<sup>(2)</sup>:

#### أولاً: موافقة الصحوة للعقيدة الإسلامية الصحيحة

وهو أول شرط يرى الندوي لزاماً على الساعين في تحقيق صحوة إسلامية تنهض بواقع الأمة، والمتجلي في توافق الصحوة مع العقيدة الإسلامية، حيث تتفق مع عمل الرسول صلى الله عليه وسلم، وأسوته والخلفاء من بعده، مع الفهم الراسخ في العلم والدين، ولا تتساق في التيارات السياسية والاتجاهات، أو تكون مجرد رد فعل حماسي مندفع في مواجهة أوضاع محلية، أو مجرد وعود لإقامة حكومة إسلامية، أو سيادة سياسية.

#### ثانياً: التوسع في الدراسة الدينية، وتغذية الشباب المثقف بالغذاء الفكري الصالح

وهو الأمر الثاني الذي يجب أن يعنى به، بحيث يعيد في الشباب الثقة بصلاحية الإسلام للقيادة وحل لمشاكل الحياة، كما نبّه إلى ضرورة العناية بسلوكهم الفردي والاجتماعي والعائلي وأخلاقهم الفردية والجماعية.

#### ثالثاً: الوعي المدني وفهم القضايا المعاصرة وأهداف الحركات والتيارات العاملة النشيطة

يؤكد الندوي على الإلمام بشتى التيارات العاملة في الميدان والوقوف على أهدافها، وخطرها على مستقبل الدين والجيل الصاعد، فإن انطواء الجماعات الإسلامية على نفسها وانشغالها بأداء الفرائض والواجبات الدينية دون إعطاء أولوية بقضايا الفكر المتجددة وتطلعات الشباب المستقبلية، سيحول بينها وبين تحقيق النتائج المرجوة من الصحوة. فيضعون مستقبل الجماعة تحت رحمة هؤلاء المارقين من الدين والمحاربين له، الذين يقنون بغير الشريعة الإسلامية، والتدخل في الشريعة، ويخضعون الواقع تحت مبدأ

<sup>1</sup>: ينظر: المصدر نفسه، مج1/317.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، ترشيد الصحوة الإسلامية، مصدر سابق، ص13-21.

المجتمع الغربي المسيحي "الدين قضية شخصية وقضية بين الفرد وخالقه، لا شأن له بالحياة والتشريع والسياسة".

#### رابعاً: العناية بالمفهوم القرآني للجهاد في سبيل الله وفضله

وهو الصفة التي تميّز الأمة الإسلامية عن غيرها. فتخلي الأمة عن هذه الثروة خسارة كبيرة، فالسبيل لبقائه على المستوى المطلوب؛ إحلاله المحل اللائق من العقل والعاطفة، ومن الإكبار والإجلال، والحرص على تقليد النماذج التي مثلته تمثيلاً صحيحاً، والحنين إلى الشهادة وقد أكدّ الندوي على ضرورة إحياء هذه الفريضة شعوراً ووجداناً. ولعلّه أدرك هذا الفراغ في تحليله للأزمة الفلسطينية وفقدان روح الجهاد وحرارته إثر مواجهة الدول العربية القلة من الصهاينة وخسارتهم المواجهة<sup>(1)</sup>.

#### خامساً: تجنب المجابهة وإثارة المشاكل والمعارضات من غير ضرورة

وقد عرضنا مضمون هذه الفكرة في رؤية الندوي السياسية التي تنحصر في العمل بمبدأ إيصال الإيمان إلى أصحاب الحكومات.

#### سادساً: الزهد والقناعة والعزوف عن حب العلوّ والتنافس في الدنيا

أكدّ الندوي على ضرورة العزوف عن المناصب والرئاسات والحياة الرغيدة الناعمة، ومنافسة أرباب المناصب والجاه، والاتصاف بسمة الزهد والقناعة والتوكل<sup>(2)</sup> فكان هذا المقوم من أهم العناصر القوية التي اقترنت بالتجديد، فلم يكن «أحدا ممن قلب التيار وغير مجرى التاريخ، ونفخ روحاً جديدة في المجتمع الإسلامي أو افتتح عهداً جديداً في تاريخ الإسلام، وخلف تراثاً خالداً في العلم والفكر والدين...، إلا وله نزعة في الزهد وتغلب على الشهوات، وسيطرة على المادة ورجالها، ولعل السر في ذلك أن الزهد يكسب الإنسان قوة المقاومة، والاعتداد بالشخصية والعقيدة والاستهانة برجال المادة، وبصرعى الشهوات

<sup>1</sup>: كما أكد في نصيحة للعرب على أن أي صلح مع اليهود مهما يكن مسماه هو تضحية بالأمة العربية على مذبح الحماقة، والجهل، والمطامع الوقتية، وهو عار يلحق مرتكبه على مدى الأزمان؛ لأنه سيكون حتماً بداية القضاء على هذه الأمة، وعلى جميع مقوماتها المادية والروحية. فلينتدبر المسلمون، والعرب أمرهم، وليقاوموا أشد المقاومة كل فكرة لفرض صلح عليهم مع اليهود، وليستعدوا دائماً، وأبداً للجولة الحاسمة، ولو اقتضى الأمر من الصبر قروناً وأجيالاً.. ينظر: الندوي، المسلمون والقضية الفلسطينية، مصدر سابق، ص 220. نقلاً عن فارس خوي، أيام لا تنسى، ص 304، 305.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، ترشيد الصحو، مصدر سابق، ص 29.

وأسرى المعدة..، ولأن الزهد يثير في النفس كوامن القوة، ويشعل المواهب ويلهب الروح، والدعة او الرخاوة تبرد الحس، وتنيم النفس وتميت القلب»<sup>(1)</sup>.

فاقتران الصحة بروح التضحية والقدرة على صناعة المواقف والبطولات أمر ضروري لفعاليتها، ووجود فجوة في ذلك من شأنه أن ينشئ حركة منحرفة زائفة، فاسدة العقيدة والمنهج، سلبية هادمة<sup>(2)</sup>.

أما من مهام الصحة فيركزها الندوي في ثلاث مراحل<sup>(3)</sup>:

1- الدعوة وغرس المبادئ والإيمان في قلب الناشئة.

2- انتاج الرجال الذين يديرون دفة الدعوة ويربون الرجال.

3- تغذية القلب والروح ضمانا للتضحية والاستمرار وتحمل المشاق.

إذا يتلخص عامل النهضة الدينية في فكر الندوي في ضرورة التوجه إلى دراسة القرآن والتطلع على هدايته وارشاده في حلول الأزمات والمشاكل عن طريق استحضار أسباب التوفيق سواء من الالتزام بالمؤيدات أو تجنب الموانع التي عرضهما. ليكمل هذا العامل بالحياة النبوية التي تعد مرآة وترجمة للقرآن الكريم سنة وسيرة، والتبنيه على الأسس الضرورية في دراستها، ويقبل بعدها على وصف علاج مشكلة الفكر المادي التي قدمه في أهمية العودة إلى القرآن وتوظيف دراسته في سد الثغرات التي أحدثها الفكر المادي في الحياة الإسلامية عن طريق استحضار البعد الإيماني والروحي، ودفع مخاطره عن طريق القيم الروحية التي جسدتها دعوة الأنبياء عليهم السلام، لينتقل بعدها إلى التصوف والتربية الروحية التي يقدمها ختاماً في أنها الحل الأمثل في سد الفراغ الأكبر التي تعيشه الأمة منذ أمد طويل.

ويتوجه بعدها إلى التذكير بأهمية الصحة الإسلامية مقدماً الشروط والضوابط لتأتي بنتائج إيجابية يعم نفعها الأمة الإسلامية.

<sup>1</sup>: الندوي، رجال الفكر والدعوة، مصدر سابق، مج1/168.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، ترشيد الصحة، مصدر سابق، ص31.

<sup>3</sup>: الندوي، مذكرات سائح، مصدر سابق، ص87، 88.



## المطلب الثاني: الدعوة الإسلامية في فكر الندوي.

تناول هذا المطلب الحديث عن الدعوة الإسلامية في فكر الندوي في ثلاثة فروع؛ الأول في مصادر الدعوة الإسلامية عند الندوي، والثاني في سمات الدعوة الإسلامية في فكر الندوي، أما الفرع الثالث ففي الدعوة الإسلامية في البلاد غير الإسلامية.

## الفرع الأول: مصادر الدعوة الإسلامية في فكر الندوي

تتمثل مصادر الدعوة الإسلامية عند الندوي في:

## أولاً: القرآن الكريم كتاب دعوة وهداية

يعدّ القرآن أول مصادر للدعوة الإسلامية، وقد رافق الدعوة المحمدية من نزول الوحي إلى وفاته صلى الله عليه وسلم، على ملابسات مختلفة، وفي ظروف مختلفة، وعلى أماكن مختلفة، فكان وقت الضيق والشدة، ووقت النصر والعزة، وفي مكة والمدينة، وفي الحرب والسلام، وقد أودع الله فيه كل الهدايات والارشادات، تصريحاً أو تلميحاً، إجمالاً أو تفصيلاً.

ونجد أن الندوي يؤكد على أن القرآن الكريم كان كتاب هداية قبل أن يكون كتاب أحكام وشريعة، فالدعوة والهداية هما الطابع الغالب عليه والمحور الأساس الذي يرتكز عليه.

وقد أورد الكثير من القصص التي مثلت المبادئ والصفات التي يستقي منها الدعاة وينهل من معينها. وإن كان الندوي لم يضعنا على السبب والحكمة في كون القرآن كتاب دعوة وهداية قبل أن يكون كتاب أحكام وشريعة، فإننا نرى أن ذلك يعود ترتيباً للأولوية، فلا يجب أن تسبق مرحلة الأحكام والشرائع مرحلة الدعوة، وذلك يعود لطبيعة عمل الدعوة والعلم بالشرائع والعمل بها. فطبيعة عمل الدعوة تهيئة النفوس إسلاماً وإيماناً وتسليماً لله وإخلاصاً له، وإنشاء الطلب في النفوس واستعداد للعمل بالأحكام والشرائع.

وقد حوى القرآن الكريم مادة وفيرة غنية في فريضة الدعوة وأساليبها، على اختلاف رسالات وشرائع الأمم السابقة.

وبما أن الندوي جعل من غاية القرآن الكريم الكبرى الهداية، فإنه قد استلهم بعض سمات الدعوة الإسلامية من هديه.

## 1- سعة الدعوة وعمقها في القرآن الكريم

يلفتنا الندوي إلى أن آية الدعوة وردت في القرآن على وجه الإيجاز، فكان هذا وجهها من أوجه إعجاز القرآن إذ لم يتعرض لأحكام تفصيلية في موضوع الدعوة، وإنما وكلها إلى العقل السليم، وإلى الذوق المستقيم...، ثم أحاطها بسياج واسع، هو السياج الوحيد الذي يستطيع أن يحيط بالدعوة وذلك في قوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل: 125]. فأنت الدعوة على وجه الإطلاق، أما قيد الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة الحسنة، فهي صفات تلازم الدعوة أياً كان الأسلوب والوسيلة فيها<sup>(1)</sup>.

## 2- الأمثلة والنماذج الدعوية أهم عنصر في نجاح الدعوة وتأثيرها

استخدم القرآن الأمثلة العملية والنماذج الشخصية، التي تمثل أهم عنصر في تأثير النفوس، أما الحديث عن الأساليب الدقيقة في الدعوة فإن النماذج والشخصيات الدعوية تسد هذا الفراغ وتكيف الوسيلة لتراعي الملابسات وتحقق الغايات. وإن كان معظم هذه النماذج هي من صفوة الخلق من الأنبياء المصطفين، الذين كانوا المثل الأعلى في الكمال الإنساني، فإن القرآن عرض من بين هذه النماذج الدعوية المثلى شخصيات لم تكن في مصاف الأنبياء ولا الرسل. فكان منها مؤمن آل فرعون، الرجل الناصح لأصحاب يس، وناصح صاحب الجنيتين، وتذكير الرجل لموسى عليه السلام، وما جاء على لسان النملة، والهدهد، وطائفة الجن المؤمنة، ووصايا لقمان لابنه، وغيرها، وهي ذخائر ذات فوائد جمّة تعطي صورة من الدعوة وتجليات للحكمة، ودروساً تبرز مرونة الدعوة وتكيفها مع الأحوال والظروف<sup>(2)</sup>.

ومن هنا تبرز أهمية النماذج العملية التي تمثل الدعوة بكل مؤهلاتها على مستوى الحركات والعاملين في مجال الدعوة الإسلامية.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة، دار القلم، بيروت، (د،ط)، (د،ت)، ص13، 14.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص16، 17.

## ثانياً: سيرة النبي صلى الله عليه وسلم

وهي المصدر الثاني التي يركز عليه الدعاة في تصحيح مسار دعوتهم، وتكون على أساسه الشخصيات الدعوية، ذلك أن حياة النبي صلى الله عليه وسلم كانت تمثيلاً لروح القرآن، وهي الترجمة المثلى لحقائق القرآن ومطالبه، أو هي القرآن العملي، وقد كانت أحاديثه سجلاً للكمالات النفسية والخلقية، يجد فيها الداعية كل مفاتيح العقد والعراقيل التي تواجه مسيرته الدعوية.

وفي هذا الأمر قسم الندوي حياة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جانبين مهمين؛ "العبودية الكاملة" التي تتمثل في "الدعاء"، و"النبوة الجامعة" التي تمثلها "دعوته" صلى الله عليه وسلم. وسبب هذا التقسيم، ما رآه من إهمال دارس السيرة لجانب عبادته صلى الله عليه وسلم، وخاصة "الدعاء" وقلة التأمل فيه، وفي أثره في الدعوة ذاتها. فكان هذا تنبيهاً منه على أهمية العناية بالعبادة والدعاء تكاملاً مع الدعوة، ولم يكتف الندوي بهذا التذكير فحسب؛ بل تعداه لأن يستخلص القيمة الأدبية في أدعية رسول الله المأثورة، وما تحمله من مدعمات لصلة الداعية بربه<sup>(1)</sup>.

وعلى هذا نجد الندوي اتجه إلى التأكيد على حياة النبوة بشقيها "العبادة" و"الدعوة" والاهتمام بهما في التأمل والبحث على حدّ سواء، وضرورة التركيز عليها، كوسيلة وحيدة للمعرفة الصحيحة والهداية الكاملة - وقد سبق ذكر أهمية النبوة في بناء الأمة الإسلامية، وإيجاد كيانها القرآني-، ولضمان استمرارية الحياة الإسلامية وحفظها من التحريف، نبّه الندوي لزاماً على مواجهة التيارات المنحرفة التي تنافس مقام النبوة المقدس، وتحتل مكانتها، وتتفد إلى هذا المقام الجليل عن طريق اختراق خاتميته صلى الله عليه وسلم بتأويلات باطلة. وقد أبرز الندوي هذا الخطر أساساً في بيانه لضلال القاديانية ومؤسسها، وتفسيراته المنحرفة. التي حاولت أن تهز أركان أهم قاعدة في الدين، لتستطيع بعدها أن تزيف كل حقائق الدين بأرائها وتضعها كبديل منافس لمقام النبوة.

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، دراسة السيرة النبوية من خلال الأدعية المأثورة المروية، دار المختار الإسلامي، القاهرة، ط1، 1398هـ، 1978م، ص6. وقد أفرد الندوي في هذا كتاباً مستقلاً بعنوان: "تظرات في الأدب النبوي".

أما الناحية الأخرى التي يستلهمها الدعاة من حياة النبي صلى الله عليه وسلم هو منهجه التربوي وخطابه الرحيم الذي شمل كل المستويات والأعمار فكان عطاء من غير نقصان للإنسان على شتى مراحلها؛ طفلاً، ومراهقاً، وراشداً، وكهلاً، وشيخاً، وعلى أحواله، حاكماً ومحكوماً، وسيداً وعبداً، فلم يستثنى إنساناً خارج خطابه المقدس الشفيق بالإنسانية الرحيم بها<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً: رجال الدعوة وحياتهم ثروة للدعاة العاملين

تمثل جهود الدعاة المخلصين وآثارهم، وتجاربهم في محطات التاريخ الإسلامي المختلفة، حياتهم الشخصية والدعوية، ثروة تحمل الدعاة على الصبر والثبات أمام المعوقات التي تواجههم في دعوتهم. وقد قدم الندوي في هذا نماذج دعوية عديدة، عبر حقب زمنية مختلفة، أهمها ما ورد في سلسلة "رجال الفكر والدعوة"، وكتابه "شخصيات وكتب".

### الفرع الثاني: سمات الدعوة الإسلامية في فكر الندوي

للدعوة الإسلامية مجموعة سمات في فكر الندوي يعدها مفاتيحاً للنجاح، وقد كانت له تجربة عميقة مع مجموعة من الحركات والشخصيات الدعوية، على اختلاف رؤاها ومناهجها، ما أكسبه رؤية جامعة لمنهج الدعوة وضمان سيرها في ظل التحديات التي تواجهها. ومن هذه السمات نذكر:

### أولاً: الجمع بين الحماس الديني والوعي

إن من أهم الواجبات التي يرى الندوي على الدعوة الإسلامية أن تراعيها؛ الجمع بين إثارة الشعور والعاطفة الدينية في المجتمعات المسلمة، وبين إكمال الوعي وتنميته وتربيته، والفهم للحقائق والقضايا، والتمييز بين العدو والصديق، وعدم الانخداع بالشعارات والمظاهر، ففي غياب الوعي ستصبح قوة المجتمع الحماسية والإيمانية لقمة سائغة للقيادات اللادينية وتنساق بكل سهولة وراء المؤامرات والمكائد<sup>(2)</sup>. وقد أعطى الندوي

<sup>1</sup>: ينظر: عبيد حسنة، الأعمال الكاملة، مرجع سابق، 41/9، 42.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، الدعوة إلى الله حماية المجتمع من الجاهلية وصيانة الدين من التحريف، المجمع الإسلامي، الهند، ط2، 1413هـ، 1991م، ص8.

نموذجاً في ذلك، حينما أرجع مجزرة باكستان الشرقية عام 1391هـ-1971م، إلى وقوع الشعوب المسلمة الساذجة في فكرها، الضعيفة في وعيها الديني رغم إيمانها وحماسها الديني فريسة لهتافات الجاهلية والنعرات القومية، والعصبية اللغوية والثقافية، وفي لعبة القيادات الداهية والمؤامرات الأجنبية<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: صيانة الحقائق الدينية والمفاهيم الإسلامية من التحريف

ينبه الندوي على أهمية الحفاظ على المصطلحات والكلمات بمعانيها التي توارثتها الأمة في تاريخها الطويل، فإذا ما وقعت تحريفات وانفكت الكلمات عن معانيها ورموزها الخاصة بها، والصور التي اقترنت بها، فمن شأن ذلك أن يوقع تحريفات في حقائق الدين، ويصير عرضة لتأويلات المبطلين. وعلى هذا يحذّر الندوي من العبث بهذه المصطلحات، والتجني عليها، وإخضاعها للفلسفات الجديدة..، وإذا فقدت هذه الكلمات معانيها التي توارثت الأجيال المسلمة، وأصبحت مساعاً لكل داعٍ إلى نحلة جديدة، ورأي شاذ، وقول طريف، وأصبحت قلعة الإسلام مفتوحة لكل مهاجم<sup>(2)</sup>. وليست قضية الأسماء والمصطلحات من البساطة بالمكان الذي يتصور كثير من الناس، فإنها تؤثر في النفوس تأثيراً خاصاً، وتثير معاني وأحاسيس ذات الصلة بالماضي، وذات الصلة بالعقائد والأعراف أحياناً، ولذلك كره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال "العنمة" مكان العشاء، و"يوم العروبة" بدل الجمعة، واستبدال كلمة يثرب بمدينة رسول الله، وفي ذلك أمثلة أخرى في الشريعة الإسلامية.

لأن الكلمات هي الوسيلة الوحيدة لنقل المعاني والحقائق من جيل إلى جيل..، فإذا وقع الشك في مدلول هذه الكلمات ومصادقها، وصار التلاعب بها هيئاً اضطربت دعائم الدين وتزلزلت أركانه..، ومن أمثلة هذا التلاعب أن قام أستاذ في محاضرة ضمن مؤتمر الدراسات الإسلامية، فذهب إلى أن المراد بكلمة "صلاة" على إطلاقها في القرآن تعني "الحكومة المحلية" أو "الإقليمية"، والمراد بالصلاة الوسطى "الحكومة المركزية" أو

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، الدعوة إلى الله حماية المجتمع، مصدر سابق، ص12.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص16.

"الخلافة العامة" حيث ردّ عليه الندوي بأن هذا من باب تلاعب بالقرآن وبالعقل، وتمهيد لفوضى لغوية فكرية، وفتح الباب للإلحاد على مصراعيه<sup>(1)</sup>.

ومن بين المصطلحات التي حذّر الندوي أن نعتبرها وسائلًا لا غايات الأركان الأربعة الصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، وأنها شرعت لمجرد إقامة الحكم الإسلامي. كما حذّر أيضا من خطر التقليل من شأن العبادة وصلة العبد بربه، وتوسع الدراسات في فوائدها الخلقية والاجتماعية والسياسية، والاقتصادية على حساب غايتها الكبرى في علاقة العبد بربه، حتى يخيل أنها مجرد أساليب تربوية أو عسكرية أو تنظيمية، فمن شأن هذا الواقع أن يفقد العبادات قيمتها وقوتها، ومن جانب آخر؛ فمتى اهتدينا إلى وسائل يخيل أنها أنفع من العبادات في تحقيق الأغراض الاجتماعية والتنظيمية فستترك ويستغنى عنها أو لن تحض بمنزلتها في الدين.

ولا ينفي الندوي أهمية الغوص في أعماق هذه الأركان والأحكام والحقائق الدينية، والكشف عن أسرارها وفوائدها الاجتماعية، وضرورة ذلك، وإنما كان تخوفه من الانصراف عن حقائق هذه العبادات، والغايات الأولى التي شرعت لها. إلى غايات أخرى هامشية وهنا مكمن التحريف الذي يقصده الندوي.

### ثالثا: المرونة ومسايرة الظروف والبيئات

سمة المرونة في الحركة الدعوية من أهم الأمور التي تحفظ استمرارها وتضمن نتائج إيجابية تعود على المجتمع والأمة بالنفع الكثير.

فلا يمكن للدعوة أن تخضع لقوانين مرسومة، وأحكام مضبوطة؛ وتنفيد بها، لأن الدعوة تعتمد على المحيط وعلى الظروف والبيئة، وعلى الجوّ والملابسات، والواقع، وعلى حال المدعوبين، كما تعتمد على مكامن المرض والضعف في النفس والمجتمع، وكل هذه الأمور تتغير، وتتفاوت، وتختلف، وتتطور<sup>(2)</sup>. فإذا ما فرضت قيود وشروط ما، ومظاهر معينة، فقدت الدعوة حيويتها ونشاطها، وأنت بنتائج سلبية معكوسة في غالب الأحيان. وعلى هذا يؤكد الندوي مرارا على «أن الدعوة في حاجة دائمة إلى التجديد والتفكير، والتطبيق بين الإسلام والعصر المتغير، واستعراض الشؤون والمسائل وما يطراً على

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، الدعوة إلى الله، مصدر سابق، ص 18، 19.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 426/1.

الحياة والعقول من الضعف والقوة، والجدة والتطور، وأن العصمة لله وحده وأنه لم يختتم شيء مما أكرم الله به الأمة إلا النبوة التي ختمت بمحمد صلى الله عليه وسلم»<sup>(1)</sup>.

#### رابعاً: المساحة الزمانية والمكانية

إن من أسباب نجاحات الدعوة الإسلامية أن لا ينطوي الداعي على نفسه وينحصر في بيئته، ولكسب رؤية متكاملة ذات آفاق واسعة وجب التنقل والارتحال، لتتسع نظرة الداعية، فكلما زادت تنقلاته واحتكاكاته بأنماط مختلفة من المجتمعات، ومستويات وأمزجة، زادت دعوته سعة في الفهم، والعمق، وكسب مؤهلات في الدعوة؛ حكمة، وعمقا، وبصيرة، ودقة في اختيار الأسلوب المناسب، ووجدت دعوته مسالك أقصر وصولاً إلى نتائج أنفع.

أما زمانية الدعوة فليست محدودة أو مقيدة بحقبة معينة كما يرى الندوي، تنتهي بانتهائها، فالدعوة الإسلامية تبتدئ مع بعثة النبي، فتكون المصدر الأول لها، وتستمر باستمرار الحياة ووجود الخلق، وإلى هذا ذهب الندوي في هذه السمتين<sup>(2)</sup>.

#### خامساً: الشمولية والتكامل

نقصد بالشمولية، معالجة الدعوة جميع المشاكل التي تعترى الحياة الإسلامية، فلا تقتصر على جانب معين، كإصلاح الأخلاق مثلاً، أو تحريك الإيمان، أو التركيز على الجانب السياسي دون غيره. فآزمة الأمة مترابطة متشابكة. ومن هنا يجدر بنا أن نستلهم من شخصية الندوي هذه الخاصية التي أعطت شيئاً من النموذجية في الجمع بين شتى المؤهلات ليلتحق بمصاف الدعاة الأكابر المخلصين، من الجمع بين شتى علوم الشريعة، وبين الفكر الإسلامي، فاستطاع أن يحيط بالكثير من مشاكل الأمة وأزماتها وأسبابها، ويعطي كذلك الحلول ويرسم سبل النهضة عن حكمة وبصيرة.

#### سادساً: الاهتمام بالغذاء الروحي سبيلاً لقوة الدعوة

من أهم المقومات التي يرى الندوي أنها سبيل للحفاظ على بقاء الدعوة على الحماسة الدينية وعاطفة الكفاح والتضحية ..، ولما كان المد والجزر في الحماسة الدينية

<sup>1</sup>: الندوي، الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها، المجمع الإسلامي العلمي، الهند، ط3، 1406هـ، 1986م، ص40، 41.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، روائع الدعوة في القرآن والسيرة، مصدر سابق، ص13.

وعاطفة التضحية يعترض الجماعات الإسلامية، كان الاشتغال بالغذاء الروحي أهم العوامل لاستمرار الجماعة، ومصدر حياتها ومنبع قوتها<sup>(1)</sup>. وأهم العوامل في ذلك كما يرى الندوي تقوية الصلة الروحية والعاطفية بالنبي صلى الله عليه وسلم والحب العميق له..، والحذر من كل العوامل والمؤثرات التي تسبب تجفيف منابع هذا الحب، وإضعافه على الأقل، وتحدث جفافا في الشعور، وضعفا في العمل بالسنة<sup>(2)</sup>.

#### سابعا: التحرر من الخلافات المذهبية

ينبه الندوي أن من أهم المعوقات التي لا بد من الدعوة الدينية الكلية أن تتحرر منها، هي الخلافات المذهبية وإثارة المباحث الفقهية<sup>(3)</sup>. فمن البديهي أن الدعوة التي لا تستطيع احتواء المسلمين على اختلاف مذاهبهم وأفكارهم التي لا تخرج عن دائرة الدين ومحيطه، غير قادرة عن تجاوز الكثير من العقبات التي تلحقها في مسيرها، ولا أن ترتق لتصبح دعوة عالمية تخاطب الإنسانية ولا امتلاك القدرة على احتواء مختلف الثقافات والانتماءات والتوجهات.

#### ثامنا: سمة الحركة الميدانية

سمة الحركة أمر جد مهم في الدعوة الإسلامية، وفهم مشاكل المجتمع عن كثب وتجربة، وعلى هذا يرى الندوي أن لا تقتصر الدعوة على المدارس، والعكوف على المطالعة، بل يجب الخروج من الدعوة النظرية إلى الدعوة العملية وإلى أوساط المجتمع، أو تتاح فرص للتجول مع الدعاة المخلصين والعلماء الربانيين في بلدانهم وفي الخارج حتى يجربوا الدعوة الإسلامية ومشكلاتها ويعرفوا ما وصل إليه المجتمع الإسلامي والشعوب المسلمة من الجهل والغفلة من الدين والانغماس في الحياة وتكاليفها، فيسهل عليهم حينئذ التبصر في النظر والرؤية الواقعية البعيدة عن الأوهام والنظريات العلمية، والخروج من العزلة عن الحياة<sup>(4)</sup>. وذلك ما عنه عليه الندوي ب: «استعمال النفوس إلى جنب الكتب»، وذلك أن الإنسان المتحرك يثير النشاط، والحماس، وكذلك لا يحصل على فهم صحيح للدين ولا الحكمة العملية بدون الصحبة، والرفقة، وبدون الحركة والعمل. والاعتماد على

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، مذكرات سائح، مصدر سابق، ص65.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 1/ 267.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي، مذكرات سائح، مصدر سابق، ص65.

<sup>4</sup>: ينظر: الندوي، نحو التربية الإسلامية، مصدر سابق، ص100.



الكتب وحدها تورث الجمود ولا تثير العواطف الكامنة. كما يكون حصول الدين على مجموعة معدودة ويحرم على أهل الحرف والأشغال من حصوله<sup>(1)</sup>. وقد اتصفت تجربة الندوي الدعوية بهذه السمة، فلم تقتصر تجربته على إلقاء المحاضرات على النخب المثقفة، وانحسارها في التلقين والتعليم، وقد مرّ بنا في ترجمته توليه منصب التعليم على صغر سنه. فمن أهم الدوافع التي دفعت بالندوي إلى الحركة والتنقل بين العلماء والمربين والمفكرين والدعاة، بحثه الحلول عن خطر المد الثقافي الخارجي والغزو الفكري الذي ينفذ إلى عقول الناشئة والجيل الصاعد، والذي يزاحم الثقافة الإسلامية التي يتلقاها النشء، ويصارعها في المبدأ والعقيدة. فكان الداعية محمد إلياس مؤسس جماعة الدعوة والتبليغ أول شخصية ينفذ تأثيرها في الندوي إلى حد كبير، ما دفع بالندوي في مشاركة هذه الجماعة عملها الذي يرتكز على التنقل بين الناس وفي مختلف الأماكن تذكيرا ووعظا وإرشادا، وعملها قائم أساسا على ترغيب الناس وتحريك الإيمان. وقد حققت نجاحات كبيرة على مستوى الهند في ابتداء أمرها وعلى مستوى العالم الإسلامي بعد انتشارها واتساع نشاطها.

### الفرع الثالث: الدعوة الإسلامية في البلاد غير الإسلامية

للدعوة الإسلامية في البلاد غير الإسلامية في رؤية الندوي منهج خاص يختلف عن منهجها في البلاد الإسلامية، مراعاة لاختلاف البيئتين، ومتطلباتهما.

#### أولا: واجب الجالية في البلاد غير الإسلامية

تخضع الأساليب الدعوية تبعا للظروف والبيئات، فيرى الندوي أن الدعوة الإسلامية في البلاد غير الإسلامية يقوم منهجها على التعريف بالإسلام بأساليب حكيمة تتفق مع طبيعة الإسلام وروح العصر، والحرص على تمثيل الإسلام، والحياة الإسلامية تمثيلا يلفت إليه الأنظار، ويستهو القلوب ويسترعي الانتباه<sup>(2)</sup>، مما يثير تساؤلات ومقارنات، رغبة في المعرفة والفحص والتحقيق، وعن منبع هذا النمط من الحياة المتميز، وهذه المثل والقيم السليمة الفاضلة. فيرغب في أن تقدم لهم كتب متميزة تشرح لهم جوهر الإسلام وتشرح لهم سيرة محمد صلى الله عليه وسلم، وتشرح لهم الطريق التي انتهت بالمسلمين إلى هذا المستوى العالي والمكان السامي<sup>(3)</sup>. في حينها يتأتى للمسلمين القيادة

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، أبحاث حول التربية والتعليم، ص132، 133.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 269/1، 270.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 174/3.

الخلقية والروحية، ومسؤولية إنقاذ البلاد والمجتمع من الانهيار الخلقي، والخواء الروحي، والتدهور الاجتماعي الذي تعرضت له هذه البلاد، حكومة وشعباً، وحتى تهيباً للإسلام أن يثبت جدارته في توجيه الحياة، ويتهباً للمسلمين أن يقوموا بدورهم البلاغي والقيادي في هذه البلاد<sup>(1)</sup>.

أما مكافحة المشكلات والعراقيل والمحن التي تعترضهم كل حين، فقد قدم الندوي جملة من النصائح تتمثل في؛ توثيق الصلة بالله، والتضرع إليه، مع تجنب المعاصي والذنوب، وتأدية الحقوق، والتحلي بشيء من الورع والتقى والعفاف والزهد، وأن يؤدوا مسؤولياتهم كدعاة وهداة، والتعريف بالإسلام، وانتهاز كل فرصة للدعوة إلى الله، وأن يتصفوا بصفات يتميزون بها عن غيرهم، من الصبر والجلادة، والحلم والأناة والجود والكرم، والإيثار والتضحية، والعزم واليقين، والبطولة، احتساباً لله وثقةً بنصره، كما نبه على أهمية التعليم الديني، والتربية الإسلامية، وترسيخ العقائد الإسلامية، والأحكام الشرعية، والأخلاق الفاضلة، والثقة بالإسلام من ناحية شموله وكمال، وصلاحيته في إنقاذ البشرية التائهة<sup>(2)</sup>.

### ثانياً: تجربة الندوي الدعوية في الهند

أهم ما تركز عليه دعوة الندوي صناعة الشخصية المسلمة التي تكسب ثقة الفئات غير المسلمة، لذا قامت دعوته على بناء المفاهيم الصحيحة للدين، ولمتطلبات الدعوة من الحكمة والبصيرة، ومراعاة الظروف والبيئات، والمرونة واللين، والتركيز على إثارة المشتركات الإنسانية، بين أفراد وفئات المجتمع على اختلاف انتماءاتها الدينية ومعتقداتها.

ويذكر لنا الندوي منهجه في قوله: «قادني جهازني الفكري والتربوي - الذي لم يكن قد ترك عمله ولم يطبق عينه عن الظروف والأوضاع المحيطة، والذي وضع نصب عينه دائماً تجارب الماضي وحقائق الحاضر وأخطار المستقبل - إلى اتجاه جديد وتجربة في المجال الدعوي الشعبي، وهو عقد اجتماعات مشتركة شعبية، يدعى فيها غير المسلمين أيضاً باهتمام بالغ، لاسيما المثقفين منهم، وتلقى فيها خطابات مع مراعاة أجوائهم وعقلياتهم، تعرفهم بالإسلام وتزيل الوحشة منه وسوء التفاهم، وتحملهم على دراسة الإسلام والسيره

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، محاضرات إسلامية، مصدر سابق، 269/1، 270.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 90، 91.

بعمق وإنصاف، وتجسّم لهم الأخطار المحدقة بالبلاد، وإيفلاس الروحي والعقائدي والانهيّار الخلقي، وسيطرة النظر المادي، الشره للمال على المجتمع، وينذرهم بفداحة الخطب وقرب الخطر، وذلك كله باللغة التي يفهمونها أكثر، وبالأسلوب الذي يؤثر فيهم»<sup>(1)</sup>.

كان لتأسيس "ندوة العلماء" الأهمية الكبيرة التي مهدت للندوي عمله الدعوي وقد زاد في نشاطها وتميزها بعد أن استلم قيادتها، فأسهمت في إعداد الشخصيات الدعوية المتميزة، وكافحت في سبيل حماية الدين من التحريفات، ومن الهجمات التي تحاك حوله، وحملات التشكيك في كل مرة<sup>(2)</sup>.

وقد كانت تشتمل على منهج دعوي وسطي يجمع في أسسه بين القديم الصالح والجديد النافع وبين التصلب في الأصول والغايات، والتوسع والمرونة في الفروع والآلات..، كما اتجهت إلى تجديد المناهج وتوسيعها وتطويرها، إيماناً منها بأن العلوم الإسلامية علوم حيّة نامية، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد ومسايرة العالم الجديد وتجدد حاجاته. وقامت على شرح الإسلام وحقيقته وأهميته للشعوب والمجتمعات<sup>(3)</sup>.

وإضافة إلى دعوة الندوي العملية ومحاولته تحقيق التعايش بين فئات المجتمع الهندي فقد اتجه إلى إنشاء "حركة رسالة الإنسانية" التي قدمها الندوي للجالية والأقلية المسلمة في البلدان غير الإسلامية كمنهج أكد على حتميته ونجاحه، وهو الوسيلة الوحيدة لتقريب الأذهان، وإزالة سوء التفاهم، وتهدئة الجوّ، وتأمين الحياة، وإقرار السلام، وصيانة العزّ والشرف إلى أبعد حدّ ممكن.

<sup>1</sup>: الندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 1/ 247.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، موقف المسلمين في الهند من التعليم والتربية ودورهم في إثراء التاريخ الإسلامي، المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء، الهند، 1418هـ، 1997م. ص 32-34.

<sup>3</sup>: ينظر: الندوي، المسلمون في الهند، مصدر سابق، ص 138، وينظر: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، مصدر سابق، ص 77-82، وينظر: أضواء على الحركات والدعوات الدينية، ص 41-50، وتفاصيل دواعي الإنشاء، والأهداف، والمنهج والمقررات الدراسية، ونظام العمل لندوة العلماء. ينظر: الندوي، المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي، دار العلوم، الهند، (د، ط)، (د، ت).

لم تكن فكرة "رسالة الإنسانية" مجرد فكرة عابرة، كانت من قبيل الترف الفكري، بل وليدة الحاجة للحفاظ على الجوّ الذي يصنع التعايش، ويبعث على حسن الظن، ويحارب العصبية والتطرف، والقوميات، وإن كانت في أساسها أفكار جسدها الندوي بقلمه، إلا أنه سعى إلى أن تنمو وتتطور إلى أن تصير حركة لا تقتصر على المسلمين فحسب؛ بل يشارك فيها كل العقلاء الوسطيين، لذا نجده قبل أن ينصب شروطها ويعرض مضامينها، لجأ إلى عقد اتصالات وروابط بالقادة والزعماء والمفكرين، وكبار الشخصيات الدينية، والمصلحين الدينيين من مختلف الديانات، فأجرى لقاء مع "ونوباهوي" و"جي بركاش نارائن"، و"سائين بابا" أحد كبار الكهنة الهندوس، وزعماء الحركة الهندوكية الطائفية..، وقد تجاوب لفكرته الكثير من غير المسلمين<sup>(1)</sup>.

وقد حوى مضمونها جملة من المرتكزات منها: "الحوار لإزالة سوء التفاهم"، "لكل إنسان داران"، "فساد المجتمع لا يقتصر على أفراد فحسب"، "وياء العصر"، "شيوع الفساد"، "مسؤولية المسلمين". وقد أبدى بعض الزعماء وقادة البلاد نيتهم بإجراء اتصال مع زعماء هذه الحركة لتنمية هذه الجهود<sup>(2)</sup>. وهذه المنطلقات هي التي أثار من خلالها الحس الإنساني للاجتماع على الروابط الإنسانية المشتركة التي تقضي على العنف والتطرف والظلم، وتهيئ جوّ التعايش والسلم.

تتركز الدعوة الإسلامية في فكر الندوي على الأسس القرآنية، فدعوة الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم أهم مقومات للدعوة الإسلامية عنده، مضيفا إلى أهم السمات التي يستلزم أن تحققها الدعوة الإسلامية، وأخيرا يقدم لنا تجربته الدعوية في البلاد غير الإسلامية، لتختتمها بعد ذلك برسالة الإنسانية كرسالة دعوية إنسانية راعت جميع أطياف فئات المجتمع وتياراته الفكرية والعقدية وأنماطه الثقافية. وقد أحرزت نجاحات جد مهمة.

<sup>1</sup>: ينظر: محمد واضح الندوي، الشيخ أبو الحسن الندوي قائداً وحكيماً، مرجع سابق، ص 68، 69.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، في مسيرة الحياة، مصدر سابق، 265/2-270.

### المطلب الثالث: عوامل النهضة الاجتماعية في فكر الندوي

تناول هذا المطلب ثلاثة فروع؛ الأول في إصلاح أخلاق المجتمع وتربيته، والثاني في الجانب الاقتصادي.

#### الفرع الأول: إصلاح أخلاق المجتمع وتربيته

يولي الندوي تربية المجتمع الخلقية أهمية بالغة، باعتبارها الجو الذي تنتمي فيه الصفات، ويجد فيه الأفراد القدرة على الإبداع في القيم ولهذا سعى الندوي إلى تقويم هذا العامل. في جملة من الرؤى.

#### أولاً: الحسبة<sup>(1)</sup> على المجتمع

من أهم الجهود التي قدمتها الشخصيات الإصلاحية في تاريخ الأمة الإسلامية؛ الحسبة على المجتمع، والتصدي لانحرافاته، ومحاربة الفساد الذي يقع فيه، وقد رأينا أن الندوي لم يغفل ذكر هذا الدور المهم الذي قامت به الشخصيات الإصلاحية، وخاصة ما قام به "الحسن البصري" و"الإمام الغزالي" و"عبد القادر الجيلاني" من الحسبة على المجتمع في أخلاقه وعقائده.

ومن هنا يتضح أن أول مقومات النهضة الاجتماعية في فكر الندوي وجود الشخصيات الإصلاحية التي تحارب الفساد في المجتمع وتحفظ للناس أخلاقهم ودينهم بخطاباتها ومحاضراتها ومواعظها الخالصة، وتكون قدوة دينية ونماذج عملية. وقد لمسنا هذا الدور في جهود الندوي الإصلاحية، فقد اهتم الندوي كثيرا بمشاكل المجتمعات العربية والإسلامية التي عايشها وشاهد أحوالها، وظروفها، ومستواها من الأخلاق والدين، وما تعانيه من انحرافات.

إن غياب الحسبة على المجتمع وأخلاقه، وغياب القائمين عليها من أولي الفضل المخلصين، تتحرف المجتمعات، وتضطرب شبكتها الاجتماعية المتينة، وتهزل، ويغيب

<sup>1</sup>: الحسبة في مفهومها هي إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصيانة للمجتمع من الانحراف، وحماية للدين من الضياع، وتحقيقاً لمصالح الناس الدينية والدنيوية وفقاً لشرع الله تعالى، وقيام أمرها موكل في الأساس إلى ولي الأمر، وهذا هو جوهر الفرق بينها وبين الأمر بالمعروف، إلا أننا نجد الندوي قد وظفها كمرادفة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستعملهما في معنى واحد، ولم يقصره على أولي الأمر. ولعل الأمر في ذلك أن ولاية الأمور والحكام هم أول من فرطوا في هذه الفريضة، وأهملوها وكانت أعمالهم تحتاج إلى حسبة بالأساس.

دورها الفعال النموذجي. ويفقد المجتمع خصائصه كمجتمع مسلم يقوم على العدل والرحمة والمساواة والفضيلة، وفي غياب المجتمع المسلم "النموذج" المنشود تضحل الكفاءات والقيادات الحَقَّانية، ويتراجع الدور التكاملي بين الفرد والجماعة، وتضيع القدرات وتعيش الكفاءات على هامش الحياة الإسلامية لا تجد مكانها في هذا المجتمع الذي تغيرت معايير التفاضل فيه.

وإن عدّ الندوي أن الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من منن الإسلام التي جاء بها، وخصيصة من خصائص الأمة المسلمة<sup>(1)</sup>، إلا أننا نجد هذه الخصيصة قد تراجعت قيمتها على مستوى السياسات الحاكمة التي حصرت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جوانب هامشية جدا من الحياة الإسلامية، حفاظا على مصالحها؛ فسياسة: "والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه" التي حلت محل "إن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني" كانت قد حدثت من حرية هذه الفريضة ونطاقها، وبقيت متمثلة في جهود أفراد من خواص هذه الأمة المصلحين الذي لا يخافون في الله لومة لائم<sup>(2)</sup>.

### ثانيا: أهمية العبادات في تثبيت المجتمع وتقوية علاقته

للعبادات دور جدّ هام في تقوية الجانب الروحي والمعنوي في الإنسان، فصلاح باطن الإنسان يظهر في سلوكاته وفي صلاح جوارحه، ولا تتحسر العبادات في علاقة الإنسان بخالقه فحسب، فتأثيرها الروحي والإشعاعي ينعكس بالضرورة على علاقة الفرد بالجماعة وبالمجتمع، وخاصة أن العبادات -أهمها الصلاة والزكاة والصوم والحج- تؤدي في جوّ جماعي وضمن الوحدة. فليس من الصواب الحديث عن النهضة بواقع المجتمعات المسلمة إغفال العبادات وأهميتها، إذ أن الإسلام الذي تحب أن نتسمى به هذه المجتمعات لا يجب أن يجرّد من صفة "التكامل"، «فلا تنمو العقيدة بدون غذاء من العبادة، ولا تغني العبادة إن لم تنتج بنظام وتشريع للحياة، ولا يستقر هذا التاج إلا فوق

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، الإسلام أثره في الحضارة، مصدر سابق، ص95.

<sup>2</sup>: ينظر: محمد الغزالي، الإسلام والاستبداد السياسي، مرجع سابق، ص43.

بنية من العقيدة الراسخة والعبادة المستمرة الصادقة لله عزّ وجلّ، حلقات ثلاث، متصلات مترابطات، لا يتكون الإسلام إلا من مجموعها، ولا يطبق إلا بمجموعها، ولا ينهض المجتمع الصالح السعيد إلا على مجموعها»<sup>(1)</sup>.

ألف الندوي كتابه "الأركان الأربعة" وبين أهمية بعدها الروحي، ودورها البلاغي على مستوى الفرد والجماعة والمجتمع، ومركزيتها من الدين، وكان هذا دفاعا على مكانة العبادات من الدين، وتقنيده دعوى أن العبادات مجرد وسائل لتحقيق الحكومة الإسلامية الذي ناقشها وردّها على المودودي ضمن انتقاداته من كتابه "التفسير السياسي للإسلام". والذي يهمننا من هذا؛ البعد الاجتماعي الذي تحققه هذه الأركان الأربعة وإسهاماتها في إنشاء روابط اجتماعية متينة تبني مجتمع متماسك، تدعم علاقاته في ظل التنافس من أجل تحقيق الكمال الإنساني. فمتى سعت النفوس إلى تحقيق العبودية الكاملة، وجدنا صفات الأنا تضحل، وتثمر الأخلاق التي تغذي شبكة العلاقات الاجتماعية، مما يساعد الأمة تجاوز الكثير من العقبات الاجتماعية والاقتصادية منها.

تمثل الصلاة أبرز مظاهر الوحدة الإيمانية التي يجليها خضوع المسلم والتذلل بين يدي الله، واجتماعهم على قبة واحدة، فالصلاة هي المنبع المغذي لكل القيم الاجتماعية والمثبت للروابط عن طريق تنميته للبعد الروحي في النفس.

وتلي بعد ذلك فريضة الزكاة التي تخدم مصلحة الجماعة والمجتمع، فتكفل للمجتمع الكفالة اللازمة الضرورية، تسد حاجات الفقراء الطبيعية البدائية، وتهيئ كل عضو من أعضاء المجتمع أسباب الحياة الشريفة التي يستطيع بها القيام بحقوق الله وحقوق النفس، والوصول إلى الكمال المطلوب، والغاية المطلوبة من كل فرد مسلم<sup>(2)</sup>، وإضافة إلى الزكاة كان الإيثار بالصدقة التي أمر بها الإسلام مواساة للمسلم وقضاء لحاجته، ورفعاً لمستواه وحفظاً لكرامته<sup>(3)</sup>.

«ولا يزال المجتمع الإسلامي على علته وعلى أدوائه الكثيرة، التي لم يزل المصلحون يحاربونها أفضل المجتمعات في عاطفة البر والمواساة، التي تغلغت بفضل التعاليم

<sup>1</sup>: البوطي، العناية بالعبادات أساس لا بد منه لتثبيت المجتمع الإسلامي، إدارة البحوث والمعلومات، دط، دت، ص32.

<sup>2</sup>: ينظر: الندوي، الأركان الأربعة، مصدر سابق، ص112، 113.

<sup>3</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص142.

الإسلامية في أحشائه، وأكثرها تحرراً من عبادة المادة والمعدة..، فكانت هذه سمة المجتمع الإسلامي، رغم أنه بلغ منتهى الضعف في العصر الأخير، وكان أكثر استعداد وقابلية للتقدم في مضمار العدالة الاجتماعية، وتحقيق المثل الإنسانية العليا من كل مجتمع بشري، لخضوعه للمبادئ الإسلامية في قليل أو كثير، ولوجود الرباط الإيماني الذي يربط أفراداه ويجمع أشتاته»<sup>(1)</sup>.

أما الصوم فهو الركن الذي يثير في النفس الإحساس بالطبقات المحرومة ويشاركهم الحال نفسه من الصبر على الجوع والعطش، ويقوم النفس عن طريق إلزامها بتجنب كل مفسدات الصوم، ومن «توسعت للحياة، وتعمقت معرفته للدوافع النفسية، والعوامل الخلقية والاجتماعية، وقف خاشعاً أمام هذه الحكمة، والعلم الدقيق العميق»<sup>(2)</sup>. ويسهم الصوم في تحقيق جوّ عالمي تتقوى فيه النفوس وترتقي في العبادات والطاعات. وتصنع جوّاً من التكافل.

في حين يمثل الحج أهم مآثر الملة الإبراهيمية الذي يجسده البيت الحرام والذي يعطي للأمة بعدها القرآني في المفهوم، فكان من مقاصد الحج في رؤية الندوي تجديد «الصلة بإمام الملة الحنيفية ومؤسسها إبراهيم الخليل، والتشبع بروحه، والمحافظة على إرثه، والمقارنة بين حياتنا وحياته، وعرضها عليها، واستعراض ما يعيش فيه المسلمون في العالم، وتصحيح ما وقع في حياتهم من أخطاء أو فساد، أو تحريف، وإعادة ذلك كله إلى أصله ومنبعه، فالحج عرضة سنوية للملة تضبط أعمال المسلمين وحياتهم، ويتخلصون بها من نفوذ الأمم والمجتمعات التي يعيشون فيها»<sup>(3)</sup>. فأهم ما يعود به الحجاج من بيت الله إلى مجتمعاتهم جملة الخصائص الإبراهيمية من الألفة والإيمان والوحدة والتضحية من أجل تحقيق نموذجية المجتمع المسلم.

وبناء على هذا يتضح مدى أهمية العبادات في تنمية العلاقة الروحية بين الإنسان وخالقه، وتأثير هذه العلاقة الروحية على علاقة الفرد بأخيه ومجتمعه. فتناسب العلاقة

<sup>1</sup>: الندوي، الأركان الأربعة، مصدر سابق، 154، 155.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، ص202.

<sup>3</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص233.



طرديا فكلما قويت العبادات بشكلها وجوهرها توثقت العلاقة داخل المجتمع وكلما ضعفت وكسفت شمسها ضعفت العلاقة ووهنت قوتها.

### ثالثا: أهمية دور المرأة في المجتمع

يعتبر الندوي أن للمرأة المسلمة الصالحة دورا هاما في المجتمع الإسلامي في تاريخه الطويل ولولاها لما استنطاع المجتمع الإسلامي الحفاظ على عقيدته الإسلامية وآدابه وبقائه على نمط الحياة الإسلامية، ويؤكد الندوي أن مسؤوليات الفتاة المسلمة مستمرة وخاصة أمام واقع العالم الإسلامي المتردي والخاضع لتأثير الغزو الفكري المنظم والمؤسس بشكل دقيق عميق، وقد كانت دعاوى تحرير المرأة أهم المخططات لإضعاف المجتمعات الإسلامية واستعمال المرأة كوسيلة للإفساد، ابتداء من هز أركان الأسرة وإضعاف دورها الإصلاحية في المجتمع.

وعلى هذا يرى الندوي أن مواجهة الحضارة الغربية القوية المتدفقة، والتخلص من مواطن الضعف فيها، واقتباس مواضع القوة فيها مرهون بمدى قيام الأسرة المسلمة بواجبها ورسالتها، وبخصائصها، فنشوء الجيل على الحياة الإسلامية في أخلاقه وسلوكه وتفكيره تقع مسؤوليته على عاتق المرأة المسلمة، إذ هي المدرسة الأولى التي يتزرع النشء في أحضانها وينبت في كنفها.

وعلى هذا فإننا نجد محل المرأة في مشروع الندوي النهضوي جدّ مهم -رغم قلة حظه من التذكير به على غرار المجالات الأخرى التي أولاهها الاهتمام الأكبر من التذكير بالأهمية مرارا وتكرارا في سفره وحضره- فأول ما ابتدأ به الندوي في هذا الشأن ذكر المنة التي جاءت بها النبوة وكانت أهم المبادئ الكبرى التي منحها الإسلام، فكان رد الاعتبار إلى المرأة ومنحها حقوقها وحظوظها من أهم المزايا التي ضمنها الإسلام للمرأة. نذكر منها:

### أ-مقام التربية الإيمانية والروحية للمرأة

من الأهم الإحاطة بالمقام الذي منحته الإسلام للمرأة لإدراك الدور الذي يمكن أن تحقّقه في ظل الأزمات؛ وكذا قدرتها على خلق الحلول التي تمنحها عندما توضع في مكانها الذي أبلغه الإسلام لها.

إن أهم المقامات العظمى التي أعادها الإسلام للمرأة مقام التكريم ورفع الشأن، ونبذ كل ما يقلل من شأنها ويعيدها إلى المنزلة السوداوية التي كانت على أساسها تعامل المرأة، سواء في سابق الأمم والشعوب أو على مستوى العصر الجاهلي، ونجد ذلك متجليا ذلك فيما قدمه القرآن في خطابه للمرأة فجعل منها إنسانا كاملا لأهلية، ومحلا للتكليف شأنها شأن الرجل، ولم يستثنيتها من خطابه فجعل منزلة المرأة والرجل على أساس العمل الصالح قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل، :97]. وأقام التسوية والموازنة بينهما في الحقوق الإنسانية العامة، وفي الحقوق والواجبات، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة البقرة، :228].

وجعل المثل الكامل والشرط لبلوغ المنزلة العليا في الكرامة الإنسانية التقوى، بصرف النظر عن الجنس والنسل والدم..، وهذا كله كافل ليحفز الهمم ويشحذها، ويشير الاعتزاز والثقة في نفس المرأة والابتعاد عما يسمى في علم النفس الحديث بمركب النقص<sup>(1)</sup>. والأبعد من ذلك أن يذهب القرآن بمنزلة المرأة إلى أن تكون نموذج للإنسانية والمثل الأعلى قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَاتٍ فَرَعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [سورة التحریم: 11]، و كذلك مريم بنت عمران عليها السلام ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْإِسْلَامِ وَهُدًى وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ﴾ [سورة التحریم: 12].

#### ب- تعليم المرأة

تحقيقا للدور الهام الذي تؤديه المرأة المسلمة في المجتمعات المسلمة، يرى الندوي أن أهم دور يقع على عاتقنا تعليم الفتاة المسلمة وتأهيلها لوظيفتها في المجتمع المسلم، وعيا، وخلقاً، وعلماً. وعلى هذا يؤكد على أن مسألة تعليم المرأة مسألة ذات خطورة فهي

<sup>1</sup>: ينظر: الندوي، الإسلام أثره في الحضارة، مصدر سابق، ص59، 60.

تحتاج «إلى دقة، واستقلال فكري، وتحرر من تقليد مفهوم التعليم النسوي الذي أخذت به الأقطار الغربية والشرقية في الظروف التي تختلف عن ظروفنا كل الاختلاف، وتحتاج إلى تخطيط فيه الإبداع، وفيه الأصالة، وفيه الذكاء، وفيه الجرأة»<sup>(1)</sup>، كما نبّه على أن أعظم أسباب «الانحطاط والفوضى التي أدت إلى زوال الأمم وانقراضها، وانحطاط المدنيات وانهارها، هو تفكك نظام الأسرة، واختلال الميزان في الحياة المنزلية، وزهد النساء فيها، والتهرب من مسؤولياتها، وانتشار السفور الوقح، والتبرج الجاهلي»<sup>(2)</sup>.

### الفرع الثاني: الجانب الاقتصادي لنهضة المجتمع في فكر الندوي

لم يعط الندوي تفصيلاً ملحوظاً يرتقي لأن يكون رؤية تختص بنهضة اقتصادية، على غرار جملة من المفكرين كبار الصدر مثلاً في كتابه: "اقتصادنا"، أو مالك بن نبي في "المسلم في عالم الاقتصاد" وغيرهم، إلا أننا نجد فكره لا يخلو من طرح بعض الآراء في سبيل قيام النهضة الاقتصادية على وجه العموم؛ منها:

#### أولاً: القوة الصناعية والحربية

نبّه الندوي على ضرورة كسب القوة المادية التي عدّها من أهم مقومات الأمة المسلمة التي تحفظ بها هويتها وكرامتها وتقرب بها وجودها وتعزز مكانتها وسط الأمم، وبها تحترم رسالتها، وعلى هذا النحو يقول الندوي: «ولكن مهمة العالم الإسلامي لا تنتهي هنا، فإذا أراد أن يضطلع برسالة الإسلام ويملك قيادة العالم فعليه بالمقدرة الفائقة، والاستعداد التام في العلوم والصناعة والتجارة وفن الحرب، وأن يستغني عن الغرب في كل مرفق من مرافق الحياة، وفي كل حاجة من الحاجات، يقوت ويكسو نفسه، ويصنع سلاحه، وينظم شؤون حياته، ويستخرج كنوز أرضه وينتفع بها، ويدير حكوماته برجاله وماله، ويمخر بحار المحيط به بسفنه وأساطيله، ويحارب العدو ببوارجه ودباباته وأسلحة بلاده، وتزيد صادراته على وارداته، ولا يحتاج إلى الاستدانة من الغرب، ولا يضطر إلى أن يلجأ إلى راية من راياته وينظم إلى معسكر من معسكراته»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>: الندوي، أبحاث حول التربية والتعليم، مصدر سابق، ص 57.

<sup>2</sup>: المصدر نفسه، ص 58.

<sup>3</sup>: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص 236.

ومن غير إحراز لهذه الخطوة يبقى «العالم الإسلامي خاضعاً للغرب في العلم والسياسة والصناعة والتجارة، يمتص الغرب دمه، ويحفر أرضه فيستخرج منها ماء الحياة، وتغزو بضائعه أسواق العالم الإسلامي وبيوته وجيوبه كل يوم فتستخرج منها كل شيء، وما دام العالم الإسلامي يستدين من الغرب الأموال، ويستعير منه الرجال، ليديروا حكومته، ويشغلوا الوظائف الخطيرة ويدربوا جيوشه ويستورد منه البضائع ويجلب منه الصنائع، وينظر إليه كأستاذ ومرب، وسيد ورب، لا يبرم أمراً إلا بإذنه ولا يصدر إلا عن رأيه، فلا يستطيع أبداً أن يواجه الغرب فضلاً عن أن يناهضه ويغالبه..، فإن فرط العالم الإسلامي مرة ثانية في الاستعداد العلمي والصناعي والاستقلال في شؤون حياته كتب الشقاء للعالم وطالت محنة الإنسانية وبلاؤها..»<sup>(1)</sup>.

ما قدمه الندوي من رؤية في الجانب الاقتصادي -رغم أهميتها- لا تتعدى شكل النصيحة للعالم العربي والإسلامي ولعل الأمر الذي جعل نظرة الندوي محدودة جداً في الشأن الاقتصادي هو اعتقاده أن الواقع الاقتصادي لا ينطوي على أزمت حقيعية، فقد أشاد بالثروات والخيرات والمؤهلات التي تمتلكها البلدان الإسلامية، وإنما الواقع الاقتصادي مرهون بمدى صلاح المنظومة السياسية، واستقلاليتها عن التبعية للغرب، وبناء شخصيتها المسلمة، وتشجيع كفاءاتها العلمية على الابتكار وتوفير كل متطلبات الإبداع العلمي. والسعي وراء تحقيق العدالة الاجتماعية. يؤمنون ثروات بلادهم من الأيدي الأجنبية التي تهيمن عليها الشركات والمؤسسات الاستثمارية الغربية.

وهذا ما ركز عليه خاصة عند حديثه عن أهمية العالم العربي في قيادة الأمة الإسلامية، حينما قال: «إن العالم العربي لا يستطيع أن يحارب الغرب -إذا احتاج إلى ذلك ودعت إليه الظروف- وهو مدين له في ماله، عيال عليه في لباسه وبضائعه، لا يجد قلماً يوقع به على ميثاق مع الغرب إلا القلم الذي صنع في الغرب، ولا يجد ما يقاوم به الغرب إلا الرصاص الذي أفرغ في الغرب، إذ عارا على الأمة العربية أن تعجز عن الانتفاع بمنابع ثروتها وقوتها، وأن يجري ماء الحياة في عروقها وشرابها إلى أجسام غيرها وأن يدرّب وكلاء الغرب وضباطه، ويدير بعض مصالح حكومتها رجاله، فلا بد للعالم العربي أن

<sup>1</sup>: الندوي، ماذا خسّر العالم، مصدر سابق، ص236.

يقوم هو بنفسه بحاجاته: تنظيم التجارة والمالية، وحركة التوريد والتصدير والصناعة الوطنية، وتدريب الجيوش، وصنع الآلات والماكينات وتربية الرجال الذين يظلمون بجميع مهمات الدولة ووظائف الحكومة في خبرة ومهارة فنية، وأمانة ونصيحة»<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: محاربة الطبقة والفروق في المعيشة

حذر الندوي من وجود التفاوت الفاحش في مستوى المعيشة، وأن يبقى الغنى في يد الطبقة الحاكمة تعبت به، في حين لا يجد الناس من القوت ما يقيم صلبهم ومن الكسوة ما يستترهم، فيكون حظهم الكدح والإنتاج، ويشقى أهل الصناعة وأهل الذكاء وأهل الاجتهاد وأهل المواهب وأهل الصلاح، في حين تتلهى الطبقة الأولى بثمرات هؤلاء وتتنعم، ولا تحسن غير التبذير، ولا تعرف غير صناعة الفجور..، وقد عدّ الندوي أن هذا الحال -الذي حدث في عهود من التاريخ وبقي مدة طويلة عن غفلة من الأمة أو على الرغم منها- خليق بأن ينهار ويتداعى بصحوة الوعي في الأمة ومحاسبتها نفسها وأفرادها<sup>(2)</sup>.

« فالأثرة فردية كانت أو عائلية أو حزبية أو طبقية - غير طبيعية في حياة الأمة وإنها تتلخص منها في أولى فرصة، إنه لا محل لها في الإسلام ولا محل لها في مجتمع واع بلغ الرشد ولا أمل في استمرارها، فخير للمسلمين وخير للعرب وخير لقادتهم وولاة أمورهم أن يخلصوا أنفسهم منها ويقطعوا صلتهم بها قبل أن تغرق فيغرقوا معها»<sup>(3)</sup>.

ومن أخطر المشاكل التي تتعرض لها المجتمعات بسبب هذا الواقع، حدوث انشقاق بين المجتمع، ووقوع الجرائم وانحرافات الأخلاق، وتدهور القيم، ونشوء سوء الظن بين الطبقة الفقيرة الكادحة الشقية في الحياة وبين الطبقة الغنية المترفة المتنعمة. ولعل أهم حلّ لهذه الأزمة عجلة الطبقات الحاكمة التي تملك زمام البلاد ضمان أولويات الحياة والضروريات منها.

<sup>1</sup>: الندوي، ماذا خسر العالم، مصدر سابق، ص253.

<sup>2</sup>: ينظر: المصدر نفسه، ص250.

<sup>3</sup>: المصدر نفسه، ص251.

**خلاصة الفصل** فإن النهضة في فكر الندوي تتلخص في عوامل أساسية أولها؛ العامل الثقافي الذي شمل كلا من النهضة العلمية والفكرية، وقد كانت للندوي رؤية مستقلة لكل منهما. فتمثلت النهضة العلمية في إعادة بناء المنظومة التربوية والتعليمية بناء تراعي فيه القيم والمبادئ، وترسخ في الناشئة الاعتزاز بتراثها، ويحفظها من مركب النقص أمام الحضارة الغربية، أما الهدف الثاني فهو قائم على تكوين القدرات والكفاءات العلمية التي تحقق الكشوفات العلمية الجديدة وتسد الفراغ والحاجة إلى علوم الغرب. إضافة إلى التحقيق قضايا التراث وسد الثغرات التي ينفذ منها الاستشراق المشكك.

في حين كانت نظرتة الفكرية باستحضار المواقف التي مثلتها الشخصيات التاريخية والتي خدمت جوانب فكرية مختلفة، فسددت الفكر الإسلامي، وحفظت الدين، لينتقل بعد ذلك إلى التنبيه على أهم خطر يهدد الكيان الإسلامي والشخصية المسلمة، المتمثل في الحضارة الغربية وأثرها على الحياة الإسلامية، في ظل الضعف التي تعيشه الأقطار العربية والإسلامية، ليقدم بعدها الندوي على طرح رؤاه للخروج من هذه الأزمة ابتداء من بناء مفهوم "الحضارة" وإعطائها البعد الديني، والوقوف على الفراغ التي تعانيه كلتا الحضارتين، ليؤسس على إثرهما العلاقة بين الحضارتين الغربية والإسلامية عن طريق تبادل المؤهلات الحضارية والجمع بين القوى النفسية الروحية والمادية، وأخيرا يتوج هذا التنظير بإسهامات في كلا المجالين العلمي والفكري عن طريق البحث والتأليف.

أما العامل السياسي فالخارطة السياسية تتلخص عند الندوي في توافر القيم الإسلامية التي استخلصها من بطولات الشخصيات في محطات تاريخية مختلفة، والتي تخدم مصالح الأمة وتحفظ العمل السياسي من تكرار الوقوع في الانحرافات التي عانت منها الأمة في واقعها التاريخي الطويل، ثم يؤسس بعدها الشروط لضمان نتائج حسنة للعمل السياسي أهمها؛ إيجاد الوعي السياسي في الأمة، ثم المحاسبة السياسية وبيان أهميتها في حفظ مصالح الأمة، ويطرح بعدها نظرتة التغييرية للواقع السياسي على اختلاف حيثياته؛ فمن حيث وقوع البلد المسلم تحت وطأة الاستعمار فالجهاد في الله سبيل وإخراج المستعمر، وتحقيق استقلالية البلاد وإقامة الحكومة الإسلامية وإعادة سيادة البلاد هو

الحل الوحيد الذي لا مناص منه. أما حال وجود أقلية مسلمة في بلاد غير إسلامية، فإن الندوي يدعو هنا إلى الالتزام بنظام البلد وقوانينه والانضباط، في حين إن كان البلد مسلماً بالأساس ففكرته التغييرية تكون عن طريق العمل الهادئ الذي يكسب ثقة الطبقة الحاكمة وينفذ تأثيره فيها، والحرص على تغييرها وإقناعها بحتمية الحل الإسلامي وإعادة ثقنها بالإسلام، دون اللجوء إلى الصراعات وتعريض البلاد للفتن والمكائد والفوضى. ومحاولة استبدال طبقة حاكمة بطبقة أخرى.

وبعدها تطلعنا إلى جملة جهود الندوي في سبيل نهضة سياسية مستوفية كل المقومات الأخلاقية والفكرية والمؤهلات العلمية، وذلك ما تجلّى في مراسلاته للحكومات في البلاد العربية والإسلامية ولقاءاته وما تضمنته من نظرات في سبيل النهوض بواقع الأمة المتأزم. أما جهوده السياسية في الهند على اختلافها، فحقق من خلالها نجاحات كبيرة خاصة في الحفاظ على جوّ التعايش، وتحقيق السلم عن طريق مراسلاته للأحزاب والعاملين السياسيين وقادة الحركات الدينية المؤثرين في البلاد. ويختتمها أخيراً برسالة الإنسانية الذي قدمها كدستور يحمل بنوداً راعى فيه جميع الحقوق والواجبات، ووصفاً شتى المقومات للحفاظ على الهند دولة ومجتمعاً. أفراداً وجماعات.

أما النهضة بالحياة الدينية والاجتماعية فبيئتئها الندوي بالتذكير بأهمية القرآن الكريم والإقبال عليه دراسة وتدبراً باعتباره المصدر الأصيل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الضامن لحياة مثلى، وذلك لما يتضمنه من حلول ومفاتيح لكل المشاكل التي تعترض الحياة مشروطاً بالندوي في دراسته الالتزام بجملة المؤيدات وتجنب الموانع التي عرضها، ويلى بعد القرآن الكريم الحياة النبوية التي تعدّ القرآن العملي، منبهاً على الأسس اللازمة في دراسة حياته صلى الله عليه وسلم سنة وسيرة.

أما مشكلة الفكر المادي، فقد عالجها بمقومين أحدهما؛ توظيف الدراسات القرآنية، وقد قدم لنا في ذلك نموذجاً حينما استخلص في دراسته لسورة الكهف الحل الإيماني والبعث الروحي في حياة المسلم وما لذلك من أهمية لدفع الآثار السلبية التي أحدثها الفكر المادي. ويبرز لنا جانباً آخراً يقدمه لنا القرآن كحلول مثلى للفكر المادي، وهو دعوة

الأنبياء التي عرضها القصص القرآني كثرة على التفكير المادي المعادي للغيب والبعد الروحي. أما المقوم الآخر الذي يخلص الأمة من هيمنة الفكر المادي وأخطاره هو التربية الروحية أو التصوف أو الريانية الصادقة، ولضمان سير هذا الحاجه الماسة التي تسد الفراغ الأكبر في الحياة الإسلامية عرض الندوي النماذج التي مثلت هذه الفريضة تمثيلا كاملا وأعطت الصورة الحقّة له تربية وسلوكا.

ويقدم شروطا تعدّ إرشادات وتوجيهات منه للصحة الإسلامية ورسم الضوابط اللازمة الضامنة لنتائج إيجابية تعود على الحياة الإسلامية بالنفع الكثير.

ليأتي على الدعوة الإسلامية ذكرا لمصادرها، من القرآن والسنة، وحياة النماذج الدعوية من المصلحين. والتركيز على سمات الدعوة الإسلامية، مذكرا بالمنهج الدعوي الخاص في البلاد غير الإسلامية الذي يقع على عاتق الجالية المسلمة تمثيله على الوجه الكامل، ليقدّم أخيرا تجربته الدعوية في الهند التي آتت الكثير من المنافع عادت على الهند عامة وعلى الأقلية المسلمة خاصة.

في حين عوامل النهضة الاجتماعية تتجلى في فكر الندوي في ثلاث قضايا؛ أولها إصلاح أخلاق المجتمع وتربيته عن طريق إيجاد النماذج القدوة التي تقيم الحسبة على المجتمع وتقوم على شؤونه تربية وخلقا، ثم التركيز على الدور الإشعاعي للعبادات التي تنمي علاقات المجتمع وتثمنها، ويولي هذين الأمرين دور المرأة المسلمة التربوي في المجتمع وإعداد نواة المجتمع الأولى التي تتجلى في الأسرة المسلمة النموذج.

أما الشأن الاقتصادي فقدم الندوي جملة من النصائح للمجتمعات العربية والإسلامية من ضرورة استقلالية شخصيتها وتعزيز قواها الصناعية والحربية والتجارية، ومجابهة القوة الغربية وأطماعها في ثرواتها، باستغلال ثرواتها بجهودها الذاتية وتأمينها من الاستغلال باسم الشركات الأجنبية المستثمرة الناهبة للخيرات والثروات.

وبهذا يكون الندوي قد أسهم برؤيته في إعطاء ملامح لنهضة الأمة الإسلامية، وفي الوقوف على أهم العوامل التي يمكن أن تخرجها من أزمتها الحضارية.



الجماعة

## الخاتمة

لقد طوبنا مسافة هذا البحث بتسليط الضوء على الأمة الإسلامية وواقعها في تراث الندوي الفكري؛ ابتداء من تصوره للأمة وحدود مفهومها، وعناصر تكوينها إلى تمخض عناء التنقيب عن الأزمة ومظاهرها وأسبابها في طرح الندوي الذي كان وليد هموم وآلام عاشها ضمن الأقلية المسلمة كداعية قد منح حياته في الحلّ والترحال لمشاهدة أوضاع الأقطار العربية والإسلامية، والوقوف على واقعها المتدهور بتفاصيله، ثقافيا، وسياسيا، دينيا واجتماعيا، متتبعا جذور أزمتها وصورها من تحولات كبرى أفرغت الأمة من محتواها القيمي، وشكلها الحضاري من غايات الوجود والنسق المتكامل بين الوحي والكون والإنسان.

مضيفا لشخصيته الفكرية سمة المقبولية العالمية، في إطار تأصيله للحلول وعوامل النهضة الحضارية التي توقض حسّ التأزم في الأمة الإسلامية، والشعور بالحاجة الضرورية إلى بناء مسار حضاري يقيمها من عثرتها التي طال عليها الأمد فزاد شخصيتها ضعفا ووهنا.

وبعد هذا البحث الذي رافق قضية أزمة الأمة ونهضتها في فكر الندوي بتدرج انطلاقا من أول أزمة إلى آخر عامل للنهضة، فقد آلت الدراسة إلى مجموع نتائج وتوصيات أبرزها:

### أولا: النتائج

- 1- إن أول عامل مؤثر في شخصية الندوي؛ عائلته التي اصطبغت بالعلم والرشاد، والصلاح والزهد، منذ توажدها في الهند عن طريق رحلة جدّها "قطب الدين".
- 2- كان لبيئة الندوي ومحيطه العلمي والفكري -الذي تميز باستقلاليته عن الحكومة الهندية سواء في النفقة على مؤسساته العلمية، أو الحرية في وضع المقررات الدراسية واختيار المواد المناسبة في التعليم- دورا ذا أهمية في تكوينه العلمي والفكري.
- 3- تأطرت شخصية الندوي على يد كوكبة من العلماء والمربين أسهمت في كسبه الكثير من المؤهلات الفكرية والتربوية تركت أثرا على منهجه في معالجة قضايا الأمة الإسلامية.

4-تمثلت أول فكرة واقعية دفعت بالندوي للتوجه والانتقال من حدود التعليم إلى سعة عالم الفكر -الذي أثبت فيه رسوخ قدمه-، في ضالة منفعة تلقين العلوم، بسبب تأثير الواقع الفكري الذي يغزو عقول الشباب ويغذيه بأدوات الإعلام والصحافة ووسائل التواصل ويعمل على إحداث تقلبات في نفسيته، ما يجعل منه وعاء غير صالح لتلقي العلوم النافعة وظهور ثمارها.

5-تتلخص صورة الأمة المسلمة في فكر الندوي في أنها "كيان يشارك الأمم في الروابط الإنسانية والعناصر العامة المادية، متميزا عليها في حضور البعد الغيبي الذي يخلق الفضاء القيمي الذي تثمر فيه الأخلاق. مركزا على الخصائص الوظيفية المشروطة من خاصية الوحدة، إلى الخاصية العلمية والحضارية، إلى الرسالية التي سعى لاستئنافها عن طريق التذكير بمعيارتها في اصطفتائها من بين الأمم".

6-تندرج أزمة الأمة الإسلامية في فكر الندوي ضمن ثلاثة صور؛ سياسية، ثقافية، ودينية اجتماعية.

كان انقلاب الخلافة الراشدة إلى ملك عضوض أول بداية للأزمة السياسية، حيث تولى قيادة الأمة الإسلامية -هذا المنصب الخطير- أناس فاقدوا المؤهلات التي توفيتها حقها، وشمل هذا الحكم بني أمية وبني العباس، وقد ترتب عليه جملة من الانحرافات أثرت على حياة الأمة الإسلامية، وتستمر الأزمة لتشمل الحروب الصليبية والغزو التتاري الذي ترك وبالا كاد يفتك بكيان الأمة آنذاك، وبعدها الضعف الذي مس القيادة العثمانية، وما ترتب عليه من تشتت وتمزق للعالم الإسلامية، وذهاب الوحدة الإسلامية، وفي مقابل ذلك قامت النهضة الأوربية التي كانت سبب في قيام حضارة جديدة حملت عقبة كؤود حالت بين الأمة الإسلامية وبين النهضة من جديد.

أما الأزمة السياسية المعاصرة فتكمن في المنهج الخاطئ الذي اتخذه العالم الإسلامي في معاملة الحضارة الغربية الزاهرة. فنتج عنه موقفين سلبيين؛ الأول تمثل في العزلة التامة ورفض كل الحضارة الغربية برمتها حسنها وقبيحها، والأمر الثاني الارتواء في أحضانها وتلقف كل ما ينفذ من الغرب. وقد ساعد على هذا الأمر سياسة التغريب التي تبنتها الحكومات الإسلامية، إضافة إلى الحكم الاستبدادي الذي واجه حمية الشعوب الإسلامية الدينية، ووأد كل نهضة تحمل الطابع الديني، وتلي بعد ذلك أزمة القومية التي كانت أكبر

مخطط لضرب الوحدة الإسلامية، وتشنتبت الأمة الإسلامية إلى أقطار تحكمها الحدود الجغرافية، لتسهيل تنفيذ مخططات الاستعمار الامبريالية والثقافية.

7- شملت الأزمة الثقافية في فكر الندوي شقين؛ الفكرية والعلمية، كانت أول بدايات الأزمة الفكرية في تاريخ الأمة الإسلامية فشل التجربة الروحية والعقلية في إدراك الإجابة عن قضايا الغيب، أما الأزمة الفكرية المعاصرة فتمثلت في أثر الحضارة الغربية ونفوذها في الحياة الإسلامية عن طريق الغزو الفكري المؤسس الذي ترك أزمت داخل الأمة الإسلامية من ردة فكرية على مستوى الطبقة المثقفة، وصراع نفسي واضطراب في الأفكار والعقيدة والسلوك، وأوجد أيضا صراعا فكريا بين الطبقة الحاكمة وشعوبها المسلمة.

8- أما الأزمة العلمية فأول مظاهرها تمثلت في تعطيل فريضة الجهاد وإهمال العلوم التجريبية في الأمة الإسلامية، مع تخلف العلوم الإسلامية وركود الفكر الإسلامي وحدثت القطيعة بينه وبين الحياة المتطورة مع قصوره عن الارتقاء إلى مستوى يستطيع به إثبات صلاحية الإسلام في قيادة الحياة ومسايرة تطورها، وإقناع الجيل الجديد بحقائق الدين، وتقديم نقد علمي جريء يثبت ضعف الحضارة الغربية في قيادة للإنسانية. وفي مقابل هذا عمقت حركة الاستشراق بدوافع كثيرة - الدينية والسياسية الامبريالية- هذه الأزمة عن طريق وجود صدى لأفكارهم في الأقطار الإسلامية، وكل مظاهر هذه الأزمة حدثت في ظل ضعف نظام التربية والتعليم وقصوره في تحقيق الأهداف السامية، إضافة إلى اعتماد التعليم الغربي كنموذج يحتذى به.

9- تتمثل أزمة الحياة الدينية عند الندوي في الآثار التي خلفها الملك العضوض من البدع والضلالات، وانحصار دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها، ليلها بعد ذلك الأزمة الروحية التي كان سببها ضياع حقيقة التصوف وتمثيله تمثيلا صحيحا على مستوى الممارسة والتجربة، إضافة إلى ضعف سلطان الدعوة الإسلامية، وندرة القدوة الربانية، وفي مقابل هذا كان نفوذ الحضارة الغربية قد سببت ظهور أمراض اجتماعية وخلقية ونفسية، وهيمنة الفكر المادي على الحياة الإسلامية، إضافة إلى وجود ثغرات في الحركات الإسلامية سببت عراقيل في سبيل تحقيقها الإصلاح الشامل لأوضاع الأمة الإسلامية.

**10-** تتجلى الأزمة الاجتماعية في فكر الندوي في انهيار المنظومة الأخلاقية والقيمية الذي كانت لها صورا كثيرة بعد الخلافة الراشدة، من ترف، ولهو، وغناء وطرب، إلى الظلم وإزهاق الأرواح، إلى النفاق في الأعمال والسلوكات، وقد كانت في هذا العصر صور أيضا، مثلتها الحكومات في التصرفات الطائشة وإسراف الأموال في اللهو وخدمة النفوس وشهواتها، في مقابل تدهور حياة الكثير من طبقات المجتمع الكادحة.

وقد أثرت هذه تحولات الطارئة على النفوس في العامل الاقتصادي عن طريق تبنيتها للأنظمة الغربية واعتمادها على القوة الأجنبية في الاستفادة من ثروات بلادها، ما جعل من خيرات العالم الإسلامي ثروة متاحة شائعة لكل أجنبي غربي مستثمر، ينهل من خيراته وفق شروطه، جاعلا من العالم الإسلامي أسواقا كبرى تحتضن كل إنتاجه، وقد كان لذلك الأثر على طبائع الشرق فأذهبت منهم خصائصه وهويته، وملاح شخصيته، وأصبحت النهامة في تحصيل الأموال سببا وجيها في ظهور التفاوت السلبي في مستوى المعيشة بين طبقات المجتمع.

**11-** لم يغفل الندوي واقع الأقليات المسلمة الاجتماعي الذي كانت حياته جزءا منه، مرجعا عن مشاكلها ومعاناتها سواء على مستوى حرمانها من التنمية الاقتصادية، أو على مستوى أحوالها الشخصية.

**12-** اقتدر الندوي عن طريق تألف المؤهلات العلمية والفكرية، على تحليل الأزمات وأسبابها، مستعينا بالجهود الفكرية التي تلاقح معها فكريا، محاورة، أخذا وعطاء، بعد أن جال في كتبها. مستعينا في ذلك بتوظيف منهج خاص متميز في قراءة أحداث التاريخ الإسلامي يركز على نصب القيم المثلى كمعيار لتمييز صحة المواقف من انحرافها.

**13-** ينطلق الندوي في طرحه لعوامل النهضة من أول مقوم الذي يتمثل في الاهتمام بالجانب التربوي والتعليمي كأولوية، وقاعدة رئيسة. فيرى ضرورة بناء منظومة تربوية علمية وصياغتها صياغة إسلامية تتطلق في مسيرتها من "اسم الرب" محققة جملة من الأهداف أهمها؛ العمل على إزالة الصراع الفكري والاضطراب النفسي، ومحاربة مركب النقص، مدعمة للقيم والأخلاق، كابحة لجماح المادية والثورة على الدين، معيدة للناشئة ثقفاً بدينها وتراثها. مرسخة للوعي وباعثة للأمل في الحياة، ملبية الحاجة المعرفية

والفكرية، تسدّ كل الثغرات التي ينفذ منها الاستشراق، ناقدة لمنهجه، كاشفة لأغراضه، موضحة بأبوابه وأوهامه.

**14-** يركز الندوي على النبوة كمصدر وحيد للمعرفة الصحيحة والهداية الكاملة المؤهلة لتقديم إجابات حقيقية عن أسئلة الوجود التي قصرت عن إدراكها التجربتين العقلية والروحية، وحفاظا على هذا المصدر تصدى لخطر القاديانية التي حاولت مزاحمة النبوة في وظيفتها عن طريق محاولة اختراقها لقضية خاتمية النبوة.

**15-** يقدم الندوي تاريخ الإصلاح والتجديد كمصدر يتضمن مقومات فكرية، تكشف عن طريق القراءة المتأنية والتحليل العميق مع مراعاة البيئة التي برزت فيها هذه الشخصية وأفكارها، ومدى صلاحيتها وخدمتها للأمة الإسلامية، تأكيدا منه على استمرارية العطاء الديني وإنتاجه للمصلحين، وصلاحيته لتوجيه الحياة.

**16-** يرسم الندوي -بعد استيفاء العالم الإسلامي لشروط النهضة- العلاقة بين الغرب والشرق، التي تمثلت في "التصميم الحضاري" الذي يقوده "العقري العصامي" عن طريق تحقيق مجموعة الشروط، الذي يعتز بشخصيته ويقتبس من الغرب ما يفيد، ويكون محورا مستقطبا للغرب الذي يبحث عن حلول لأزماته، ويكون المخلص له.

**17-** للندوي منهج مستقل في التغيير السياسي كان وليد تجارب كثيرة ومخاض طويل أفرزه جهازه الفكري الذي تمرس في تحليل أزمات الواقع السياسي وشاهد مظاهره، واستشرف مآلاته، اتسم بالعمل الهادئ الهادف، الذي تجلى في اعتبار رجال الحكومات جزء من الأمة الإسلامية ينبغي السعي إلى تحقيق صلاحهم وإقناعهم بحتمية توجيه الحياة برؤية إسلامية عميقة، دون مصارعتهم ومزاحمتهم على منصب الحكم.

**18-** تتمثل فكرة الندوي في التغيير السياسي في عمل الإمام السرهندي الذي يعتمد منهج الدعوة في التأثير في الحكومات وتصحيح تصورها دون اللجوء إلى العمل السياسي المباشر المواجه.

**19-** يولي الندوي القرآن والهدي النبوي أولوية بالغة في تراثه الفكري، وخاصة في سبيل حياة إسلامية واجتماعية بادية الملامح، واضحة المعالم، تسهم في إعطاء الأمة الإسلامية قوة جديدة، وتضفي عليها بالحيوية والنشاط من جديد.

20- يعتبر الندوي الصحة الإسلامية ثروة كفيّلة لإنقاذ الأمة الإسلامية من كبوتها، إذا ما سدت الثغرات التي تتخلل مشاريعها، واتسمت بالوعي والنباهة، واستوفت شروط العمل البناء.

21- تحتل الدعوة الإسلامية موقعا جدّ مهم في مشروع الندوي الفكري، مقدما دعوة الأنبياء عليهم السلام النموذج الأمثل في استقاء عوامل النجاحات، مع التزام أصحاب الدعوة الإسلامية السمات التي تجعلها أكثر واقعية وأصلح لمواكبة مستجدات العصر وتطوراته.

22- يركز منهج الندوي في العامل الاجتماعي على إصلاح أخلاق المجتمع وتكوين الجوّ القيمي الذي تنشأ فيه شبكة علاقات اجتماعية قوية تتنامى فيه القيم وتقومّ فيه السلوكات، منبها على أهمية الدور الفعال للمرأة المسلمة داخل المجتمع، ومعرجا أخيرا على أهمية العامل الاقتصادي في إرساء سبل القوة والعزة، ودوره في تعزيز علاقات المجتمع وقوامته.

23- كانت للندوي إضافات تجديدية على مستوى طرحه للأزمات وعرضه للحلول وسبل النهضة، تجلت تنظيرا وواقعا، فكانت شخصيته الفكرية التي مثلتها كتاباته أول عطاء جديدا على مستوى الفكر الإسلامي.

كانت أول ميزات منهج الندوي في إطار تحليل الأزمات هي تتبع مسارها التاريخي. إذ لم يقتصر تشخيصه للأزمة على فترته التي عاشها فحسب، ثم إن كثرة رحلاته لمختلف العالم العربي والإسلامي والغربي، ولقاءاته بمختلف أطياف الأمة من علمائها ومفكرها وتبادل وجهات النظر معهم والتطلع على المستجدات في المدارس الفكرية، وما أنجز من رؤى ونظرات تعود بالنفع على الأمة، ومعايشة واقع المجتمعات الإسلامية ومعاناتها عن قرب وكثب من أهم المزايا التي ندرت عند الشخصيات الفكرية الإصلاحية.

24- أسهم الندوي بروح نقدية هادفة جمعت خصائص الوسطية والاعتدال والصراحة، غاص في الجماعات الإسلامية وتطلع على أهدافها، وكان فردا منها، مثمنا جهودها، مدافعا عن حماها، منبها عن أخطائها وأخطار بعض من أفكارها، مرشدا وموجها لها، مستقيدا ومفيدا، ليكون بذلك حلقة وصل بين الجهود المتنافرة، وصلة وصل بين الهند والعالم الإسلامي، ومسهما في تلاحق الرؤى الإصلاحية التي أسستها العبقريات الفكرية،

محققا وحدة فكرية تختزل في طياتها تنوع المشارب والرؤى، كانت وليدة معاناة لبيئات تضمنت مشاكل كثيرة ومختلفة.

**25-** للندوي في كتاباته أسلوب متميز يتسم بالجدية والجدة، خاصة موضوع السير والتراجم، وأدب الرحلة، والسيرة الذاتية، والثقل الأكبر في ذلك يكمن في ما قدمه للأدب الإسلامي تنظيرا وتطبيقا، مستجمعا مقومات الكتابة الأدبية التي تجمع بين الجمالية والوظيفة الدينية، متخذا منها أهم أداة فاعلة في الصراع الفكري والثقافي. هادفا من خلاله إلى إعداد ناشئة قوية روحيا وفكريا، تعزز بشخصيتها وتتفانى في خدمة دينها وأمتها. وتبعث فيها الوعي والتميز بين النافع والضار.

**26-** يعدّ الندوي نموذجا فريدا للعمل الفكري والإصلاحي من ناحية عمق الرؤية والتشخيص والطرح، على مستوى العالم الإسلامي عامة والهندي بالنسبة للأقلية المسلمة من حيث معالجة مشاكلها وإيجاد الحلول الأصلح، وضمان الحقوق والحريات، وإثباتا منه لتأثير الأقليات المسلمة والجاليات في المجتمعات الغربية راسما المنهج المثالي لتحقيق هذا الهدف الأسمى.

**27-** استطاع الندوي بشخصيته تقليب الفجوة بين الدين والسياسة، مؤكدا على أهمية أحدهما للآخر، فساهم في نبذ القطيعة بينهما وفضّ العداء بينهما، فراسل الحكومات والسياسات والتقى برجالها، فحاور، ونصح وحذّر، وطرح آلامه وأفصح عن آماله، محاولا إقامة دولة إسلامية تكون بصيص أمل تبعث الثقة في النفوس، وتحارب اليأس، متوجا تنظيره الفكري بصيغة عملية ميدانية، تأكيدا منه على أفكاره ومبادئه وبيانا لسلامة نتائجها.

**28-** يتجلى المحور الذي هيمن على مشروع الندوي الفكري سواء في تحليله لازمات الأمة الإسلامية أو توصيفه لعوامل النهضة في البعد الروحي والقيمي الذي كان ينتصر لكل المواقف التي مثلته.



## ثانياً: التوصيات

أبرز التوصيات التي تراءى لنا عرضها نذكر:

1- الاهتمام بالشخصيات الفكرية الإسلامية ودراسة تراثها واستخلاص مشاريعها، ومحاولة العمل به بعد دراسة الأفكار وتمحيصها والوقوف على مدى أهميتها في واقع الأمة الإسلامية.

2- أن تدرس القامات الفكرية المسلمة بمعزل عن الخلفية والانتماءات، وأن تعرض أفكارها على معيار مدى نفعها للأمة الإسلامية واقعا ومستقبلا، لا على مدى موافقتها للتيارات والتوجهات الفكرية التي يتبناها الدارس.

3- أن يعيش الباحث في كتابات المفكرين، مراعيًا الدوافع والمؤثرات والبيئة التي نشأت فيها الأفكار والرؤى، وتجنب موازنة شخصية فكرية بشخصية فكرية أخرى على وجه المفارقة السلبية، بل يكون العمل على المقاربة والموافقة، والتكامل، فكل فكرة صادرة أفرزتها الحاجة، ورسختها ظروف معينة.

4- رغم ما قدمناه عن الندوي في إطار أزمة الأمة الإسلامية ونهضتها إلا أن تراث الندوي على سعته وشموله، لا يزال يتطلب الدراسة العميقة المتأنية، لإضافة عطاءات أخرى تفتح آفاق جديدة للمضي قدما نحو التغيير.

5- التنبيه على البحث في مجالين أكدّ الندوي على ضرورة البحث فيهما وإبرازهما في العالم العربي خاصة-؛ حيث يتمثل المجال الأول في دراسة شخصية "محمد إقبال" وإنتاجه الفكري، وإسهاماته التجديدية، والمجال الثاني "الأدب الإسلامي" الذي لا يزال تراثنا الغني بالروايات الحديثة تحتاج إلى الإفصاح عن جماليتها وأبعادها القيمية، بأسلوب يجابه قوة أسلوب الأدب المتحرر من القيم.

# الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث

قائمة المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

رقم الصفحة	رقمها	الآية
﴿ سورة البقرة ﴾		
103	5-2	﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ.....الْمُفْلِحُونَ ﴾
68	111	﴿ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾
69-68	120	﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ ﴾
374	121	﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾
67	124	﴿ وَإِذْ أَتَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾
67	128	﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾
105-67	129	﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا.....مِّنْهُمْ وَيُزَكِّهِمْ ﴾
69-68	135	﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ.....مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾
68	140	﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ.....بِعَفْلِ عَمَّا نَعْمَلُونَ ﴾
75-66	143	﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا.....شَهِيدًا ﴾
132	156	﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾
158	193	﴿ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِئْتَةٌ.....الظَّالِمِينَ ﴾
130	208	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَآفَّةً ﴾
407	228	﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾
70	258	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ.....الظَّالِمِينَ ﴾
71	260	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ.....لِيُطْمِئِنَّ قَلْبِي ﴾
106	261	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾
106	268	﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ.....وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

106	269	﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ.....أُولُوا الْأَلْبَابِ <sup>ع</sup> ﴾
﴿سورة آل عمران﴾		
112	31	﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ.....غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
77-64 110	110	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾
68	65	﴿يَتَأْهَلِ الْكِتَابِ.....أَفَلَا تَعْقِلُونَ <sup>ع</sup> ﴾
68	67	﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا.....وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾
72	68	﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ.....وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾
140	-113 114	﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.....مِنَ الصَّالِحِينَ﴾
87	134	﴿يُفِيقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ.....وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾
132	152	﴿مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾
105	164	﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ.....ضَلَّلِ مُبِينٍ﴾
373	191	﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ.....عَذَابِ النَّارِ﴾
﴿سورة النساء﴾		
80	125	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا.....خَلِيلًا﴾
﴿سورة المائدة﴾		
86	16	﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ.....صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
86	48	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ.....وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾
﴿سورة الأنعام﴾		
64	38	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ.....إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾
70	79-74	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ.....مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾
139-110	122	﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ.....مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

﴿ سورة الأعراف ﴾		
66	109	﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾
64	160	﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾
64	168	﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ..... لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾
81	172	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ ..... غَافِلِينَ ﴾
120	-175 176	﴿ وَآتَلُوا عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ ..... يَتَفَكَّرُونَ ﴾
﴿ سورة الأنفال ﴾		
145	46	﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ..... مَعَ الضَّالِّينَ ﴾
158	60	﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ ..... عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾
60	72	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا ..... أَوْلِيَائِهِ بَعْضٌ ﴾
-145-60 141	73	﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾
80	74	﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا ..... وَرَزَقُوا كَرِيمٌ ﴾
﴿ سورة التوبة ﴾		
56	102	﴿ وَعَآخِرُونَ ءَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ..... إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
56	122	﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ ﴾
﴿ سورة يونس ﴾		
64	47	﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ..... وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾
﴿ سورة هود ﴾		
63	8	﴿ وَلَئِن آخَرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾
374	23	﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ..... فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾
254	91	﴿ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ ﴾
141	116	﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ ..... مُجْرِمِينَ ﴾

﴿ سورة يوسف ﴾		
68	38	﴿ وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ..... مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾
89	111	﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ ..... وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾
﴿ سورة الرعد ﴾		
65	7	﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ ..... وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾
139	17	﴿ فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ ﴾
﴿ سورة الحجر ﴾		
120	26	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾
93	75	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴾
﴿ سورة النحل ﴾		
64	36	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ﴾
65	92	﴿ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ ﴾
407	97	﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا ..... مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾
391-80	125	﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ ..... وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾
﴿ سورة الإسراء ﴾		
264	16	﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾
105	23	﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾
105	38	﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾
106	39	﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ﴾
119	58	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ..... وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾
122-99	70	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ خَلَقْنَا تَفْصِيلًا ﴾

﴿ سورة الكهف ﴾		
104	11	﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾
97	110	﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ ﴾
﴿ سورة طه ﴾		
85	52	﴿ قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾
85	98	﴿ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾
﴿ سورة الأنبياء ﴾		
87	10	﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾
71	60-59	﴿ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا ..... إِبْرَاهِيمُ ﴾
62	92	﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾
140	107	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾
﴿ سورة الحج ﴾		
64	67	﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾
﴿ سورة المؤمنون ﴾		
80	96	﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾
﴿ سورة النور ﴾		
89	34	﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ ..... وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾
﴿ سورة الفرقان ﴾		
85	1	﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾
201	23	﴿ وَقَدْ مَنَّآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾
87	64	﴿ يَسْتَوُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾
273	73	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾

﴿ سورة الشعراء ﴾		
72	89، 88	﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾
﴿ سورة النمل ﴾		
136	56-55	﴿ أَيَّتُكُمُ اللَّاتُونَ الرَّجَالِ ..... إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهُرُونَ ﴾
﴿ سورة القصص ﴾		
139	5	﴿ وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا ..... وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾
151	83	﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ ..... وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾
﴿ سورة العنكبوت ﴾		
373	69	﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾
﴿ سورة الروم ﴾		
83	27	﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
﴿ سورة لقمان ﴾		
106	12	﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ ﴾
106	13	﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ ۖ يَبْنِي لِأَشْرِكٍ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾
106	19-13	﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ ۖ ..... الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾
80	22	﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ ..... عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾
﴿ سورة السجدة ﴾		
87	16	﴿ نَتَجَافَىٰ جُنُوبَهُمْ ..... وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾
﴿ سورة الأحزاب ﴾		
112	21	﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ..... وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا ﴾
112	46-45	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ ..... وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾



﴿ سورة سبأ ﴾		
85	3	﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ..... إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾
90	19-18	﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى ..... لَا يَأْتِي لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾
﴿ سورة فاطر ﴾		
148	28	﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾
64	43	﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾
﴿ سورة يس ﴾		
373	11	﴿ إِنَّمَا نُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾
﴿ سورة الصافات ﴾		
120	11	﴿ فَاسْتَفْنِهِمْ أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾
88	36-35	﴿ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ..... لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴾
72	84	﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾
71	102	﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ تَرَى ..... إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾
﴿ سورة ص ﴾		
104	5	﴿ أَجْعَلُ الْأَلْهَةَ إِلَّاهَا وَحِدًا إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾
97	86	﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾
﴿ سورة الزمر ﴾		
104	3	﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾
89	27	﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَنْذَكُرُونَ ﴾
88	45	﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ ..... إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾

﴿ سورة غافر ﴾		
374	56	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ ..... إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾
﴿ سورة فصلت ﴾		
254	5	﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ..... فَأَعْمَلْنَا عَمَلُونَ ﴾
80	34	﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ..... كَانَهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾
﴿ سورة الشورى ﴾		
83	11	﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾
124	13	﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾
87	38-37	﴿ يَجْنِبُونَ كَبِيرَ الْأَيْمِ ..... وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾
﴿ سورة الزخرف ﴾		
62	23	﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾
﴿ سورة محمد ﴾		
120	12	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾
199	38	﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾
﴿ سورة الحجرات ﴾		
163	6	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ ﴾
53	13	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ..... إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾
﴿ سورة الذاريات ﴾		
87	19-17	﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ ..... حَقٌّ لِّلسَّالِبِ وَالْمَحْرُومِ ﴾
﴿ سورة النجم ﴾		
375	30، 29	﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى ..... بِمَنِ اهْتَدَى ﴾

132	40، 39	﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ .....الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴾
﴿ سورة الرحمن ﴾		
128	13	﴿ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾
120	14	﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴾
﴿ سورة الواقعة ﴾		
374	79-77	﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾
﴿ سورة الحديد ﴾		
85	7	﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾
﴿ سورة المجادلة ﴾		
148	11	﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾
﴿ سورة الحشر ﴾		
87	9	﴿ وَيُؤْتُونَكَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ..... فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾
﴿ سورة الممتحنة ﴾		
67	4	﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾
﴿ سورة الجمعة ﴾		
105	2	﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ ..... لِيُفِيَّ ضَلَالِ مُبِينٍ ﴾
﴿ سورة التحريم ﴾		
407	11	﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ..... الظَّالِمِينَ ﴾
407	12	﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ ..... مِنَ الْقَانِنِينَ ﴾
﴿ سورة المدثر ﴾		
88	43، 42	﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَوْلَا نُرُكُ مِنَ الْمَصْلِينَ وَلَوْلَا نُكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ وَكُنَّا نَحْوُ مَعَ الْخَاطِئِينَ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾

﴿ سورة التكوير ﴾		
201	9	﴿ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنَلْتِ ﴾
﴿ سورة الأعلى ﴾		
373	10	﴿ سَيَذَكُرُ مَنْ يَخْشَى ﴾
132	17، 16	﴿ بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾
﴿ سورة التين ﴾		
90	5، 4	﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾
﴿ سورة العاديات ﴾		
91	6	﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾
﴿ سورة الكوثر ﴾		
123	1	﴿ أَعْطَيْنَاكَ ﴾

فهرس الأحاديث

الصفحة	طرف الحديث
56	« لا تزال طائفة من أمتي .....
57	« تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة .....
84	« إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا من مأدبته.....
101	« أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية.....
105	« رأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً.....
111	« اللهم إن تهلك هذه العصابة لن تعبد »
115	« وهو يصلي ولجوفه أزيز.....
115	« وجعل قرّة عيني في الصلاة »
115	« يا بلال أقم الصلاة، وأرحنا بها »
115	« ورجل قلبه معلق بالمساجد »
115	« اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد »
116	« اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني.....
117	« اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة »
117	« اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا »
117	« مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم.....
133	« يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم.....
133	« وأنا شهيد أن العباد كلهم أخوة »
133	« ليس منا من دعا إلى عصبية.....
133	« دعوها إنها منتنة »
140	« إنما بعثتم مبشرين ولم تبعثوا معسرين »

140	« الله ابتعثنا لنخرج من شاء..... »
144	« إن ربكم واحد وإن أباكم واحد »
162	« فوالله لا الفقر أخشى عليكم..... »
337	« ابني هذا سيد..... »
162	« فوالله لا الفقر أخشى عليكم..... »
166	« أول من يغير سنتي رجل من بني أمية »

قائمة المصادر والمراجع

الكتب

”أ“

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم

1- الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1417هـ، 1997م

أسد، محمد

2- الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة: عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م  
الأصفهاني، الراغب أبو القاسم حسين بن محمد،

3- المفردات في غريب القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1/ 1423هـ، 2002م  
أمين، أحمد

4- ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط7، 1973م  
إحساني، ظهير

5- القاديانية، دراسات وتحليل، إدارة ترجمان السنة، باكستان، ط16، 1404هـ، 1983م  
إخوان الصفا

6- رسائل إخوان الصفا وخلق الوفاء، (القسم الرياضي الرسالة الرابعة)، مكتب الإعلام  
الإسلامي، طهران، (د، ط)، 1405هـ

إقبال، محمد

7- تطور الفكر الفلسفي في إيران، ترجمة: حسن محمود الشافعي، محمد السعيد وجمال الدين،  
الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1409هـ، 1989م

”ب“

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي

8- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه.

برغوث، عبد العزيز

9- الشهود الحضاري للأمة الوسط في عصر العولمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط1، 1428هـ، 2007م.

البشري، طارق

10- مشكلتان في القراءة، تقديم: طه جابر العلواني، دار القارئ العربي، القاهرة، ط1، 1413هـ، 1992م

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر

11- فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، (د، ط)، 1407هـ، 1987م.

البلخي مقاتل بن سليمان

12- الوجوه والنظائر في القرآن العظيم، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مركز جمعة ماجد للثقافة والتراث، دبي، ط1، 1427هـ، 2006م

البهي، محمد

13- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط10، 1395هـ، 1975م

البوطي، محمد سعيد رمضان

14- الإسلام والغرب، دار الفكر، دمشق، (د ط)، (د ت).

15- الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية، لماذا .. وكيف..؟، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1، 1404هـ، 1984م

16- العناية بالعبادات أساس لابد منه لتثبيت المجتمع الإسلامي، إدارة البحوث والمعلومات، (د ط)، (د ت).

"ت"

الترمذي، أبو عبد الله (ت318هـ)

17- تحصيل نظائر القرآن، تحقيق: حسن نصر زيدان، دار السعادة، القاهرة، ط1 1389هـ، 1969م



الترمذي، أبو عيسى (ت279هـ)

16- الجامع الكبير، تحقيق: أحمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض،

مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395هـ، 1975م

التوحيدي، أبو حيان

17- الإمتاع والمؤانسة، المكتبة العنصرية، بيروت، ط1، 1424هـ

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد

18- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن الحسن، عبد العزيز بن إبراهيم،

حمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية، ط2، 1419هـ، 1999م

19- مجموع الفتاوى، كتاب الجهاد، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك

فهد، السعودية، ط1، 1416هـ، 1995م

## "ج"

الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف

20- معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، (د ط)، (د ت)

جمال الدين، أبو المحاسن يوسف بن تغري

21- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر،

1383هـ، 1963م

جمهرة من المستشرقين

22- تراث الإسلام، إشراف: سير توماس أرنولد، تعريب: جرجيس فتح الله، دار الطليعة،

بيروت، ط2، 1972م

ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج

23- صفوة الصفوة، تحقيق: خالد طرطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1433هـ، 2012م

الجوزية، ابن القيم أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب

24- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف،

الرياض، المملكة العربية السعودية

25- الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1393هـ، 1973م

"ح"

الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله

26- المستدرك على الصحيحين للحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ، 1990م

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان

27- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ، 1993م

حسن، إبراهيم حسن

28- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، ط14، 1416هـ، 1996م

حسن الضيقة

29- الدولة العثمانية، الثقافة، المجتمع والسلطة، دار المنتخب العربي، بيروت، ط1، 1417هـ، 1997م

حسنة، عمر عبيد

30- الأعمال الفكرية الكاملة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1432هـ، 2011م

الحسني، عبد الحي

31- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والمناظر، دار ابن حزم، ط1، 1420هـ، 1999م

الحسني، محمد

32- الإسلام الممتحن، المختار للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1397هـ، 1977م

حميدي، عبد الكبير

33- مفهوم الأمة في القرآن والحديث، دار السلام المغرب، ط1، 1431هـ، 2010م

بن حنبل، أحمد أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل

34- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1417هـ، 1997م

"خ"

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد

35- مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، دمشق، ط1،  
1425هـ، 2004م

36- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،  
تحقيق: خليل شحاتة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1408هـ، 1988م

ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر

37- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د ط)،  
1900م

"د"

الدامغاني، الحسين بن محمد

38- إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم  
للملايين، بيروت، ط4، 1983م

أبو داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق

39- سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية،  
دمشق، 1430هـ، 2009م

الدهلوي، الشاه ولي الله

40- إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء، تحقيق: تقي الدين الندوي، تعريب: جاويد أحمد الندوي،  
دار القلم، دمشق، ط1، 1434هـ، 2013م

"ر"

رابطة الأدب الإسلامي

40- أبو الحسن الندوي، بحوث ودراسات، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1426هـ، 2005م  
رشيد رضا

41- تفسير المنار، دار المنار، القاهرة، ط2، 1366هـ، 1947م

"ز"

الزبيدي، محمد طارق

42- مؤلفات سماحة الإمام الداعية الشيخ أبي الحسن الندوي، مكتبة حراء، لكهنؤ، الهند، ط1، 1419هـ، 1997م

زرزور، عدنان محمد

43- جذور الفكر القومي والعلماني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1420هـ، 1999م  
الزركلي، خير الدين

44- الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م

الزمرخشي، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر

45- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1418هـ، 1998م  
زهدي جار الله

46- المعتزلة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1974.

زهرة، أبو محمد

47- أبو حنيفة، حياته وعصره، آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، ط2، 1319هـ، 1942م

"س"

السجستاني، أبو سليمان المنطقي

48- صوان الحكمة وثلاث رسائل، تحقيق: عبد الرحمن البدوي، طهران 1974م

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي

49- الطبقات الكبرى، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1421هـ،  
2001م

السكران، إبراهيم بن عمر

50- الماجريات، دار الحضارة، الرياض، ط2، 1436هـ، 2015م

السلماني، عبد المجيد

51- الفكر والسلوك السياسي عند أبي الحسن الندوي، دار القلم دمشق، ط1، 1425هـ،  
2004م

السهروردي، شهاب الدين

52- حكمة الإشراق، مراجعة وتقديم: إنعام حيدورة، لبنان، ط1، 1430هـ، 2010م

السيد، حسين جلال

53- تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، دار الوفاء، مصر، 2001م

السيوطي، جلال الدين

53- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر

للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ط1، 1424هـ، 2003م

"ش"

الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي

54- الموافقات، تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار ابن عفان، السعودية، ط1، 1417هـ،

1997م،

الشبستري، عبد الحسين

55- مشاهير شعراء الشيعة، المكتبة الأدبية المختصة، ط1، 1421هـ.

شريعتي، علي

56- الأمة والإمامة، دار الأمير، بيروت، ط2، 1428هـ، 2007م

57- الحسين وارث آدم، ترجمة: إبراهيم الدسوقي شتا، بيروت، دار الأمير ط1، 1425هـ،

2004م

الشنقيطي، محمد المختار

58- الأزمة الدستورية في الحضارة الإسلامية، من الفتنة الكبرى إلى الربيع العربي، منتدى

العلاقات العربية والدولية، قطر، ط1، 2018م

الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم

59- الملل والنحل، مؤسسة الحلبي، دمشق، (د ط)، (د ت)

"ص"

الصلابي، علي محمد

60- الأيوبيون بعد صلاح الدين، دار المعرفة، بيروت، ط3، 1431هـ، 2010م.

61- الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر،

ط1، 1421هـ، 2001م

"ظ"

الطبراني، أبو القاسم الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب

62- المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2،

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير

63- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر،

القاهرة، 1422هـ، 2001م

طرايشي، جورج

64- معجم الفلاسفة، دار الطليعة بيروت، ط3، 1987م

65- نقد نقد العقل العربي - العقل المستقل في الإسلام-، دار الساقى، بيروت، ط1، 2004م

الطباوي، عبد اللطيف

66- محاضرات في تاريخ العرب والإسلام، دار الأندلس، بيروت، (د ط)، 1382هـ، 1963م

"ع"

ابن عاشور، محمد الطاهر

67- التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر، تونس، 1984م

ابن أبي عاصم

68- الأوائل، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، دار الخلفاء للإسلامي، الكويت،

(د ط)، (د ت)

ابن عبد البر

69- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي دار الجيل، بيروت، ط1،

1412هـ، 1992م

عبد الحميد، السلطان

70- مذكرات السلطان عبد الحميد، ترجمة: محمد حرب، دار القلم، دمشق، ط3، 1412هـ،

1991م

عبد المنعم النمر

71- تاريخ الإسلام في الهند، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1،

1401هـ، 1981م

عبدون، عون الروضان

72- موسوعة تاريخ العرب، دار الأهلوية، المملكة الأردنية الهاشمية، ط2، 2007م

الغزوي، قيس جواد

73- الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط2،

1424هـ، 2003م

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله

74- تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1419هـ،

1998م

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني

75- فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ

العسكري، أبو هلال

76- تصحيح الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1،

1428هـ، 2007م

عمارة، محمد

77- في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 1423هـ،

2003م

"غ"

الغزالي، أبو حامد

78- إحياء علوم الدين، إحياء علوم الدين، دار المنهاج، جدة، ط1، 1432هـ، 2011م

79- المنقذ من الضلال، المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، تحقيق: جميل

صليبا، وكامل عياد، دار الأندلس، بيروت، ط7، 1967م

الغزالي، محمد

80- سر تأخر العرب والمسلمين، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، ط7، 2005م

81- الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، دار الشروق، القاهرة، (د ط)، (د ت)

الغوري، عبد الماجد

82- أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية المربي الأديب، دار ابن كثير، للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ط3، 1426هـ، 2005م

83- رحلات العلامة أبي الحسن الندوي - مشاهداته - محاضراته - لقاءاته - انطباعاته، دار ابن كثير، دمشق، بيروت ط1422، 1هـ، 2001م،

غوستاف، لوبون

84- حضارات الهند، ترجمة، عادل زعيتر، دار العالم العربي، القاهرة، 2009م

85- حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، (د ط)، (د ت)

غيث، محمد عاطف

86- قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006م

"ف"

الفريابي، أبو بكر جعفر بن محمد

87- صفة النفاق وذم المنافقين تحقيق: أبو عبد الرحمن المصري الأثري دار الصحابة للتراث، مصر، ط1، 1408هـ، 1988م

أبو الفضل، منى

88- الأمة القطب، نحو تأصيل منهجي لمفهوم الأمة في الإسلام، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 1426هـ، 2005م

الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب

89- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط3، 1416هـ، 1996م

"ق"

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم

90- تأويل مشكل القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة ط2، 1393هـ، 1973م



القرضاوي، يوسف

91- أبو الحسن الندوي كما عرفته، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1 1422هـ،  
2001م

قطب، سيد

92- العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشروق، القاهرة، 1415هـ، 1995م.

93- في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط32، 1423هـ، 2003م

94- معالم في الطريق، دار الشروق، القاهرة، ط6، 1399هـ، 1979م

قطب، محمد

95- منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، ط10، 1412هـ، 1992م

96- واقعنا المعاصر، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1418هـ، 1997م

"ك"

الكاندهلوي، محمد يوسف

97- حياة الصحابة، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط1، 1999م، 1420م

ابن كثير، إسماعيل بن عمر

98- مسند الفاروق عمر بن الخطاب، تحقيق: عبد المعطي قلنجي، دار الوفاء، المنصورة،

ط1، 1411هـ 1991م

الكفوي، أبو البقاء

99- الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1419هـ، 1998م

الكواكبي، عبد الرحمن

100- طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، دار النفائس، بيروت، ط3، 1427هـ، 2006م

الكيالي عبد الوهاب

101- موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1993م

الكيلاني، ماجد عرسان

102- الأمة المسلمة، مفهومها، مقوماتها، إخراجها، مؤسسة الريان، بيروت، ط2، 1421هـ،

2000م

"م"

محمد فريد بك

103- تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط1،

1401هـ، 1981م

محمود إسماعيل

104- نهاية الأسطورة نظريات ابن خلدون مقتبسة من رسائل إخوان الصفا، دار قباء للطباعة

والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م

محمود شاكر

105- التاريخ الإسلامي، الأقليات الإسلامية - المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1416هـ،

1995م

106- التاريخ الإسلامي، التاريخ المعاصر (القارة الهندية)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2،

1418هـ، 1997م

107- التاريخ الإسلامي، الخلفاء الراشدون، المكتب الإسلامي، بيروت، ط8، 1421هـ،

2000م

108- التاريخ الإسلامي-العهد العثماني-، المكتب الإسلامي، بيروت، ط4،

1421هـ، 2000م

109- تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، دار المريخ، الرياض، (د ط)،

1415هـ، 1995م

مسعود الخوند

110- الأقليات المسلمة في العالم، (universal.company) بيروت، ط2، 2006م.

مسلم، ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري

111- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

مقبول، صلاح الدين أحمد

112- الأستاذ أبو الحسن الندوي الوجه الآخر من كتاباته، غراس للنشر والتوزيع، الكويت،

ط1، 1422هـ، 2001م

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم

113- لسان العرب، مادة: (أمم)، دار صادر، بيروت، (د، ط)، (د ت)

المودودي، أبو الأعلى

114- مبادئ الإسلام، ترجمة: محمد عاصم الحداد، مكتبة الشباب المسلم، دمشق، ط3،

1381هـ، 1961م

115- موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه، دار الفكر الحديث، لبنان، ط2، 1386هـ، 1967م

116- منهاج الانقلاب الإسلامي، الدار السعودية، جدة، ط3، 1408هـ، 1988م

بن نبي، مالك

117- شروط النهضة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، (د ط)، 1406هـ،

1986م

118- المسلم في عالم الاقتصاد، دار الفكر، دمشق، 1420هـ، 2000م

119- ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر،

دمشق. ط3، 1406هـ، 1986م

120- وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، بيروت،

ط1، 1423هـ، 2002م

"ن"

الندوي، أبو الحسن علي الحسني

121- أبحاث حول التعليم والتربية الإسلامية، إعداد: عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير،

بيروت، ط1، 1423هـ، 2002م

122- أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين، دار الصحوة، القاهرة، ط1، 1405هـ،

1985م

123- الأركان الأربعة- الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج- في ضوء الكتاب والسنة مقارنة مع

الأديان الأخرى، دار الكلمة، مصر (د ط)، (د ت).

124- الإسلام أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية، دار الصحوة، ط1، 1406هـ، 1986م

- 125- الإسلام والحكم، المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1398هـ،  
1978م
- 126- إسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3،  
1406هـ، 1986م
- 127- أضواء على الحركات والدعوات الدينية والإصلاحية، ومدارسها الفكرية، ومراكزها  
التعليمية والتربوية في الهند، المجمع الإسلامي، (د ط)، 1416هـ، 1995م
- 128- أكبر خطر على العالم العربي، تعريب: الأستاذ واضح رشيد - مؤسسة الصحافة  
والنشر، الهند، ط1، 1411هـ، 1991م
- 129- الاجتهاد ونشأة المذاهب الفقهية، المجمع الإسلامي العلمي، الهند، (دط)، 1403هـ،  
1983م
- 130- اسمعيات، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1423هـ. 2002م،
- 131- إلى الإسلام من جديد، دار القلم للنشر والتوزيع، دمشق، ط4، 1399 هـ، 1979م
- 132- أهمية الحضارة في تاريخ الديانات وحياة أصحابها، مكتبة العلامة عبد الحي الحسني،  
الهند، ط1، 1402هـ
- 133- أوربا أمريكا إسرائيل، كشف حقيقة صارخة، وتنبية على خطر داهم، المجمع الإسلامي  
العلمي، لكهنؤ، الهند، ط1، 1418هـ، 1997م
- 134- بين الجباية والهداية، مكتبة الإسلام، الهند، (دط)، (دت)
- 135- بين نظرتين: النظرة القرآنية والنبوية إلى الأمة الإسلامية ونظرة المسلمين أنفسهم إلى  
أنفسهم، المطبعة الندوية، الهند، ط2، 1410هـ، 1989م
- 136- تأملات في القرآن الكريم، دار القلم، دمشق، ط1، 1411هـ، 1991م
- 137- ترشيد الصحوة الإسلامية، دار السلام، القاهرة، ط3، 1414هـ، 1993م
- 138- تعالوا نحاسب أنفسنا وقادتنا، دار عرفات للدراسة والترجمة والنشر، رائي بريلي، الهند،  
(د ط)، (د ت)
- 139- التفسير السياسي للإسلام في مرآة كتابات الأستاذ أبي الأعلى المودودي، والشهيد سيد  
قطب، دار آفاق الغد، (د ط)(د ت)
- 140- الحاجة البشرية إلى معرفة صحيحة ومجتمع إسلامي، دار الصحوة للنشر، القاهرة،  
ط1، 1412هـ، 1992م،

- 141- حديث مع الغرب، دار الإرشاد، بيروت، ط1، 1387هـ، 1967م
- 142- الحضارة الغربية الوافدة وأثرها في الجيل المثقف، دار الصحوة، القاهرة، ط1 1405هـ، 1985م
- 143- خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز، المختار الإسلامي، القاهرة، ط2 1393هـ، 1973م
- 144- خطابات صريحة إلى الأمراء والرؤساء، إعداد: عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1423هـ، 2002م.
- 145- دراسة السيرة النبوية من خلال الأدعية المأثورة المروية، دار المختار الإسلامي، القاهرة، ط1، 1398هـ، 1978
- 146- الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها، المجمع الإسلامي العلمي، الهند، ط3، 1406هـ، 1986م
- 147- الدعوة إلى الله حماية المجتمع من الجاهلية وصيانة الدين من التحريف، المجمع الإسلامي، الهند، ط2، 1413هـ، 1991م
- 148- دور الجامعات الإسلامية المطلوب في تربية العلماء وتكوين الدعاة وحماية الأقطار الإسلامية من التناقض والمجابهة، المجمع الإسلامي العلمي، الهند، ط1، 1407هـ، 1987م
- 149- دور الحديث في تكوين المناخ الإسلامي وصيانتته، المجمع الإسلامي العلمي، الهند، ط2، 1410هـ، 1989م
- 150- ربانية لا رهبانية، دار القلم دمشق، ط1، 1421هـ، 2000م
- 151- رجال الفكر والدعوة في الإسلام، دار ابن كثير، بيروت، ط3، 1428هـ، 2007م
- 152- ردة ولا أبا بكر لها، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ط2، 1413هـ، 1992م
- 153- رسائل الأعلام، إخراج وتقديم: محمد الرابع الحسني - مطبعة ندوة العلماء، لكهنؤ، الهند 1405هـ، 1984م
- 154- روائع إقبال، دار الفكر دمشق، ط1، 1379هـ، 1960م
- 155- روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة، دار القلم، بيروت، (د ط)، (د ت)
- 156- سيرة النبوية، دار الشروق، جدة، ط8، 1409هـ، 1989م
- 157- سيرة خاتم النبيين للأطفال، مؤسسة الرسالة، ط9، 1405هـ، 1985
- 158- شخصيات وكتب، دار القلم دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1410هـ، 1990م

- 159- الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، المجمع الإسلامي، الهند، ط4، 1401هـ، 1981م
- 160- صلاح الدين الأيوبي البطل الناصر لدين الله، دار القلم، دمشق، ط3، 1400هـ، 1980م
- 161- صورتان متضادتان عند أهل السنة والشيعة الإمامية، دار البشير، السعودية، ط1، 1410هـ، 1990م
- 162- العرب والإسلام، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1401هـ
- 163- غارة التتار على العالم الإسلامي وظهور معجزة الإسلام، المختار الإسلامي، القاهرة، ط2، 1393هـ، 1973م
- 164- في رحاب الدعوة، إعداد: عبد الماجد الغوري، مكتبة الفارابي للمعارف، دمشق، ط1، 1425هـ، 2004م
- 165- في مسيرة الحياة، دار القلم، دمشق، ط1، 1407هـ، 1987م
- 166- القادياني والقاديانية، دراسة وتحليل، الدار السعودية للنشر، جدة، ط3، 1387هـ، 1967م
- 167- القراءة الراشدة لتعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية، اليمامة للطباعة والنشر، بيروت، 1421هـ، 2001م
- 168- قصص النبيين للأطفال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1422هـ، 2001م
- 169- قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، الهند، ط1، 1411هـ، 1991م
- 170- كارثة العالم العربي وأسبابها الحقيقية، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، (د ط)، (د ت)
- 171- كيف دخل العرب التاريخ، المجمع الإسلامي العلمي، لكهنؤ، الهند، ط2، 1980م.
- 172- كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز وجزيرة العرب، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1423هـ، 2002م
- 173- كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز وشبه جزيرة العرب، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1423هـ، 2002م
- 174- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مكتبة الإيمان، المنصورة، القاهرة، (د ط)، (د ت)

- 175- مأساة الأخيرة في العالم العربي، المجمع الإسلامي العلمي، الهند، ط1، 1410هـ،  
1990م
- 176- محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، جمع وتحقيق وتعليق: عبد الماجد الغوري، دار  
ابن كثير دمشق، بيروت، ط1، 1422هـ. 2001م
- 177- محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، جمع وتحقيق: عبد الماجد الغوري، دار ابن  
كثير، بيروت، ط2، 1422هـ، 2001م
- 178- مدخل إلى الدراسات القرآنية، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1431هـ، 2010م
- 179- مذكرات سائح في الشرق العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1398هـ، 1978م
- 180- المرتضى، سيرة سيدنا أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، دار القلم،  
دمشق، ط1، 1409هـ، 1989م
- 181- مستقبل الأمة العربية الإسلامية بعد حرب الخليج، مؤسسة الصحافة والنشر، الهند، (د  
ط)، 1411هـ، 1991م
- 182- المسلمون في الهند، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1420هـ، 1999م.
- 183- المسلمون وقضية فلسطين، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1429هـ، 2008م
- 184- معهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي، دار العلوم، الهند، (د ط)، (د ت).
- 185- مقالات إسلامية في الفكر والدعوة، إعداد: عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، بيروت،  
ط1، 1424هـ، 2004م
- 186- ملة إبراهيم وحضارة الإسلام يجب أن ندعو إليها على بصيرة وثقة، المجمع الإسلامي  
العلمي، الهند، ط2، 1412هـ، 1992م
- 187- من أعلام المسلمين ومشاهيرهم، إعداد: عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، دمشق،  
بيروت، ط1، 1424هـ. 2002م
- 188- موقف المسلمون في الهند من التعليم والتربية ودورهم في إثراء التاريخ الإسلامي،  
المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء، الهند، 1418هـ، 1997م
- 189- مولانا جلال الدين الرومي، المختار الإسلامي للطباعة والنشر، القاهرة، ط2،  
1394هـ، 1974م

- 190- النبوة هي الوسيلة الوحيدة للمعرفة الصحيحة والهداية الكاملة، المجمع الإسلامي العلمي، الهند، (د ط)، 1408هـ، 1988م
- 191- النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، دار القلم، دمشق، ط7، 1420هـ، 2000م
- 192- نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية، دار الإرشاد، بيروت، ط1، 1388هـ، 1969م
- 193- نصائح وتوجيهات للشباب المسلم، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى 1460هـ، 1990م
- 194- نظرات في الأدب. دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1411هـ، 1990م
- 195- نظرات في الحديث، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1420هـ، 1999م
- 196- نفحات الإيمان بين صنعاء وعمان، المجمع الإسلامي العلمي، الهند، (د ط)، 1404هـ، 1984م
- 197- واقع العالم الإسلامي، دار الكلمة، مصر، ط1، 1418هـ، 1997م.
- الندوي، محسن العثماني**
- 198- يحدثونك عن أبي الحسن الندوي، إعداد وتقديم: ، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1421هـ، 2000م.
- الندوي، محمد اجتباء**
- 199- أبو الحسن الندوي، الداعية الحكيم والمربي الجليل، دار القلم، دمشق، ط1، 1421هـ، 2001م
- الندوي، محمد أكرم**
- 200- أبو الحسن الندوي العالم المربي والداعية الحكيم، دار القلم، دمشق، ط1، 1427هـ، 2006م
- الندوي، محمد واضح رشيد**
- 201- الشيخ أبو الحسن الندوي قائداً حكيماً، دار الرشيد، لكهنؤ، الهند، ط2، 1433هـ، 2012م
- 202- المسحة الأدبية في كتابات أبي الحسن الندوي، رابطة الأدب الإسلامي، الهند، ط1، 1425هـ، 2004م



- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي  
203-المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب  
المطبوعات الإسلامية، حلب، ط2، 1406هـ، 1986م  
ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري  
204- السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده،  
مصر، ط2، 1375هـ، 1955م  
ابن هظال، أحمد التلمساني  
205- رحلة محمد الكبير باي المغرب الجزائري، دار السويدي، المؤسسة العربية للدراسات  
والنشر، بيروت، ط1، 2004م  
ياغي، إسماعيل أحمد  
206- الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، ط2، 1998م  
الرسائل الجامعية  
امحمدي بوزينة خيرة  
207- الإصلاح في فكر الندوي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية،  
إشراف: د. صديق شافية، تخصص عقيدة، قسم العقائد والأديان، كلية العلوم الإسلامية، جامعة  
الجزائر، سنة 1431هـ، 1432هـ / 2011، 2010م  
الأشراف، جمال  
208- أبو الحسن الندوي وبناء علم الكلام الجديد، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في  
العلوم الإسلامية، تخصص عقيدة، إشراف الدكتور: عبد المالك بن عباس، قسم العقيدة ومقارنة  
الأديان، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1440هـ/ 2019م  
الوشمي، عبد الله بن صالح بن سليمان  
209- جهود أبي الحسن الندوي في تأصيل منهج الأدب الإسلامي، رسالة ماجستير، إشراف:  
عبد الله بن صالح بن محمد، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،  
1432هـ/ 2002م.

الموسوعات العلمية

210- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1419هـ، 1999م

211- الموسوعة الفلسفية، مجموعة من العلماء الأكاديميين، إشراف: روزنتال ويودين، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1974م

المجلات العلمية

212- مجلة البعث الإسلامي مؤسسة الصحافة والنشر، ندوة العلماء، الهند:

مجلد 41، العدد 8، 1417هـ، جمادى الأولى 1417هـ، سبتمبر - أكتوبر 1996م  
-المجلد 45، العدد 4، 5، 6، 1420هـ، 2000م.

213- مجلة الصحوة الإسلامية، العدد 36، 1421هـ، 2000م، الجامعة الإسلامية، دار العلوم، حيدر آباد، الهند

214- مجلة ثقافة الهند: المجلد 52، العدد 4، 2001م، الهند.

المواقع الالكترونية

215- جمعية الخلافة مؤسسة: مولانا محمد علي جوهر - رحمه الله - (1878-1931)،

رجال المجد الضائع، صفحة تاريخية علمية بإدارة فريق من المتخصصين:

<https://menoflostglory.wordpress.com/2015/03/02>



62 ..... ö €U Fviiö€«üFvii€Rajüj III ZzivHöiü \XfviEö →»j \Rviii \Rgüä vüvüü Zü°Fu

62 ..... ZzivHöiü \XfviEö →»j \RviiiIvüvüEI «ü -Xü

67 ..... Fviiö€«üFvii€Fvii Ä«üFviiüF ↓ III: \Rgü -Xü

72 ..... Zü°Fuö €R€FviiÄvüvüFviiüF ↓ III: ü Rgü -Xü

75 ..... ZzivHöiü \XfviÄvüvüFviiü: ¶Rz No: ü Rgüä vüvüü

75 ..... Fz Ä üFz RNo: EI «ü -Xü

77 ..... Ü ↓XüFz RNo: \Rgü -Xü

78 ..... Fz°FuFz RNo: ü Rgü -Xü

82 ..... LI üxü I<sup>2/3</sup> q \Xfviij Ä«üFviiüR€ \Xü €U HöiüFviiE \Rgüü °Fvüü

82 ..... LI üxü I<sup>2/3</sup> q \Xfviij Ä«üFviiüR€ \XhöiüFviiE EI «üä vüvüü

82 .... ←Iü ↑XviiE ↓NoHviiFvii Ä«üFviiüR€ \XhöiüFviiE EI «ü -Xü

84 ..... ↑<sup>2/3</sup> ¶Rz NoE ↓NoHviiFvii Ä«üFviiüR€ \XhöiüFviiE \Rgü -Xü

86 ..... FNoRQü ↑XÄE ↓NoHviiFvii Ä«üFviiüR€ \XhöiüFviiE ü Rgü -Xü

96 ..... LI üxü I<sup>2/3</sup> q \Xfviij Ä«üFviiüR€ \Xü €U FviiE \Rgüä vüvüü

¶R€xü: ¶Rz NoE ↓NoHviiFvii Ä«üFviiü ¶R€ \XhöiüFviiE EI «ü -Xü

96 ..... ZviiRvö RviiÄ

100 Fvii Ä«üFviiüR€ \XZÄ ↑ü ↑VII «ü üvüvüü €FviiE \Rgü -Xü

107 ..... ü I vüüüü Xü ¶Rz \XfviijFviiüFviiü ¶Rz ü Rgü -Xü

112 ..... Fvii Ä«üFviiüR€ \Xü I I vüü °XFfviieü Rgüä vüvüü

112 ..... RvüvüF RÄ Fviiüvüü üüü: EI «ü -Xü

114 ..... ä I vüvüüü ↓Xü ¶Rz ¶Rz FviiüFviiü ¶Rz \Xü ¶Fu Iü: \Rgü -Xü

116 ..... üüüü ü ↓<sup>2/3</sup> «ü \Xü ¶FuFviiE ü Rgü -Xü

IVvüvüü ü Xü: ¶Rz NoHviiR↓ äLI üxüüXüFviiÄvüvüFviiü: ¶Rz No: ü Rgüü °Fvüü

119 ..... LI üxüüXüZÄvüüü Xü: ¶Rz No: EI «üä vüvüü

119 ..... LI üxü I<sup>2/3</sup> q \X-RÄ«üFviiE :EI «ü -Xü

121 ..... Z<sup>Å</sup>viñù Xii vñiñ ùH ùñE↓ Ç ĩ ° €LI ùx̄-ÇQ: ↘ RĜ<sub>ç</sub> -Xii

125 ..... Z<sup>Å</sup>viñù XiiERE ùññviññ ° €LI ùx̄-ÇQ: ù RĜ<sub>ç</sub> -Xii

130 ..... LI ùx̄ù XIZ<sup>Å</sup>viññ IVññ viññ: ¶R<sub>3</sub> No: ↘ RĜ<sub>ç</sub>ă vñiññ

130 ..... Z<sup>Å</sup>viññ IVññ viññZ ↓XiiEI ←ġ- Xii

132 ..... ĩ €x̄ù ĩ III ↘Z<sup>Å</sup>viññ IVññ viññ: ¶R<sub>3</sub> No: ↘ RĜ<sub>ç</sub> -Xii

135 ..... <sup>-2/3</sup>REviññZ<sup>Å</sup>viññ IVññ viññZ<sup>-3/8</sup> : ¶R<sub>3</sub> No: ù RĜ<sub>ç</sub> -Xii

139 ..... LI ùx̄ù XIF<sup>ñ</sup>viññ<sup>Å</sup>viññ<sup>ñ</sup>viññ: ¶R<sub>3</sub> No: ù RĜ<sub>ç</sub>ă vñiññ

139 ..... F<sub>3</sub> R<sup>Å</sup> ùF<sub>3</sub> Rñ: EI ←ġ- Xii

143 ..... ĩ ùPE ùF<sub>3</sub> Rñb ↘ RĜ<sub>ç</sub> -Xii

146 ..... F<sub>3</sub> R<sup>Å</sup> °FU F<sub>3</sub> viññ<sup>ñ</sup> F<sub>3</sub> Rñ: ù RĜ<sub>ç</sub> -Xii

**LI ùx̄-ixE↓ NoHññ F<sub>3</sub> viññ Å<sub>ç</sub> ùF<sub>3</sub> viññ ù ↘XF<sub>3</sub> R<sub>ç</sub> Å<sub>ç</sub> F<sub>3</sub> viññ- R<sub>s</sub> viññ ↘ RĜ<sub>ç</sub> E<sup>3</sup> Xii**

155 ..... LI ùx̄-ixE↓ NoHññ F<sub>3</sub> viññ Å<sub>ç</sub> ùF<sub>3</sub> viññ ù ↘XF<sub>3</sub> R<sub>ç</sub> Å<sub>ç</sub> F<sub>3</sub> viññ- EI ←ġ ù °R<sub>ññ</sub>

155 ..... F<sub>3</sub> viññ Å<sub>ç</sub> ùF<sub>3</sub> viññ E<sup>2</sup> R<sub>ç</sub> ↘XF<sub>3</sub> R<sub>ç</sub> Å<sub>ç</sub> F<sub>3</sub> viññ- ù R<sub>ññ</sub> €: EI ←ġă vñiññ

155 ..... LI ùx̄- ĩ ° xii ↘XF<sub>3</sub> N<sub>ç</sub>: EI ←ġ- Xii

160 ..... F<sub>3</sub> viññ Å<sub>ç</sub> ùF<sub>3</sub> viññ ù ↘XF<sub>3</sub> R<sub>ç</sub> Å<sub>ç</sub> F<sub>3</sub> viññ- ĩ Ç : ↘ RĜ<sub>ç</sub> -Xii

164 ..... ~ I<sup>3/8</sup> IVññ Δ viññ < F<sup>ñ</sup> ùñ ù ùF<sub>3</sub> N<sub>ç</sub> Hññ ù RĜ<sub>ç</sub> -Xii

169 ..... F<sub>3</sub> viññ Å<sub>ç</sub> ùF<sub>3</sub> viññ E<sup>2</sup> R<sub>ç</sub> ↘XF<sub>3</sub> R<sub>ç</sub> Å<sub>ç</sub> F<sub>3</sub> viññ- ù ùñ<sup>ñ</sup> Å<sub>ç</sub>: ↘ RĜ<sub>ç</sub>ă vñiññ

169 ..... Λ<sup>ñ</sup> R<sub>ç</sub> ùñ<sup>ñ</sup> Vññ F<sub>3</sub> E<sup>3/4</sup> ù ù Rññ Ç ↓ ġ: EI ←ġ- Xii

172 ..... ↑ R<sub>s</sub> ° F<sub>3</sub>ă R<sub>ç</sub> Å<sub>ç</sub> E ↘ Rññ Vññ Z<sup>ñ</sup> ùFU: ↘ RĜ<sub>ç</sub> -Xii

181 ..... R<sub>ç</sub> ĩ Ç E<sup>ñ</sup> i<sup>z</sup> ù RĜ<sub>ç</sub> -Xii

185 ..... ĩ<sup>3/8</sup> REviññ F<sub>3</sub> viññ Å<sub>ç</sub> ùF<sub>3</sub> R<sub>ç</sub> Å<sub>ç</sub> F<sub>3</sub> viññ- ù RĜ<sub>ç</sub>ă vñiññ

185 ..... F<sub>3</sub> viññ Å<sub>ç</sub> ù Rññ ùFU ↘ Xă Z<sup>ñ</sup> ù F<sub>3</sub> R<sub>ç</sub> Å<sub>ç</sub>: EI ←ġ- Xii

191 ..... ↘ viññ Å<sub>ç</sub> ù Z<sup>ñ</sup> REviññ ↘ X<sup>ñ</sup> ù ù ù Å<sub>ç</sub> ù Z<sup>ñ</sup> ùFU: ↘ RĜ<sub>ç</sub> -Xii

195 ..... F<sub>3</sub> viññ ù ĩ Xii: ù RĜ<sub>ç</sub> -Xii

203 ..... LI ùx̄-ixE↓ NoHññ F<sub>3</sub> viññ Å<sub>ç</sub> ùF<sub>3</sub> viññ ù ↘XF<sub>3</sub> Rññ F<sub>3</sub> viññ- ù RĜ<sub>ç</sub> ù °R<sub>ññ</sub>

203 ..... LI ùx̄- ĩ ° xii Hññ ↘ viññ Å<sub>ç</sub> ù- ĩ Xii F<sub>3</sub> viññ Ç EI ←ġă vñiññ

203 ..... Hññ<sup>ñ</sup> Å<sub>ç</sub> ù Xii- ĩ Xii F<sub>3</sub> viññ Ç ù €: EI ←ġ- Xii









### الأمة الإسلامية في فكر أبي الحسن الندوي

#### -مظاهر الأزمة وعوامل النهضة-

أبو الحسن علي الحسني الندوي شخصية بارزة في الساحة الفكرية، عاش في أقلية مسلمة واجهت الكثير من المشاكل، وخاصة إثر انفصال باكستان عن الهند، ما زاد معاناتها من الحكومة الهندية. وعلى رغم هذا الواقع العصيب، فلم يمنع ذلك من أن ينشأ الندوي نشأة علمية في أسرته التي كانت أول مؤهل لنشأة شخصيته على هذا المستوى، ثم بيئته التي كانت عامرة بالعلماء والمفكرين والمربين، والتي كان لها الأثر في تكوينه فكريا، وترسيخ البعد الروحي القيمي الذي اصطبغت به كتاباته في العلمية والفكرية.

خاض الندوي مجال الفكر في وقت مبكر وهو فتى صغير وكانت أول بادرة كتابته لمقال عن "الإمام أحمد بن عرفان الشهيد"، ويقدم كتابه ذا الوزن الفكري الكبير "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" وهو صاحب الثلاثين سنة، ليقبل على وقف حياته وقدراته العلمية والفكرية في سبيل إعادة الأمة إلى المقام الذي اصطفاه القرآن الكريم لها، مقدما تصوره لمفهومها، مرسيا مقوماته، انطلاقا من توظيفه القرآن الكريم وحياة النبوة كمقومات أساسية في بنائه. ويستلهم منهما خصائص "الأمة المسلمة" التي تحقق البعد القرآني لها وتثبتها واقعا عمليا.

وعلى هذا المنطلق سعى إلى تحقيق هذا البعد الحضاري الذي يرسمه المفهوم القرآني للأمة، مسلطا الضوء على مجموع الأزمات التي حالت بينها وبين صناعة حضارة مثلى تعود عليها وعلى البشرية بالسعادة، مشخصا أسباب الأزمة، مبديا مظاهرها، ابتداء بالواقع السياسي الذي عاد به إلى العهد الأول من حياة الأمة الإسلامية، عند حدوث أول تحولات كبرى في الحياة الإسلامية، سببها انقلاب الخلافة الراشدة إلى ملك عضوض، مروراً بذكر الهجومات الصليبية والغزو التتاري، القيادة العثمانية كاستمرار للأزمة، منبها في المقابل على قيام النهضة الأوربية الذي شكل حضارة جديدة قوية دافعها الامبريالية والهيمنة على العالم الإسلامي، ليصل إلى أسباب الأزمة السياسية المعاصرة، وأسبابها التي تتمثل في سياسة التغريب، وتحديث الأقطار الإسلامية على النمط الغربي، والصراع بين الحكومات وشعوبها، والحكم الاستبدادي الذي ترك وبالا كبيرا على الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية. إلى نفوذ فكرة القومية وأثرها على وحدة الأمة الإسلامية.

## ملخص البحث

في حين شملت رؤيته للآزمة الفكرية -بداية من قصور تجربة العقل والروح في الإجابة على أسئلة الوجود وحياة ما بعد الطبيعة. وانتهاء إلى الأزمة الفكرية المعاصرة التي تجلت في الموقفين السلبيين للعالم الإسلامي أمام الحضارة الغربية-، موقفا رافضا لكل الحضارة الغربية جملة وتفصيلا، معارضا لها، ومنعزلا عن الحياة المتطورة، والموقف الثاني المترامي في أحضانها، مستسلما لها مقلدا مؤمنا بقيادتها، والأمر الآخر هو الغزو الفكري المؤسس الذي أضعف الهمم، وأحدث صراعا وقلقا في النفوس، وإتماما للشق الثاني من الأزمة الثقافية فإن أول سبب يراه الندوي هو تعطل الاجتهاد وإهمال العلوم التجريبية. معرجا على تخلف العلوم الإسلامية، وركود الفكر الإسلامي، مشيرا إلى نفوذ الدراسات الاستشراقية في الحياة العلمية، واعتمادها في المنظومات العلمية، مع صدى أفكارها في الأقطار الإسلامية. وضاربا أمثلة على تدهور أوضاع الجامعات في الأقطار الإسلامية وضعفها وضياح غاياتها السامية. متطرقا بعدها إلى واقع الحياة الدينية مذكرا أولا بالآثار السلبية التي خلفها، من البدع والضلالات، وتدهور العلاقة بين رجال الفكر والدين ورجال السلطة وتراجعت منزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أما مشكلة الأزمة الروحية فعاد الندوي بأسبابها إلى تراجع فريضة التزكية، وتجاذب علم التصوف طرفا الإفراط والتفريط. ليشد الفكر المادي بعد هذا الواقع خناق الحياة بسبب تراجع عمل الدعوة وتأثيرها في النفوس وضعف سلطان العلماء والمربين في الحياة الإسلامية. كما لم يغفل عن التنبيه على خطر الفرق ضالة وتركيزه على خطر القاديانية على الحياة الإسلامية والعقيدة، متجاوزا ذلك إلى الوقوف على بعض الثغرات التي يراها عوامل مضعفة للجماعات الإسلامية.

في حين شملت نظريته لأزمة الواقع الاجتماعي الانحرافات التي أحدثتها السياسات الحاكمة في بداية تاريخ الأمة وتحول نفسية المجتمع الإسلامي في بداية عهده، وامتداد لهذا الواقع المتأزم يعرض الفساد الطارئ المتمثل في جهاز السياسات الحاكمة التي تهدر أموال شعوبها في تلبية رغباتها. مع وجود التفاوت معيشي بين طبقات المجتمع، وقد أسهم ضعف السياسات الاستراتيجية في انهيار واقعها الاقتصادي بتهميش قدرات أبنائها، واعتمادها على أنظمة الغرب، وتوكيل ثروات البلاد إلى الشركات الأجنبية المستثمرة. وأصبحت أسواقها معرضا لكل منتج غربي.

## ملخص البحث

ومع مراعاته لواقع الأقطار الإسلامية فإنه لم يهمل مراعاة مشاكل الأقليات المسلمة والوقوف على معاناتها في البلدان غير الإسلامية.

وتداركا لجملة الأزمات التي تزيد الأمة تدهورا وفي مقابل الأزمة فقد قدم مساعي كبيرة في سبيل نهضة حضارية، تجلت في طرحه لجملة من العوامل ابتدأها -ترتيباً للأولى- بالعامل الثقافي الذي شمل إعادة بناء منظومة تربوية تعليمية مستقلة عن التأثير بحضارة الغرب الذي له منظومته الخاصة به لا تخدم شخصية الأمة ومستقبلها، وهدف من خلالها إلى تكوين الكفاءات الجديرة لتسد الفراغ والحاجة العلمية، وتصد الموجات الاستشراقية التي تظهر من حين لآخر.

ويؤسس بعدها رؤية للنهوض بالواقع الفكري، مستلهما المواقف التاريخية التي أسهمت في الحفاظ على خدمت الفكر الإسلامي، ورسخت دعائمه، لينتقل بعدها إلى أكبر مشكلة واجهت الفكر الإسلامي في شتى جوانبه، والمتمثلة في الحضارة الغربية، فكان التأسيس لمفهوم الحضارة واصطبغاه بالرؤية الدينية أول خطوة قدمها ثم لم يغفل على إبراز نقاط ضعف كل من الحضارتين الغربية والإسلامية وأزماتها، ومكامن قوتها، لينتهي إلى أن الحل الأمثل للإنسانية هو ما أسماه "التصميم الحضاري" الذي يقوم تلاقح الحضارتين وتتمين ما هو أنفع للإنسانية، ونبذ القطيعة النكراء بينهما.

في حين تركزت رؤيته في العامل السياسي على استصحاب القيم في المشاريع السياسية، مع تحقيق الشروط اللازمة من الوعي السياسي، والمحاسبة، وتقديم مصالح الأمة على أي مصلحة أخرى. منبها على المنهج الذي يجب تحقيقه بالنسبة للأقليات والجاليات المسلمة.

ومدعما نظرتة بعمل ميداني تكمل بنجاحات باهرة على مستوى الهند، كسب به ثقة الحكومات الهندية، والعمل بأرائه أحيانا أخرى. محاولا بذلك إرساء الوعي بأهمية تحقيق التعايش والسلم ومنفعة ذلك على جميع فئات المجتمع الهندي وأطيافه.

متطرقا بعدها إلى عوامل النهضة بالحياة الدينية والاجتماعية، مقدما القرآن الكريم المصدر الأول لقوامة الحياة الدينية، مضيفا الهدي النبوي باعتباره الممثل العملي، والمفتاح الوحيد للمعرفة الحقيقية والمنفذ للهداية الكاملة الذي يختزل الإجابات المثلى لتساؤلات الوجود التي عجز عن إدراكها التجربة الروحية والعقلية.

مقدما نموذجا عمليا في تدبر القرآن الكريم -سورة الكهف- الذي وظفه إبرازا منه على أهمية توظيف الدراسات القرآنية في مواجهة المشاكل التي تعترض الحياة الإسلامية أبرزها الفكر المادي الذي هيمن على المجتمعات الإسلامية وأصبح معيارا للعلاقات بين المسلمين، وامتد في

## ملخص البحث

---

ظل الفراغ الروحي الذي سعى الندوي لإحيائه من جديد عن طريق التصوف برؤية وسطية تحل العقد النفسية وتهذب التفكير المادي وتعيد البعد الغيبي إلى مستواها الصحيح في النفوس. أما واقع الحياة الاجتماعية فلجأ إلى التركيز على إصلاح أخلاق المجتمعات وتربيتها تربية صحيحة واعية، عن طريق إيجاد النماذج والقذوة الصالحة التي تركز جهودها في الحسبة على المجتمع وشؤونه التربوية والتعليمية، منبها كذلك على فعالية دور المرأة في هذا المجال، خاصة في إعداد الأسرة المسلمة الصالحة.

وفي مجمل رؤيته في الواقع الاقتصادي فإنه يرى ضرورة إصلاحه عن طريق استغلال الأمة لثرواته بعيدا عن الاعتماد على جهود الدول الأجنبية، إضافة إلى تحقيق القوة لحفظ الشخصية الدين وفرض احترامها منبها في ذلك على أهمية تحقيق الاكتفاء مع النوعية والجودة في صناعة السلاح والمعدات العسكرية مجابهة لقوى الغرب واستعدادا لأي خطر يهدد وجودها وكيانها.

*Islamic nation according to Abi L'hassen Nadawis thought*

*-Crisis manifestations and renaissance factors -*

*Abu el-Hassan Ali Al Hassani el-Nadawi*, is one of the influential persons in the intellectual field. He lived in a Muslim minority that faced a lot of issues, mostly after the Pakistan separated from India increasing the problems with the Indian government. That did not prevent him from receiving his education. Indeed, his family initiated his early studies considering the fact that he grew in an environment full of scientists, intellectuals and educators who influenced him a lot and helped to establish his valuable and strong spiritual opinion which is very palpable in all his writings.

His article on “*Sayyid Ahmad Shaheed*” marked the beginning of his writings at a very young age, and with his book “**Islam and the Word**” (lit: what did the world lose with the decline of Muslims?), that he wrote at the age of thirty, he started dedicating his life and knowledge to re-awaken Muslims by establishing the superior moral values of Islam and the principals contained in the Holy Quran and the life of the Prophet. He defined the characteristics of the “Muslim World” and based the existence of Muslims on the values of Quran.

He also tries to achieve the concept of civilization as conceived by Quran; focusing on the crisis that prevented Muslims and the entire humanity from living happily. He diagnosis the reasons of that political crisis going all the way back to the beginnings of Islam and how the open rebellion (*Firs Fitna*) started reversing the empire under the Rashidun Caliphate to an abusive stern dynastic system of rule. He does not forget the impact of the Crusades, Tatar invasions and the Ottoman leadership

## ***Abstract***

---

in the persistence of the crisis. El- Nadawi notices how the Renaissance helped to make the transition in Europe towards a new strong civilization pushed by imperialism to control the Muslim World. He also reveals that the real reasons behind the modern political crisis are: the Westernization and the way Muslims are adopting the Western identity, conflicts between governments and the people, the despotism which had a big influence on the spiritual, religious, scientific, social... life, and also the nationalism and the way it affected the Muslim World unity.

He reveals that the intellectual decline, from the failure to answer existential questions about life beyond nature to the modern intellectual crisis, can be seen through two different perspectives of Muslims towards the Western civilization: First, those who refuse all the aspects of that civilization, isolating themselves completely from advanced technologies and life. Second, are those who are addicted to the Western civilization, live by its principals and believe on its supremacy. Another aspect of the crisis is the intellectual invasion which weakened the motivations and created laziness by neglecting the experimental sciences. That recession in Islamic sciences is reinforced by the dependence and the decrease of the oriental studies in science, and he gives an example of such deterioration by revealing the weaknesses of the universities in Muslim countries and their failure to achieve higher purposes.

Al-Nadawi speaks, then, about the religious aspect of life and how heresies and false assumptions affected it and deteriorated the relations between intellectuals, religious and the men of power. Also, the way the notion of “promoting value and preventing vice” has declined.

According to him, the spiritual crisis is mainly due to the negligence of Zakat and to extremism in both ways of mysticism. The material aspect of life became more

## *Abstract*

---

important than the spiritual values, the effect of the preachers regressed and the power of Muslim educators and scientists decreased. He warns about the danger of groups and parties such as “Qadianiat” on the Muslim’s life and religion revealing some of the issues that weakened the Muslims communities.

Socially, he points out the way politicians contributed to the moral decline of the Muslim society from the beginning of its history till now by wasting huge money on meeting the desires of the people. Increasing disparities in living conditions of social strata and the weakness of the political strategies led to the current economic reality that relies on the West, excludes local potentials, and giving up the countries’ wealth to foreign investors who used the Muslim markets to expose their products. That being said, he does not forget to discuss the issues of Muslim minorities focusing on the difficulties faced by Muslims who live in non-Muslim countries.

By studying all these crises that affect the Muslim World, he contributes a lot in a civilizational revolution through a series of elements:

First, the cultural aspect; he works on rebuilding a new educational system independent from the West influence which does not fit the personality and the future of Muslim community. The main purpose would be the formation of competences to fill the needs in science and face the oriental waves that appear from time to time.

Second, intellectually: he makes use of the historical facts that worked on preserving the Islamic intellect and reinforced its foundations to show that influencing the civilization with religious aspects was the first risk. Then, he moves to the biggest problem of the Islamic intellect in all its aspects: the Western civilization. He summarizes the strengths and weaknesses of both civilizations to finally discover that the best solution for humanity is what he calls “civilization design”. This concept is

## *Abstract*

---

based on the mating of the two civilizations, in order to value what is good for humanity and abandon what is not.

Politically, his vision is based on the presence of values in the political projects by achieving necessary conditions such as political awareness, to put the interests of the nation first. He stressed on Muslim minorities and communities through the successful field work that he did in India. That work gained him the confidence of the Indian government who even worked with some of his advice, and helped him to raise the awareness about the importance of living peacefully and how that would be of a great benefit to all Indian social classes and communities.

Al-Nadawi was also interested by the social and religious revolution by using the Quran as the first source of the religious life, then the Prophet guidance that he considers as the key and the practical representing of real knowledge, the executer of complete guidance and the provider of all answers about existence that no spiritual or mental experience could recognise.

He presents a practical way of understanding the Quran (Surah Al-Kahf), he proved, through this model, the importance of using Quranic studies to solve all sort of problems most importantly the materialistic way of thinking that dominates the Islam communities and became a criteria for relations between Muslims. Also the spiritual emptiness that he tries to fulfill with an average mysticism in order to solve the psychological issues and control the materialistic thinking, and give the spiritual aspect its appropriate strength.

To promote the social life, he upholds the reform of social ethics and morals by providing a conscious and correct education, and finding good modals that would



## *Abstract*

---

dedicate themselves to the education and the teaching of the community. He also emphasised on the crucial role of women in preparing a good Muslim family.

In his overall economic perspective, he believes on its reform, calling the nations to use their own wealth and avoid depending on the foreign efforts. Similarly, he also urged to achieve self-sufficiency with quality in the production of weapons and military equipment to face the West forces and be prepared for eventual threats.